



معالم المدارس

الجزء الأول

السيد مرتضى العسكري



مَعَالِمُ الْمَلِكِ السُّلَيْمَانِ

لِلْجَنَّةِ الْأُولَى

تَأَلَّفَ
السَّيِّدُ مُرْضَى الْعَسْكَرِي



اسم الكتاب: معالم المدرستين (الجزء الأول)

المؤلف: العلامة السيد مرتضى العسكري

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

الطبعة الاولى: ١٤٢٤ هـ ق

الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ ق

المطبعة: ليلى

الكمية: ٥٠٠٠

ISBN: 964-7756-45-3

شابك: ٣-٤٥-٧٧٥٦-٩٦٤

«حقوق الطبع محفوظة»

www.ahl-ul-bayt.org

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلام عليك يا إمام العصر ورحمة الله وبركاته
سيّدي يا ابن رسول الله (ص) إليك أهدي هذا المجهود الضئيل .
﴿يا أيُّها العزيز مَنّا وأهلنا الضّرّ وجنّنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل
وتصدّق علينا إنّ الله يجزّي المتصدّقين﴾ .
آيها الجواد الكريم ، اشفع لنا عند الله ليغفر ذنوبنا ويكشف عنا وعن قومنا
الضّرّ ؛ إنّهُ أرحم الراحمين .

صغير خدامكم
مرتضى العسكري

العالمي لأهل البيت (عليه السلام) تحت رعاية الأمين العام للمجمع سماحة آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي.

وقد قدمت اللجنة العلمية لمؤتمر التكريم هذا ما يلي:

١ - كتاب عن حياة العلامة العسكري باللغة العربية تحت عنوان «العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد» بقلم كامل خلف الكناني.

٢ - كتاب عن حياته باللغة الفارسية تحت عنوان «مصلح بيدار» .

٣ - تلخيص كتاب دور الأئمة في إحياء الدين باللغة الفارسية تحت عنوان «نگاهی به نقش ائمه در احیاء دین».

٤ - حوارات و مقالات مخصّص المؤتمر.

٥ - اقتراح طباعة كتاب «الأسطورة النبأية» للعلامة العسكري.

٦ - اقتراح طباعة كتاب «افتراءات وأكاذيب عثمان الخميس» للعلامة العسكري.

٧ - اقتراح طباعة كتاب «معانم المدرستين» وترجمته باللغة الفارسية.

٨ و ٩ - واقتراح طباعة كتاب «ولاية الإمام علي (عليه السلام) في الكتاب والسنة» باللغتين العربية والفارسية.

١٠ - اقتراح اعداد عدة أقراص تحتوي على محاضرات السيد العسكري ومجموعة كتبه وكل ما أعدّه مؤتمر التكريم من مقالات ولقاءات.

من هنا أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة العليا لمؤتمر التكريم ولا سيما الأمين العام للمؤتمر سماحة السيد منذر الحكيم وإمام جمعة ساوة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حافظ النجفي وسكرتارية المؤتمر الأستاذ صادق جعفر الزوازي وسائر العاملين في مؤتمر التكريم هذا سائلاً لهم من الله كمال التوفيق وطول العمر ودوام الصحة والتأييد للسير على خطى أهل البيت انظاهرين ولا سيما المهدي المنتظر الذي وعد الله به الأمم ان يجمع به الكلم إنه ولي التوفيق.

محمد حسن تشيع

المعاون الثقافي للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ .

الزمر/ ١٧ - ١٨

مقدمة الطبعة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين
والسلام على أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه البررة الميامين،
ويعد:

لما كان هذا الكتاب في بحوثه نسيج وحده، شأنه في ذلك شأن كتابي «عبد
الله بن سبأ» و«خمسون ومائة صحابي مخلق» ولم تُنسخْ على منوال سابق، كان
لابدّ لبحوث كلّ منها أن تتكامل تدريجياً، لذا صدر:
الجزء الأول منه:

في طبعته الأولى، عام	١٤٠٥	في	٢١٥	صفحة
وفي طبعته الثانية، عام	١٤٠٦	في	٣٧١	صفحة
وفي طبعته الثالثة، عام	١٤٠٩	في	٥١٩	صفحة
وفي طبعته الرابعة، عام	١٤١٢	في	٦١٦	صفحة
وفي طبعته الخامسة هذه عام	١٤١٦	في	٥٩٢	صفحة
والجزء الثاني منه:				

في طبعته الأولى عام	١٤٠٥	في	٣٧٨	صفحة
وفي طبعته الثالثة، هذه عام	١٤١٢	في	٤٠٥	صفحة

وأجري على طبعتهما في سنة ١٤١٦ تصويبات واستدراكات.

ولو فسح الله تعالى في الأجل ، وشاء لي - عزّ اسمه - ان استدرك على بعض بحوث هذا الكتاب بعد هذه الطبعة فسوف ألحق المستدرك في طبعاته القادمة بآخر الكتاب ولا أُغَيّر وضع البحوث عما هو عليه في هذه الطبعة إن شاء الله تعالى ، هذا والكمال لله وحده .
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مرتضى العسكري
نجل السيد محمد الحسيني
نجل السيد اسماعيل آل شيخ الإسلام

مخطط بحوث الكتاب

بحوث تمهيدية تبين منشأ الخلاف بين مدرستي الإمامة والخلافة وتنقسم بحوث الكتاب بعدها إلى قسمين :

القسم الأول : بحوث مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين وسبل الوصول إليها، وعليها تبنى العقيدة الإسلامية وأحكامها وتشمل البحوث الخمسة الآتية :

أولاً - بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة .

ثانياً - بحوث المدرستين في الإمامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية وتكوين الرؤية الصحيحة للإسلام .

ثالثاً - بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية، وتنقسم إلى مجموعتين : أ - دراسة روايات المدرستين حول القرآن الكريم . ب - بحوثهما حول سنة الرسول (ص)، وبيان كيفية اتخاذ مدرسة الخلفاء الاجتهاد والعمل بالرأي من مصادر الشريعة الإسلامية في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص). وبها يتم بحث مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة الخلفاء .

رابعاً - قيام الإمام الحسين (ع) ضد الانحراف عن سنة الرسول بسبب الاجتهاد والعمل بالرأي .

خامساً - تمكّن أئمة أهل البيت (ع) من إعادة سنة الرسول إلى المجتمع بعد قيام الإمام الحسين (ع)، وتمكّن مدرستهم من نشر سنة الرسول (ص)

بعد ذلك . وبهذا يتم بحث مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة أهل البيت ، وتتم بذلك بحوث الأسس الفكرية لدى المدرستين .

بحوث تمهيدية

توطئة .

من آثار الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية .

بعض صفات الله ومنشأ الخلاف حولها .

الخلاف في صفات الأنبياء ومنشأها .

الخلاف حول الإحتفال بذكرى الأنبياء .

الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء .

الخلاف في البكاء على الميت ومنشأه .

الخلاف في تأويل آيات من كتاب الله .

خلاصة وحائمة .

- ١ -

توطئه

شرع الله للإنسان، بمقتضى ربوبيته، من الدين ما ينظم حياته ويسعده ويوصله إلى درجة الكمال الإنساني، وهدهد بواسطة أنبيائه إليه وسماه الإسلام^(١). كما سنّ لجميع مخلوقاته أنظمة تتناسب وفطرهم وتوصلهم إلى درجة الكمال في وجودهم، وهدهدهم إلى السير بموجبها إلهامياً أو تسخيراً^(٢).

وكان النوع الإنساني كلّما توفّي رسول من رسل الله في أمة منه، قام أصحاب الطول والسلطان من تلك الأمة بتحريف ما يخالف هوى أنفسهم من شريعة نبيهم أو كتابه، ثم ينسبون ما لديهم من الشريعة المحرفة إلى الله ورسوله^(٣).

(١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران/ ١٩. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران/ ٨٥.

(٢) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَاسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ الأعلى/ ١ - ٥.

وقال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه/ ٥٠.

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾ النحل/ ٦٨.

وقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُورَاتٌ بِأَمْرِ﴾ الأعراف/ ٥٤.

(٣) قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلْعَنُونَ أَلَسْتُمْ بِالْكِتَابِ لِحُسُوهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ

ثم يجدد الله دين الإسلام بإرسال نبيّ جديد ينسخ بعض الشعائر والطقوس التي لامسها التحريف. ولما أرسل الله خاتم أنبيائه محمداً (ص) بالقرآن، أنزل فيه أصول الإسلام من عقائد وأحكام في آيات محكمة وأوحى إليه تفصيل ما أنزل في القرآن ليبين للناس ما نزل إليهم^(١)، فعلمهم الرسول شرائع الإسلام من كيفية ركعات الصلاة وتعدادها، وما يمسون عنه في الصوم وشرائطه، والطواف وأشواطه وبدايته ونهايته، إلى غيرها من أحكام واجبة ومستحبة ومحرمة، فتكون منها لدى المسلمين الحديث النبوي الشريف. وكذلك جعل الله تحسيد الإسلام في سيرة رسول الله (ص) وأمر الناس باتباعه في قوله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ الأحزاب/٢١.

وسمي مجموع السيرة والحديث النبوي في الشرع الإسلامي بالسنة، وأمرنا الله ورسوله باتباع سنة الرسول (ص)^(٢).

وهكذا أكمل الله تبليغ الإسلام إلينا في القرآن والسنة النبوية، وتوفي

يعلمون﴾ آل عمران/٧٨.

وقال: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ البقرة/٧٥.

وراجع الآيات: البقرة/٤٢ و١٤٦ و١٥٩ و١٧٤، وآل عمران/١٨٧، والنساء/٤٦، والمائدة/١٣-١٥، ٤١، ٥٩-٦١.

٤) قال سبحانه: ﴿وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ النحل/٤٤.

٥) أمر الله في آية: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ بالافتداء بسيرة الرسول (ص)، وفي آية: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر/٧، أمر بالعمل بحديث الرسول (ص) والسنة عبارة عنها.

الرسول (ص) بعد أن أخبر أمته وحذرها بأنه يجري في هذه الأمة ما جرى في الأمم السابقة حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة، وأنه لودخل من الأمم السابقة أحدهم في جحر ضبَّ لدخل من هذه الأمة أحدهم كذلك في جحر ضبَّ^(٦).

* * *

وكان من أمر التحريف في هذه الأمة أَنَّ الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن

٦- تمجد تفصيل الأحاديث الواردة في هذا الشَّان في البحث الخامس من البحوث التمهيدية بالجزء الثاني من «خمسون ومائة صحابيٍّ مختلفٍ». وراجع - أيضاً - نصوص الأحاديث في المصادر التالية:

أ - إكمال الدين للصدوق ص ٥٧٦، وروى المجلسي عنه في البحار ٣/٨، وفي تفسير الآية: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ في كُلِّ من مجمع البيان للطبرسي. وجملاء الأذهان لكازر.

ب - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧١/٢، ح ٣، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي (ص): «لَتُبْعَنَّ سَنَنُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» الحديث، ١٧٦/٤، ح ١ و٢.

وفتح الباري بشرح البخاري ١٧/٦٣ و٦٤.

ج - صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٩/١٦ كتاب العلم.

د - صحيح الترمذي ٢٧/٩ - ٢٨ و ١٠٩/١٠.

هـ - سنن أبن ماجه ح ٣٩٩٤.

و - مسند الطيالسي ح ١٣٤٦ و ٢١٧٨.

ز - مسند أحمد ٣٢٧/٢ و ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧ و ٨٤/٣ و ٩٤ و ١٢٥/٤ و ٢١٨/٥.

و ٣٤٠.

ح - مجمع الزوائد ٢٦١/٧ عن الطبراني.

ط - كثر العمال ١٢٣/١١ عن الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک.

ي - في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ من سورة آل عمران في الدر المنثور للسيوطي عن المستدرک للحاكم.

من أن تناله يد التحريف وقال :

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر/ ٩ .

وقال : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ فصلت/ ٤٢ .

وأما السنة التي رويت لنا سيرة وحديثاً في روايات كثيرة، فإن الله لم يحفظها من التحريف، كما يتضح ذلك جلياً في اختلاف الروايات النبوية التي بأيدي جميع المسلمين اليوم، ولتعارض بعضها مع بعض. وأدى الاختلاف في الحديث الشريف إلى أن يهتم بعض العلماء بمعالجته، وألفوا كتباً مثل : تأويل مختلف الحديث^(٧)، وبيان مشكل الحديث^(٨)، وبيان مشكلات الآثار^(٩).

ومن جراء اختلاف الأحاديث، اختلف المسلمون في فهم القرآن وتشتت كلمتهم أبد الدهر. أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة، ومعاشرتهم أهل الآراء والملل والنحل الأخرى. كل ذلك أدى إلى اختلاف رؤيتهم للإسلام، ويادر بعضهم إلى تأويل الآيات الكريمة والصحيح مما بأيديهم من الحديث الشريف، وفقاً لرأيهم ورؤيتهم للإسلام. وأدى بهم ذلك إلى القطيعة في ما بينهم وعدم استماع بعضهم إلى آراء الآخرين، وإلى تكفير بعضهم بعضاً. كان ذلكم عوامل التشويش الداخلي، كما كان ثمت عوامل خارجية عملت في الداخل بواسطة عملائها كالاتي ذكره :

عوامل التخريب والتخريف الخارجي

من عوامل التخريب والتخريف في مصادر الدراسات الإسلامية (كتب

(٧) تأليف ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت : ٢٨٠هـ أو ٢٧٦هـ).

(٨) تأليف ابن فورك محمد بن الحسن (ت : ٤٠٦هـ).

(٩) تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي (ت : ٣٣١ أو ٣٣٢هـ).

الحديث والسيرة والتفسير) وغيرها، عوامل التخريب الخارجي وهي :
أولاً - أخبار أهل الكتاب التي أنتشرت في مصادر الدراسات الإسلامية من قبل أمثال : كعب الأحبار وتميم الداري .
ثانياً - روايات وأخبار وضعتها زنادقة أمثال : آبن أبي العوجاء وسيف ابن عمر، وأنتشرت في تلك المصادر^(١٠) .
ثالثاً - وأخيراً، عندما غزت قوى الكفر (المستعمرون) بلاد المسلمين، حاربت الإسلام بأفنتك سلاح هدام، حين وظفت المبشرين من علماء اليهود والنصارى والمعروفين باسم المستشرقين ليمعنوا في طلب مواطن الضعف بمصادر الدراسات الإسلامية، ويحاربوا الإسلام بها . فاجتهد هؤلاء في وضع فهارس للمصادر الإسلامية وتنظيمها وتنسيقها ونشرها بكل إتقان، وأشرافوا بواسطتها على كل ما فيها، وألقتوا من شتى الكتب كل خبر موضوع ومدسوس يشوه الإسلام، مثل أسطورة الغرائق، وغيرها، وألفوا مما التقطوا منها بأسلوب عصري بديع، كتباً مثل : (دائرة المعارف الإسلامية) و(محمد النبي السياسي)^(١١) .

وعمل الغزاة (المستعمرون) أخطر من ذلك في حريم الإسلام، حين دفعوا إلى الواجهة في بلاد المسلمين تلاميذ أولئك وخريجي مدارسهم الفكرية ودعاة أفكارهم ومروجي حضارتهم، وسلطوا عليهم الأضواء وعرفوهم باسم المصلحين للإسلام ومنواري الفكر والتقدميين، فاستورد هؤلاء نتيجة

١٠) درسنا انتشار أخبار أهل الكتاب في مصادر الدراسات الإسلامية في الجزء السادس من سلسلة (قيام الأئمة بإحياء السنة) وتخريب المستشرقين في الجزء الثالث والرابع منه، وتخريب الزنادقة في الجزء السادس منه، والبحوث التمهيدية من الجزء الأول من (خسون ومائة صحابي مخلق) . ودرسنا تحريف سيف منهم خاصة فيه وكذلك فعلنا في كتاب عبد الله بن سبأ .
 ١١) وشد من المستشرقين في كل عصر آحاد خضعوا للحق .

أفكار أولئك إلى بلاد الإسلام، ونشروها بشتى وسائل النشر وبأساء مختلفة وعناوين مشوّقة للنفوس.

وكان من هؤلاء: السير سيّد أحمد مؤسس جامعة عليكره الإسلامية في الهند، وأحمد لطفي السيّد أستاذ الجليل، وقاسم أمين نصير المرأة في مصر. وكذلك فعلوا في العراق وإيران وغيرها من البلاد الإسلامية^(١٢).

وكان من الطبيعي أن تقوم بين هؤلاء وبين حفظة الفكر الإسلامي الأصل حربٌ يعين فيها المستعمرون وعملآؤهم والمغررون بهم تلاميذ المستشرقين. وكان أفتك سلاح بأيدي هؤلاء ما تذرّعوا به في حرب الإسلام باسم تعريف الإسلام وتاريخه وتعريف الشخصيات الإسلامية، مثل ما فعل السير سيّد أحمد حين كتب تفسير القرآن حسب زعمه، وجرجي زيدان في قصصه. وجلّ محاولات هؤلاء وأساتذتهم المستشرقين ترمي إلى شيء واحد وتستهدفه، وهو ما قاله أحدهم: (لا يُقتل الدين إلّا بسيف الدين)!

وفي سبيل تحقيق هذه الخطة أخذوا يفسرون القرآن ويشرحون الحديث النبوي الشريف ويكتبون سيرة الرسول (ص) والأئمة، يحاولون في كلّ ما يعملون أن يجردوا الجميع من الاتصال بالغيب، وعرضها على أنها من طبيعة البشر، ثمّ يلوّحون من طرف خفيّ، وأحياناً بصريح جليّ: أنّ كلّ فرد منهم وكلّ شيء من الإسلام كان متناسباً مع زمانه وكان تقدماً في عصره ونافعاً للبشر

(١٢) هؤلاء وأمثالهم من دعاة الحضارة الغربية في البلاد الإسلامية ومهذّمي الأعراف الإسلامية ومخالفي أحكامها. وقد ناقشنا بعض ما نشره هؤلاء من الفكر الغربي المستورد، وأصدرنا الجزء الأوّل منه في العراق، وأمتنعت دور النشر من نشره، كما منعت الحكومة المارونية اللبنانية يومذاك من دخول الكتاب إلى لبنان، فلم تتمكّن من إصدار بقية أجزائه، ووجدنا أفضل مانثر في هذا الصدد كتاب (أجنحة المكر الثلاثة) تأليف عبد الرحمن حسن جبنة الميداني، من سلسلة (أعداء الإسلام)، ولنا بعض المؤاخذات على الكتاب.

في حينه، أما اليوم فنحن بحاجة إلى تطوير الإسلام وتجديده لي مطابق مقتضيات العصر وحاجة أهله.

وهؤلاء مع سلاحهم هذا، الخفي أثره على الكثير، أضّر على الإسلام والمسلمين من بعض السياسيين العملاء للغزاة الكفرة في بلادنا والذين نصبوهم حكّاماً لبلاد المسلمين، بما قاموا به في الحرب الفكرية من تحريف الحقائق الإسلام باسم تعريف الإسلام أحياناً، والإسلام المتطور الملبي لحاجات العصر تارة أخرى.

من كلّ ما ذكرنا، يظهر جلياً أنّ المسلمين في هذا اليوم وبعد كلّ ما مرّ على الإسلام من تيارات فكرية، بحاجة شديدة إلى دراسات مستفيضة لأقوال الفرق الإسلامية وتمحيص ما لديها، خلافاً لما يراه بعض المسلمين الغياري الذين يرون السكوت عن كلّ ذلك أولى، حفظاً لوحدة المسلمين!

ولست أدري كيف يتمّ ذلك مع وجود الخوارج^(١٣) الذين بنيت أصول عقائدهم على تكفير عامة المسلمين وأنهم هم وحدهم المسلمون وما عداهم مشركون، وعلى التبرّي من الخليفة عثمان والإمام عليّ وأمّ المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن كان معهم، ثمّ لعن أولئك ولعن جميع المسلمين.

كيف يتمّ ذلك وفي المسلمين من تنوق نفسه إلى زيارة قبر الرسول الأكرم (ص) وقبور أئمة المسلمين والتبرّك بها والاستشفاع والتوسل بهم إلى الله، وفيهم من يرى كلّ ذلك شركاً لله وخروجاً على الإسلام وبدعة محرمة، وبذلك يرون أنّ جميع المسلمين بعد القرن الثالث الهجري إلى اليوم مشركون. وقد هدموا مساجد المسلمين التي بنيت في طريق غار حراء وأمثاله من الأماكن

(١٣) مشترون في الجانب الشرقي من جزيرة العرب وشمال أفريقيا.

المشركة إلى جانب تهديمهم قبور أئمة المسلمين وأمّهات المؤمنين وعمّ الرسول (ص) وآبى الرسول (ص) وصحابته وشهداء أحد؟

ولا يفعل مثل ذلك من اليهود وتوراتهم وبيعهم والنصارى وكنائسهم، وفيها ما فيها من الصليبان وقنايل عيسى ومريم (ع) وهم يعلنون أن عيسى ربهم وأن الله ثالث ثلاثة - معاذ الله - وإنما يُعاهدون ولا يقال لهم: أنتم مشركون!

ثم إن المسائل المذكورة ونظائرها ليست مسائل تخصّ الفرد المسلم - مثل إسبال اليدين في الصلّاة، الذي تراه مدرسة أهل البيت والمالكية، خلافاً للأحناف والحنابلة الذين يرون وجوب التكتف؛ ومثل الاختلاف في غسل الرجلين أو مسحهما في الوضوء ممّا يتيسّر للفرد المسلم أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه اجتهداً أو تقليداً، وستطيع الفرد الآخر المخالف له في الرأي أيضاً أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه، ويمكن لهما مع ذلك أن يعيشا في وفاق في مجتمع إسلامي واحد - وإنما هي ممّا يبنى المجتمع الإسلامي عليها، فلمّا أن يبنى المجتمع على هذه العقيدة وتزول تلك، وإمّا أن يبنى على تلك وتزول هذه.

وهي ليست بعد قضايا سياسية غير دينيّة يمكن التغاضي عنها حفظاً لوحدة المسلمين، وإنّ نشر ملايين النسخ من أمثال كتاب (وجاء دور المجوس) بأسماء مستعارة وغير مستعارة، وإنفاق بعض الحكومات على أمثالها، لتنسب إلى أمة كبيرة من المسلمين الخروج عن الإسلام، وإنفاقها ملايين الملايين في نشر دعايتها في آلاف المعاهد والمساجد والمدارس بجميع أقطار الأرض: أن ما عداهم من المسلمين مشركون، إضافة إلى إفاد آلاف المبعوثين كذلك إلى جميع أقطار الأرض لنشر دعايتها من جانب واحد، فإنّ كلّ ذلك لم يكن بدافع سياسي غير ديني.

كما أنها ليست من قضايا أوجدتها الاستعمار للإيجاد التفرقة بين المسلمين ليحسن السكوت عليها، بل هي قضايا كانت قائمة ومنتشرة في المجتمع الإسلامي منذ عصر إمام الحنابلة أحمد (ت : ٢٤١هـ) وعصر الشيخ ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) من أتباع مدرسته، بل قبلهما وبعدهما إلى اليوم . وإن قتل مئات الألوف من المسلمين وإحراق مكباتهم في شتى العصور ومختلف البلاد خير دليل على ما نقول . فهي إذن مما يستفاد منها سياسياً من قبل تلك الحكومة أو ذلك الاستعمار، متى ما شاءت تلك أو شاء هذا، فيما إذا لم تعالج . ثم إنها، كما ذكرنا، عقائد راسخة والسكوت عنها على مضض لن يحقق وحدة بين المسلمين ولا تقارباً ولا تفاهماً، بل يعمق الجرح ويوسع شقة الخلاف ويطيل أمدها، ولمزيد التوضيح وإقامة الدليل على ما بينت، أذكر بعض مشاهداتي من آثار مسائل الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية في ما يأتي :

من آثار الخلاف بعض ما شاهدت بين أبناء الأمة الإسلامية

اعتمدت في ما أشرت آنفاً من تكفير المسلمين بعضهم بعضاً، وما ساذكره منها في ما يأتي، مع أنواع من استدلالهم، إضافة إلى ما ورد في الكتب المطبوعة، على مشاهداتي في أسفاري إلى البلاد الإسلامية واجتماعي بعلماء فرق المسلمين ومفكرهم وأبناء شعوبهم، وخاصة في سفرتي العشر لحج بيت الله الحرام.

في السفارة الأولى:

وكان مما رأيت في سفري الأول للحج على عهد الملك عبد العزيز آل سعود: أن ركبنا - ركب الحاج العراقي - عندما بلغ مدينة الرماح من بلاد الحكومة السعودية، مكثنا فيها أربعاً وعشرين ساعة، وأشركتنا جميعاً في أداء الفرائض جماعة بمسجدهم. ولمّا دنت ساعة الرحيل، اجتمع علينا لفيف من أهالي المدينة يشاهدون رحيلنا، فحضر حشدهم من بدا عليه أنه كان من ذوي معرفتهم، وخطب فيهم وأشار إلى أفراد الحاج وقال:

وهؤلاء مشركون. وقال أيضاً: هؤلاء سيكون على الحسن والحسين. ثم أشار إليّ وقال:

هذا مطوّعهم لو يطيح بيدي أذبحو والطع دُمّو. فانبرى له أحد الحجاج

وقال:

لماذا نحن مشركون نحن حججنا بيت الله، زرنا قبر النبي...؟! فإذا به يردد ويزيد ويقول له:

أشركت، لو يجي أبو أبو سعود ما يحامي عنك. ويش محمد، محمد رجلاً مثلي. (أي لا يستطيع الملك بسلطته ولا يستطيع جدّه سعود أن ينجيك مني. وأي شيء كان محمداً، محمداً كان رجلاً مثلي وقد مات وانتهى أمره).

فارتعد الحاج العراقي وقال:

ماذا أقول؟ ماذا أقول؟ فقال له:

قل ما هو ضار إلا الله، ما هو نافع إلا الله. فردّد الحاج ما لقته إياه. فانبرئ له حاج عراقي آخر وقال له:

محمد رجلاً مثلك؟! فأخذ قوله ثانية وقال:

محمد رجلاً مثلي، مات! فقال له الحاج:

محمّد نزل عليه القرآن فهل ينزل عليك القرآن؟ فلم يجر جواباً، وبادرنا ركوب السيّارات وتحركت بنا.

وكان في ركبنا حاج يحمل جواز سفر سعوديًّا ويسكن العراق. فلما بلغنا الحدود وشاهده موظف الجوازات السعودي، آنثره وقال له مستهزئاً ومستنكراً:

ترك بلاد الإسلام وتسكن بلاد الشرك؟!!

فأخذ الحاج السعودي يتدلّل له ويتخشع له ويطلب جواز سفره، حتّى أعاده إليه!!!

في السفارة الثانية:

كان علماء العراق يومذاك يعملون هم إعادة الأحكام الإسلاميّة إلى

المجتمع، يوقظون أبناء الأمة الإسلامية في سبيل المطالبة بها، في مساجدهم وأحتفالاتهم ومهرجاناتهم، ويعارضون السلطة في تشريعها قوانين مخالفة للأحكام الإسلامية. وكنا ننتسم أخبار تحركات المسلمين في هذا السبيل في أي مكان كان، نؤيد ثورة الجزائر على فرنسا ونُدعم الثورة الفلسطينية بكل ما أوتينا من حول وقوة، ونستطلع أخبار الثورة الأيرتيرية على الأحباش، ونرى من لوازم نجاح المعركة في سبيل إعادة الأحكام الإسلامية توعية المسلمين في هذا السبيل ثم تكاتفهم وتعاونهم في هذا الصدد ونسيان مسائل الخلاف في ما بينهم.

ولما نشبت المعركة الإسلامية في إيران بين سلطة الطاغوت وعلما المسلمين يومذاك بدءاً بمعركتهم من المدرسة الفيزية في الجامعة الإسلامية الكبرى بقم، في اليوم الخامس والعشرين من شوال سنة ١٣٨٢ هـ، استبشرنا بها خيراً، وحشدنا كل طاقاتنا لمساعدتها، وجندنا أنفسنا لخدمتها؛ فقام علماء العراق بكل ما أوتوا من حول وقوة بتأييدها، جزاهم الله جميعاً خيراً.

وكنتم نمن أقام الحفلات التأيينية، وأقمّت ثلاث ليالٍ حفلة تأيينية كبرى في بغداد، أُلقيت فيها خطب توجيهية توضّح أبعاد المعركة الإسلامية في إيران وآثارها ومغزاها.

في مثل هذا الظرف سافرت إلى الحج وأنا أحمل معي أشعاراً وأطروحة، شعاري الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين في سبيل إعادة حياة إسلامية في البلاد الإسلامية، وأطروحتي: النهضة الإسلامية المتمثلة بالنهضة الإسلامية التي بدت طلائعها في إيران من قبل علماء المسلمين. وكنتم أبذل الجهد في شرح دوافعها لقادة المسلمين ومفكرهم وأستباضهم لمساعدتها وبيان أنّ معركة المسلمين في سبيل إعادة الأحكام الإسلامية واحدة، وأنّه إذا نجحت المعركة في أي بلد إسلامي، فإنّه ستتشر آثارها إلى غيرها، ويعمّ المسلمين خيرها، وكلّ أمل ورجاء أنّ سوف أجد أذنّاً صاغية لما أعرض من مأساة المسلمين في إيران،

مع بيان وحدة القضية ووحدة المصير.

اجتمعت في هذه السفرة بقيادة الإخوان المسلمين في سوريا وسعيد رمضان بمكة، ومحمد آدم رئيس الثورة الأريترية، في موقف عرفات، ومثقفى الفلسطينيين في الأردن وبيت المقدس ومحرري الصحف الإسلامية وعلماء المسلمين وخطبائهم وقادة الحركات الإسلامية، أمثال أبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي رئيس الجماعة الإسلامية بباكستان يومذاك، إلى غيرهم.

بدأت عملي في المدينة بالمساهمة في كتابة النشرات التي كانوا يعدونها للتوزيع على الحجيج، فأجريت تعديلات على صيغ النشرات، شرحنا فيها أبعاد النهضة الإسلامية في إيران وبيننا ظلم حكومة الطاغوت وعمالتها لدول الكفر، نستنهض فيها المسلمين لإعانة أبناء الأمة الإسلامية في إيران، ورجحت توزيعها ليلة العيد على الحجاج في المشعر الحرام، غير أنني بوغت مساء السابع من ذي الحجة في مكة المكرمة بأن الشيخ المسؤول عن توزيعها وزع بعضها في الحرم المكي الشريف فألقي القبض عليه وزج في السجن وحجزت النشرات كافة. فاجتمعنا نحن علماء العراق وإيران يوم العيد بولي العهد فيصل، يومذاك، نطلب منه إطلاق سراح الموقوف والنشرات المحجوزة، فاغتنمت الفرصة وقلت: إن حكومتهم رفعت شعار تنفيذ أحكام القرآن في هذا البلد، وعليه يقتضي أن تعينوا المسلمين الذين يجاهدون في سبيل تطبيق أحكام القرآن في بلادهم ويصطدمون بحكومات بلادهم الذين يريدون تنفيذ أحكام الكفر، وأن تجعلوا من البلد الحرام ملجأ للمشردين منهم وتساعدوهم في شرح ظلامتهم لإخوانهم الحجيج، وذلك هو مصداق قوله تعالى:

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

ثم ذكرت قيام علماء المسلمين في الجامعة الإسلامية الكبرى بقم وأسهب

في شرح أبعاد النهضة الإسلامية الطالعة بإيران، وواجب قادة المسلمين خاصة الحكومة السعودية تجاهها، وختمت حديثي بشرح قضية العالم الذي ورَّع نشرات التظلم على المسلمين وتوقيعه، وجرت حول ذلك بيننا مناقشات، أدت إلى إطلاق سراح الموقوف.

ونشرت الصحف بعد أداء المناسك ورجوعنا إلى مكة دعوة للحضور في المسجد الهندي بمكة مساء الجمعة للاستماع إلى خطبة الأستاذ المودودي. فحضرنا الاحتفال بعد صلاة العشاء وألقى الأستاذ المحاضر خطبة^(١) ذكر فيها ثمانية أمور تلزم المسلمين لإعادة الحياة الإسلامية إلى المجتمع، وتقدمت بعده خالف المذيع وخطبت معلقاً على خطابه وقلت:

إن المسلمين في نهضتهم اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور:

أولاً - إن المسلمين بعد مضي أربعة عشر قرناً من بعثة الرسول الأكرم (ص) والظروف التي مرت عليهم بحاجة إلى دراسة موضوعية مستوعبة لكيفية استنباط الأحكام من مصادر الشريعة الإسلامية ودراية الحديث وفقه السنة وترك البقاء على تقليد العلماء السلف في كل ذلك.

ثانياً - إن الغزاة الكفرة لبلاد الإسلام - المستعمرين - استطاعوا أن يُشتتوا كلمة المسلمين وبذلك استطاعوا أن يقضوا على كل حركة إسلامية في أي مكان تظهر. ثم شرحت ثورة الجزائر ضدّ الفرنسيين، والأريتيريين ضدّ الأحباش، وعلماء إيران ضدّ الطاغوت العميل، وأسهب في الشرح وأستهضت همم المسلمين لمساعدتهم.

وذكرت ثالثاً أننا اليوم بحاجة إلى إيمان كليمان أبي ذر وعمار وسمية،

(١) كان قد أعدّها ليلقيها في ندوات رابطة العالم الإسلامي التي دُعي للاشتراك في جلسات تأسيسها، ولما لم يسمح له بذلك ألغاه في ذلك المسجد.

وشرحت ما تحمّلوا من الأذى على أرض مكّة التي نحن عليها في سبيل الإسلام.

* * *

وفي المدينة المنورة بلغ عميد الجامعة الإسلامية الشيخ عبد العزيز بن باز خبر لقاءاتي بالوفود الإسلامية وأن أحد علماء بغداد من وصفه كذا وكذا في المدينة المنورة، فظنّني من أتباع مدرسة الخلفاء ورغب في أن أزور الجامعة الإسلامية بالمدينة، وكانت جديدة التأسيس، وأرسل إلينا من سيارات الجامعة ما حملتنا إليها مع بعض علماء بغداد ومثقفينا ووجهائها، وكان أساتذتها قد اجتمعوا في بهو كبير بانتظارنا وأستقبلونا فيه وأحتشد على نوافذ البهو فريق من الطلاب لمشاهدتنا. ولما استقر بنا المقام، بدأت بعد حمد الله والثناء عليه بتقديم تحايا علماء المسلمين في العراق لهم وتمنياتهم بتأسيسهم الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ثم قلت:

إن رسول الله (ص) لما حلّ بهذا البلد بدأ بعقد التآخي بين المسلمين المهاجرين والأنصار، وبنى على ذلك التآخي مجتمعه الإسلامي المجيد. وأنتم بوجود طلبة من خمس وأربعين دولة عندكم تستطيعون أن تقتدوا به وتقدّموا هذه الخدمة الجليلة للإسلام والمسلمين. والمسلمون اليوم يأملون الحاجة إليها، فإنهم في شتى أصقاع الأرض أبتلوا بالاستعمار الغازي الكافر؛ منهم من يثّر تحت وطأته مباشرة، ومنهم من يسيطر عملاؤه عليهم وبدأوا اليوم يحاهدون الاستعمار وعملاءه. فهذه الجزائر يحاهد مسلموها فرنسا ويجري عليهم ما يجري وفي أريتيريا يحاهد ثوارها هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة ويجري عليهم ما يجري وعلماء المسلمين في إيران يحاهدون الطاغوت وسيّده المستعمر ويكافحون لطرده أقسى استعمار كافر على وجه الأرض لإعادة الأحكام الإسلامية إلى البلد الإسلامي ويجري عليهم كذا وكذا . . .

قلتُ هذا بعد أن أفضتُ في الحديث عن مآسي التفرقة بين المسلمين، وضربت الأمثال لذلك وأتممت الحديث، وجاء دور مضيفي الشيخ بن باز للحديث - وكان قد أنبئني بأنني من أتباع مدرسة أهل البيت، وكان ضريراً لا يبصر - فإذا به يتنحج ثم يقول بالحرف الواحد:

أنتم مشركون! أسلموا، ثم أطلبوا من المسلمين أن يتحدثوا معكم.

فثار الدَّم في عروقي وأشرتكت معه في نقاش طويل وذكره خارج عن الصدد^(٢).



استمعتُ في سفراتي إلى الحجَّ إلى خطباء الجمعة والجماعة في مكة والمدينة، وأشرتكت في النقاش أحياناً مع الخطباء بين صلاتي المغرب والعشاء بمسجد الخيف، وحضرت ندوات رابطة العالم الإسلامي بمكة مستمعاً وأجتمعت في أسفاري بعلماء مصر وخاصة الأزهر الشريف وسائر بلاد المسلمين في لبنان وبلاد الخليج والهند وباكستان وكشمير وغيرها وطارحتهم الحديث. وسمعت أحياناً ما لا يصلح نقله اليوم وأدركت من خلال مطارحاتي مع مفكرين المسلمين وعلمائهم وقادتهم - ولا ينبئك مثل خبير - أنه لن يتحقق أيُّ تقارب أو تفاهم بين المسلمين دون تدارس مسائل الخلاف والبحث عن منشأها ثم المبادرة إلى علاجها، وإذا كان لابد لنا من معرفة منشأ الخلاف في مسائل الخلاف من أجل علاجها، فسنذكر في ما يأتي أمثلة منها، ثم نختم البحوث بما ينبغي أن نعمله في سبيل علاج مسائل الخلاف بحوله تعالى.

ونبدأ بذكر مسائل الخلاف حول بعض صفات الله عزَّ اسمه.

(٢) إنما أشرت إلى أحاديثي في هذه السفرة ليعلم مدى إخلاصي للشعار الذي كنت أرفعه والاطروحة التي كنت أطرحها، وأحياناً كان الألم بمصر قلبي حين التحدث والدمع ينحدر من عيني، وإذا بي أجابه تلك المجابهة الغظة من ذلك الشيخ.

بعض صفات الله جل اسمه ومنشأ الخلاف حولها

في المسلمين من يرى أن الله :

خلق آدم على صورته^(١)، وأن له أصابع^(٢) وساقاً^(٣) وقدماً .
وأنه يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنم أو على جهنم فتقول : قط ، قط ،
قط^(٤) .

وأن له مكاناً، وأنه يتنقل من مكان إلى مكان، وذلك لما روي أن رسول

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام .
وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة
الطير، ح ٢٨، وكتاب البر، باب النبي عن ضرب الوجه، ح ١١٥ . ومسنند أحمد ٢/٢٤٤
و٢٥١، و٣٢٣ و٣٦٥ و٤٢٤ و٤٦٢ و٥٦٩ .

(٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الزمر ١٢٢/٢ . وكتاب التوحيد، باب قول الله : ﴿لَمَّا
خَلَقْتَ بِيَدِي﴾ ١٨٦/٤ وباب ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ ١٩٢/٤ . وصحيح مسلم، كتاب صفة
القيامة والجنة والنار، ح ١٩، ٢١، ٢٢ .

(٣) صحيح البخاري، تفسير قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ من سورة ن والقلم،
الآية ٤٣، وكتاب التوحيد، باب قوله الله تعالى ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ ١٨٩/٤ .

(٤) صحيح البخاري، تفسير سورة ق، وكتاب التوحيد، باب ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٩١/٤ . والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل
النار . وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة
يدخلها الضعفاء، ح ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ .

الله قال :

كان ربنا قبل أن يخلق خلقه في عماء - أي ليس معه شيء - ما تحته هواء ،
وما فوقه هواء ، وما تَمَّ خلق عرشه على الماء ^(٥) .
وأنه قال :

إن عرشه على سجاواته كهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وأنه ليشط
به أطيظ الرجل بالراكب ^(٦) .

وأنه قال : ينزل الله في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول : من يسألني
فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه . . . ^(٧) .

وأنه قال : ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا
فيغفر . . . ^(٨) .

٥) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب في ما أنكرت الجهمية ، ح ١٨٢ . وسنن الترمذي ،
تفسير سورة هود ، الحديث الأول وفيه : العماء - أي ليس معه شيء . ومسنند أحمد ٤ / ١١ و ١٢ .
٦) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في الجهمية ، ح ٤٧٢٦ . وسنن ابن ماجه ، المقدمة ،
باب في ما أنكرت الجهمية . وسنن الدارمي ، كتاب الرقائق ، باب في شأن الساعة ونزول الرب
تعالى .

وراجع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ت : ١٢٠٦ هـ) ومنهاج السنة لابن تيمية .
٧) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ، وكتاب التوحيد
باب قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ . وكتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل .
وصحيح مسلم ، كتاب الدعاء ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل . وسنن أبي داود ،
كتاب السنة ، باب في الرد على الجهمية ، ح ٤٧٣٣ . وسنن الترمذي ، كتاب الصلاة ، باب ما
جاء في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة ، ٢ / ٢٣٣ و ٢٣٥ . وكتاب الدعوات باب حدثني
الأنصاري ، ١٣ / ٣٠ . وسنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في أي ساعات الليل
أفضل ، ح ١٣٦٦ . وسنن الدارمي ، كتاب الصلاة ، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا . وموطأ
مالك ، كتاب القرآن ، باب ٣٠ . ومسنند أحمد ٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٣٣ ، ٤٨٧ ،
٥٠٤ ، ٥٢١ ، ٣ / ٣٤ و ٤ / ١٦ .

٨) سنن الترمذي ، أبواب الصوم ، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان . وسنن أبي

وأنه قال عن يوم القيامة :

يقال لجهنم : هل امتلأت؟ وتقول : هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول : قط قط .

وفي رواية :

فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول : قط قط . فهالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض^(٩) .

حول رؤيته :

رووا أن رسول الله (ص) يرى ربه يوم القيامة . فقد قال (ص) : يأتيني المؤمنون للشفاعة بعد إباء الأنبياء من الشفاعة . فأنطلق فاستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً . . . إلى قوله : - ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً - الحديث^(١٠) .
وأنه قال :

إن الله تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة إلى العباد ليقضي بينهم^(١١) .

ماجدة ، كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان . ومسنّد أحمد ٤٣٣/٢ .
(٩) كلنا الروايتين عن الصحابي أبي هريرة في تفسير سورة ق من صحيح البخاري ١٢٨/٣ ، وفي باب ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ من كتاب التوحيد منه ، ١٩١/٤ .
وعن انس حديث القدم في باب قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَ رَبِّكَ . . .﴾ من كتاب التوحيد منه ، ١٢٩/٤ .
وراجع سنن الترمذي ، كتاب الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ، ٢٩/١٠ .
ومسنّد أحمد ٣٩٦/٢ .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ ١٨٥/٤ وفي باب قول الله تعالى : ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ بتفصيل أوفى ، راجع ١٩٠/٤ منه .
(١١) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في الرياء والسمعة ٢٢٩/٩ .

وأنه قال:

إنكم سترون ربكم عياناً^(١٣).

وإن المسلمين يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر لا يضامون في رؤيته^(١٤).

وإن الله يقول يومئذ:

من كان يعبد شيئاً فليتبّع. فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...^(١٥).

وفي رواية:

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: ... نحن ننتظر ربنا الذي نعبد. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً... فيقول: هل بينكم وبينه علامة

١٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾

١٨٨/٤.

١٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾.

وكتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وباب وقت العشاء إلى نصف الليل، وكتاب التفسير، باب سورة في. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والحفاظة عليهما. والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، ١٨/١٠ و ٢٠.

١٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ١٨٨/٤، وراجع تفسير سورة ق منه.

فتعرفونه بها؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساق (ثم يسجدون) (١٥) ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته التي راوه فيها أوّل مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا (١٦).

في الجنة

وأنّه قال عن المؤمنين في الجنة:

ما بينهم وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن (١٧).

وأنّ أهل الجنة إذا دخلوها يقول الله تبارك وتعالى:

تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجلّ (١٨).

وأنّ رسول الله (ص) قال:

بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربّ

(١٥) ما بين القوسين ملخّص من لفظ الحديث في السجدة.

(١٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح ٢٢٩، واللفظ منه. وصحيح البخاري في تفسير سورة النساء، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ٨٠/٣، واللفظ فيه مختصر، وكذلك في كتاب التوحيد منه، باب قول الله تعالى ﴿وَجُودُهُ يُومِئُذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ١٨٩/٤.

لوتفضّل الراؤون ربهم ووصفوا لنا صورة ربهم التي راوه عليها وساقه التي هي علامة بينهم وبين ربهم لكان ذلك فضلاً منهم كثيراً يشكرون عليه ويحمدون.

(١٧) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودُهُ يُومِئُذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ١٩١/٤. وفي صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، ح ٢٩٦.

(١٨) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، ح ٢٩٧.

قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة!! قال:
وذلك قول الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾. قال: فينظر إليهم
وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى
يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته^(١٩).
وأنه قال:

... أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيًا. ثم قرأ رسول
الله (ص): ﴿وَجْهٌ يُومِئُ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢٠)
وأن رسول الله (ص) أخبر وقال: إن أهل الجنة يزورون الله عز وجل
ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، ولا يبقى في ذلك
المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى أنه يقول للرجل منكم ألا
تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا؟ فيقول:
يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول:
بلى... ثم ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقبلن:
أهلاً ومرحباً، لقد جئْتِ وإن بك من الجمال والنور والطيب أفضل مما
فارقتنا عليه. فنقول:

إنا جالسنا اليوم ربنا عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما أنقلبنا^(٢١).

* * *

نكتفي بإيراد ما أوردنا من الأحاديث الكثيرة الوفيرة في صفات أعضاء الله
ورؤية العباد ربهم يوم القيامة، لأننا بصدد ضرب المثل لييان منشأ الخلاف،

(١٩) سنن أبْنِ مَاجَةَ، كتاب المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح ١٨٤.

(٢٠) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب رؤية الرب، ١٨/١٠ - ١٩.

(٢١) سنن أبْنِ مَاجَةَ، كتاب الزهد، باب صفة أهل الجنة، ح ٤٣٣٦، ص ١٤٥١ -

١٤٥٢، وسنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، ١٦/١٠ - ١٧.

ولسنا بصدد الإحصاء. وندرس في ما يأتي الخلاف حول تأويل هذه الأحاديث.

الخلاف على تأويل تلکم الأحاديث

في المسلمين من يؤمن بظواهر تلك الأحاديث ويرى الإيمان بها إيماناً بالله ودليلاً على القول بتوحيده تعالى، ويسمّون من يؤوّلها إلى غير معنى الجسميّة بمعطلة الصفات، أي معطلة صفات الله.

وقد دوّن مسلم تلك الأحاديث في كتاب الإيمان من صحيحه والبخاري في كتاب التوحيد من صحيحه.

وألف ابن خزيمة كتاباً سمّاه: (التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ) التي وصف بها نفسه في تنزيله وعلى لسان نبيّه، نقل الأخبار الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار الثقات^(٢٢).

وهذا فهرس بعض أبواب الكتاب كما جاء في آخره:

أبواب كتاب ابن خزيمة

إثبات النفس لله.

إثبات الوجه لله.

باب ذكر صورة ربّنا جلّ وعلا.

باب ذكر إثبات العين لله جلّ وعلا.

باب إثبات السّماع والرؤية لله جلّ وعلا.

(٢٢) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ) أستاذ البخاري ومسلم في الحديث، طبع الكتاب سنة ١٣٧٨هـ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر في القاهرة. راجع ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب.

باب إثبات اليد للخالق البارئ جلّ وعلا .

باب ذكر إثبات الرّجل لله عزّ وجلّ .

باب ذكر البيان أنّ الله عزّ وجلّ ينظر إليه جميع المؤمنين .

باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون الله يوم القيامة مَخْلِيّاً به .

وَأَلَّفَ الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت : ٢٨٠هـ) كتاب : الردّ على الجهميّة ، ومن أبوابه :

باب استواء الرّبّ على العرش وأرتفاعه إلى السماء وبينوته من الخلق .

باب النزول ليلة النصف من شعبان .

باب النزول يوم عرفة .

باب نزول الرّبّ يوم القيامة للحساب .

باب نزول الله لأهل الجنّة .

باب الرؤية^(٢٣) .

وَأَلَّفَ الذهبي كتاب (الْعُلُوّ الْعَالِ لِلْعَلِيِّ الْغَفَّارِ)^(٢٤) أورد فيه الآيات والأحاديث التي يفهمون منها أنّ مكان الله في العُلُوّ المكاني ، ثمّ ذكر أقوال الصّحابة والتابعين والعلماء والمحدّثين في تأييد ذلك .

منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات الله المذكورة . وفيهم من يتلوفى ردّ تلكم الأقوال قول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾

(٢٣) ط . ليدن ، سنة ١٩٦٠م .

(٢٤) الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت :

٧٤٨هـ) ، نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة ، باب الرحمة ، ط : الثانية ، سنة ١٣٨٨هـ .

ويقول: إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، أي: إلى أمر ربِّها ناظرة، أي: منتظرة، وذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول أولاد يعقوب لأبيهم: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف/ ٨٢. أي: وأسأل أهل القرية، قَدَّرَ في تلك الآية (أمر) وفي هذه الآية (أهل)، وهكذا تَوَوَّلَ سائر الآيات الَّتِي ظاهرها يدلُّ على أَنَّ الله تبارك وتعالى جسم .

ويسمُّون أهل تلك الأقوال بالمجسِّمة والمشبَّهة أي الذين يشبَّهون ربِّهم بمخلوقاته ويقولون إنه جسم .

ويروون عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال :
من زعم أَنَّ الله فوق العرش فقد صَيَّرَ الله محمولاً ولزمه أَنَّ الشيء الَّذي يحمله أقوى منه . ومن زعم أَنَّ الله في شيء ، أو على شيء ، أو يخلو منه شيء ، أو يشغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين ، والله خالق كلِّ شيء ، لا يقاس بالقياس ، ولا يشبَّه بالناس ، لا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان (٢٥) .

ويستشهدون بقول الإمام علي (ع) :

إِنَّ الله لا ينزل ، ولا يحتاج أن ينزل ؛ وإِنَّمَا يقول ذلك من ينسب إليه إلى نقص وزيادة، وكلُّ متحرك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به ، فأحذروا في صفاته من أن تقضوا له على حدِّ تحدُّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو

(٢٥) الكافي، الجزء الأول، كتاب التوحيد باب العرش والكرسي، ح ٧، وباب الحركة والانتقال، ح ٣ و٩. والتوحيد للشيخ الصدوق، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ٩ و١٠ و١٢، وباب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ح ١١، وباب معنى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ح ٥ و٦ و٧ و٨. البحار للمجلسي، ط. الجديدة، كتاب التوحيد، باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والخلول والاتحاد، ح ٢٣، ٨٧/٣ .

استنزال، أو نهوض أو قعود^(٢٦).

وقال الراوي للإمام علي بن موسى الرضا (ع):

إنا روينا أن الله عز وجل قسم لموسى الكلام ولمحمد الرؤية. فقال أبو الحسن الرضا (ع): فمن المبلغ عن الله عز وجل إلى الثقلين الجن والإنس: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أليس عمداً (ص)؟ قال: بلى، قال: فكيف يحيي رجلاً إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ - الآيات، ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحاطت به علماً وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال الراوي: فإنه يقول: ﴿لَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى﴾ فقال أبو الحسن (ع): إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ يقول: ما كَذَبَ فؤاد محمد (ص) ما رأت عيناه. ثم أخبر بها رأى فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فأيات الله عز وجل غير الله، وقد قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ فإذا رآته الأبصار، فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة. فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن (ع): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها...^(٢٧).



٢٦) الكافي، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، ح ١. والتوحيد لتصدق، باب نفى المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ١٨. والبحار للمجلسي، كتاب التوحيد، باب نفى الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى ح ٢٥، ٣١١/٣.

٢٧) توحيد الصدوق، ط. طهران سنة ١٣٨٧هـ، ص ١١١-١١٢. وأحاطت به العنم، أي: أحاطت به الأبصار علماً، وقد أوردنا الحديث موجزاً. والبحار، كتاب التوحيد، باب نفى الرؤية وتأويل الآيات، ح ١٤، ٣١/٤. والكافي، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية ح ٢.

وهكذا بين أئمة أهل البيت (ع) تفسير الآيات وكشفوا عن المقصود من السَّاق واليد والعرش ونظائرهما في الآيات الكريمة، وأنَّ الله خلق آدم على صورته في الحديث^(٢٨) وتركنا لإيرادها لأننا لسنا بصدد إيراد أدلة المدرستين وأستقصاء أدلتيهما في ما أرتأينا، بل أردنا أن نورد أمثلة مما ورد من الأحاديث المتعارضة في صفات الله لدى المدرستين، وأنَّ أحاديث كلِّ مدرسة تؤوِّل آيات القرآن بأنَّها الخاصة، وأنَّه هكذا نشأ الخلاف حول صفات الله. ثم ندرس في ما يأتي منشأ الخلاف في بعض صفات الأنبياء بحوله تعالى.

(٢٨) تراجع بشأن صفات الله كتب: الكافي للشيخ الكليني، كتاب التوحيد. والتوحيد للشيخ الصدوق. وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، الباب رقم: ١١، ما جاء عن الرضا من الأخبار في التوحيد.

- ٤ -

الخلافا في صفات الأنبياء وما خصهم الله بها ومنشأها

يرى البعض حول صفات الأنبياء :
أنَّ التبرك بآثار الأنبياء وأخذ قبورهم محلاً للعبادة شرك .
وأنَّ البناء على قبورهم في حدِّ الشرك .
وأنَّ الاحتفال بأيام مواليدهم ومواليذ الأولياء معصية وبدعة محرمة .
وأنَّ التوسل إلى الله بغيره في حدِّ الشرك ، والاستشفاع برسول الله (ص)
بعد وفاته مخالف للشرع الإسلامي .
ويستدل مخالفوهم بما يأتي :

أ - التبرك بآثار الأنبياء

يستدلون على مشروعية التبرك بآثار الأنبياء بما تواتر نقله في جميع كتب
الحديث أنَّ الصحابة تبركوا برسول الله (ص) وآثاره في حياة الرسول (ص)
بمباشرة ، ودعوته بذلك ، وتبركوا - أيضاً - بآثاره بعد وفاته ، وفي ما يأتي بعض
ما يستدلون به :

التبرك ببصاق النبي (ص)

في صحيح البخاري عن سهل بن سعد في باب ما قيل في لواء

النبي (ص) من كتاب المغازي^(١) : إن رسول الله (ص) قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها . فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجو أن يعطاها فقال : أين علي؟ ف قيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه . فأرسل فأتى به . . . ولفظه في كتاب الجهاد والسير^(٢) : فأمر فدعي له ، فبصق في عينيه ، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء . . . الحديث .

وفي لفظ سلمة بن الأكوع بصحيح مسلم :
قال : فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله (ص) فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية - الحديث^(٣) .

التبرك بوضوء النبي (ص)

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله (ص) وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه . فأتى رسول الله (ص) بوضوء فوضع رسول الله في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضأوا منه . فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضأوا من عند آخرهم^(٤) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ٣٥/٣ . وكتاب الجهاد والسير ، الباب رقم : ١٠٢ ، ١٠٨/٢ ، وباب ما قيل في لواء النبي ، ١١١/٢ ، وباب فضل من أسلم على يديه رجل ، ١١٥/٢ . وكتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، ١٩٩/٢ . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب (رض) ، ح ٣٢ و ٣٤ ، وباب غزوة ذي قرد وغيرها ، ح ١٣٢ . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، ١٧٢/١٣ .

(٢) صحيح البخاري ، باب دعاء النبي إلى الإسلام ، ١٠٧/٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، ح ١٣٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، ٣١/١ .

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله أنه قال :
 قد رأيته مع النبي (ص) وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة ،
 فجعل في إناء فأتي النبي (ص) به ، فأدخل يده فيه ، وفرج أصابعه ثم قال :
 حي على أهل الوضوء ، البركة من الله . فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ،
 فتوضأ الناس وشربوا . فجعلت لا ألو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة
 - ف قيل لجابر : - كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألفاً وأربعمائة . وفي رواية : خمس عشر
 مائة^(٥) .

التبرك بنخامة النبي (ص)

روى البخاري في صلح الحديبية عن عروة بن مسعود قال عن رسول
 الله (ص) وأصحابه :
 والله ما تنخم رسول الله (ص) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك
 بها وجهه وجلده ، وأنه إذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه^(٦) .

التبرك بشعر النبي (ص)

روى مسلم في صحيحه : أن رسول الله (ص) أتى منى وحلق رأسه بعد
 أن رمى ونحر (ثم جعل يعطيه الناس) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الأثرية ، باب شرب البركة والماء المبارك ، ٢١٩/٣ . وسنن
 النسائي ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء من الإناء ٢٥/١ . ومسند أحمد ٤٠٣/١ . وسنن
 الدارمي عن عبد الله بن عمر ، المقدمة . باب ما أكرم الله النبي (ص) من تفجير الماء من بين
 أصابعه ، ١٥/١ .

(٦) صحيح البخاري كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب
 وكتابة الشروط ، ٨٢/٢ ، وكتاب الوضوء منه ، باب البزاق والمخاط ونحوه . . . ، ٣٨/١ ، وباب
 استعمال فضل وضوء الناس . . . ، ٣٣/١ . ومسند أحمد ٣٢٩/٤ ، ٣٣٠ .

وفي رواية أخرى: أنه دعا الخالق فحلقة فأعطاه أبا طلحة فقال: أقسمه بين الناس^(٧).

وروى أيضاً عن أنس قال:

لقد رأيت رسول الله (ص) والخلق يحلقه وأطاف به أصحابه. فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل^(٨).

وفي ترجمة خالد بأسد الغابة: أن خالد بن الوليد كان له الأثر المشهور في قتال الفرس والروم، وافتتح دمشق، وكان في قلنسوته آفة يقاتل بها شعر من شعر رسول الله (ص) يستنصر به وبركته، فلا يزال منصوراً.

وفي ترجمته - أيضاً - بأسد الغابة والإصابة ومستدرک الحاكم - واللفظ له -:

أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: أطلبوها. فلم يجدوها. ثم طلبوها فوجدوها، وإذا قلنسوة خلقة، فقال خالد: إعتمر رسول الله (ص) فحلق رأسه وأبتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر^(٩).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحرق ثم يحلق، والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المخلوق، ح ٣٢٣ و٣٢٦.

وراجع ح ٣٢٤ و٣٢٥ منه في سنن أبي داود بكتاب المناسك، باب الحلق والتقصير ح ١٩٨١، ٢٠٣/٢. وطبقات ابن سعد ١/١٣٥. ومسند أحمد ٣/١١١ و١٣٣ و١٣٧ و١٤٦ و٢٠٨ و٢١٤ و٢٣٩ و٢٥٦ و٢٨٧، و ٤/٤٢. ومغازي الواقدي ص ٤٢٩.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي (ص) من الناس وتبركهم به، ح ٧٤ ص ١٨١٢.

(٩) المستدرک للحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ٣/٢٩٩. واللفظ له وترجمة خالد في أسد الغابة والإصابة. وموجز الخبر بمنتخب كثر العمال بهامش مسند أحمد ٥/١٧٨. وتاريخ ابن كثير ٧/١١٣.

وروى البخاري : أنه كان عند أم سلمة زوج النبي (ص) شيء من شعر النبي فإذا أصاب إنساناً عين أرسلوا إليها قدحاً من الماء تغمس الشعر فيه ، فيداوى من أصيب^(١١) .

قال عبيدة : لأن تكون عندي شعرة منه - أي النبي (ص) - أحب إلي من الدنيا وما فيها^(١٢) .

التبرك بسهم النبي (ص)

روى البخاري في صلح الحديبية وقال :

نزل الرسول (ص) بجيشه في أقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً ، فلم يلبسه الناس حتى نزحوه وشكوا إلى رسول الله (ص) العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يحيش لهم بالري حتى صدروا عنه^(١٣) .

التبرك بموضع كف النبي (ص)

في ترجمة حنظلة من الإصابة ومسند أحمد ما موجزه :

قال حنظلة : دنا بي جدي إلى النبي (ص) فقال :

(١٠) أوردناه ملخصاً من صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب ما يذكر في الشيب ، ٣٧/٤ .

(١١) طبقات ابن سعد ٦٣/٦ . وصحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان ، ٣١/١ .

(١٢) صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، ٨١/٢ . وراجع كتاب المغازي منه ، باب غزوة الحديبية ، وراجع طبقات ابن سعد ٣٩/٣ ، وباب ذكر علامات بعد نزول الوحي ١/١ ق/١١٨ ، ومغازي الواقدي ص ٢٤٧ .

إن لي بنين ذوي لحى ودون ذلك، وإن ذا أصغرهم، فأدع الله له . فمسح رأسه وقال :

بارك الله فيك أو بورك فيه . قال الراوي :

فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيفتل على يديه ويقول : بأسم الله ، ويضع يده على رأسه ويقول : على موضع كفت رسول الله (ص) . فيمسحه عليه .

وقال الراوي : فيذهب الورم^(١٣) .

وفي لفظ الإصابة :

ويقول : بأسم الله ، ويضع يده على رأسه موضع كفت رسول الله (ص) ، فيمسحه عليه . ثم يمسح موضع الورم ، فيذهب الورم .

* * *

كان أنتشار البركة من رسول الله (ص) إلى من حوله كآنتشار الضوء من الشمس والشذى من الزهر، لا ينفلك عنه أينما حلّ، في صغره وكبره، سفره وحضره، ليله ونهاره، سواء أكان في خباء حليلة السعدية رضيعاً، أم في سفره إلى الشام تاجراً، أم في خيمة أمّ معبد مهاجراً، أم في المدينة قائداً وحاكماً . وما أوردناه أمثلة من أنواعها وليس من باب الإحصاء، فإن إحصاءها لا يتيسر للباحث، وفيها أوردناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وندرس بعد هذا فيما يأتي مسألة الاستشفاع برسول الله (ص) ثم ندرس منشأ الخلاف في جملة ميزات رسول الله (ص) على سائر الناس إن شاء الله تعالى .

(١٣) مسند أحمد ٦٨/٥ ، وتفصيله بترجمة حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي في الإصابة وفي لفظه، وأورد الخبر أيضاً بأسناد أخرى .

ب - الاستشفاع برسول الله (ص)

يستدل القائلون بمشروعية التوسل برسول الله (ص) والاستشفاع به في كل زمان، بأن ذلك وقع برضاً من الله قبل أن يخلق النبي (ص) وفي حياته وبعد وفاته، وكذلك يقع يوم القيامة. وفي ما يأتي الدليل على ذلك :

أولاً - التوسل بالنبي (ص) قبل أن يخلق

روى جماعة منهم الحاكم في المستدرک، من حديث عمر بن الخطاب (رض) أن آدم لما اقترف الخطيئة قال :

يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي. فقال الله :

يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال :

يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فعلمت أنك لم تضيف إلى أسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله :

صدقك يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، أدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك.

وذكره الطبراني وزاد فيه : « وهو آخر الأنبياء من ذريتك »^(١٤).

وأخرج المحدثون والمفسرون في تفسير الآية : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » البقرة / ٨٩ : أن اليهود من أهل المدينة وخيبر إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من الأوس والخزرج وغيرهما قبل

(١٤) مستدرک الحاكم، كتاب التاريخ في آخر كتاب البعث، ٦١٥/٢، وجمع الزوائد ٢٥٣/٨، وتحقيق النصرة للمراغي (ت : ٨١٦هـ)، ص ١١٣ - ١١٤. وهو الذي نقله عن الطبراني.

أن يبعث النبي، كانوا يستنصرون به عليهم، ويستفتحون لما يجدون ذكره في التوراة، فيدعون على الذين كفروا ويقولون: (اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم) أو يقولون: (اللهم ربنا أنصرنا عليهم بأسم نبيك . . .) ^(١٥). فلما جاءهم كتاب من عند الله وهو القرآن مصدق لما معهم، وهو التوراة والإنجيل، وجاءهم ما عرفوا، وهو محمد (ص) ولم يشكوا فيه، كفروا به، لأنه لم يكن من بني إسرائيل ^(١٦).

ثانياً - التوسل بالنبي (ص) في حياته

روى أحمد بن حنبل والترمذي وأبن ماجة والبيهقي عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال:

ادع الله أن يعافيني. قال:

إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال:

فادع. قال:

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد، إني توجهت

(١٥) يظهر من الروايات أنهم كانوا يدعون بأمثال هذه الأدعية مما فيه التوسل بالنبي (ص) إلى الله جل اسمه.

(١٦) تواترت الروايات بالمضمون الذي أوردها في كل من:

دلائل النبوة للبيهقي ص ٣٤٣ - ٣٤٥. وتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة بتفسير محمد بن جرير الطبري ٣٢٤/١ - ٣٢٨. وتفسير النيسابوري بهامشه ٣٣٣/١. والحاكم بتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة من كتاب التفسير بمسند ركه ٢٦٣/٤. وتفسير السيوطي عن دلائل النبوة لأبي نعيم. وتفسير محمد بن عبد حميد. وتفسير أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الرازي. وتفسير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٠هـ).

بك إلى ربِّي في حاجتي لِتَقْضِي لي . اللهم شَفِّعه في^(١٧) . صحَّحه البيهقي
والترمذي .

ثالثاً - التوسُّل بالنبيِّ (ص) بعد وفاته

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف :

أَنَّ رجلاً كان يَخْتَلِف إلى عثمان بن عفَّان (رض) في حاجة له ، فكان لا
يَلْتَمِث إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي أبْن حنيف فشكا إليه ذلك . فقال
عثمان بن حنيف : آتت الميضاة فتوضَّأ ، ثُمَّ آتت المسجد فصلَّ ركعتين ، ثُمَّ
قل :

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنا عَمَّاد (ص) نبيِّ الرحمة . يا مُحَمَّد
إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبِّي لِتَقْضِي حاجتي» . وتذكر حاجتك .

فانطلق الرجل فصنع ما قال له . ثُمَّ أتى باب عثمان بن عفَّان ، فجاءه
البواب ، فأخذ بيده . فأدخله على عثمان ، فأجلسه معه على الطنفسة فقال : ما
حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له . ثُمَّ قال له : ما ذكرت حاجتك حتَّى كانت
الساعة . وقال : ما كان لك من حاجة فأذكرها^(١٨) .

١٧) مسند أحمد ١٣٨/٤ . وسنن الترمذي ، كتاب الدعوات ٨٠/١٣ - ٨١ . وسنن أبْن
ماجة ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ح ١٣٨٥ ص ٤٤١ .
وَأَبْن الأثير بسنده بترجمة عثمان بن حنيف من اسد الغابة . والبيهقي برواية صاحب كتاب تحقيق
النصرة عنه . تحقيق النصرة ص ١١٤ .

وأوردنا لفظ إمام الحنابلة أحمد لأن المنكرين للشفاعة من أتباع الشيخين : أبْن تيمية وأَبْن
عبد الوهاب هم من أتباع أبْن حنبل .

١٨) تحقيق النصرة ص ١١٤ - ١١٥ ، رواه عن الطبراني في معجمه الكبير .

الاستشفاع بالعباس عم النبي (ص)

في صحيح البخاري: أنَّ عمر بن الخطاب (رض) كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال:

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا. قال: فيسقون^(١٩).

كان الاستشفاع بالعباس لأنه عم رسول الله (ص) وليس لصفة أخرى فيه.



مع وجود هذه الأحاديث من سنة الرسول (ص) لا ينبغي أن يكون ثمت خلاف في مسألة صفات الأنبياء، وخاصة خاتم الرسل، المذكورة وما فضلهم الله بها وخصهم على سائر الناس. وسنذكر في ما يأتي بعض ما نراه سبباً للخلاف في صفات خاتم الرسل خاصة.

منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص)

مع صراحة النصوص المتواترة المذكورة آنفاً حول بعض صفات الأنبياء، كيف نشأ الخلاف حولها؟

الجواب أننا إذا أنعمنا النظر في روايات جمّة أخرى رويت في انتقاص شأن الأنبياء، وانتشرت في كتب الحديث، واللاتي تنزل منزلة الأنبياء عن مستوى سائر الناس، وجدنا أنها هي التي تكون للمعتقد بصحتها رؤية خاصة تناقض

(١٩) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا. وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب العباس بن عبد المطلب، ٢٠٠/٢ و١٢٤/١. وسنن البيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه، ٣٥٢/٣.

محتوى الأحاديث الأتفة. ولثلاً يطول بنا المقام، نكتفي في ما يأتي بالإشارة إلى بعض ما روي بشأن خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين (ص) ففيه كفاية لمن أراد أن يتدبر ويتبصر. منها:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه وقال:

إن رسول الله (ص) قبل أن ينزل عليه الوحي قَدِمَ إلى زيد بن عمرو بن نفيل سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا أكل إلا بما ذكر أسم الله عليه^(٢٠).

إذاً فإن زيدا كان في الجاهلية أفضل من رسول الله يتجنب من أمر الجاهلية ما لا يتجنبه رسول الله (ص).

٢ - روى البخاري ومسلم:

أن رسول الله (ص) لَمَّا جاءه جبرائيل بآيات: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - إِلَى قَوْلِهِ - عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ رجع النبي (ص) إلى بيته ترجف بوادره، وقال لخديجة: إني خشيت على نفسي. فقالت له خديجة: أبشر، كلاً فوالله لا يخذيك الله أبداً. وأنطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان أمراً تنصر في الجاهلية، فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رآه. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى - الحديث^(٢١).

(٢٠) البخاري، كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب والأصنام، ٢٠٧/٣. ومسنند أحمد ٦٩/٢ و٨٦. وزيد بن عمرو بن نفيل كان ابن عم الخليفة عمر ووالد زوجته، جاء ذكره في ترجمة ابنه سعيد في الاستيعاب ٤/٢.

(٢١) صحيح البخاري: باب بدء الوحي، ٣/١ وتفسير سورة اقرأ. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بدء الوحي، ح ٢٥٢. ومسنند أحمد ٢٢٣/٦ و٢٢٣. والبواند: اللحمة بين المنكب والعنق تضطرب عند الفزع. وقد لحصنا الخبر.

وناقشنا روايات بعثة النبي الواردة في كتب الحديث والسيرة والتفسير وذكرنا عللها في الجزء

إِذَا فَإِنَّ ورقة النصراني كان أدرى بالوحي وجبرائيل من رسول الله (ص) الذي خوطب بالوحي، ومن كلام ورقة أطمأن النبي (ص) بمصيره، وإلا فإنه كان يريد أن يلقي بنفسه من حائق من جبل، بحسب ما رواه ابن سعد في طبقاته، وقال الطبري: إِنَّ رسول الله (ص) قال: إِنَّ الأبعد - يعني نفسه - لشاعر أو مجنون لا تحدّث بها عني قريش أبداً^(٢٢).

٣ - روى البخاري ومسلم وقالوا:

إِنَّ رسول الله (ص) كان يغضب فيلعن ويسبّ ويؤذي من لا يستحقّها، ودعا الله أن يجعلها لمن بدرت منه إليه زكاة وطهوراً^(٢٣).

٤ - ورويا أيضاً وقالوا:

إِنَّ بعض اليهود سحر رسول الله (ص) حتّى يخيّل إليه أنّه يفعل الشيء وما فعله^(٢٤).

٥ - روى مسلم:

أن رسول الله (ص) مرّ بقوم يلقيحون النخل، فقال: لو لم تلقحوها لصلح. فتركوا تلقيحها فخرج شبيصاً، فقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم^(٢٥).

الرابع من (قيام الأئمة بإحياء السنة)، وهو سلسلة دراسات عن أثر أئمة أهل البيت (ع) في إحياء السنة. وأوردنا الخبر الصحيح في ذلك، والحمد لله.

(٢٢) تاريخ الطبري ط. أوروبا ١/١١٥٠.

(٢٣) صحيح البخاري كتاب الدعوات، باب قول النبي (ص): من آذيته. وصحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي (ص) وليس له أهلاً.

(٢٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطبّ باب هل يستخرج السحر، وباب السحر، وكتاب الأدب، باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء، وصحيح مسلم باب السحر.

(٢٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب أمتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الناس... وسنن ابن ماجه، باب تلقيح النخل.

٦ - ورويا أيضاً:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَسْتَمَعَ إِلَى غَنَاءِ جَوَارٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَتَهَرَّجُوا أَبُو بَكْرٍ^(٢٦).

٧ - روى مسلم:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) رَفَعَ عَائِشَةَ عَلَى مَنْكِبِهِ لَتَنْظُرَ إِلَى الْحَيْشَةِ الَّذِينَ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَهَرَّجَهُمْ عُمَرُ^(٢٧).

وفي رواية الترمذي:

إِذْ طَلَعَ فَأَنْقَضَ النَّاسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرَّوْا مِنْ عُمَرَ^(٢٨).

وفي رواية:

أَنَّ جَارِيَةَ سُودَاءَ ضُرِبَتْ بِالْذِفِّ وَغَنَّتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنْ إِحْدَى غَزَوَاتِهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ فَالَقَتْ الذِفَّ تَحْتَ اسْتِهَا، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ^(٢٩).

٨ - روى البخاري ومسلم في صحيحيهما:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ:

(٢٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مقدم النبي (ص) وأصحابه المدينة. وكتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام. وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في لعب يوم العيد.

(٢٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ح ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢.

(٢٨) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر.

(٢٩) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر. ومسنند أحمد ٣٥٣/٥.

وقد ناقشنا هذه الأحاديث وذكرنا عللها في الجزء ٢ و ٣ و ٤ و ٥ من كتاب قيام الأئمة بإحياء السنة.

رحمه الله، أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا^(٣٠).

* * *

رأينا في ما مرَّ أن زيد بن عمرو بن نفيل أبن عمِّ الخليفة عمر كان أنقى
الله من رسوله (ص)، يمتنع من أكل ما ذبح على الأنصاب والأصنام، بينما
يأكله رسول الله (ص).

وأن ورقة بن نوفل النصراني يدرك أنَّ الذي جاء إلى الله (ص) هو جبرائيل
ورسول الله لم يعرفه، وخشي أن يكون أصابه مسٌّ من الجنِّ وأنَّ آيات سورة
أقرأ هي من سجعهم.

وأنَّ سحر اليهود أثر في رسول الله (ص) فكان يرى أنه يفعل الشيء وما
فعله.

وأنَّه أسقط من القرآن آيات نسيها حتَّى قراها بعض الصحابة.
وأنَّه أمر بعدم تلقيح النخل ليصلح، فلما أصبح شيصاً قال لهم: أنتم
أعلم بأمر دنياكم مني.
وأنَّه استمع إلى غناء جوار من الأنصار، وكرهه أبو بكر، وقال في شأن
عمر: إنَّ الشيطان ليفرَّ منك.

* * *

إنَّ تلكم الأحاديث وأمثالها تثبت أنَّ رسول الله (ص) كان دون زيد في
الجاهلية، وبعد الإسلام كان ورقة النصراني أدرى بالوحي وجبرئيل من رسول
الله (ص) وأنَّ أبا بكر وعمر كانا أكثر تحنُّباً للهو واللغو من رسول الله (ص)،

(٣٠) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى ونكاحه. وصحيح
مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتمهيد القرآن، ح ٢٢٤. وسنن أبي داود، كتاب
النطوع، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، ح ١٣٣١، وكتاب الحروف والقراءات،
الباب الأوَّل، ح ٣٩٧٠.

وأن الصحابيَّ الذي قرأ من القرآن ما كان قد أسقطه الرسول (ص) منه كان أقوى ذاكرة من رسول الله (ص)، وأن رسول الله (ص) كسائر الناس لا يعصمه الله من عبث اليهود وسحرهم وأنه يغضب ويلعن ويسب من لا يستحق^(٣١).

ومن آمن بصحة الأحاديث المذكورة آنفاً، تتكوّن له رؤية تناقض محتوى الأحاديث التي أشرنا إليها فيما خصّ الله به خاتم أنبيائه (ص) وميّزه من سائر الناس بفضائل جمّة، وحقّ للرجل (ذي المعرفة) من السعوديين إذن أن يقول: «محمد رجالاً مثلي، مات».

أضف إلى هذه الأحاديث التي كوّنّت رؤية تناقض تلك الفضائل، ما فعله الخليفة الصحابيّ عمر بن الخطاب وأجتهاده في قطعه الشجرة التي بويح تحتها رسول الله (ص)^(٣٢). وتفصيل الخبر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٩/١.

وينقص جميع الأحاديث التي تنقص من منزلة رسول الله (ص) ما أخبر عنه الإمام عليّ (ع) عن رسول الله (ص) في خطبته القاصعة، حيث قال: ولقد قرن الله به - صلى الله عليه وآله - من لدن أن كان فطياً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني

٣١) لما كانت أحاديث مدرسة الخلفاء تكوّن رؤية تنزّل من مستوى الرسول الأكرم (ص) عن مستوى الإنسان العادي وخاصّة في مثل الخبر المختلق في قصّة الغرانيق التي بيّنا زيفها في الجزء الرابع من (قيام الأئمة بإحياء السنة) ويمكن من خلالها إلقاء الشبهات في الوحي والقرآن، إستند المستشرقون من مبشري النصاري في دراساتهم للإسلام إلى أحاديث مدرسة الخلفاء، وتركوا أحاديث مدرسة أهل البيت ظهرياً.

٣٢) شفاء الصدور ص ٢٧، وهي شجرة بيعة الرضوان في صلح الحديبية.

بالافتداه به . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فاراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع يومئذ في الإسلام غير رسول الله - صلى الله عليه وآله - وخديجة ، وأنا ثالثهما ؛ أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة . ولقد سمعت رثة الشيطان حين نزل الوحي عليه - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يا رسول الله ما هذه الرثة ؟ قال : هذا الشيطان أيس من عبادته^(٣٣) .

ولست أدري كيف لم يكن الرسول (ص) يعرف نفسه كما ورد ذلك في خبره مع ورقة^(٣٤) ، وكان على كتفه خاتم النبوة الذي يعرفه به كل من شاهده من أهل الكتاب .

وتنقصها أيضاً الروايات التي ذكرت دلائل النبوة التي صدرت منه وله قبل أن يبعث ، مثل ما تم له في سفرته الأولى إلى الشام مع عمه أبي طالب ، والثانية في تجارة خديجة ، وإخبار الرهبان بأمر بعثته ، وتظليل سحابة له ، مما علمه جميع من كان معه في السفرتين ، وانتشرت أخبارهما في كتب الحديث والسير^(٣٥) .
وإخبار أهل الكتاب بظهوره قبل أن يبعث ، وخبره في التوراة^(٣٦) .

(٣٣) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، الخطبة رقم : ١٩٢ .

(٣٤) راجع صحيح البخاري : كتاب المناقب والمرضى والأدب . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب إثبات خاتم النبوة . وسنن أبي داود ، كتاب اللباس . والترمذي : كتاب المناقب . ومسنند أحمد ٢٢٣/٢ و ٤٣٤/٣ و ٤٤٢/٤ و ١٩٥/٥ و ٣٥/٧٧ و ٨٢ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠٤ و ٣٤١ و ٣٤١ و ٣٥٤ و ٤٣٨ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٣٢٩/٦ .

(٣٥) طبقات ابن سعد ، ط . أوروبا ١/١ ق/١ و ٧٣/٦ و ٨٣ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٩ منه ، والجزء الثالث في ١/١٥٣ ، وما رواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي من أخبار هرقل من ظهوره . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في بدء النبوة ، ١٣/١٠٦ . وسيرة ابن هشام ١/١٩٤ و ٢٠٣ ، وراجع أيضاً ص ٢٣١ و ٢٣٩ و ٢٥١ منه .

(٣٦) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق ، ٢/١٠ . وكتاب التفسير ، باب تفسير سورة الفتح ، وكتاب فضائل القرآن ، الباب الأول . وطبقات ابن سعد ، ط . أوروبا ١/١٢٣ و ١/٢ ق/١٧ و ٨٧ و ٨٩ . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، الباب الأول .

الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء وذكرى عباد الله الصالحين

نكتفي في إيراد أقوال المانعين لإقامة المولد النبوي بإيراد فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية حيث قال :
لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول (ص)، ولا غيره لأن ذلك من البدع المحدثنة في الدين^(١)

أما من يرى استحباب الاحتفال بذكرهم فإنه يستدل على صحة ذلك بأن
جُلَّ مناسك الحجِّ احتفال بذكرى الأنبياء والأولياء، كما سنذكر أمثلة منه فيما
يأتي :

أ - مقام إبراهيم :

قال سبحانه وتعالى :

﴿وَأَخْلَدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَلَّيْنَ . . .﴾ البقرة/ ١٢٥ .

وفي صحيح البخاري^(٢) ما ملخصه :

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٢/٣/ ١٩٨٤ في مقال تحت عنوان (حكم الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من الموالد).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ١٥٨/٢ و ١٥٩.

أن إبراهيم وإسماعيل (ع) لَمَّا كانا بينان البيت، جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة.

وفي رواية بعدها: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة.

* * *

إِنَّ الله سبحانه أمر الناس - كما هو واضح - أن يتركوا بموطئ قدمي إبراهيم (ع) في بيته الحرام ويتخذوا منه مصلاً، أحياءً لذكرى إبراهيم وتخليداً، وليس فيه شيء من أمر الشرك بالله جلّ اسمه.

ب - الصفا والمروة:

قال الله سبحانه:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة/ ١٥٨.

وروى البخاري ما ملخصه:

أنَّ هاجرماً تركها إبراهيم (ع) مع أبنتها إسماعيل بمكة ونفذ ماؤها عطشت وعطش أبنتها وجعل يتلوى، فأنطلقت إلى جبل الصفا كراهية أن تنظر إليه، فقامت عليه تنظر هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، فعلت ذلك سبع مرّات.

قال ابن عباس: قال النبي (ص): فذلك سعي الناس بينهما



جعل الله السعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج ، إحياء لذكرى سعي هاجر بينها وأحتفالاً بعملها ، وأستحباب الهرولة في محل الوادي الذي سعت فيه هاجر سعي الإنسان المجهود ، إحياء لذكرى هرولتها هناك .

ج - رمي الجمار:

روى أحمد والطيالسي في مسنديهما عن رسول الله (ص) أنه قال :
إن جبريل ذهب بإبراهيم (ع) إلى جرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . ثم أتى الجمرة الوسطى ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . ثم أتى الجمرة القصوى ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . . . (٤).

هكذا جعل الله إحياء ذكرى رمي إبراهيم (ع) الشيطان والاحتفال بذكره من مناسك الحج .

د - الفدية :

قال الله سبحانه في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .
﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِقَلَامٍ خَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفون النسلان في المشي ، ١٥٨/٢ ، وراجع معجم البلدان ، مادة : (ززم) ، وذكر تاريخ إسماعيل (ع) من تاريخ الطبري وابن الأثير .

(٤) مسند أحمد ٣٠٦/١ ، وقريب منه في ١٢٧ . ومسند الطيالسي ح ٢٦٩٧ . وراجع مادة : (الكعبة) من معجم البلدان ، وتاريخ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من تاريخ الطبري وابن الأثير ، وساخت قوائمه في الأرض : غاصت في الأرض .

الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْتَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينِ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾
الصَّافَّاتِ/ ١٠١ - ١٠٧.

* * *

وكذلك جعل الله إحياء ذكرى فداء إبراهيم (ع) أبنته إسماعيل (ع)
وإرسال الله الكباش فدية له والاحتفال بها من مناسك الحج، وأمر الحُجَّاج
بالفدية في منى اقتداءً بإبراهيم (ع) واحتفالاً بذكرى موقفه من طاعة الله.

* * *

في مقام إبراهيم (ع)، انتشرت البركة من قدمي إبراهيم (ع) إلى موطن
قدميه، وأمر الله بأخذ مسجداً في بيته الحرام، وجعله الله من مناسك الحج
إحياءً لذكره.

وفي ما يأتي نذكر انتشار البركة من آدم (ع) أبي البشر.

انتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره

وفي بعض الأخبار أن الله جلَّ أسمه تاب على آدم (ع) عصر التاسع من
ذي الحجة بعرفات، ثم أفاض به جبرائيل عند المغيب إلى المشعر الحرام،
وبات فيه ليلة العاشر يدعو الله ويشكره على قبول توبته. ثم أفاض منه صباحاً
إلى منى وحلق فيه رأسه يوم العاشر إمارة لقبول توبته وعتقه من الذنوب،
فجعل الله ذلك اليوم عيداً له ولذريته، وجعل كل ما فعله آدم أبداً أدهر من
مناسك الحج لذريته، يقبل توبتهم عصر التاسع بعرفات، ويذكرون الله ليلاً
بالمشعر الحرام، ويحلقون رؤوسهم يوم العاشر بمنى. ثم أضيف إلى هذه
المناسك ما فعله بعد ذلك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهاجر، وتنت بها
مناسك الحج للناس كما ذكرناه سابقاً.

إذاً، فإن أعمال الحج كلها تبرك بتلك الأزمنة والأمكنة التي حل بها عباد الله الصالحون أولئك، وكلها احتفال بذكرهم أبد الدهر.
وفي ما يأتي نضرب مثلاً لانتشار الشؤم - أيضاً - إلى المكان من المكين.

انتشار الشؤم إلى المكان من المكين

روى مسلم أن رسول الله (ص) عام تبوك نزل بالناس الحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار التي كان يشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم. فامرهم رسول الله (ص) فأهرقوا القدور وعلفوا العجيين الإبل. ثم أرتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، قال: إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم^(٥).

وفي لفظ مسلم: ولا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم. ثم زجر وأسرع حتى خلفها.
وفي لفظ البخاري: ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.
وفي رواية أخرى بمسند أحمد: وتقنع بردائه وهو على الرحل^(٦).

منشأ الشؤم والبركة في المكان

من أين نشأ شؤم بلاد ثمود وآبار ثمود وانتشر منها إلى غيرها عدا أنه نشأ من قوم ثمود، وانتشر منهم إلى بلادهم وآبارهم، وبقي فيها إلى عصر خاتم

٥) أورده مسلم باختصار في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم... ح ٤٠، واللفظ لمسند أحمد ١١٧/٢. وصحيح البخاري، كتاب المغازي باب نزول النبي (ص) الحجر. والطبري في خبر ثمود، ط. أوروبا ٢٥٠/١.
٦) مسند أحمد ٦٦/٢.

الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء الله، ومن أين نشأ فضل بثر ناقة صالح (ع) عدا ما كان من شرب ناقة صالح (ع) منها، وانتشر الفضل منها إلى البثر، وبقي فيها إلى عصر خاتم الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء الله.

وليست ناقة صالح (ع) وبثرها بأكرم على الله من إسماعيل (ع) وبثره زمزم، بل كذلك جعل الله البركة في زمزم من بركة إسماعيل (ع) أبد الدهر. وكذلك شأن انتشار البركة مما يفيضه الله على عباده الصالحين في أزمنة خاصة مثل بركة يوم الجمعة.

بركة يوم الجمعة

في صحيح مسلم:

«أن الله خلق آدم يوم الجمعة، وأدخله الجنة يوم الجمعة...»^(٧).

هذا وغيره مما أفاضه الله على عباده الصالحين في يوم الجمعة، خلّد البركة في يوم الجمعة أبد الدهر.

البركة في شهر رمضان

وكذلك الشأن في بركة شهر رمضان؛ فقد قال سبحانه:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ البقرة/ ١٨٥.

وقال سبحانه:

﴿إننا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر...﴾ القدر/ ١ - ٣.

إذا فقد أنتشرت البركة من ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على خاتم

(٧) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ح ١٧ و ١٨.

أنبياء الله (ص) إلى جميع أزمنة شهر رمضان، وتخلّدت البركة في ذلك الشهر من تلك الليلة إلى أبد الدهر.

هكذا وجدنا انتشار البركة من الزمان المبارك والمكان المبارك بما بارك به على أصفياه، وأمرنا الله بأن نقتدي بعمل أصفياه، ونقلّد أعمالهم في أزمنتها وأمكتها، احتفالاً بذكرهم وإحياء لأمرهم، ولتشملنا البركة التي عمّتهم. وما المانع الشرعي من القيام بالاحتفال بأمثالها من المناسبات الإسلامية كميلاد الرسول (ص)، وليلة أسري به (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويوم بعثه (ص) الله رحمة للعالمين؟.



بعد أنتهائنا من الإشارة إلى رجحان الاحتفال بذكرى أصفياء الله، نؤكد أننا نقصد من الاحتفال بذكرى أصفياء الله - مثلاً - قراءة سيرة رسول الله (ص) الصحيحة غير المحرّفة في ليلة ميلاده (ص)، وإطعام الطّعام في سبيل الله وإهداء ثوابه لرسول الله (ص) مع الاجتناب من القيام بأعمال أبدعها بعض المتصوّفة.

ونشير في ما يأتي إشارة عابرة إلى الخلاف حول مسألة البناء على القبور وأخذها محلاً للعبادة.

الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء وأتخاذها محلاً للعبادة

إِسْتَدَلَّ قِسْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ تَحْرِيمِ الْبِنَاءِ عَلَى الْقُبُورِ بِرَوَايَاتٍ أَهْمُهَا مَا يَأْتِي:

أ - عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ:
أَيُّكُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَا يَدْعُ بِهَا وَثْنًا إِلَّا كَسَرَهُ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّاهُ، وَلَا
صُورَةَ إِلَّا لَطَخَهَا؟ فَقَالَ (رَجُلٌ):
أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْطَلِقُ فَهَابِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَرَجِعْ. فَقَالَ عَلِيٌّ:
أَنَا أَنْطَلِقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ:
فَأَنْطَلِقْ. فَأَنْطَلِقْ، ثُمَّ رَجِعْ، فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَدْعُ بِهَا وَثْنًا إِلَّا كَسَرْتَهُ وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا صُورَةَ إِلَّا
لَطَخْتُهَا.
وقد تكرر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أنتم لفظ
منه^(١).

(١) مسند أحمد ٨٧/١ و ٨٩ و ٩٦ و ١١٠ و ١١١ و ١٢٨ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٥ و ١٥٠ ومسند
الطيالسي، ح ٩٦، ١٥٥.

علّة الحديث :

أولاً - سنذكر في ما يأتي أنّ رسول الله (ص) زار قبر أمّه، وبكى وأبكى من حوله . وكانت أمّه قد توفيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنورة، وعلى هذا فقد زار الرسول قبر أمّه بعد نيف وأربعين سنة، حين هاجر إلى المدينة المنورة، وأن أثر قبر أمّه عند ذاك كان ماثلاً للعيان، ولأما عرف قبرها . وإذا كان الحكم الإسلامي ، هو تسوية القبور فلم لم يأمر النبي (ص) بهدم قبر أمّه عند ذاك؟

ثانياً - إنّ أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول (ص) بادئ ذي بدء مصعب بن عمير، يُعلّم من أسلم منهم ما ورد من الإسلام يوم ذاك . ولما وفدوا إلى الحجّ، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول الله (ص) سرّاً، ولم ينتشر الإسلام بينهم، إلى أن هاجر الرسول (ص) إليهم، وتبعه الإمام عليّ (ع) بعد ثلاث أو أكثر وقصة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة . وتدرّج الرسول (ص) في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبني النضير وبني قينقاع، ودخل أهل المدينة كلّهم في الإسلام متدرّجاً . فمتى كان إرسال النبي (ص) الإمام عليّاً (ع) من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام ويسوي القبور ويلطخ الصّور، كالحاكم الذي لا رادّ لأمره؟ أضف إليه أنّ محتوى الخبر أنّ المرسل الأول ذهب، وهم في تشييع الجنازة، ورجع خائباً، ثم أرسل النبي (ص) الإمام عليّاً (ع) بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة . فكيف يتمّ ذلك؟!

ثالثاً - وفي بقية الحديث أنّ الإمام عليّاً (ع) قال لأبي الهياج الأسدي : أبعتك فيما بعثني رسول الله (ص) أمرني أن أسوي كلّ قبر وأطمس كلّ صنم^(١) .

ولا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلا في عصر خلافته، وعليه يتجّه هذا السؤال: متى كان إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي؟ أفي عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية وبعد زمن الخلفاء الثلاثة أم قبله؟ وإلى أي بلد بعث الإمام عليّ أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الأصنام؟

وأخيراً في كلا الخبرين أمر من الرسول (ص) والإمام عليّ (ع) - إن صحّ الخبران - بتهديم قبور المشركين في بلد الشرك، فكيف يدلّ ذلك على أنتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها؟

ب - رَوَوْا عَنْ النَّبِيِّ (ص) أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا، لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٣).

وفي الرواية الثانية شَخَّصَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ وَقَالَ: قَاتِلِ اللَّهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٤).

علة الحديث:

إنّ بني إسرائيل بعد أن ساروا من مصر وعبروا البحر وجازوا التّيه وبلغوا فلسطين، أصبح لهم بيت عبادة وهو (بيت المقدس) ولم يكن لهم بيت عبادة غيره. وفي عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النّبي بلاط يسمّى هيكل سليمان. فآين كانت قبور أنبيائهم الّتي اتّخذوها مساجد؟ وكان بيت المقدس وبلده تحت أنظار المسلمين والعرب قبل عصر رسول الله (ص)، وأمّا ما بقي من قبور أنبيائهم مثل قبر الخليل وموسى بن عمران، فإنّا لم نر ولم نسمع ولم يكتب أحد أنّ اليهود اتّخذوها وثناً. وعلى فرض أن قبراً اتّخذ وثناً، فإنه لا

٣) مستند أحمد ٢/ ٢٤٦.

٤) مستند أحمد ٢/ ٢٨٥.

يصدق على احترام القبر وزيارة القبر، فإنَّ اتِّخاذه وثناً يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصَّلوات. فأين هذا من ذاك؟



ليس مورد الشك في كلِّ ما ذكرناه، وما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول الله (ص) - معاذ الله - وإنَّما البحث يجري حول رواية الأحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ والسهو والنسيان.

كان ما ذكرناه أمثلة من أدلَّة من رأى البناء على القبور مخالفاً للشريعة الإسلامية.

وفي ما يأتي أدلَّة من رأى ذلك موافقاً لها.

أدلَّة من رأى جواز اتِّخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة

يستدلُّ من يرى صحَّة اتِّخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة بأنَّ الطائفتين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل (ع) ويتمسحون بجداره، وفيه قبر إسماعيل (ع) وأمه هاجر، كما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية:

فقد ورد في سيرة أبين هشام (ت: ٢١٨هـ) وتاريخ الطبري (ت: ٣١٠هـ) وأبن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) وأبن كثير (ت: ٧٧٤هـ) واللفظ لابن هشام: ودفن - إسماعيل - في الحجر مع أمِّه هاجر. وفي لفظ أبين الأثير: وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمِّه في الحجر^(٥).

وروى أبين سعد في طبقاته وقال:

إنَّ إسماعيل لسا بلغ عشرين سنة توفيت أمِّه هاجر وهي ابنة تسعين سنة،

(٥) راجع ذكر خبر إسماعيل (ع) وولده في كلِّ من سيرة أبين هشام ط. مصر، سنة ١٣٥٥هـ ٦/١. وتاريخ الطبري ط. أوروبا ٣٥٢/١. وتاريخ أبين الأثير ط. أوروبا ٨٩/١. وتاريخ أبين كثير ١٩٣/١. ومادة: (حجر) من معجم البلدان.

فدفنها إسماعيل في الحجر. وإنَّ إسماعيل توفيَّ بعد أبيه، فدفن في الحجر ممَّا يلي الكعبة مع أمه هاجر.

وفي رواية بعدها:

قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت^(٦).

وفي الاكتفاء للكلاعي ما موجه: دفن هاجر وإسماعيل وابنه نابت في الحجر^(٧).

وقد وصف ابن جبير قبري إسماعيل وأمّه هاجر في رحلته وقال:

وتحت الميزاب في صحن الحجر، بمقربة من جدار البيت الكريم، قبر إسماعيل (ع) وعلامته رخامة خضراء مستطيلة قليلاً شكل عراب تتصل بها رخامة خضراء مستديرة، وكلتاهما غريبة المنظر، فيها نُكْتُ تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلاً كأنها تجزيع، وهي أشبه الأشياء بالنُّكْتُ التي تبقى في اليد من حلّ الذهب فيه. وإلى جانبه ممَّا يلي الركن العراقي قبر أمّه هاجر رضي الله عنها، وعلامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر ونصف. يتبرّك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر، وحقّ لهم ذلك لأنهما من البيت العتيق، وقد أنطبعا على جسدين مقدسين مكرمين، نورهما الله، ونفع ببركتهما كل من صلّى عليهما. وبين القبرين المقدسين سبعة أشبار^(٨).

(٦) لخصاصا وروايات ابن سعد الثلاث من طبقاته ٢٥/١، ط. أوربا.

(٧) الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ص: ١١٩، تصحيح هنري ماسه، مطبعة جول كريونيل، الجزائر، ١٩٣١ م.

والكلاعي هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، ولد سنة ٥٦٥ هـ، وتوفي سنة ٦٣٤ هـ. اعتمدنا ترجمته من مقدّمة الكتاب.

(٨) ابن جبير هو محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الأندلسي، البُلَنسي الأصل، الغرناطي الاستيطان. ولد ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٣٩ هـ، وتوفي بالاسكندرية ليلة الأربعاء، التاسع أو السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٦ هـ. وكان أدبياً بارعاً، شاعراً

كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء، وورد في كتب حديث مدرسة
اهل البيت كالآتي:

ورد في الكافي للكليني (ت: ٣٢٩هـ) وكتاب من لا يحضره الفقيه وعلل
الشرائع للصدوق (ت: ٣٨٢هـ) والوافي للفيض (ت: ١٠٨٩هـ) والبحار
للمجلسي (ت: ١١١١هـ) واللفظ للأول: وفيه - أي في الحجر - قبر هاجر
وقبر إسماعيل (ع)^(٩).

وفيها أيضاً: وفيه - أي في الحجر - قبور أنبياء^(١٠).
وورد أيضاً في الكافي والوافي والبحار: ودفن في الحجر، ممّا يلي الركن

مجدداً، سرّي النفس، كريم الأخلاق، من علماء الأندلس بالفقه والحديث.
ورحلة ابن جبير: كتاب وصف فيه ابن جبير رحلة قام بها للحجّ، أسنقرقت عامين وثلاثة
أشهر ونصفاً، من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال ٥٧٨هـ، إلى يوم الخميس الثاني
والعشرين لمحرّم ٥٨١هـ، وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية وغيرها. ووصف
هذا الرحالة المدن التي مرّ بها، والمنازل التي حلّ فيها من هذه الأقطار جميعاً.
وقد نقلنا ما أورده هنا من ط. دار مصر للطباعة، عام ١٣٧٤هـ، تحقيق الدكتور حسين
نصار، ص ٦٣، ورجعنا إلى مقدمة الكتاب في ترجمة ابن جبير.

٩ فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبنائهما
البيت... ح ١٤، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران. ١٣٩١هـ، ٤/٢١٠. وفيه من لا
يحضره الفقيه، كتاب الحجّ، باب علل الحجّ، ح ٣، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران
١٣٩٠هـ، ٢/١٢٥-١٢٦، وباب نكت في حجّ الأنبياء والمرسلين، ح ٨، ٢/١٤٩. والوافي،
كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام... ط. الأولى، ٨/٢٨. والبحار،
كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) وأزواجه وبناء البيت، ح ٤١، ٥/١٤٣، وح ٥٤،
٥/١٤٤.

١٠ فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم (ع)... ح ١٥، ٤/٢١٠. والبحار
عن الصدوق، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع)، ح ٤٠، ٥/١٤٢، ط. الأولى
كعباني، وباب أخبار أولاد إبراهيم... ح: ٥٥، ٥/١٤٤. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ
إبراهيم... ٨/٢٨.

الثالث، عذارى بنات إسماعيل (ع)^(١١).

وروى أبو بكر الفقيه عن النبي (ص) أنه قال:

ما من نبي هرب من قومه إلّا هرب إلى الكعبة يعبد الله فيها حتّى يموت وأن قبر هود وشعيب وصالح في ما بين زمزم والمقام، وأن في الكعبة قبر ثلاثمائة نبي، وما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبر سبعين نبياً^(١٢).

ويستدلّون على صحّة البناء على القبر، إضافة إلى ما سبق، بأن قبور رسول الله (ص) والخليفتين أبي بكر وعمر في بناء مسقّف منذ أن توفّوا إلى يومنا الحاضر.

ويستدلّون أيضاً بقوله تعالى:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة/ ١٢٥. وقوله تعالى في ما أخبر عن قصّة أصحاب الكهف:

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ الكهف/ ٢١.

* * *

إنّ الوهابيين يسمّون المسلمين الذين يزورون قبور الأنبياء والصّحابة والأئمة بالقبوريين. ومن الأحرى، مع ما ذكرنا، أن يسمّوا خاتم الأنبياء (ص) وأصحابه والأنبياء من قبلهم الذين طافوا حول حجر إسماعيل (ع) بالقبوريين، لما في حجر إسماعيل من قبر هاجر وإسماعيل (ع) وولده وكذلك أنبياء من قبلهم!!

* * *

(١١) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ح ١٦، ٢١٠/٤. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ٢٨/٨. والبحار، ح ٥٦، ١٤٤/٥.
(١٢) مختصر كتاب البلدان، تأليف أبي بكر أحمد بن الفقيه الهمداني (ت: ٣٤٠هـ) ط. بريل بليدن سنة ١٣٠٢هـ ص ١٧.

هكذا كان اختلاف الأحاديث في بناء القبور، أو بالأحرى اختلاف فهم
الأحاديث، منشأ هذا الخلاف .
وفي ما يأتي نذكر الخلاف حول البكاء على الميت ومنشأه .

الاختلاف في البكاء على الميت ومنشأه

كان البكاء على الميت، وخاصة الشهيد، من سنة الرسول (ص) فقد روى البخاري في صحيحه: أَنَّ النَّبِيَّ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَأَبْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ وَقَالَ:

أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأَصِيبُ. ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ، فَأَصِيبُ. ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ، فَأَصِيبُ، - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - . . . (١).

وفي ترجمة جعفر من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وخبر غزوة مؤتة من تاريخ الطبري وغيره ما ملخصه:

لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَيْتَهُ وَطَلَبَ بَنِي جَعْفَرٍ، فَشَمَّهُمْ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ: يَا أَبَايَ وَأُمِّي مَا يَبْكِيكَ؟ أَبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ أَصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ. فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: فَقُمْتُ أَصِيحُ وَأَجْمَعُ النِّسَاءَ، وَدَخَلْتُ فَاطِمَةَ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: وَاعْتَاهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَى مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلْتَبْكِي الْبَوَاكِي.

بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم

في صحيح البخاري:

قَالَ أَنَسٌ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) . . . وَإِبْرَاهِيمَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب خالد بن الوليد،

٢/٢٠٤ ط. الحلبي بمصر.

فجعلتُ عينا رسول الله تذر فان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف (رض) : وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى فقال: إنَّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

وفي سنن ابن ماجه:

فأنكب عليه وبكى^(٢).

بكاء الرسول (ص) على حفيده

في صحيح البخاري:

أنَّ ابنة النبي (ص) أرسلت إليه: أنَّ أبنائي قبض فأتنا. فقام ومعه سعد ابن عباد ورجال من اصحابه. فَرَفَع إلى رسول الله (ص) ونفسه تتعقعق. ففاضت عيناه، فقال سعد:

يا رسول الله ما هذا؟ فقال:

هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنها يرحم الله من عباده الرُّحماء^(٣).

٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص): إنا بك لمحزونون، ١/١٥٨ واللفظ له. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته بالصبيان والعيال، ح ٦٢. وسنن أبن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النظر إلى الميت، ح ١٤٧٥، ١/٤٧٣. وطبقات أبن سعد، ط. أوربا، ١/١ ق ٨٨. ومسنند أحمد ٣/١٩٤.

٣) تتعقعق: أي تضطرب روحه لها صوت وحشجة كصوت الماء إذا ارتقى في القرية الخالية.

صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص): ويعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، واللفظ له. وكتاب المرضي، باب عبادة الصبيان، ٤/٣. وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح ١١، ص: ٦٣٦. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح ٣١٢٥، ٣/١٩٣. وسنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الأمر بالاِحساب والعبر، ١/٢٦٤. ومسنند أحمد ٢/٣٠٦ و ٣/٨٣ و ٨٨ و ٨٩.

ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة

في مغازي الواقدي وطبقات ابن سعد ما موجه:

لما سمع رسول الله (ص) بعد غزوة أحد البكاء من دور الأنصار على قتلاهم، ذرفت عينا رسول الله (ص) وبكى، وقال: لكن حمزة لا بواكي له. فسمع ذلك سعد بن معاذ، فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهن إلى باب رسول الله (ص) فبكين على حمزة. فسمع ذلك رسول الله (ص) فدعا هنّ وردهنّ. فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميت، إلّا بدأت بالبكاء على حمزة، ثمّ بكت على ميتها^(٤).

بكى الرسول (ص) على قبر أمه وأبكي من حوله

زار رسول الله (ص) قبر أمه فبكى وأبكي من حوله^(٥).

أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لأهل المصاب

لما جاء نعي جعفر، قال النبي (ص): أصنعوا لأهل جعفر طعاماً، فإنه

قد جاءهم ما يشغلهم^(٦).

٤) أوردناه من ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد ط. دار صادر بيروت ١٣٧٧هـ، ١١/٣. وأكثر تفصيلاً منه في مغازي الواقدي ١/٣١٥-٣١٧. وبعده إمتاع الاسماع ١/١٦٣. ومسند أحمد ٤٠/٢. وتاريخ الطبري.

وأورده ابن عبد البر بإيجاز بترجمة حمزة من الاستيعاب، وباختصار أيضاً، ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة.

٥) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك، ٢٦٧/١. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح ٣٢٣٤، ٣/٢١٨. وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ح ١٥٧٢، ١/٥٠٩.

٦) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت ح ١٦١٠

عين الرسول (ص) أيام الحداد على الميت
تواتر عن النبي (ص) أنه عين حداد المرأة على غير زوجها ثلاثاً، وعلى
زوجها فكما قال الله: ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾^(٧) البقرة/ ٢٣٤.

منشأ الخلاف حول البكاء على الميت

مر في ما سبق أن رسول الله (ص) بكى على المتوفى قبل أن يتوفى وبعده،
خاصة الشهيد، وأنه أمر بالبكاء على الشهيد، وبكى على قبر أمه وأبى من

١٦١١، ٥١٤/١. وفي سنن الترمذي ٢١٩/٤، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع
لاهل الميت، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب صنعة
الطعام لاهل الميت، ح ٣١٣٢، ١٩٥/٣، ومسند أحمد ٢٠٥/١ و٣٧٠/٦.

٧) راجع البخاري، كتاب الجنائز، باب حداد المرأة على غير زوجها، ١٥٤/١، وكتاب
الطلاق باب تحمّد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، ١٨٩/٣، وباب ٦٨ الكحل للحادة
وباب القسط للحادة عند الطهر وباب تلبس الحادة ثياب العصب وباب ﴿والَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ
وَيُدرُونَ أَرْوَاهُ﴾ ١٨٩/٣ - ١٩٠. وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في
عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، ح ١٤٨٦ و١٤٨٧، ١٤٩٠ و١٤٩١ ص ١١٢٤
و١١٢٥ و١١٢٦ و١١٢٧ و١١٢٨. وسنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب حداد المتوفى عنها
زوجها، ح ٢٩٩ و٢٩٠/٢، وباب فيها تجتنب المعتدة في عدتها ح ٢٣٠٢، ٢٩١/٢. وسنن
الترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء في عدة المتوفى عنها زوجها، ١٧١/٥ - ١٧٤.
وسنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة المتوفى عنها زوجها، وباب الإحداد، وباب سقوط
الإحداد عن الكتابية المتوفى عنها زوجها، وباب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية
والنصرانية، وباب ما تجتنب الحادة من الثياب المصبغة، وباب الخضاب للحادة. وسنن ابن
ماجة، كتاب الطلاق، باب هل تحمّد المرأة على غير زوجها، ح ٢٠٨٥ - ٢٠٨٧، ٣٧٤/١.
وسنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب في إحداد المرأة على الزوج، ١٦٧/٢. وموطأ مالك،
كتاب الطلاق ح ١٠١، ١٠٥. وطبقات ابن سعد ٤/١، ٢٧/١، ٢٨ و٧٠/٨. ومسند أحمد
٨/٥ و٣٧/٦، ١٨٤، ٢٤٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٦٩، ٤٠٨،
٤٢٦. ومسند الطيالسي ١٥٨٧، ١٥٨٩، ١٥٩١.

حواله، وأمر بصنع الطعام لأهل الميت، وعين حداد المرأة على غير الزوج ثلاثاً. إذن، فالبكاء على المتوفى والحداد عليه وصنع الطعام لأهله، من سنة الرسول (ص) فما هو منشأ الخلاف والنهي عن البكاء على الميت؟ نرجع أيضاً إلى صحيح البخاري ومسلم فنجد حديث المنع عن البكاء من الخليفة عمر (رض).

الخليفة عمر يروي أن رسول الله (ص) نهى عن البكاء، وآم المؤمنين عائشة تستدرك عليه

في صحيح البخاري ومسلم، عن ابن عباس: لما أن أصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول: وا أخاه! وا صاحباه! فقال عمر: يا صهيب، أتبكي علي وقد قال رسول الله: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»؟ فقال ابن عباس: فلتما مات عمر، ذكرت ذلك لعائشة فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله (ص): «إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذَّبُ الْمُؤْمِنَ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَزِيدَ الْكَافِرَ عَذَاباً بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»، وقالت: حسبكم القرآن: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى». قال ابن عباس (رض) عند ذلك: والله هو أضحك وأبكى^(٨).

وفي صحيح مسلم: ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبي (ص): «إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» فقالت: وَهَلْ^(٩)، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص):

(٨) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص) يعذب الميت ببكاء أهله عليه، ١٥٥/١ - ١٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح ٢٢، ص ٦٤١.

(٩) رهل: يفتح الواو ويفتح الهاء وكسرها، أي غلط ونسي.

وإنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه».

وفي رواية قبله: ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت رحم الله أبا عبد الرحمن سمع شيئاً فلم يحفظه. إنها مرت جنازة يهودي على رسول الله وهم يبكون عليه، فقال: «أنتم تبكون وإنه ليعذب»^(١٠).

قال الإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ) في شرح صحيح مسلم عن روايات النبي عن البكاء المروية عن رسول الله (ص): وهذه الروايات من رواية عمر ابن الخطاب وأبنة عبد الله - رضي الله عنهما - وأنكرت عائشة ونسبتها إلى النسيان والاستباه عليهما، وأنكرت أن يكون النبي (ص) قال ذلك^(١١).

ويظهر من الحديث الآتي أن منشأ الخلاف كان اجتهاد الخليفة عمر في النبي عن البكاء في مقابل سنة الرسول (ص) بالبكاء، فقد ورد في الحديث أنه: مات ميت من آل الرسول (ص) فأجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله (ص): دعهن يا عمر فإن العين دامة والقلب مصاب والعهد قريب^(١٢).

وفي صحيح البخاري: كان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا، ويرمي

(١٠) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح ٢٥ و ٢٦، ص ٦٤٢ - ٦٤٣ وج ٢٧، ص ٦٤٣. وقريب منه لفظ الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، ٢٢٥/٤. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، ح ٣١٣٩، ١٩٤/٣.

(١١) شرح النووي بهامش صحيح مسلم ط. المطبعة المصرية ١٣٤٩هـ، ٢٢٨/٦، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(١٢) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الرخصة في البكاء على الميت. وسنن أبي ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت ح ١٥٨٧ ص: ٥٠٥. ومسند أحمد ١١٠/٢، ٢٧٣، ٣٣٣، ٤٠٨، ٤٤٤.

بالحجارة، ويحشي بالتراب^(١٣)

* * *

كان ذلكم منشأ الخلاف في شأن البكاء على الميت، والأحاديث المتعارضة الواردة بشأنه في كتب الصحاح، ولعلّ أجتهد الخليفة عمر (رض) في المنع كان منشأ للأحاديث المروية في منع البكاء على الميت. فقد روي غير ما ذكرنا بعض الحديث في تأييد أجتهد الخليفة الصحابي عمر، ولا مجال في هذه العجالة لبيان علل تلك الأحاديث. وفي ما ذكرنا الكفاية في معرفة منشأ الخلاف في شأن البكاء والذي نحن بصدده.

* * *

إلى هنا استعرضنا أمثلة من مسائل الخلاف التي كان منشأها اختلاف الأحاديث في كلّ منها. ونذكر بحوله تعالى في ما يأتي آيات من كتاب الله مما نشأ الخلاف حول تأويلها.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ١/١٥٨.
وقوله: «يضرب فيه» أي يضرب لأجل المنع من البكاء.

آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها

من أمثلة ما نشأ الخلاف حولها، خلاف في تأويل بعض آيات من كتاب الله المجيد نذكر أمثلة منها في ما يأتي:

دُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ وَحُكْمُ غَيْرِ اللَّهِ
أ - دُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب مؤسس المذهب الوهَّابي في كتابه (الأصول الثلاثة وأدلتها) ص ٤ منه :

إعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلُّم هذه الثلاث مسائل والعمل بهنَّ^(١).

الأولى - أَنَّ الله خلقنا . . .

الثانية - أَنَّ الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢) الجن/ ٢٨ .

(١) كذا جاء في الأصل .

(٢) رسالة الأصول الثلاثة ط . مطبعة المدني، ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ورسالة الدين وشروطها أيضاً طبع فيها، وكذلك استدلُّوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ الإسراء/ ٥٦ وآيات أخرى نظيرها .

وقال في ص ٥ منه :

أَنَّ الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الذين، وبذلك أمر جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ومعنى يعبدون يوحدوني. وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه - إلى قوله في ص ٨ منه : - والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ...﴾

وقال في ص ٤٦ منه :

القاعدة الرابعة: إن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ تَخْلُصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ العنكبوت/ ٦٥.

وقال في ص ٨ من رسالته (الدين وشروط الصلاة)^(٣) ما ملخصه : العبادة لها أنواع كثيرة؛ منها الدعاء، الدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾. وورد في رسالة (شفاء الصدور) التي أصدرتها دار الافتاء العامة ردّاً على رسالة الجواب المشكور ص ٣:

رفعوا إلى خليفة زعماء دعوة التوحيد والذين أراحوا غياهب الشرك عن هذه البلاد - أي عن مكة المكرمة والمدينة المنورة - وطهروها من أدرانها وقضوا على كل أثر له...^(٤).

* * *

يقصدون بدعاء غير الله أو مع الله أن يقول المسلم مثلاً: (يا رسول الله)

(٣) رسالة الأصول الثلاثة ط. مطبعة المدني ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ - ورسالة الدين وشروطها أيضاً طبع فيها بلا تاريخ.
(٤) رسالة شفاء الصدور، ط. الأولى مؤسسة النور للطباعة والتجليد.

للتوسّل به إلى الله ، أو يدعو غيره من أولياء الله كذلك . وأدلتهم كلّها تدور حول قوله تعالى ﴿ لَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ ﴾ ونظائرها منأى الله عن الدّعاء مع الله أو غير الله .

ب - حُكْم غير الله

حُكْم غير الله مثله كمثل دُعاء غير الله .

وقال مخالفوهم : ما أشبه الليلة بالبارحة ! وما أشبه هذا الاستدلال باستدلال الخوارج في تكفير من رضي بالتحكيم في صفّين بأمثال قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١) يوسف / ٦٧ . وقوله :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴾ الأنعام / ١١٤

وكان بداية ذلك في معركة صفّين ، عندما أمر معاوية برفع كتاب الله على الرماح ودعوة جيش العراق إلى قبول حكم القرآن ، وأنخداع أكثرية قراء جيش العراق بذلك ، وإجبارهم الإمام عليّاً بترك القتال وقبول دعوة معاوية بالتحكيم ، ثمّ تعيين معاوية من قبله عمرو بن العاص حكماً ، وإجبار جيش العراق الإمام عليّاً على تعيين أبي موسى الأشعري حكماً من قبله . فلمّا اجتمع الحكماء وخذع عمرو بن العاص أبا موسى وقال له : نخلع عليّاً ومعاوية ونترك الأمر للناس ليختاروا لهم إماماً . وسبق أبو موسى عمراً بالكلام وقال : أنا أخلع عليّاً ومعاوية عن الأمر ليختار المسلمون لهم إماماً . ثمّ خطب بعده ابن العاص وقال : إنّه خلع صاحبه كما رأيتم ، وأنا أنصب صاحبي للإمامة . فتنازعا وتسابّا وأفترقا ، بعد هذا أحسّ من قبل التحكيم من جيش العراق بخطئهم ونادوا بشعار : « لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ » وقالوا : إِنَّا كَفَرْنَا بِقِيُولِنَا التحكيم ، وتبنا إلى الله ،

(٥) نكرّر قولنا : بأننا لسنا بصدد إحصاء أدلّة الطرفين في البحث ، وإنّما نأتي بأمثلة منها .

ويجب على الآخرين أن يعترفوا بالكفر، ثم يتوبوا مثلنا؛ ومن لم يفعل، فأولئك هم الكافرون.

وهكذا كفروا أولاً من أشرك في تلك الحوادث من عائشة وعثمان وعليّ وظلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم؛ ثم شمل حكمهم بالكفر عامة المسلمين، وسقوا أنفسهم بالشراة، ووضعوا سيوفهم قروناً طويلة على عواتقهم يقتلون بها المسلمين ويقتلون^(٦).

وصدق رسول الله (ص) حيث أخبر عن الخوارج وقال: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^(٧). وفي أحاديث أخرى: لأقتلنهم قتل ثمود^(٨).

جواب غالفهم في المسألتين

يقول في جواب هؤلاء وأولئك غالفهم بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وإذا كان قد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فقد ورد فيه أيضاً

(٦) راجع أخبار يوم صفين في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير، ثم أخبار الخوارج فيها وفي غيرها من كتب التاريخ.

(٧) كان ذلك عندما بعث ابن عم الرسول عليّ من اليمن بذهبية إلى الرسول فقسمها بين أربعة من المؤلفة قلوبهم، فتغضب قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صنديد أهل نجد ويدعنا! قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل... مملوق الرأس فقال: يا محمد، إن الله! فقال النبي (ص): فمن يطيع الله إذا عصيته، أيامني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟! فلما ولى، قال النبي (ص) إن من ضغنى هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام - الحديث. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿نمرج الملائكة...﴾ ١٨٨/٤. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح ١٤٣ ص ٧٤١.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥.

و ١٤٦.

قوله تعالى :

﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ المائدة / ٤٢ .

فقد خَوَّلَ نَبِيَّهَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى أَمَرَ بِأَنْ يَتَّخِذُوا حَكِماً مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكِماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكِماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ﴾ النساء / ٣٥ .

وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ ، فَإِنَّ الْآيَةَ الْأُولَى عِنْدَمَا أُثْبِتَ (الْحُكْم) لِلَّهِ لَمْ تُثْبِتْ لَهُ حَكِماً مَحْدُوداً مِثْلَ مَا لِلْقَضَاةِ فِي الْمَحَاكِمِ بِأَنْ هُمْ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِمَوْجِبِ الْقَوَانِينِ الْمَرْعِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعَيِّنُوا حَاكِماً مِنْ قِبَلِهِمْ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِذِي سُلْطَةِ أَعْلَى ، وَعَلَى هَذَا فَلَيْسَ لِلْقَضَاةِ (الْحُكْم) مُطْلَقاً ، وَإِنَّمَا هُمْ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ فَحَسَبَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَوْجِبِ حُكْمِهِ ، وَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِغَيْرِهِ بِالْحُكْمِ ، أَي : لَهُ أَنْ يَعَيِّنَ حَاكِماً عَلَى أَيِّ جِهَةٍ فِي مَلَكِهِ ، فَلَهُ الْحُكْمُ مُطْلَقاً . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ بِحُكْمِ اللَّهِ يَحْكُمُونَ ، حِينَ يَحْكُمُونَ ، وَكَذَلِكَ الْإِثْنَانِ اللَّذَانِ يَحْكُمَانِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ . إِذَا فَإِنَّ حُكْمَ أُولَئِكَ الْحُكَّامِ إِذَا حَكَمُوا بِمَوْجِبِ مَا أَمَرَ اللَّهُ ، لَيْسَ حُكْمٌ مَا سِوَى اللَّهِ ، وَلَا حُكْمٌ غَيْرُ اللَّهِ ، وَلَا حُكْمٌ دُونَ اللَّهِ ، وَلَا حُكْمٌ مَعَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ حُكْمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَحُكْمٌ بِإِذْنِ اللَّهِ . وَسَيَأْتِي جَوَابُهُمْ عَلَى دَعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ فِي ذِكْرِ (دَعْوَةِ الرَّسُولِ (ص) وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى اللَّهِ) بَعِيدٌ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْآيَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي تُثْبِتُ بَعْضَ الصِّفَاتِ لِلَّهِ فَإِنَّمَا لَا تُثْبِتُهَا اللَّهُ بِمَحْدُودَةٍ بَحْدٍ ، وَإِنَّمَا تُثْبِتُهَا اللَّهُ مُطْلَقاً . مِثْلُ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْمَلِكِ لِلَّهِ تَعَالَى .

صفة الملك لله

لا منافاة في إثبات صفة الملك لله في قوله تعالى :

﴿وَهُوَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة/ ١٨ ، وقوله تعالى :

﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ الإسراء/ ١١١ ، والفرقان/ ٢ ، وأمثالها .

وبين قوله تعالى :

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء/ ٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٣٦ وآيات أخرى مثلها ، لأنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران/ ٢٦ .

إِذَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حِينَ يُمَلِّكَ عَبْدَهُ لَمْ يَمْلِكِ الْعَبْدُ عِنْدَهُ مَعَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَمْلِكْ غَيْرَ اللَّهِ وَلَا سِوَى اللَّهِ وَلَا دُونَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا الْعَبْدُ وَمَا يَمْلِكُ لِمَوْلَاهُ ، وَإِنْ تَمَلَّكَ الْعَبْدُ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ مُصَادِقِ (الْمَلِكِ اللَّهِ) ، أَي : إِنَّ مَلِكَ اللَّهِ لَيْسَ مَحْدُودًا كَمَمْلُوكِ عَبِيدِهِ الَّذِي يُحَدُّ بِحُدُودِ مَشِئَةِ اللَّهِ وَإِذْنِ اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مَا خَوَّلَهُ اللَّهُ بِأَكْثَرِ مَا حَدَّدَ اللَّهُ لَهُ فِي التَّصَرُّفِ مِنْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَسَيِّطَرَةٍ . وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي صِفَةِ الْخَالِقِيَّةِ .

الخالق والمحيي

كَذَلِكَ شَأْنُ صِفَةِ (الْخَالِقِ) وَ(الْمَحْيِي) ، فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام/ ١٠٢ ، و﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ فاطر/ ٣ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف/ ٥٤ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ المؤمنون/ ٨٠ . وَقَالَ : ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الشورى/ ٩ .

وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ أَنْ يَأْذَنَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (ع) أَنْ يَخْلُقَ وَيَحْيِيَ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ مُخَاطَبًا إِيَّاهُ : ﴿وَإِذْ نَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا

فتكون طيراً بإذني وتسبى الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني ﴿
المائدة/ ١١٠﴾، وقوله تعالى عن لسان عيسى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ
اللَّهِ﴾ آل عمران/ ٤٩ .

فإنَّ الله سبحانه حين يخلق ليس كالآلة الصَّانعة لا يحول عن عمله ولا
يزول - جلُّ عن ذلك - وليس كالبشر حين يعمل لا يستطيع أن يهب قدرة
العمل لغيره، بل إنَّه قادر أن يخلق الحياة، إنساناً كان أو حيواناً، من طريق
اللقاح بين الزوجين، ويستطيع أن يخلقه بيديه دون أب ولا أم، مثل آدم،
ويقدر كذلك أن يأذن لعيسى فيخلق بإذنه، والخالق في كلِّ ذلك هو الله تعالى .
وكذلك شأن الإحياء، فإنَّه قادر على أن يحيي الموتى بلا واسطة يوم
القيامة، وقادر على أن يهب الإحياء لرسوله عيسى بن مريم (ع) فيحيي الموتى
بإذنه، وقادر على أن يجعل الإحياء في ضرب بعض بقرة بني إسرائيل الصَّفراء
بميتهم المقتول فيحيي المقتول ويخبرهم عن قاتله^(٩) .

وإنَّ عيسى بن مريم حين خلق الطير وأحيا الموتى، كان الخلق والإحياء
بإذن الله، وعلى هذا فإنَّ عيسى حين خلق الطير وأحيا الموتى لم يخلق مع الله،
ولم يُحي مع الله، ولم يخلق ولم يُحي غير الله ولا دون الله، وإنما خلق وأحيا بإذن
الله .

الولي والشفيع

وكذلك شأن صفة الولي والشفيع :

فإنَّه لا منافاة في شأن الشفاعة بين قوله تعالى :

أ - ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا

(٩) إشارة إلى الآيات ٦٧ - ٧٣ من سورة البقرة .

يعقلون. قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿الزمر/ ٤٣، ٤٤﴾.

ب - ﴿مَالِكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ السجدة/ ٤.

ج - ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ الأنعام/ ٥١.

د - ﴿وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْأَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾

الأنعام/ ٧٠.

وبين قوله تعالى:

أ - ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يونس/ ٣.

ب - ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة/ ٢٥٥.

ج - ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾

طه/ ١٠٩.

د - ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾ سبأ/ ٢٣.

هـ - ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ مريم/ ٨٧.

و - ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء/ ٢٨.

فإنَّه تعالى حين يأذن لعباده الصالحين أن يشفعوا، كانت الشَّفَاعَةُ لله فأذن

لهم أن يشفعوا. فالشفيع عندئذ ليس دون الله.

وكذلك شأن الولي:

فإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ

مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ التوبة/ ١١٦.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ

وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة/ ١٠٧.

وقوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ. إِنَّا

أَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا﴾ الكهف/ ١٠٢.

هذه الأقوال لا تنافي قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ المائدة / ٥٥ .

لا منافاة بينهما وليس شركاً أن نقول : الله وَلِيُّنَا ورسوله ومن يقيم الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ فِي الرُّكُوعِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّ الْوَلَايَةَ لِلَّهِ وَهُوَ الَّذِي أُعْطِيَ هَذِهِ الْوَلَايَةَ لَهَا كَمَا أُعْطِيَ لِلْوَالِدِ الْوَلَايَةَ عَلَى وَلَدِهِ

* * *

فِي كُلِّ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ صَحَّ أَنْ يُقَالَ : اللَّهُ ، هُوَ الْحَاكِمُ وَالْمَالِكُ وَالشَّافِعُ وَالْوَلِيُّ . . . وَصَحَّ - أَيْضاً - أَنْ يُقَالَ لِمَنْ مَنَعَ مِنْ عِبِيدِهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ : الْمَالِكُ وَالْحَاكِمُ وَالشَّافِعُ وَالْوَلِيُّ . وَإِنْ أَوْضَحَ مِثَالٌ لِمَا قُلْنَا ، نَلْمُودُ الْآيَةَ .

من يتوفى الأنفس

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ النحل / ٢٨

وقال : ﴿ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ النحل / ٣٢

وقال : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ الأنعام / ٦١ .

وقال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ السجدة / ١١ .

وقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر / ٤٢ .

فَمَنْ قَالَ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَشْرِكْ ، وَمَنْ قَالَ : مَلَكُ الْمَوْتِ عِزْرَائِيلُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَشْرِكْ . وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ وَبَيْنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَفِي كُلِّ هَذِهِ الْحَالَاتِ لَمْ يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ غَيْرَ اللَّهِ وَلَا مَعَ اللَّهِ بَلْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الذي توفّاه^(١٠). وكذلك الشأن بالنسبة إلى الصفات الأخرى المذكورة سابقاً.

دعوة الرسول (ص) والتوسّل به إلى الله

بناءً على ما بيّنا بأنّ كلّاً من الحاكم والمالك والشفيع والخالق والمحيي والمميت والوليّ إذا كان بإذن الله فليس ثمّت غير الله ولا دون الله ولا مع الله، بناءً على ذلك فإنّ دعوة النبيّ (ص) في التوسّل به إلى الله - ايضاً - إذا كان بإذن الله، فليس ثمّت دعاء غير الله ولا دون الله ولا مع الله، وليس من مصاديق ما نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وقد مرّ بنا في الحديث المرويّ بمسند أحمد وسنن الترمذي وآبى ماجة ورواية البيهقي وأبى صححوها بأن رسول الله (ص) علّم الصحابي الضرير أن يدعو بعد الصلوة ويقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجَّهُ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي لِتَقْضِيَ لِي. اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِي»^(١١).
فقضى الله حاجته وشفّع رسوله فيه وشافاه، وإنّ هذا النوع من التوسّل من مصاديق قوله تعالى:

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ المائدة/ ٣٥.

﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الإسراء/ ٥٧.

* * *

إلى هنا استعرضنا بعض مسائل الخلاف وأشرنا إلى ما كان ظاهراً من منشئها. وفي ما يلي ندرس الباعث الحقيقي لما نشأ من الخلاف وهما أمران:

(١٠) هذا الاستدلال مستفاد من قول الإمام عليّ، برواية الصدوق عنه في باب الردّ على الثنوية والزنادقة بكتاب التوحيد، ص: ٢٤٦.

(١١) راجع مصادره في باب الاستشفاع برسول الله في حياته من هذه المقدمة.

أ - استكبار المخلوقين أبد الدهر.

ب - حاجة السلطة في هذه الأمة إلى إراءة حياة قدوات الإنسانية بها لا يناقض حياتها الغارقة في الشهوات . وفي مايلي بيانها :

أ - الباعث الحقيقي الأول على ما نشأ من الخلاف
أولاً - في بدء الخليقة :

حكى الله سبحانه عما جرى من إبليس حين لم يسجد لآدم (ع) بقوله :
﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من
العالين . قال أنا خير منه . . . ﴾ ص / ٧٥ و ٧٦ .

و﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون﴾
الحجر/ ٣٣ .

إن إبليس عبد الله وحده لا شريك له عمر الملائكة ، ثم لم يخضع لآدم
صفى الله في عصره وأستهان به فكان من أمره ما كان .
أما الناس الذين استكبروا وأستهانوا بأنبياء الله واصفيائه بعد ذلك فإليك
أمثلة من أمرهم في ما يأتي :

ثانياً - في الأمم السابقة :

قال قوم نوح لنبيهم نوح :

﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا . . . وما نرى لكم علينا من فضل﴾ هود/ ٢٧ .

وقالوا : ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ المؤمنون/ ٢٤ .

وقال قوم نوح وعاد وثمود لرسولهم :

﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا . . .﴾ إبراهيم/ ١٠ .

وقالوا لنبيهم :

﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون﴾

المؤمنون/ ٣٣ .

وكان جواب الأنبياء لأمرهم في هذا الاعتراض والاستهانة بهم ما أخبر الله عنه وقال :

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إبراهيم/ ١١ .

ثالثاً - في عصر خاتم الأنبياء (ص) :

روى ابن حجر في ترجمة ذي الخويصرة رأس الخوارج من الإصابة عن أنس ، قال :

كان في عهد رسول الله (ص) رجل يعجبنا تعبده وأجتهاده ، وقد ذكرناه لرسول الله (ص) فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه . فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا : هو هذا . قال : إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسعة من الشيطان . فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله (ص) : أنشدك الله ، هل قلت حين وقفت على المجلس : وما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني ؟ قال : اللهم نعم ! ثم دخل يصلي فقال رسول الله (ص) : من يقتل الرجل - الحديث . وفي آخر الحديث قال (ص) : لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان . . . (١٢) .

(١٢) راجع ترجمة ذي الخويصرة من الإصابة .

وذو الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير . أصل الخوارج ، قال لرسول الله عندما كان يقسم قسماً : يا رسول الله ، إعدل ! فقال له : ويحك من يعدل إذا لم أعدل ؟! وقال فيه : إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يحرقون من الدين كحرق السهم من الرمية . راجع ترجمة ذي الخويصرة في أسد الغابة . وتفصيل قول رسول الله فيه وفي الخوارج وقول الإمام عليٍّ إليّاهم في صحيح مسلم ، باب ذكر الخوارج ، وباب التحريض على قتل الخوارج ، وباب الخوارج شر الخلق والخلق .

←

رابعاً - في عصرنا :

قال الرجل (ذو المعرفة) من السعوديين :

(محمد رجلاً مثلي، مات).

وسبب هذا القول - أيضاً - هو الاستكبار كما كان شأن السابقين .

خلاصة البحث

إن إبليس لا يرى فضلاً لصفّي الله ونيّه آدم على نفسه فلا يخضع له ويقول عنه : إنه بشر .

وقوم نوح وعاد وثمود لا يرون لأنبيائهم من فضل عليهم ويقولون لأنبيائهم : إن أنتم إلّا بشر مثلنا .

وذو الخويصرة رأس الخوارج يقول لجمع فيهم رسول الله : ما في القوم أفضل مني أو خير مني .

وكذا الأمر في عصرنا .

إذاً فالباعث الأول للاستهانة بأصفياء الله هو الاستكبار .

ب - الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف

الباعث الثاني على الخلاف في الأمة الإسلامية مدى القرون ، هو حاجة السلطات الحاكمة على المسلمين إلى إزاءة حياة القدوات الإنسانية ، من الأنبياء والأصفياء ، بما لا يناقض حياتهم الغارقة في الشهوات والمنهمكة في أتباع هوى النفس .

وكان من أثر العاملين الأول والثاني ، أن أولت آيات من الذكر الحكيم إلى ما يبين صدور المعاصي من أنبياء الله وأصفياه ، ووضعت روايات في انغماسهم

والسعة : قروح تخرج في الوجه والرأس ، ويكون المعنى أثر ضربة الشيطان في وجهه .

في الملامي والشهوات، وأحياناً استفادوا من الأخبار الإسرائيلية في ذلك مثل ما رووا عن داود وزوجة أوريسا^(١٣)، إلى غيرها، والكثير من أمثالها التي رووها في سيرة الأنبياء؛ وقد مرّ بنا أمثلة مما رووا في سيرة أفضل الأنبياء وخاتمهم محمد (ص). وفي هذا السبيل، سبيل تسوية الأنبياء والأوصياء بغيرهم من البشر، والقول بعدم وجود ميزة لهم عمّن سواهم، أولوا آيات من الكتاب العزيز المصرّحة بمعجزات الأنبياء، مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيراً بإذن الله ونظائره، ووضعت روايات تتفق وما يقولون به من عدم وجود ميزة لأصفياء الله عمّن سواهم من البشر.

وفي مقابل تلكم الأحاديث وتاويلات آيات كتاب الله، بدافع العاملين المذكورين آنفاً، نجد في كتب التفسير والحديث والسيرة أحاديث أخرى تدلّ على ميزات أصفياء الله. فآمن بها طائفة من المسلمين، وأولت آيات كتاب الله بها بوافق تلك الأحاديث. وأنتج ما ذكرناه رؤية خاصة لصفات الله وصفات أنبيائه وعن العرش والكرسيّ وسائر المعارف الإسلامية تناقض رؤية الطائفة الأخرى. وكل طائفة أمنت بما لديها بما يبلغ بها إلى تكفير من يخالفها في الرأي. وإنّ ما وقع من التفرقة مدى القرون كان من أثر ما ذكرناه. أمّا العلاج فنسندكره بحوله تعالى في الخاتمة الآتية.

(١٣) راجع أخبار سيرة النبي داود (ع) في تاريخ الطبري وغيره.

خلاصة وخاتمة

شرع الله للإنسان الإسلام نظاماً مناسباً لفطرته، وهدهد بواسطة أنبيائه (ع) وكان كلما توفي نبيٌ وغيّرت أُمّةٌ شريعته، جدّد الله دينه بإرسال نبيٍّ جديد. وأقتضت حكمته ختم الشرائع بشريعة خاتمهم، فحفظ أصول الإسلام بحفظ القرآن من الزيادة والنقصان أيد الدهر، وجعل بيان الأحكام وشرحها في سنّة رسوله (ص) ولم يحفظها مثل القرآن من الزيادة والنقصان، ولم يعصم رواها عن السهو والنسيان، ولم يعصم نسخ كتب الحديث من الخطأ والزلل. ومضى على رواية سنّة الرسول (ص) أربعة عشر قرناً وتداول المسلمون من روايات سنّة الرسول (ص) سيرة وحديثاً ما تعارض بعضه مع بعض الشيء الكثير، مع وجود المجمع والمفصّل والعام والخاص فيها، والعوامل الخارجية المؤثرة في رواية الحديث، والتي أشرنا إليها سابقاً، فأختلفت اجتهادات المجتهدين في ترجيح بعضها على بعض، مضافاً إلى اجتهاداتهم لكل فرقة رؤية خاصّة للإسلام أولّت بموجيها آيات متشابهات في كتاب الله الكريم، وحملت عليها آيات محكمات أخرى.

* * *

وهكذا أنقسم المسلمون إلى فرق ومذاهب، ومضت عليهم قرون طويلة كُفّر خلالها المسلمون بعضهم بعضاً، وقتلت كلّ فرقة من خالفها في الرأي أحياناً، وهُدّمت ديارهم! فكيف يمكن توحيد كلمة المسلمين مع وجود هذه المفارقات، ووجود مسائل الخلاف بينهم ممّا أوردنا أمثلة منها في ما سبق؟ لا،

لن يتم التقارب بين المسلمين هكذا، ومع بقائهم على تقليد اجتهادات السلف، فلا بدّ للمسلمين من أن تبدي كلّ طائفة منهم ما لديها من رؤى للإسلام وتأويل للقرآن وحديث مروّي وأجتهادات للسلف نشأ منها الخلاف، على شرط أن يتم ذلك بأسلوب الدعوة إلى الحقّ والبحث العلميّ الرصين، دون الركون إلى السباب والشتم والافتراء انتصاراً لرأيها وطائفتها - أعاذنا الله من ذلك - ثمّ الاستماع بتجرّد إلى ما لدى الطوائف الأخرى كذلك، والحقيقة بنت البحث.

والسبيل الصحيح للوصول إلى ذلك، أن يبادر علماء المسلمين إلى تلك الدراسات بتجرّد علميّ بحث، ثمّ تعرض نتائج تلك الدراسات على الأندية العلميّة الإسلاميّة الكبرى، مثل الجامع الأزهر الشريف في القاهرة، والجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورة، ورابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرمة، والجامع الإسلاميّ الكبير في النجف الأشرف وقم وخراسان والقروان والزيتونة، لبحثها وتمحيصها. ثمّ لتنشر بعد ذلك حكومات البلاد الإسلاميّة ما تتمخّص عنه دراسات تلك الجامعات بين المسلمين كافّة ليتسنى لجميع المسلمين من أراد منهم أن يفهم رأي غيره تفهماً واعياً لا لبس فيه ولا غموض ولا نبز، وله بعد ذلك أن يتقبّل رأي غيره بقبول حسن، أو يعذر أخاه المسلم في ما آخذ له من رأي. وهكذا يتيسّر للمسلمين أن يتفهم بعضهم بعضاً ويتقاربوا ويوحّدوا جهودهم في ما يصلح لهم^(١).

(١) لقد شرحت ضرورة القيام بدراسات مقارنة لسنة الرسول (ص) بتجرّد علميّ بحث لعلماء المسلمين وكتّابهم ومفكرهم بمصر والحجاز والشام ولبنان والهند وباكستان والعراق وغيرها، سواء في الجامعات الإسلاميّة والأندية العلميّة بها أو في اجتماعي العلماء على انفراد، واستعنت الله وقمت منذ ثيف وخمسين سنة بهذه الدراسات. ولما كانت أمّ المؤمنين عائشة أكثر من تحدّثت عن سيرة الرسول الأكرم (ص) بين أمّهات المؤمنين وأهل البيت وجميع الصحابة، وكان أكثر

ومن الضروري في هذا السبيل أن يبدأ بالبحث عن مصادر الشريعة الإسلامية وكيفية أخذ المسلمين منها وسبل الوصول إلى السنة النبوية . وللوصول إلى هذا الهدف الجليل قمت مستعيناً بالله تعالى بتأليف هذا الكتاب وفق المنهج التالي :

منهج البحث في الكتاب :

أوردنا في ما سبق أمثلة من مسائل الخلاف ومنشأ الاختلاف ودوافعها وبقي لنا دراسة جذور الخلاف والاختلاف . وسندرسها في أبواب القسم الأول من هذا الكتاب ليدرسها المصلحون الغيارى على الإسلام والمسلمين وينسّقوا جهودهم في ضوء معرفتها لتقريب أبناء الأمة الإسلامية وتوحيد كلمتهم ضد أعداء الإسلام إن شاء الله تعالى .

ونقول في هذا الصدد: لما كان جميع طوائف المسلمين يتجهون إلى مدرستين^(١) : مدرسة الإمامة ومدرسة الخلافة، بحثت في الكتاب :

الباحثين مسلمين وغير مسلمين من المستشرقين وتلاميذهم يتعرفون على سيرة الرسول (ص) من خلال الأحاديث المروية عنها، ولين تيسر دراسة سيرة الرسول دون الدراسة العلمية لمجموعة الأحاديث المروية عنها بتجرد علمي بحث، لهذا اضطررت إلى دراسة أحاديثها دراسة مقارنة، وطبعت الجزء الأول منها، ولما طبع الجزء الثاني منها. ورأيت خلال دراساتي من الاختلاف في أخبار السيرة وأخبار العصر الإسلامي الأول ما أكرهني على نشر بعض دراساتي بأسم (خمسون ومائة صحابي مختلف) وقصدي من هذه التسمية أن أتبه العلماء إلى ما في أخبار العصر الإسلامي الأول من عظيم الاختلاف، وطبع منها جزءان ترجم فيها ثلاثة وتسعون صحابياً مختلفاً وأكثر من سبعين راوياً للحديث مختلفين - أيضاً - أسندت إليهم روايات في الفتوح والردة وغير ذلك مختلفة جميعها . وكتبت مقدّمة لهذه الدراسة مجلّدي عبد الله بن سبأ ونُشرا، وبقي المجلد الثالث من (خمسون ومائة صحابي مختلف) والثالث من عبد الله بن سبأ، وإلى الله أشكو ما لاقيت من الإرجاف في هذا السبيل .

(٢) سيأتي بيانه في بداية البحوث، إن شاء الله تعالى .

أولاً - عن رأي المدرستين في الصحابة وعدالتهم، لأنهم من سبل الوصول إلى سنة الرسول (ص). وتري مدرسة الخلافة أنهم جميعاً عدول لا ينطرق الشك إلى عدالة أي واحد منهم، ويصح أخذ الحديث من جميعهم. وتري المدرسة الأخرى أنّ في الصحابة البرّ التّقي الذي يؤخذ منه الحديث، وفيهم من وصمه الله في كتابه بالنفاق وقال: ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ التوبة/ ١٠١.

هكذا درست أدلة الطرفين في هذا الباب بتجرّد علمي، ثمّ بحثت عن رأي المدرستين في الإمامة والخلافة وأدلتها في ما أرتأنا، لأنّ الخلفاء الأربعة الأوائل لدى إحداها من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية وتروي في حقهم عن الرسول (ص) أنّه قال: «خذوا بسنّي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعضوا عليها بالنواجذ»، ثمّ إنّها تتخذ من أجهاداتهم مصدراً للشريعة الإسلامية^(٣).

وكذلك الأئمة الاثنا عشر لدى مدرسة أهل البيت (ع) فإنهم يروونهم من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية ويأخذون منهم كلّ ما يروون عن الرسول (ص) من أحكام بلا تردد. فلا بدّ مع هذا من تحييص أدلة الطرفين في هذا السبيل.

ثانياً - درست بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية بكلّ أمانة علميّة، وختمت البحوث بذكر بعض أنواع نشاط المدرستين الثقافي والسياسي والاجتماعي وأثارها في المجتمع الإسلامي.

ثالثاً - أوردت في الأخير بعض ما افترى به على مدرسة أهل البيت (ع) وحاولت القيام بتمحيصه.

(٣) يأتي بحث نقد الحديث ودراسة مواقفهم من اجتهادات مجتهد مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني في باب: بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية، إن شاء الله تعالى.

وأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنِي لِلْبَحْثِ عَنْ رَوَايَاتِ الْمَدْرَسَتَيْنِ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِعَمْنِهِ تَعَالَى .

وَمَا هِيَ الْبَحْثُ أَعْرَضَهَا عَلَى الْمَلَأِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَرِيمِ رَاجِعاً أَنْ يَنْظُرُوا فِيهَا بِتَجَرُّدٍ عِلْمِيٍّ ، وَيَنْبَهُونِي عَلَى أَخْطَائِي فِي سَبِيلِ نَشْرِ الْمَعْرِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَيْسِيرِ التَّقَارُبِ وَالتَّفَاهُمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يُونُسُ / ١٠٨ .

القسم الأول

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

توطئة

في تاريخ الفكر الإسلامي نجد أنقساماً يَبْتَأ بعد وفاة النبي (ص) بين مدرستين متعارضتين، مدرسة السلطنة الحاكمة بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين، ومدرسة أئمة أهل البيت (ع) حتى الإمام الثاني عشر^(١). ولم يزل الخلاف قائماً بين خريجي المدرستين وأتباعهما من المسلمين، ولا يزال كذلك حتى عصرنا الحاضر، وإلى ما شاء الله.

وفي ما يلي من هذا البحث نسمي المدرسة الأولى بمدرسة الخلفاء والأخرى بمدرسة أهل البيت. ونبدأ بذكر منشأ الخلاف بينهما، ثم نورد أمثلة من وجوه الخلاف، إن شاء الله تعالى.

موارد الخلاف:

تتفق المدرستان في القرآن الكريم، وتلتزمان بما أحلّه وحرّمه وفرضه ونذّب إليه، وتختلفان في تأويله وخاصّة متشابه آياته أشدّ الاختلاف. ثمّ تختلفان في الأمور الثلاثة التالية:

أ - في الصحابة.

ب - في الإمامة والخلافة، وهما من سبيل الوصول إلى مصادر الشريعة

(١) أنها حدّدنا مدرسة السلطنة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيين، ومدرسة أهل البيت بالإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، لأنّ مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبي وتسميهم بخلفاء النبي، وتلتزم مدرسة أهل البيت بأحقية الأئمة الاثني عشر في الحكم وتسميهم أوصياء النبي. ولهذا سمّينا الأولى بمدرسة الخلفاء، والثانية بمدرسة أهل البيت.

الإسلامية .

ج - في مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن .

وسندرس بحوث المدرستين في كلٍّ منها بعد دراسة المصطلحات الواردة في

بابه في أول الباب . ونبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة في جميع أبواب الكتاب أولاً ، ثم بدراسة كيفية تدوين معاجم اللغة العربية ثانياً .

اللغة العربية والمصطلحات الإسلامية

أولاً - تعريف المصطلحات وهي :

أ - لغة العرب .

ب - المصطلح الشرعيّ أو المصطلح الإسلامي .

ج - مصطلح التشريعة أو مصطلح المسلمين .

د - الحقيقة والمجاز .

ونسَمّي الأول أحياناً بـ (تسمية العرب) ، والثاني بـ (تسمية الشارع) والثالث بـ (تسمية المسلمين) ونقول :

أ - لغة العرب

إنّما نتحدّث عن لغة العرب ، لأنّ القرآن نزل بلغتهم ، فنقول :

إنّ جلّ الألفاظ العربيّة التي نستعملها اليوم ، كانت شائعة في معانيها قبل الإسلام وبعد الإسلام حتّى اليوم ، مثل : الأكل والنوم واللّيل والنهار .

ومن تلكم الألفاظ ما ورد في لغة العرب في معان متعدّدة ، مثل لفظ : (غنم) الذي كان في البدء بمعنى كسب الغنم ، ثمّ استعمل أيضاً في لغة العرب بمعنى الفوز بالشيء بلا مشقّة ، ثمّ استعمل في الإسلام في الفوز بالشيء مطلقاً ، سواء أكان الفوز بمشقة أم دون مشقة .

وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى ، وعند أخرى بمعنى آخر ، مثل (الأثلب)

فإنه في لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة نعيم: التراب^(١).
وفي عصرنا يستعمل لفظ: (المبسوط) ويراد به عند العراقيين: المضروب،
ولدى الشاميين واللبنانيين: المسرور، وفي مثل هذه الحالة يجب أن نقول مثلاً:
(الأثلب) في لغة نعيم بمعنى كذا، وفي لغة الحجازيين بمعنى كذا، وكذلك
الأمر في (المبسوط).

ب - المصطلح الشرعي أو «المصطلح الإسلامي»

عندما بعث الله خاتم أنبيائه (ص) استعمل بعض الألفاظ العربية في غير
معانيها الشائعة لدى العرب، مثل: (الصلاة) التي كانت تستعمل في مطلق
(الدعاء) واستعملها رسول الله (ص) في عبادة خاصة لها قراءات خاصة مقارنة
بأفعال خاصة من قيام وركوع وسجود، مما لم تكن معروفة لدى العرب. وهذا
ما نسميه بـ (المصطلح الشرعي أو الإسلامي) سواء في ذلك أغير المعنى
اللفظي للفظ مثل (الصلاة) أم جاء الشارع الإسلامي بلفظ جديد في معنى
جديد، مثل: (الرحمن) صفة لله تعالى.

ويعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو
الحديث النبوي الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي.
إذا فالمصطلح الشرعي: ما استعمله الشارع في معنى خاص وبلغ
الرسول (ص) ذلك.

ج - مصطلح المشرعة أو «تسمية المسلمين»

من الألفاظ ما هي شائعة في معان خاصة بها لدى المسلمين عامة مثل:
(الاجتهاد) و (المجتهد) الشائعين لدى عامة المسلمين في الفقه والفقيه، وكان

(١) تهذيب اللغة للأزهري، ط. القاهرة، سنة ١٣٨٤هـ، ٩١/١٥.

اللفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الأمر^(٢)، وبإذل الجهد،
وآستعملا بنفس المعنى اللغوي في حديث الرسول (ص) كما روي عن رسول
الله (ص) أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة»، أي على المجتهد في العبادة^(٣).

وفي ما روي عن سيرته (ص) وقيل:

كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره^(٤).

ولم يرد (الاجتهاد) و (المجتهد) بمعنى: الفقه والفقيه، في القرآن الكريم
ولا الحديث النبوي الشريف، ونسَمي هذا النوع من التسمية بـ (عرف
المشترعة) و (تسمية المسلمين).

ومن هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعاً لدى عامة المسلمين، بل
يكون شائعاً لدى بعضهم، مثل كلمة: (صوم زكريّا) المستعمل لدى بعض
المسلمين في الصّوم مع الالتزام بالصّمت والامتناع عن التكلّم. وهذا النوع
من المصطلح ينبغي أن نسَميه بأسم البلد الشائع فيه، فنقول: هذا اصطلاح
المسلمين من أهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلاً، ولا يصحّ أن
نسَميه بـ (اصطلاح المسلمين) أو (عرف المشترعة) أو (تسمية المسلمين)
مطلقاً وبدون تقييد.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب
الإسلامية أو لدى فرقة تنتمي إلى الإسلام.

مثل: (الشاري) و (المشرك) لدى الخوارج؛ فـ (الشاري) عندهم بمثابة

(٢) مادة: (جهد) من نهاية اللغة لابن الاثير.

(٣) مقدّمة سنن الدارمي، باب فضل العلم والعالم، ح ٣٢، ١/١٠٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان،

ح ١١٧٥.

المجاهد عند كافة المسلمين، و(المشرك) عندهم: جميع المسلمين وكل من لا ينتمي إلى الخوارج.

ومثل (الرافضي) الذي ينز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

و(الناصي) عند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) الذي يسمون به: كل من يبغض الأئمة من أهل البيت (ع).

وفي مثل هذه الحالة، نسمي الأول بـ (أصطلاح الخوارج) والثاني بـ (أصطلاح مدرسة الخلفاء) والثالث بـ (أصطلاح مدرسة أهل البيت).

وبناء على ما ذكرنا، فإذا ورد لفظ (الناصي) لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء أهل البيت (ع). وكذلك إذا ورد لفظ (الشاري) عند غير الخوارج لا نفهم منه ما أصطلح عليه الخوارج.

د - الحقيقة والمجاز

إذا شاع استعمال اللفظ في معناه، بحيث لم يتبادر إلى ذهن السامع عند استماع الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: (الأسد) الذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غيره. ومثل لفظ: (الصلاة) التي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالأعمال الخاصة المفرونة بأذكار خاصة.

في مثل هذه الحالة، يوصف (الأسد) بأنه حقيقة في الحيوان المفترس، و(الصلاة) بأنها حقيقة في الأعمال المخصوصة، ويسمى الأول بـ (الحقيقة اللغوية) والثاني بـ (الحقيقة الشرعية).

وقد يستعمل لفظ (الأسد) ويقصد به: الرجل الشجاع، ويقال: رأيت أسداً يتكلم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمى استعمالاً مجازياً ويقال: استعمال (الأسد) مجازاً في الرجل الشجاع. ولا بد عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام، تدل على أنه لم يقصد من (الأسد) المعنى الحقيقي، مثل

تعريف الصحابي لدى المدرستين
عدالة الصحابة لدى المدرستين
خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الفصل الأول

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت (ع)

إن مدرسة أهل البيت ترى أن تعريف الصحابي: هو ما ورد في قواميس اللغة العربية كالآتي:

الصاحب وجمعه: صَحب، وأصحاب، وصُحاب، وصُحابة^(٣) و(الصاحب: المعاصر^(٤) والملازم^(٥))، (ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته)^(٦)، (وإن المصاحبة تقتضي طول لبثه)^(٧).

وبما أن الصُحبة تكون بين اثنين، يتضح لنا أنه لا بد أن يضاف لفظ (الصاحب) وجمعه (الصُحب و...) إلى أسم ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿يا صاحبي السجن﴾ و﴿أصحاب موسى﴾، وكان يقال في عصر الرسول (ص): (صاحب رسول الله) و(أصحاب رسول الله) مضافاً إلى رسول الله (ص) كما كان يقال: (أصحاب بيعة الشجرة) و(أصحاب الصفة) مضافاً إلى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والأصحاب يوم ذاك أسماء لأصحاب الرسول (ص) ولكن المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرّجوا بعد ذلك في تسمية أصحاب رسول الله (ص) بالصحابي والأصحاب، وعلى هذا فإن هذه التسمية من نوع (تسمية المسلمين) و(مصطلح المتشريعة). كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي.

ضابطتهم لمعرفة الصحابي

ذكر مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي، كما نقلها ابن حجر في الإصابة وقال:

ومما جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة في الصفة التي يعرف بها كون

٣ و٤) راجع لسان العرب، مادة: (صحب).

٥ و٦ و٧) مفردات الراغب، مادة: (صحب).

الرجل صحابياً وإن لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لا بأس به: أنهم كانوا في الفتح لا يؤمرون إلا بالصحابة^(٨).
والرواية التي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي التي رواها الطبري وابن عساكر بسندهما، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعادة، قال فيها:

وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك^(٩).

وفي رواية أخرى عند الطبري عن سيف قال:

إن الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمر الصحابة إذا وجد من يجزي عنه في حربه. فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان، ولا يطمع من أتبع في الردة في الرئاسة...^(١٠).

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

إن مصدر الروایتين هو سيف المتهم بالوضع والزندقه^(١١).

وسيف يروي الضابطة عن أبي عثمان، وأبو عثمان الذي يروي عن خالد وعادة في روايات سيف، تحيّل سيف: يزيد بن اسيد الغساني، وهذا الاسم من مختلقات سيف من الرواة^(١٢).

ومهما تكن حال الرواة الذين رووا أمثال هذه الروايات، وكائنين من كانوا، فإن الواقع التاريخي يناقض ما ذكروا؛ فقد روى صاحب الأغاني وقال:

(٨) الإصابة ١/١٣.

(٩) الطبري ط. أوربا، ١/٢١٥١.

(١٠) الطبري ط. أوربا، ١/٢٤٥٧ - ٢٤٥٨.

(١١) راجع ترجمة سيف في أول الجزء الأول من كتاب عبد الله بن سبأ.

(١٢) راجع مخطوطة (رواة مختلفون) للمؤلف وكتاب عبد الله بن سبأ ط. بيروت سنة

١٤٠٣هـ - ١/١١٧.

أسلم امرؤ القيس على يد عمر وولاه قبل أن يصلي لله ركعة واحدة^(١٣).
وتفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المري قال :
والله إنِّي لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته، إذ أقبل رجل
أفحج^(١٤) أجلح أَمعر يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر، فحيَّاه
بتحية الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت؟

قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي.

فعرفه عمر، فقال له: فما تريد؟

قال: الإسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله. ثم دعا له برمح فعمد له على من أسلم بالشَّام
من قضاة^(١٥). فأدبر الشيخ واللَّواء يهتَز على رأسه - الحديث^(١٦).

ومخالفه - أيضاً - ما في قصَّة تأمير علقمة بن علاثة الكلبي بعد ارتداده،
وقصَّته كما في الأغاني والإصابة^(١٧) بترجمته ما يلي:

أسلم علقمة على عهد رسول الله وأدرك صحبته. ثمَّ ارتدَّ على عهد أبي

(١٣) الأغاني، ط. سامي، ١٥٨/١٤.

(١٤) الأفحج: من تدانت صدور قديميه وتباعذ عقباه. والأجلح: الذي انحسر شعره عن
جانبي رأسه. والأمعر: قليل الشعر.

(١٥) قضاة: قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان وبهراء وبل وجهينة، ترجمتهم في جمهرة
أنساب ابن حزم ص ٤٤٠ - ٤٦٠. وكانت ديارهم في الشحر ثمَّ في نجران ثمَّ في الشَّام، فكان
هم ملك ما بين الشَّام والحجاز إلى العراق، راجع مادة قضاة، معجم قبائل العرب ٩٥٧/٣.

(١٦) الأغاني، ط. سامي ١٥٧/١٤، وأوجزه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب
ص ٢٨٤.

(١٧) ترجمته في الإصابة ٤٩٦/٢ - ٤٩٨، والأغاني، ط. سامي ٥٦/١٥، وقصة تنافر
علقمة وعامر في الأغاني ٥٠/١٥ - ٥٥، وفي جمهرة ابن حزم ص ٢٨٤.

بكر. فبعث أبو بكر إليه خالداً ففر منه .

قالوا : ثم رجع فأسلم .

وفي الإصابة :

شرب الخمر على عهد عمر، فحدّه، فأرتدّ ولحق بالروم . فأكرمه ملك الروم، قال له : أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل . فغضب وقال : لا أراني أعرف إلا بعامر^(١٨) . فرجع وأسلم .

وفي الأغاني والإصابة - واللفظ للأول - :

لما قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد أرتدّ عن الإسلام، وكان لخالد ابن الوليد صديقاً، فلقه عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف الليل، وكان عمر (رض) يشبه بخالد، فسلم عليه وظنّ أنه خالد .

فقال له : عزلك ؟

قال : كان ذلك .

قال : والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسداً لك .

فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك ؟

قال : معاذ الله، إنّ لعمر علينا سمعاً وطاعة وما نخرج إلى خلافه .

(١٨) وقعت منافرة بين علقمة وعامر ذكرها الأخباريون، قال في الأغاني، ط . سامي ١٥/٥٠ : أنّ علقمة كان قاعداً ذات يوم ببول، فبصر به عامر، فقال : لم أراك اليوم عورة وجل أفتح

فقال علقمة : أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كنانها، يعرض بعامر

فقال عامر : والله لأنا أكرم منك حسباً وأثبت منك نسباً

فقال علقمة : لأنا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : لأنا أحبّ إلى نسائك - إلى آخر القصة، في الأغاني، وترجمة علقمة في الإصابة .

قال المؤلف :

ولذلك أنف علقمة من أن يكرم لأنه ابن عمّ عامر ويشتهر ذلك عنه .

فلما أصبح عمر (رض) أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة . فجلس
 علقمة إلى جنب خالد، فألتفت عمر إلى علقمة فقال له :
 إيه يا علقمة، أنت القاتل لخالد ما قلت ؟
 فألتفت علقمة إلى خالد، فقال :
 يا أبا سليمان أفعلتها ؟
 قال : وبحك ! والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإني أراك لقيت الرجل .
 قال : أراه والله .
 ثم التفت إلى عمر (رض) فقال :
 يا أمير المؤمنين ! ما سمعت إلا خيراً .
 قال : أجل، فهل لك أن أوليك حوران^(١٩) ؟
 قال : نعم .
 فولّاه إياها فمات بها، فقال الحطيئة يرثيه - الحديث .
 وزاد في الإصابة .
 فقال عمر : لأن يكون من ورائي على مثل رأيك أحب إليّ من كذا وكذا .



كان ما نقلناه هو الواقع التاريخي غير أن علماء مدرسة الخلفاء استندوا إلى
 ما رووا واكتشفوا ممّا رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول الله (ص) وأدخلوا في
 عداد الصحابة مختلقات سيف بن عمر المتهم بالزندقة ممّا درسناه في كتابنا
 (خمسون ومائة صحابي مختلق) .
 بعد دراسة رأي المدرستين في تعريف الصحابي، ندرس في ما يأتي أمر
 عدالة الصحابة لدى المدرستين .

١٩) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع . معجم البلدان
 ٣٥٨/٢ .

الفصل الثاني

عدالة الصحابة لدى المدرستين

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة
رأي مدرسة أهل البيت (ع) في عدالة الصحابة
ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة

ترى مدرسة الخلفاء أنَّ الصحابة كلَّهم عدول، وترجع إلى جميعهم في أخذ معالم دينها.

قال إمام أهل الجرح والتعديل الحافظ أبو حاتم الرازي^(١) في مقدمة كتابه :
(فأما أصحاب رسول الله (ص) فهم الَّذِينَ شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الَّذِينَ اختارهم الله عزَّ وجلَّ لصحبة نبيه (ص) ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقُدوة، فحفظوا عنه (ص) ما بلغهم عن الله عزَّ وجلَّ، وما سنَّ وشرع وحكم وقضى ونadb وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدِّين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعانيه رسول الله (ص) ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقَّفهم منه واستنباطهم عنه؛ فشرَّفهم الله عزَّ وجلَّ بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشكَّ والكذب والغلط والريبة والفخر واللمز، وسبَّاهم عدول الأئمة، فقال عزَّ ذكره في محكم كتابه : ﴿وكذلك جعلناكم أئمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ البقرة/ ١٤٣ .
ففسَّر النبي (ص) عن الله عزَّ ذكره قوله : ﴿وسطاً﴾ قال : عدلاً . فكانوا عدول الأئمة، وأئمة الهدى، وحجج الدِّين، ونفلة الكتاب والسنة .

ونadb الله عزَّ وجلَّ إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وكتابه هذا (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) ط . حيدر آباد سنة ١٣٧١هـ، نقلنا ما أورده من ص ٧ - ٩ منه .

لسبيلهم والافتداء بهم، فقال: ﴿ومن يشاقق الرسول... ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى...﴾^(١) الآية، النساء/ ١١٥.

ووجدنا النبي (ص) قد حضّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعا لهم فقال: «نصر الله أمراً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره». وقال (ص) في خطبته: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب» وقال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عني ولا حرج».

ثم تفرقت الصحابة - رضي الله عنهم - في النواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبث كل واحد منهم في ناحيته والبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله (ص)^(٢) وأفتوا في ما سئلوا عنه ممّا حضرهم من جواب رسول الله (ص) عن نظائرها من المسائل، وجردوا أنفسهم مع تقدمه حسن النية والقربة إلى الله تقدّس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن الحلال والحرام، حتى قبضهم الله عزّ وجلّ. رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين.

وقال ابن عبد البرّ في مقدمة كتابه: الاستيعاب^(٣):

(ثبتت عدالة جميعهم). ثم أخذ بإيراد آيات وأحاديث وردت في حقّ المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازي.

وقال ابن الاثير في مقدمته لكتاب أسد الغابة^(٤):

(٢) ترى مدسة أهل البيت أنّ المقصود من كل ذلك: المؤمنون منهم، كما نصّت الآية عليه، وسيأتي مزيد بيانه إن شاء الله تعالى.

(٣) سترى في ما يأتي إن شاء الله أنّ مدرسة الخلافة تمتعت بنشر حديث الرسول وخاصة كتابته إلى رأس المائة من الهجرة!

(٤) الاستيعاب في أسماء الاصحاب للمحافظ المحدث أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البرّ النمري القرطبي المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ).

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم

(... إن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين، إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدھا ورواتها، وأولھم والمقدّم عليهم أصحاب رسول الله (ص) فإذا جهلھم الإنسان كان بغيرھم أشدّ جهلاً وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم... والصّحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل، فلمنهم كلّهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح...).

وقال الحافظ آبن حجر في الفصل الثالث، في بيان حال الصّحابة من العدالة، من مقدمة الإصابة^(٦):

(اتفق أهل السنّة على أنّ الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة...).

وروى عن أبي زرعة أنّه قال:

(إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنّه زنديق، وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى ذلك إلينا كلّ الصّحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرّحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة)^(٧).

الجزريّ المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، ٣/١.

٦) الإصابة في تمييز الصّحابة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) وقد رجعنا إلى ط. المكتبة التجاوية سنة ١٣٥٨هـ بمصر، ١٧/١، ٢٢.

٧) الإصابة ١٨/١. وأبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٦٠/٢ الترجمة ١٤٧٩: إمام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة. مات سنة أربع وستين ومائتين، وروى عنه من أصحاب الصّحاح مسلم والترمذي والنسائي وآبن ماجة.

أقول: لست أدري ماذا يقول الإمام أبو زرعة في حقّ المنافقين من أصحاب رسول الله (ص).

كان هذا رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة، وفي ما يلي رأي مدرسة أهل البيت (ع) في ذلك.

رأي مدرسة أهل البيت (ع) في عدالة الصحابة

ترى مدرسة أهل البيت تبعاً للقرآن الكريم: أَنَّ في الصحابة مؤمنين أثنى عليهم الله في القرآن الكريم وقال في بيعة الشجرة مثلاً: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يسامعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ الفتح/ ١٨. فقد خصَّ الله الثناء بالمؤمنين ممن حضروا بيعة الشجرة ولم يشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبد الله بن أبي وأوس بن قبيط^(٨).

وكذلك تبعاً للقرآن ترى فيهم منافقين ذمهم الله في آيات كثيرة مثل قوله تعالى:

﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ التوبة/ ١٠١.

وفيهم من أخبر الله عنهم بالإفك، أي من رموا فراش رسول الله (ص) بالإفك^(٩) - نعوذ بالله من هذا القول - وفيهم من أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً آنفصوا إليها وتركوك قائماً﴾ الجمعة/ ١١. وكان ذلك عندما كان رسول الله قائماً في مسجده يخطب خطبة الجمعة.

(٨) راجع خبر بيعة الشجرة = بيعة الرضوان في مغازي الراقي ص ٥٨٨. وإمتاع الاسماع للمقريزي ص ٢٨٤.

وأخطأ شارح الأمتاع وذكر (ابن خولي) والصواب ما أثبتناه.

(٩) إشارة إلى قصة الإفك التي نزلت في شأنها الآيات ١١ - ١٧ من سورة النور في براءة أم المؤمنين عائشة عما رميت به كما رواها هي، أو في براءة مارية عما رميت به على قول غيرها، كما في الجزء الثاني من أحاديث أم المؤمنين عائشة.

وفيه من قصد اغتيال رسول الله بمروره على عقبة عند رجوعه من غزوة تبوك^(١٠)، أو من حجة الوداع^(١١).

وإن التشرف بصحبة النبي (ص) ليس أكثر امتيازاً من التشرف بالزواج بالنبي (ص)، فإن مصاحبتهم له كانت من أعلى درجات الصحبة، وقد قال الله تعالى في شأنهم:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْتُلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ . . .﴾
الأحزاب / ٣٠ - ٣٢.

وقال في اثنتين منهم:

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوْحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ . . . وَمَرِيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ . . .﴾
التحریم من أول السورة إلى آخرها.

ومنها من أخبر عنهم الرسول (ص) في قوله عن يوم القيامة:

(١٠) مسند أحمد ٥/٣٩٠ و ٤٥٣. وراجع صحيح مسلم ٨/١٢٢ - ١٢٣، باب صفات المنافقين. وجمع الزوائد ١/١١٠ و ٦/١٩٥. ومغازي الواقدي ٣/١٠٤٢. وإمتاع الأسباع للمقرئ ص ٤٧٧، وفي تفسير ﴿وَهُمَا بِهَا لَمْ يَنَالُوا﴾ الآية ٧٤ من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٥٨ - ٢٥٩.

(١١) جاء في أحاديث الشيعة أن ذلك كان عند مرجعه من حجة الوداع وبمناسبة واقعة غدير خم بأرض الجحفة. وراجع الملحق بآخر الكتاب. البحار، ط. المكتبة الإسلامية بتهران سنة ١٣٩٢ هـ. ٢٨/١٠٦.

«وَأَنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أَصِحَابِي. فيقال: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة/١١٧. فيقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ»^(١٢).

وفي رواية:

«لِيرَدَّنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْخَوْضِ حَتَّى عَرَفْتَهُمْ أَخْتَلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي. فيقول: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ»^(١٣).

وفي صحيح مسلم:

لِيرَدَّنَّ عَلَيَّ الْخَوْضَ رِجَالُ يَمَنِّ صَاحِبِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرَفَعُوا إِلَيَّ أَخْتَلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ أَصِحَابِي. فَلَيَقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ»^(١٤).

ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

لَمَّا كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مُنَافِقُونَ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ بِأَنَّ عَلِيًّا لَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع)^(١٥) وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ

(١٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني، وكتاب الأنبياء، باب وأخذ الله إبراهيم خليلاً. والترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، وتفسير سورة طه.

(١٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الخوض، ٩٥/٤، وراجع كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَاتَصِيْبِينَ...﴾ الأنفال/٢٥. منه. وأبن ماجه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، ح ٥٨٣٠. وراجع مسند أحمد ٤٥٣/١ و ٢٨٨/٣ و ٤٨/٥.

(١٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، ١٨٠٠/٤ ح ٤٠.

(١٥) الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب: ولد في جوف الكعبة، كما رواه الحاكم في المستدرک ٤٨٣/٣، والمالكي في الفصول المهمة. وأبن المغازلي الشافعي (ت: ٤٠٠).

أُم سلمة^(١٦) وعبد الله بن عباس^(١٧)، وأبو ذر الغفاري^(١٨)، وأنس بن

٤٨٣هـ) في المناقب، ح ٣ ص ٧. والشبلنجي في نور الأبصار ص ٩٦. وكانت ولادته في ١٣ رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. ويايحه المهاجرون والانتصار سنة ٣٥هـ. وضربه أبين ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة في محراب مسجد الكوفة، وتوفي في يوم ٢١ منه. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٦ حديثاً. راجع ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وص ٢٧٦ من جوامع السيرة.

وروايته في المناقبين في صحيح مسلم ٦١/١، باب الدليل على أن حب الانتصار وعليه من الإيمان وبغضهم من علامات النفاق. وصحيح الترمذي ١٣/١٧٧، باب مناقب علي. وسنن أبين ماجة الباب الحادي عشر من مقدمته. وسنن النسائي ٢/٢٧١، باب علامة المؤمن وباب علامة المنافق كتاب الإيمان وشرائعه وخصائص النسائي ص ٣٨. ومسنند أحمد ١/٨٤ و ٩٥ و ١٢٨. وتاريخ بغداد ٢/٢٥٥ و ٨/٤١٧، و ١٦/٤٢٦. وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤/١٨٥ وقال: حديث صحيح متفق عليه. وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/١٩٨. وتاريخ ابن كثير ٧/٣٥٤، ويترجمته في كل من الاستيعاب ٢/٤٦١ وأسد الغابة ٤/٢٩٢. وكنز العمال ١٥/١٠٥. والرياض النضرة ٢/٢٨٤. والمناقب لابن المغازلي، ح ٢٢٥، ص ١٩٠.

(١٦) أُم سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة القرشي المخزومي: كانت قبل رسول الله (ص) عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أسلمت قديماً وهجرنا إلى الحبشة ثم إلى المدينة. ولما جرح أبو سلمة بأحد وتوفي سنة ثلاث من الهجرة، تزوجها رسول الله وكانت مصيبة، وتوفيت بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين. روى عنها أصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثاً. راجع ترجمتها وترجمة زوجها بأسد الغابة، وجوامع السيرة، ص ٢٧٦، وتقريب التهذيب، ٢/٦١٧.

وحديثها في شأن المناقبين في سنن الترمذي ١٣/١٦٨. ومسنند أحمد ٦/٢٩٢. والاستيعاب ٢/٤٦٠، بطرق متعددة. وتاريخ أبين كثير ٧/٣٥٤. وكنز العمال ط. الأولى ٦/١٥٨.

(١٧) عبد الله ابن عم النبي العباس بن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة والإصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

(١٨) أبو ذر جندب أو بريد بن جنادة أو عبد الله أو السكن أو غير ذلك: تقدم إسلامه وتلحّرت هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله. توفي منفياً بالريضة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً. ترجمته في التقريب ٢/٤٢٠. وجوامع

مالك^(١٩)، وعمران بن حصين^(٢٠). وكان ذلك شائعاً ومشهوراً في عصر رسول الله (ص):

قال أبو ذر: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب^(٢١).

وقال أبو سعيد الخدري: إنّنا كنّا نعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم عليّ بن أبي طالب^(٢٢).

وقال عبد الله بن عباس: إنّنا كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم عليّ بن أبي طالب^(٢٣).

السيرة ص ٢٧٧. والجزء الثاني من عبد الله بن سبأ.

١٩) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي: روى هو أنه خدم النبي عشر سنين، كان يغفل ذواعبه بخلوق للمعة يياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الإمام عليّ عليه لكتائنه الشهادة بحديث الغدير أن يضربه الله ببضاء لا تواربها العمامة، أشار إليه في الأعلام النفيسة ص ١٢٢، وتفصيله بشرح نهج البلاغة ٣٨٨/٤، وتوفي في البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة. والتقريب. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين بكثر العمال ط. الأولى ١٤٠/٧.

٢٠) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي الكعبي: أسلم عام خيبر، وصحب الرسول وقضى بالكوفة، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨٠ حديثاً. وروايته بشأن المنافقين بكثر العمال، ط. الأولى ١٤٠/٧. ترجمته في التقريب ٧٢/٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

٢١) مستدرک الصحيحين ١٢٩/٣. وكثر العمال ٩١/١٥.

٢٢) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الخدري: شهد الخندق وما بعدها. مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل: سنة أربع وسبعين. وروى عنه أصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ٢٨٩/٢، والتقريب ٢٨٩/١. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وحديثه في شأن المنافقين في صحيح الترمذي ١٦٧/١٣. وحلية أبي نعيم ٢٨٤/٦.

٢٣) في تاريخ بغداد ١٥٣/٣، قال: كانوا عند ابن مسعود فتلا ابن عباس: ﴿يعجب الزراع ليعظ بهم الكفار﴾ الفتح/٢٩. قال: عليّ بن أبي طالب. ثم قال: إنّنا كنّا نعرف

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ ابن أبي طالب^(٢٤).

لهذا كلّ ولقول رسول الله (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع):
«اللّهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه»^(٢٥).

فهم محتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابيّ عادى عليّاً ولم يواله، حذراً من أن يكون الصحابيّ من المنافقين الّذين لا يعلمهم إلّا الله.

- الحديث.

(٢٤) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي: صحابيّ آبن صحابيّ، شهد بيعة العقبة مع أبيه، وشهد ١٧ غزوة مع النبيّ وصفّين مع الإمام عليّ، ومات بالمدينة بعد السبعين. روى عنه أصحاب الصحاح ١٥٤٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ٢٥٦/١ - ٢٥٧. والتقريب ١/١٢٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين في الاستيعاب ٢/٤٦٤. والرياض النضرة ٢/٢٨٤. وفي تاريخ الذهبي ٢/١٩٨. ولقظه: (ما كنّا نعرف منافقي هذه الامة). وفي مجمع الزوائد ٩/١٣٣. ولقظه: (ما كنّا نعرف منافقينا معشر الأنصار...).

(٢٥) سنن الترمذي ١٣/١٦٥ باب مناقب عليّ. وسنن آبن ماجة باب فضل عليّ، الحديث المرقم ١١٦. وخصائص النسائي ص ٤ و٣٠. ومسنند أحمد ١/٨٤ و٨٨ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٣٠ و٤/٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢ و٣٠٧/٥ و٣٤٧ و٣٥٠ و٣٥٨ و٣٦١ و٣٦٦ و٤١٩ و٥٦٨. ومسنندك الصحيحين ٢/١٢٩ و٩/٣. والرياض النضرة ٢/٢٢٢ - ٢٢٥. وتاريخ بغداد ٧/٣٧٧ و٨/٢٩٠ و١٢/٣٤٣. ومصادر أخرى كثيرة.

الفصل الثالث

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الصحابي وعدالته في مدرسة الخلفاء
الصحابي في مدرسة أهل البيت (ع)

الصَّحَابِيُّ وَعِدَالَتُهُ فِي مَدْرَسَةِ الْخِلَافَةِ

تَرَى مَدْرَسَةَ الْخِلَفَاءِ أَنَّ الصَّحَابِيَّ مِنْ لَقِي النَّبِيَّ (ص) مُؤْمِنًا بِهِ، وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ .
وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ وَالطَّائِفَ أَحَدُ سِتَّةِ عَشَرَ إِلَّا أَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ (ص) حُجَّةَ الْوُدَّاعِ .
وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَحَدٌ فِي آخِرِ عَهْدِ النَّبِيِّ (ص) إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ .

وَأَنَّهُمْ (كَانُوا فِي الْفَتْوحِ لَا يُؤْمَرُونَ إِلَّا الصَّحَابَةُ) وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ عَدَّوْا جَمْعًا فِي عِدَادِ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ بَرَهْنَا فِي كِتَابِنَا (خَمْسُونَ وَمِائَةً صَحَابِيٍّ مُخْتَلِقٍ) أَنَّهُمْ مُخْتَلَقُونَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَجُودٌ فِي التَّارِيخِ .
وَتَرَى أَنَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ عَدُولٌ لَا يَنْطَرِقُ إِلَيْهِمُ الْجَرَحُ، وَمَنْ أَنْتَقَصَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَهُوَ مِنَ الزَّنَادِقَةِ، ثُمَّ يَلْتَزِمُونَ بِصَحَّةِ كُلِّ مَا رَوَاهُ مِنْ سُعْيٍ فِي أَصْطِلَاحِهِمُ بِالصَّحَابِيِّ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ جَمِيعِهِمْ مَعَالِمَ دِينِهِمْ .

الصَّحَابِيُّ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

تَرَى مَدْرَسَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) أَنَّ لَفْظَ الصَّحَابِيِّ لَيْسَ مُصْطَلَحًا شَرْعِيًّا، وَإِنَّمَا شَأْنُهُ شَأْنُ سَائِرِ مَفْرَدَاتِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَ(الصَّاحِبِ) فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى الْمُلَازِمِ وَالْمُعَاشِرِ وَلَا يُقَالُ إِلَّا لِمَنْ كَثُرَتْ مِلَازِمَتُهُ، وَالصُّحْبَةُ نِسْبَةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَعْمَلُ الصَّاحِبُ وَجْمَعُهُ الْأَصْحَابُ وَالصَّحَابَةُ فِي الْكَلَامِ إِلَّا مُضَافًا، كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنَ﴾ وَ﴿أَصْحَابَ مُوسَى﴾ . وَكَذَلِكَ كَانَ يَسْتَعْمَلُ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ (ص) وَيُقَالُ: صَاحِبُ

رسول الله، وأصحاب رسول الله، مضافاً إلى رسول الله (ص) أو مضافاً إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصُّفَّة) لمن كانوا يسكنون صُفَّةَ مسجد الرسول (ص) ثمَّ استعمل الصحابيُّ بعد رسول الله (ص) بلا مضاف إليه وقصد به أصحاب رسول الله (ص) وصار أسماً لهم، وعلى هذا فإنَّ (الصحابي) و(الصحابة) من اصطلاح المشرعة وتسمية المسلمين وليس اصطلاحاً شرعياً.

أما عدالتهم؛ فإنَّ مدرسة أهل البيت ترى، تبعاً للمقرآن الكريم، أنَّ في الصُّحابة منافقين مردوا على النفاق، وزموا فراش رسول الله (ص) بالإفك، وحاولوا اغتيال رسول الله (ص) وأخبر عنهم الرسول أنهم يوم القيامة يختلجون دون رسول الله (ص) فينادي: أصحباي أصحباي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. وأنَّ منهم مؤمنين أثنى الله عليهم والرسول (ص) في أحاديثه، وأنَّهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن والحديث، وقد عيَّن النبي (ص) العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق: حُبَّ الإمام عليّ وبغضه، ومن ثمَّ فإنَّهم ينظرون في حال الراوي فإن كان ممن قاتل الإمام عليّاً أو الأئمة من أهل البيت (ع) وعاداهم فإنَّهم لا يلتزمون بأخذ ما يروي أمثال هؤلاء، صحابياً كان أو غير صحابي.

* * *

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي وعدالته. وفي ما يأتي يحوئهما في الإمام والخلافة.

البحث الثاني
بحوث المدرستين في الإمامة

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الإسلام .
بحوث مدرسة الخلفاء في الإمام .
بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة .
خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين .

الفصل الأول

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الإسلام

أمر كتابة وصية رسول الله (ص).
موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول.
السقيفة وبيعة أبي بكر.
دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه.
التحصن بدار فاطمة عليها السلام.
من تحلف عن بيعة الخليفة أبي بكر.
إستخلاف عمر وبيعته.
الشورى وبيعة عثمان.
الإمام علي (ع) يعلم بأن الخلافة زويت عنه.
بيعة الإمام (ع).

ينبغي لنا قبل الشروع في دراسة رأي المدرستين في الإمامة والخلافة، أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام، فنقول
 بُدئ الخلاف في أمر الحكم في الإسلام يوم وفاة رسول الله (ص). فقد كان رسول الله (ص) عقد لواء بيده لمولاه وأبن مولاه أسامة بن زيد لحرب الروم، وأمره على جيش لم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا أنتدب فيه، فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد... فعسكر بالجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة - فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين! فغضب رسول الله (ص) غضباً شديداً، وخرج معصباً، عليه قطيفة، فصعد المنبر وقال:

«ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولقد طعنتم في إمارة أبيه قبله. وأيم الله إن كان للإمارة خليفاً، وإن آبنه من بعده لخليق للإمارة». ثم نزل. وجاءه الذين يخرجون مع أسامة يودعونهم ويمضون إلى المعسكر. وثقل رسول الله (ص)، وجعل يقول:
 «أنفذوا بعث أسامة».

فلما كان يوم الأحد أشتد برسول الله (ص) وجعه. وفي يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل، فجاءهم الخبر أن رسول الله (ص) يموت. فأقبل أسامة وعمر وأبو عبيدة إلى المدينة^(١).

(١) أوردتها ملخصة من طبقات ابن سعد ط. بيروت، ١٩٠/٢ - ١٩٢. وراجع بقية مصادره في باب بعث أسامة من عبد الله بن سبأ، الجزء الأول.

أمر كتابة وصية رسول الله (ص)

روى ابن عباس وقال :

لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال :

«هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» .

قال عمر إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله ، فحسبنا كتاب الله .

وآختلف أهل البيت ، فمنهم من يقول ما قال عمر . فلما أكثروا اللغط

والاختلاف قال :

«قوموا عني ، لا ينبغي عندي التنازع»^(٢) .

وفي رواية :

بكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء فقال : إشتد برسول

الله (ص) وجعه ، فقال :

«أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» . فتنازعوا ولا ينبغي

عند نبي التنازع فقالوا : هَجَرَ رسول الله (ص) . . .^(٣) .

وفي رواية :

فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص)

وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم^(٤) .

(٢) البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، ٢٢/١ - ٢٣ .

(٣) البخاري ، باب جوائز الوفاء من كتاب الجهاد ، ١٢٠/٢ . وكتاب الجزية ، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب . وفي صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب ترك الوصية . وراجع مائز مصادر الخبر ونصوصه في أول خبر السقيفة في حديث غير سيف من كتاب عبد الله بن سبأ ط . الحاشية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، ٩٨/١ - ١٠٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب كراهية الخلاف ، وباب قول المريض : قوموا عني ، من كتاب المرضى . وفي باب مرض النبي من كتاب المغازي ، وبآخر باب ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم . ومائز مصادر في كتاب عبد الله بن سبأ

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)
توفي رسول الله (ص) نصف النهار يوم الإثنين وأبو بكر غائب بالسَّحْ،
وعمر حاضر، فاستأذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبة، وكشف الثوب
عن وجهه، وقال عمر:
واغشياه، ما أشدَّ غشي رسول الله (ص).
فقال المغيرة: مات والله رسول الله (ص).
فقال عمر: كذبت، ما مات رسول الله (ص)، ولكنك رجل تحوسك
فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين^(١).

أخذ عمر يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، إن
رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربِّه، كما ذهب موسى عن قومه، وغاب
أربعين ليلة. والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجل من يزعمون
أنه مات^(٢).

من قال إنه مات، علوت رأسه بسيفي، وإنما ارتفع إلى السماء^(٣).
فتلى عليه في المسجد:
﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم﴾^(٤)

١٠١/١.

(٥) مسند أحمد ٢١٩/٦. وسائر مصادره في عبد الله بن سبأ ١٠٢/١ - ١٠٣.

(٦) تاريخ الطبري ط. أورد، ١٨١٨/١.

(٧) تاريخ أبي الفداء ١٦٤/١.

(٨) رواه ابن سعد في طبقاته ٢/٢، وفي كنز العمال ٥٣/٤ ح ١٠٩٢. وأبن كثير
في ٢٤٣/٥ من تاريخه. ورواه الأُميني في غديره عن شرح الواهب للزرقاني ٢٨١/٨. وراجع
ابن ماجه ح ٦٢٧. والآية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد، سعد بن عباد. وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض . . .

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضيلتهم في الإسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لأعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدوا بهذا الأمر دون الناس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي، وأصبحت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نوليكَ هذا الأمر. ثم إنهم تراءوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن آبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلاَم تنزعوننا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإنا نقول إذا: منا أمير ومنكم أمير. فقال سعد بن عباد: هذا أول الوهن^(١٥).

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجراح وأنحاز معهم أسيد بن حضير^(١٦) وعويم بن ساعدة^(١٧) وعاصم بن

١٥) الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١هـ، ٤٥٦/٢، وط. أوربا ١/١٨٣٨، عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري. وآبن الأثير ٢/١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١/٥، قريب منه. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح آبن أبي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الأنصار).

١٦) جاء اسمه في سيرة آبن هشام ٤/٣٣٥، وأسيد بن حضير بن سمالك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممن ثبت في أحد، وشهد جميع مشاهد النبي، وكان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار عليه. توفي سنة ٢٠ أو ٢١هـ فحمل عمر نعشه بنفسه. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. ترجمته في الاستيعاب ١/٣١-٣٣. والإصابة ١/٦٤. وجوامع السيرة ص ٢٨٣.

١٧) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن

عَدِيَّ^(١٨) من بني العَجْلان^(١٩).

تكلّم أبو بكر - بعد أن منع عمر عن الكلام - فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، وقال: (فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم). ثم ذكر فضيلة الأنصار، وقال: (فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء).

فقام الحُباب بن المنذر^(٢٠) وقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيثكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، ويتنقض عليكم أمركم. فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع آثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤثروكم ونبيها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن توالي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة

عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: شهد العقبة وبدراً وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر ويترجمته في النبلاء: أنّه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر على قبره: ولا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر. الاستيعاب ١٧٠/٣ والإصابة ٤٥/٣ وأسد الغابة ١٥٨/٤.

١٨) عاصم بن عدي بن الجسد بن العجلان بن حارثة بن ضُبَيْعَة بن حرام البلوي العجلاني، حليف الأنصار وكان سيد بني عَجْلان. شهد أجدأ وما بعدها. توفي سنة ٤٥ هجرية. الاستيعاب ١٣٣/٣. والإصابة ٢٣٧/٢. وأسد الغابة ٧٥/٣.

١٩) سيرة ابن هشام ٣٣٩/٤.

٢٠) الحُباب بن المنذر بن الجُموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، شهد بدرأ وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر. الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٥٣/١. والإصابة ٣٠٢/١. وأسد الغابة ٣٦٤/١. ونسب في جمهرة أبن حزم ص ٣٥٩.

والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته^(٢١) إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر وقال: يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ^(٢٢) وَعُدَيْقُهَا الْمُرْجَبُ^(٢٣). أما والله لو شئتم لنُعِيدَها جَذَعَةً^(٢٤).

قال عمر: إذا يقتلك الله.

قال: بل إياك يقتل.

فقال أبو عُبَيْدَةَ: يا معشر الأنصار، إنكم كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

فقام بشير بن سعد الخزرجي أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبيّنا والكدح لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن

(٢١) لما سمع علي بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. النجج وشرحه لابن أبي الحديد، ط. الأولى، ٢/٢.

(٢٢) جذيلها، تصغير الجذل: أصل الشجرة. والملح: عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرس به الإبل الجري، أي قد جرتني الأمور ولي رأي وعلم يُشْفَى بها كما تشفى هذه الإبل الجري بالجذل وصفره على جهة المدح.

(٢٣) عديق: تصغير العلق، وهي: النخلة. المرجب: ما جعل له رجة، وهي: دعامة تبتنى من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوفوا عليها أن تنقر في الرياح العواصف.

(٢٤) أعدت الأمر جديداً، أي جديداً كما بدأ، وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي: أول ما يبتدأ فيها.

نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله وليّ النعمة علينا بذلك، ألا إن محمداً (ص) من قريش، وقومه أحقُّ به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً. فاتقوا الله، ولا تحالفوهم، ولا تنازعوهم. فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك - الخ^(٢٥).

وقام عبد الرحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ. وقام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد - يعني عليّ بن أبي طالب - الخ^(٢٦).

(فقال الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّاً)^(٢٧)
(قال عمر: فكسر اللّغظ وأرفعت الأصوات حتّى تخوّفت الاختلاف فقلت: أبسط يدك لأبايعك^(٢٨). فلما ذهب ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عَقَاقِي^(٢٩)! أنفست على أبن عمّك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله هم. ولما رأَت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد، قال بعضهم لبعض - وفيهم أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ

(٢٥) لم نسجّل هنا بقية الحوار وتعليقنا عليه طلباً للاختصار.

(٢٦) رواه اليعقوبي بعد ذكر ما تقدم في تاريخه ١٠٣/٢. والموقوفات للزبير بن بكار ص ٥٧٩.

(٢٧) في رواية الطبري ٢٠٨/٣ (وط. أوربا ١/١٨١٨) عن إبراهيم، وأبن الأثير ١٢٣/٢: «أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر».

(٢٨) عن سيرة أبن هشام ٣٣٦/٤. وجميع من روى حديث الفتنة. راجع بعده حديث الفتنة في ذكر رأي عمر فيبيعة أبي بكر.

(٢٩) الطبري ط. أوربا ١/١٨٤٢. وفي رواية أبن أبي الحديد: عَقَقَ عَقَاقِي.

وكان أحد النُقباء -: والله لئن وَلَّيْتُهَا الخُزْجَ عليكم مرةً، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر^(٣٠).

فقاموا إليه فبايعوه، فأنكسر على سعد بن عبادَةَ وعلى الخُزْجَ ما كانوا أجمعوا له من أمرهم. . . فأقبل الناس من كلِّ جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطاؤون سعد بن عبادَةَ.

فقال أناس من أصحاب سعد: اتَّقُوا سعداً لا تطأوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هَمَمْتُ أن أطأكَ حَتَّى تَنْدَرَّ عَضُوكَ. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر! الرفق ها هنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر^(٣١).

وقال سعد: أما والله لو أن بي قوَّةٌ ما، أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يُجْعِرُكَ وأصحابك. أما والله إذاً لألحقنَّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه في داره^(٣٢). وروى أبو بكر الجوهري: أنَّ عمر كان يومئذٍ - يعني يوم بويع أبو بكر -

(٣٠) وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لما رأت الأوس أنَّ رئيساً من رؤساء الخُزْجِ قد بايع، قام أسيد بن حضير - وهو رئيس الأوس - فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر. راجع شرح النهج ٢/٢ في شرحه (ومن كلام له في معنى الانصار).

(٣١) إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخلفيتين من شدَّة ولين.

(٣٢) الطبري ٤٥٥/٣ - ٣٥٩، وط. أوربا ١/١٨٤٣. (ونندر عضوك) كذا جاء ويعني تسقط أعضاؤك.

محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنَّ الناس قد بايعوا أبا بكر - الخ^(٣٣).

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (ص). فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رئي مثل هذا قطاً! أما قلت لك^(٣٤)!

التنذير

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال:

يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد.

فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة!

وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول الله (ص)^(٣٥).

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في عليّ.

روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول:

(٣٣) في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد ١/١٣٣. وفي ص ٧٤ منه بلفظ آخر.

(٣٤) ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/٢٥٨. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ١/١٣٢، ويروي تفصيله في ص ٧٤ منه. والزيبر بن بكار في الموقفيات ص ٥٧٧ - ٥٨٠ و ٥٨٣ و ٥٩٢. كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/٢ - ١٦، في شرحه: (ومن كلام له في معنى الأنصار).

(٣٥) الموقفيات للزيبر بن بكار، ص ٥٨٠.

(ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر)^(٣٦).
فلما بويح أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زقاً إلى مسجد رسول
الله (ص) فصعد على المنبر - منبر رسول الله (ص) - فبايعه الناس حتى
امسى، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء^(٣٧).

البيعة العامة

ولما بويح أبو بكر في السقيفة وكان في الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام
عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه...، وذكر أن قوله بالأمس لم
يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ولكنه كان يرى أن الرسول سيدبر
أمرهم ويكون آخرهم. ثم قال:

وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى رسوله. فإن اعتصمتم به
هداكم الله لما كان هداه له. وإن الله قد جمع أركانكم على خيركم صاحب رسول
الله (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة.
وفي البخاري: (وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني
ساعدة، وكانت بيعة أبي بكر العامة على المنبر). قال أنس بن مالك: (سمعت
عمر يقول لأبي بكر يومئذ: إصعد المنبر. فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه
الناس عامة).

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(٣٦) الطبري ٤٥٨/٢، وط. أوربا ١٨٤٣/١. وفي رواية آبن الأثير ٢٢٤/٢: (وجاءت
أسلم فبايعت). وقال الزبير بن يكار في الموقفيات برواية النهج ٢٨٧/٦. «فقري بهم أبو بكر»
ولم يعيننا متى جاءت أسلم، ويقوى الظن أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المقيد في كتابه
«الجمال»: إن القبيلة كانت قد جاءت لثمنار من المدينة، (الجمال ص ٤٣).
(٣٧) الموقفيات ص ٥٧٨. والرياض النضرة ١٦٤/١. وتاريخ الخميس ١٨٨/١.

(أما بعد، أيها الناس، فإني قد وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني - إلى قوله: - أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم، يرحمكم الله) (٣٨).

بعد بيعة أبي بكر العامة

(توفي رسول الله يوم الاثنين حين زاغت الشمس فشغل الناس عن دفنه) (٣٩).

شُغِلَ الناس عن رسول الله بقیة يوم الاثنين حتى عصر الثلاثاء:

أولا: بخطب السقيفة.

ثم: بيعة أبي بكر الأولى ثم بيعته العامة وخطبته وخطبة عمر حتى صلى

٣٣

قالوا: (فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله يوم الثلاثاء) (٤٠). (ثم دخل الناس يصلون عليه) (٤١). (وصلى على رسول الله بغير

(٣٨) ابن هشام، ٣٤٠/٤. والطبري، ٢٠٣/٣ (وط. أوربا ١/١٨٢٩). وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢٣٤/٢. والرياض النضرة ١٦٧/١. وأبن كثير ٢٤٨/٥. والسوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٧. وكنز العمال ١٢٩/٣، ح ٢٢٥٣. والحليّة ٣٩٧/٣. وذكر البخاري في صحيحه ص ١٦٥ من ج ٤ كتاب البيعة عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير.

ومن ذكر خطبة أبي بكر فقط، أبو بكر الجوهري في كتابه: السقيفة، حسب رواية ابن أبي الحديد عنه، ١٣٤/١. وصفوة الصفوة ٩٨/١.

(٣٩) طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨/٢، ط. ليدن.

(٤٠) سيرة ابن هشام ٣٤٣/٤. والطبري: ٤٥٠/٢ (وط. أوربا ١/١٨٣٠). وأبن الأثير ١٢٦/٢. وأبن كثير ٢٤٨/٥. والحليّة ٣٩٢/٣ و٣٩٤. وهذا الأخير لم يعين اليوم الذي أنهوا فيه من بيعة أبي بكر وأقبلوا على جهاز رسول الله.

(٤١) ابن هشام ٣٤٣/٤.

إمام. يدخل عليه المسلمون زُمرًا زُمرًا يصلُّون عليه^(١٢).

دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه

(وَيُوضَعُ رسول الله في قبره هؤلاء الرهط الذين غسلوه: العباس، وعليّ والفضل وصالح مولاة. وتخلّى أصحاب رسول الله بين رسول الله وأهله، فقلوا إجنانه)^(١٣).

(ودخل القبر عليّ، والفضل وقثم أبنا العباس، وشقران مولاة - ويقال: أسامة بن زيد - وهم تولّوا غسله وتكفينه وأمره كلّه)^(١٤). (وإنّ أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبيّ)^(١٥).

وقالت عائشة: (ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء)^(١٦).

(ولم يله إلاّ أقاربه ولقد سمعتُ بنو غنم صرّيف المساحي حين حضر ولأنهم لقي بيوتهم)^(١٧).

-
- ٤٢) طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٠. والكمال لابن الأثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ.
٤٣) النصف لابن سعد في الطبقات ٢/٢ ق ٧٠. وفي البدء والتاريخ قريب منه، وكنز العمال ٥٤/٤ ٦٠ وهذه عبارته: (ولي دفنه وإجنانه أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردناه.
٤٤) العقد الفريد ٦١/٣. وقريب منه نصف الذهبي في تاريخه ١/٣٢١ و٣٢٤ و٣٢٦.
٤٥) كنز العمال ١٤٠/٣.

٤٦) ابن هاشم ٤/٣٤٤. والطبري: ٢/٤٥٢ و٤٥٥ (وط. أوروبا ١/١٨٣٣ و١٨٣٧).
وآبن كثير ٥/٢٧٠. وآبن الأثير في أسد الغابة ١/٣٤، في ترجمة الرسول. وقد جاء في روايات أخرى أنّ سماعهم صرّيف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨. وتاريخ الخميس ١/١٩١. والذهبي في تاريخه ١/٣٢٧، والأصحّ أن ذلك كان ليلة الأربعاء. وفي مسند أحمد ٦/٦٢: في آخر ليلة الأربعاء، وفي ص ٢٤٢ منه وص ٢٧٤: (ما علمنا أين يدفن حتّى سمعنا...).

٤٧) طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨.

وقال شيوخ الأنصار من بني عُثْم: (سمعنا صوت المساحي آخر الليل)^(٤٨).

بعد دفن الرسول (ص)

اندحر سعد ومرشحوه، وبقي عليّ وجماعته - بعد أن أصبحوا أقلية - يتناحرون وحزب أبي بكر الظافر وكلّ يجتهد في جلب الأنصار لحوزته. قال الزبير بن بكار في الموفقيات: لما بويع أبو بكر وأستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولائم بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ بن أبي طالب وهتفوا بأسمه^(٤٩).

قال اليعقوبي^(٥٠):

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع عليّ بن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو^(٥١)، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري،

(٤٨) طبقات ابن سعد ٢ / ٢٢٠ / ٧٨.

(٤٩) الموفقيات ص ٥٨٣.

(٥٠) في تاريخه ٢ / ١٢٤ - ١٢٥. والسقيفة لأبي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣ / ٢، والتفصيل في ٧٤ / ١ منه. ويلفظ قريب منه في الإمامة والسياسة ١٤ / ١.

(٥١) المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهري. أصاب دماً في قومه، فلحق بخضر مئوت، فحالف كندة، وتزوج امرأة، فولدت له المقداد. فلما كبر المقداد، وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي، فغضب رجله بالسيف، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري قتيلاً الأسود، فصار يقال له: المقداد بن الأسود الكندي. فلما نزلت: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الأحزاب / ٥. قيل له: المقداد بن عمرو.

وقال الرسول: ﴿إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم﴾ فقبل: من هم؟ فقال: «عليّ والمقداد وسلمان وأبو ذر». توفي سنة ٣٣ هـ. الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٣٤ / ٣. والإصابة ٤٣٣ / ٣ - ٤٣٤.

وعُمَار بن ياسر، والبراء بن عازب^(٥٢)، وأبي بن كعب^(٥٣)، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة . فقال : ما الرأي ؟

قالوا^(٥٤) : الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب (وتكون لكما حجة)^(٥٥) على علي إذا مال معكم .

فأطلق أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، والمغيرة، حتى دخلوا على العباس ليلاً^(٥٦)، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال :

إن الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً . فمن عليهم بكونه بين أظهرهم حتى آختر له ما عنده ، فخلّى على الناس أمورهم^(٥٧) ليختروا لأنفسهم في

٥٢) أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي : كان ممن استصغره الرسول يوم بدر وروّاه . وغزاه مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع عليّ الجمل وصفين والنهروان . سكن الكوفة وأبنتى بها داراً وتوفي بها في إمارة مصعب بن الزبير . الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ١٤٣ - ١٤٤ . والإصابة ١/ ١٤٦ .

٥٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار : وهو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الحزرج الأكبر . شهد العقبة الثانية وبايع النبي فيها وشهد بدرًا وما بعدها ، وكان من كتاب النبي . مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان . الاستيعاب ١/ ٢٧ - ٣٠ . والإصابة ١/ ٣١ - ٣٢ .

٥٤) في نصّ الجوهري أن قاتل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة ، وهذا هو الأقرب إلى الصواب .

٥٥) هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة ١/ ١٤ .

٥٦) في رواية أبين أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبي .

٥٧) إن ضمير (هم) موجود في رواية أبين أبي الحديد .

مصلحتهم مشفقين^(٥٨) فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً. فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً، ولا حيرة، ولا جُبناً، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وما أنفك يبلغني عن طاعن بقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأً، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عما مالوا إليه. ولقد جئتكم ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنتَ عمّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدلوا الأمر عنكم)^(٥٩) على رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: وأخرى إننا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم!

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن على أمته به، حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبيين الحق لا مائلين بزيغ الهوى. فإن كنتَ برسول الله طلبتَ، فحققتَ أخذتَ، وإن كنتَ بالمؤمنين أخذتَ فتحن منهم. فما تقدّمنا في أمرك فرطاً، ولا خللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين. ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك أنهم اختاروك ومالوا إليك؛ وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّي على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك. فأما ما قلت: إنك تجعله له، فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن

(٥٨) في نسخة الإمامة والسياسة وأبن أبي الحديد ٧٤/١: (متفقين) وهو الأشبه بالصواب.

(٥٩) الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد والإمامة والسياسة.

تَحْكَمُ^(١١) فِيهِ، وَإِنْ كَانَ لَنَا فَلَمْ نَرْضَ بِبَعْضِهِ دُونَ بَعْضٍ وَعَلَى رِسَالِكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ شَجَرَةٍ نَحْنُ أَغْصَانُهَا وَأَنْتُمْ جِيرَانُهَا. فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ.

التَّحْصُنُ بِدَارِ فَاطِمَةَ (ع)

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: (وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنَّ عَلِيًّا وَالزَّبِيرَ وَمَنْ مَعَهُمَا تَخَلَّفُوا عَنَّا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ)^(١٢).

وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي عِدَادِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَتَحْصُنُ بِدَارِ فَاطِمَةَ مَعَ عَلِيٍّ وَالزَّبِيرِ كَلَّامًا مِنْ:

- ١) الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.
- ٢) عَتَبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ.
- ٣) سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ.
- ٤) أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ.
- ٥) عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ.
- ٦) الْمُقَدِّدُ بْنُ الْأَسَدِ.
- ٧) الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ.
- ٨) أَبِي بَنْ كَعْبٍ.
- ٩) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ^(١٣).
- ١٠) طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ.

وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَجَمْعٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ^(١٤).

٦٠) فِي نَسْخَةِ الْجَوْهَرِيِّ وَالْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ: فَإِنْ يَكُنْ حَقًّا لَكَ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ.

٦١) مُسْنَدُ أَحْمَدَ ٥٥/١، وَالطَّبْرِيِّ ٤٦٦/٢ (ط). أَوْرِبَا ١٨٢٢/١. وَأَبْنُ الْأَثِيرِ

١٢٤/٢. وَأَبْنُ كَثِيرٍ ٢٤٦/٥. وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ ٩٧/١. وَأَبْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١٢٣/١، وَتَارِيخُ

السَّيُوطِيِّ فِي مَبَايِعَةِ أَبِي بَكْرٍ ص ٤٥، وَأَبْنُ هِشَامٍ ٣٣٨/٤، وَتَسْيِيرُ الْوُصُولِ ٤١/٢.

٦٢) أَبُو اسْحَقَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَاسْمُ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكُ بْنُ أَهْبَبٍ بْنُ عِدِّ مَنَافٍ بْنُ

زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ الْقُرَيْشِيِّ، وَكَانَ سَابِعَ سَبْعَةِ سَبْقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ. شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، وَهُوَ أَوَّلُ

مَنْ رَمَى بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ رَأْسَ مَنْ فَتَحَ الْعِرَاقَ وَكَوْفَ الْكُوفَةِ، وَوَلِيَهَا لِعُمَرَ وَعَيْنُهُ فِي

السَّنَةِ أَصْحَابُ الشُّورَى، وَأَعْتَزَلَ النَّاسَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ. وَمَاتَ بِمَسْكَنَةِ فِي الْعَقِيقِ فِي خِلَافَةِ

مَعَاوِيَةَ، وَجُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ. الْاِسْتِيعَابُ ١٨/٢ - ٢٥. وَالْإِصَابَةُ ٣١/٢ - ٣٢.

٦٣) صَرَّحَتْ الْمَصَادِرُ الْأَتِيَّةُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَصَادِرِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا قَدْ تَخَلَّفُوا عَنْ

وقد تواتر حديث تخلف عليّ ومن معه عن بيعة أبي بكر وتحصّنهم بدار فاطمة في كتب السير، والتواريخ، والصّحاح والمسانيد، والأدب، والكلام، والتراجم، غير أنهم لما كرهوا ما جرى بين المتحصّنين والحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلّا ما ورد ذكره عفوّاً. ومن ذلك ما رواه البلاذري وقال: بعث أبو بكر عمر بن الخطّاب إلى عليّ - رضي الله عنهم - حين قعد عن بيعته وقال: اتّني به بأعنف العنف. فلما أتاه جرى بينها كلام، فقال: أحلب حلباً لك شطره؛ والله ما حرصك على إمارته اليوم إلّا ليؤثرك غداً - الحديث^(٦٤).

قال أبو بكر في مرض موته: (أما إنّ لا آسي على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتھنّ، وددت أنّي تركتھنّ - إلى قوله -: فأما الثلاث التي فعلتها فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب)^(٦٥).

وفي البعقوبي: (وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال

بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة. ومن هذه المصادر ما ذكرت أسم بعضهم وأنهم اجتمعوا ليبياعوا عليّاً. الرياض النضرة ١٦٧/١. وتاريخ الخميس ١٨٨/١. وأبن عبد ربه ٦٤/٣. وتاريخ أبي الفداء ١٥٦/١. وأبن شحنة بهامش الكامل ١١٢. والجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣٠/١ - ١٣٤. والخلية ٣٩٤ و٣٩٧. ٦٤) أنساب الأشراف ٥٨٧/١.

٦٥) الطبري ٦١٩/٢ (وط. أوربا ٢١٤٠/١) عند ذكره وفاة أبي بكر. ومُروج الذهب ٤١٤/١، وأبن عبد ربه ٦٩/٣ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر. والكنز ١٣٥/٣. وستخب الكنز ١٧١/٢. والإمامة والسياسة ١٨/١، والكامل للمُعزّ حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣٠/١ - ١٣١. وقد ذكر أبو عُبيد في الأموال ص ١٣١ قول أبي بكر هكذا: (أما الثلاث التي فعلتها فوددت أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا - لحلة ذكرها - قال أبو عُبيد: لا أريد ذكرها). انتهى. وأبو بكر الجوهري برواية النهج ١٣٠/٩. ولسان الميزان ١٨٩/٤. وراجع ترجمة أبي بكر في ابن عساکر ورمّة الزمان لسبط ابن الجوزي. وتاريخ الذهبي ٣٨٨/١.

ولو كان أغلق على حرب^(٦٦).

وقد عدّ المؤرخون في الرجال الذين أدخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلاً من:

- | | |
|------------------------------------|--|
| (١) عمر بن الخطاب . | (٢) خالد بن الوليد ^(٦٧) . |
| (٣) عبد الرحمن بن عوف . | (٤) ثابت بن قيس بن شماس ^(٦٨) . |
| (٥) زياد بن ليلى ^(٦٩) . | (٦) محمد بن مسلمة ^(٧٠) . |
| (٧) زيد بن ثابت ^(٧١) . | (٨) سلمة بن سلامة بن وقش ^(٧٢) . |

٦٦ تاريخ المعقبين ١١٥/٢ .

٦٧ أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، وأمه: لبابة بنت الحارث بن الخزيم الهلالية أخت ميمونة زوجة النبي، وكانت إليه أخته الخليل في الجاهلية. هاجر بعد الحديبية وشهد فتح مكة، وأمره أبو بكر على الجيوش، وكان يقال له: سيف الله، وتوفي بجمص أو بالمدينة سنة ٢١ أو ٢٢ هـ. الاستيعاب ٤٠٥/١ - ٤٠٨.

٦٨ ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن أمية القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد أحدًا وما بعدها، وقتل مع خالد في اليمامة. الاستيعاب ١٩٣/١. والإصابة ١٩٧/١.

٦٩ زياد بن ليلى بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الأنصاري من بني بياضة بن عامر بن زريق، مهاجري أنصاري: خرج إلى رسول الله بمكة وأقام معه حتى هاجر معه إلى المدينة. شهد العقبة ويدرأ وما بعدها. مات أول خلافة معاوية. الاستيعاب ٥٤٥/١. والإصابة ٥٤٠/١. في نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط (بياضة).

٧٠ محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: شهد بدرًا وما بعدها، وكان ممن لم يبيع علي بن أبي طالب ولم يشهد معه حروبه، وتوفي سنة ٤٣ أو ٤٦ أو ٤٧ هـ. الاستيعاب ٣١٥/٣. والإصابة ٣٦٣ - ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٤١.

٧١ راجع أنساب الأشراف ٥٨٥/١.

٧٢ أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري، وأمه: سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدي الأنصارية. شهد العقبة الأولى والأخيرة، ثم شهد

(٩) سلمة بن أسلم^(٧٣). (١٠) أسيد بن حضير^(٧٤).

وقد ذكروا في كيفية كشف بيت فاطمة وما جرى للمتحصنين وهؤلاء الرجال وقالوا:

إنه (غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي طالب والزبير، فدخلوا بيت فاطمة ومعها السلاح)^(٧٥)، (فبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله)^(٧٦) (وانهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً)^(٧٧).

فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل يقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا أبا الخطاب أجت لتحرق دارنا؟! قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه

بدرأ وما بعدها. توفي بالمدينة سنة ٤٥ هـ. الاستيعاب ٨٤/٢. والإصابة ٦٣/٢.
(٧٣) أبو سعيد، سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري. شهد بدرأ وما بعدها، وقتل يوم جسر أبي عبيد سنة ١٤ هـ. الاستيعاب، الترجمة رقم ٢٤٥٥، ٨٣/٢، والإصابة ٦١/٢.
(٧٤) الطبري ٤٤٣/٢ و٤٤٤، وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣٠/١ - ١٣٤، ١١٩/٢.
وأسيد بن حضير، مَرَّتْ ترجمته في الهامش رقم (١٦) من هذا البحث.

(٧٥) الرياض النضرة ٢١٨/١ ط. مصر الثانية سنة ١٣٧٢. وأبو بكر الجوهري برواية أبي ابن الحديد ١٣٢/١، و٢٩٣/٦، وتاريخ الخميس ١٦٩/٢ ط. مؤسسة شعبان - بيروت (ب. ت.).

(٧٦) يعقوبي ١٢٦/٢.

(٧٧) ابن أبي الحديد ١٣٤/١، وابن شحنة بهامش الكامل ١١٣/١١ بلفظ: «ومالوا مع علي بن أبي طالب».

وفي أنساب الأشراف:

فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطأب أترأك محرقاً علي بابي؟ قال: نعم... (٧٩).

وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير فيما جرى له مع (بني هاشم وخصره إياهم في الشعب وجمعه الخطب لإحراقهم... ليدخلوا في طاعته كما أذهب بنو هاشم وجمع لهم الخطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف)^(٨٠) يعني ما سلف لبني هاشم من قضية الخطب والنار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر.

وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وقولاً لعل قالمها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقى عليك بها إن لم تبائع وبت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يقوه بها أمام فارس عدنان وحاميتها^(٨١)
وقال اليعقوبي:

فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار - إلى قوله -: وكسر سيفه - أي

(٧٨) ابن عبد ربه، ٦٤/٣، وأبوالفداء ١٥٦/١.

(٧٩) أنساب الأشراف ٥٨٦/١. وراجع كنز العمال ١٤٠/٣. والرياض النضرة، ١٦٧/١، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد، ١٣٢/١، وج ٦ في الصفحة الثانية منه، والخميس ١٧٨/١، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١٣٤/١، وتاريخ ابن شحنة ص ١١٣ بهامش الكامل ١١٣/١١.

(٨٠) مروج الذهب ١٠٠/١. وأورده ابن أبي الحديد ٤٨١/٢٠ ط. إيران، عند شرحه قول علي (ع): «الزبير منا حتى نشأ أبته».

(٨١) ديوان حافظ إبراهيم ط. المصرية.

سيف عليّ - ودخلوا الدار^(٨٢).

وقال الطبري :

أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه^(٨٣).

وقال أبو بكر الجوهري :

وعليّ يقول : «أنا عبد الله وأخو رسول الله» حتى آنتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له : بايع، فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، وأحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما أحتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، وأعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع. فقال له علي: إحلب يا عمر حليباً لك شطره؛ اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً. لا والله، لا أقبل قولك ولا أتابعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك.

فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنك حدث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً له وأضطلاعاً به، فسلم له هذا الأمر وأرض

(٨٢) اليعقوبي ١٢٦/٢.

(٨٣) الطبري ٤٤٣/٢ و ٤٤٤ و ٤٤٦ (وط. أوروبا ١/١٨١٨ و ١٨٢٠ و ١٨٢٢) وقد أورده العقاد في عبقرية عمر ص ١٧٣. وذكر كسر سيف الزبير المحب الطبري في الرياض النضرة ١٦٧/١ والخميس ١٨٨/١. وآبن أبي الحديد ١٢٢/١ و ١٣٢ و ١٣٤ و ٥٨، و ٢/٢ - ٥. وكثر المعال ١٢٨/٣.

به ؛ فإنك إن تعش ويطل عمرك فانت لهذا الأمر لخليق وعليه حقيق في فضلك وقربتك وسابقتك وجهادك .

فقال عليّ : يا معشر المهاجرين ، الله الله ، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه . فوالله يا معشر المهاجرين ، لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه لدين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ؟ والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً .

فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك آثان ، ولكنهم قد بايعوا . وأنصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع . رواه أبو بكر الجوهري كما في شرح النهج ٢ / ٢ - ٥ . وروى أبو بكر الجوهري أيضاً وقال :

ورأت فاطمة ما صنع بهما - أي بعليّ والزبير - فقامت على باب الحجرة وقالت : يا أبا بكر ، ما أسرع ما أغرمت على أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله ^(٨٤) .

وفي رواية أخرى :

وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فنهت من الناس ^(٨٥) .

وقال اليعقوبي :

فخرجت فاطمة ، فقالت : والله لتخرجن أو لاكشفن شعري ولاعجنن إلى الله . فخرجوا وخرج من كان في الدار ^(٨٦) .

وقال المسعودي :

(٨٤) برواية ابن أبي الحديد ١ / ١٣٤ ، و ٢ / ٥ .

(٨٥) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١ / ١٣٤ .

(٨٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٦ .

لَمَّا بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَجَدَتْ لَهُ الْبَيْعَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، خَرَجَ عَلَيَّ
فَقَالَ: أَفْسَدْتُ عَلَيْنَا أُمُورَنَا وَلَمْ تَسْتَشِرْ وَلَمْ تَرْعَ لَنَا حَقًّا
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْفِتْنَةَ^(٨٧).

وَقَالَ الْيَعْقُوبِيُّ:

وَأَجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: اغْدُوا
عَلَيَّ مَحْلُقِينَ الرُّؤُوسَ. فَلَمْ يَغْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ نَفَرًا^(٨٨).

ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا حَمَلَ فَاطِمَةَ عَلَى حِمَارٍ، وَسَارَ بِهَا لَيْلًا إِلَى بَيْوتِ الْأَنْصَارِ يَسْأَلُهُمُ
النَّصْرَةَ، وَتَسْأَلُهُمْ فَاطِمَةُ الْأَنْتِصَارَ لَهُ؛ فَكَانُوا يَقُولُونَ:

يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدْ مَضَتْ بَيْعَتُنَا لِهَذَا الرَّجُلِ، وَلَوْ كَانَ أَبْنَى عَمِّكَ سَبَقَ
إِلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَفَكُنْتُ أَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) مَيْتًا فِي بَيْتِهِ لَمْ أَجْهَزه وَأُخْرِجْ إِلَى النَّاسِ
أَنَازَعَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ؟ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ:

مَا صَنَعَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ، وَلَقَدْ صَنَعُوا مَا اللَّهُ حَسِبُهُمْ
عَلَيْهِ^(٨٩).

وَلَقَدْ أَشَارَ مُعَاوِيَةُ إِلَى هَذَا وَإِلَى مَا نَقَلْنَاهُ عَنِ الْيَعْقُوبِيِّ قَبْلَهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى
عَلِيٍّ:

وَأَهْهَذَا أَمْسَ تَحْمِلُ قَعِيدَةَ بَيْتِكَ لَيْلًا عَلَى حِمَارٍ وَيَدَاكَ فِي يَدَيِ ابْنِكَ
الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ يَوْمَ بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ، فَلَمْ تَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ
وَالسُّوَابِقِ إِلَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَى نَفْسِكَ، وَمَشِيتَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرَانِكَ، وَأَدْلَلْتَ إِلَيْهِمْ

(٨٧) مروج الذهب ١/١٤٤. والإمامة والسياسة ١/١٢ - ١٤ مع اختلاف.

(٨٨) تاريخ يعقوبي ٢/١٢٦، وفي شرح النهج ٤/٢.

(٨٩) أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ٥/٦ - ٢٨، ط. المصرية
وآبن قتيبة ١/١٢.

بأبيك، وأستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت عمقاً لأجابوك، ولكنك أدعيت باطلاً، وقلت ما لا يعرف، ورمت ما لا يدرك. ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيحك: لو وجدت أربعين دوي عزم منهم لناهضت القوم^(٩٠).

وروى مُعَمَّر عن الزُّهري عن أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عائشة في حديثها عما جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبي (ص) قالت:

فهِجَرْتُهُ فَاطِمَةَ، فَلَمْ تُكَلِّمَهُ حَتَّى تُتَوَفَّيْتُ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ (ص) سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلَمَّا تُوتِيَتْ دَفَنَهَا زَوْجَهَا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا. وَكَانَ لَعَلِّي مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تُوتِيَتْ فَاطِمَةَ أَنْصَرَفْتُ وَجْهَهُ النَّاسِ عَنْ عَلِيٍّ. وَمَكَّثَتْ فَاطِمَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ثُمَّ تُوتِيَتْ. قَالَ مُعَمَّرُ:

فَقَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ: أَفَلَمْ يَبَايِعْهُ عَلِيٌّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ؟

قَالَ: لَا^(٩١)، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَتَّى بَايَعَهُ عَلِيٌّ. فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ انْصِرَافَ وَجْهَهُ النَّاسِ عَنْهُ ضَرَعَ إِلَى مَصَالِحَةِ أَبِي بَكْرٍ - الْحَدِيثُ^(٩٢).

(٩٠) ابن أبي الحديد ٦٧/٢. وصَفَيْنَ لِنَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ ص ١٨٢.

(٩١) في تيسير الوصول ٤٦/٢: (قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم).

(٩٢) قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كُلِّ مِنَ السُّطُورِ ٤٤٨/٢ (وط). أوروبا ١٨٢٥/١. وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣٨/٣. وصحيح مسلم ٧٢/١، ١٥٣/٥، باب قول رسول الله: «نحن لا نورث؛ ما تركناه صدقة»، وأبن كثير ٢٨٥/٥ - ٢٨٦، وآبن عبيد رثه ٦٤/٣. وقد أوردته آبن الأثير ١٢٦/٢ مختصراً. والكنجي في كفاية الطالب ص ٢٢٥ - ٢٢٦. وآبن أبي الحديد ١٢٢/١. والمسعودي ٤١٤/٢ من مروج الذهب. وفي التنبه والإشراف له ص ٢٥٠: (ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة). والصواعق ١٢/١. وتاريخ الخميس ١٩٣/١. وفي الإمامة والسياسة ١٤/١: أن بيعة علي كانت بعد وفاة فاطمة وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً. وفي الاستيعاب بهامش الإصابة ٢٤٤/٢: أن علياً لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة. وأبو الفداء ١٥٦/١. والبدء والتاريخ ٦٦/٥. وأنساب الأشراف

وقال البلاذري :

لَمَّا آرْتَدَّتِ العرب، مَشَى عُثْمَانُ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: يَا أَبْنِ عَمٍّ، أَنَّهُ لَا يُخْرِجُ أَحَدًا إِلَى قِتَالِ هَذَا الْعَدُوِّ، وَأَنْتَ لَمْ تَبَايَعْ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَشَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ. فَسُرُّ الْمُسْلِمُونَ، وَجَدَّ النَّاسُ فِي الْقِتَالِ وَقَطَعَتِ الْبُعُوثُ^(٩٣).

ضَرَعَ عَلِيٌّ إِلَى مَصَالِحَةِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ وَفَاةِ فَاطِمَةَ وَأَنْصَرَفَ وَجْهَ النَّاسِ عَنْهُ، غَيْرَ أَنَّهُ بَقِيَ يَشْكُو مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ حَتَّى فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ. وَذَكَرَ شَكْوَاهُ فِي خُطْبَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِالشَّقِيقَةِ الَّتِي سَنُورِدُهَا فِي آخِرِ هَذَا الْبَابِ.

من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر

أ - فروة بن عمرو

قال الزبير بن بكار في الموفقيات: (كان فروة بن عمرو عن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله (ص) وقاد فرسين في سبيل الله. وكان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام، وكان سيّداً. وهو من أصحاب عليّ، وعن شهد معه يوم الجمل).

وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الأنصار الذين ساعدوا أبا بكر في بيعته^(٩٤).

٥٨٦/١. وفي أسد الغابة ط. الشعب القاهرة ٣/٣٣٢ بترجمة أبي بكر: (كانت بيعتهم بعد ستة أشهر على الأصح). وقال اليعقوبي ٢/١٢٦ (لم يبايع عليّ إلا بعد ستة أشهر)، وفي الغدير ٣/١٠٢ عن الفصل لابن حزم ص ٩٦ - ٩٧ «وجدنا عليّاً رضي الله عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر».

٩٣) أنساب الأشراف ١/٥٨٧.

٩٤) الموفقيات ص ٥٩٠.

وفروة بن عمرو الأنصاري البياضي: شهد العقبة ويدراً وما بعدهما مع رسول الله (ص): أسد الغابة ٤/١٧٨.

ب - خالد بن سعيد الأموي

كان عاملاً لرسول الله على صنعاء اليمن (فلما مات رسول الله رجع هو وأخوه أبان وعمر عن عمالتهم، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتن عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله (ص)، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أحيحة، لا نعمل لأحد بعد رسول الله) (٩٥).

وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبي هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبو الثمر نحن نتبع لكم (٩٦).

و(ترى ببيعته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله (ص) ثم لم يعزلني حتى قبضه الله، وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فقال: يا بني عبد مناف، لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم، فأما أبو بكر فلم يحفلها عليه، وأما عمر فأضطعنها عليه) (٩٧).

(وأتى علياً فقال: هلم أبيابك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك) (٩٨)، (فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد) (٩٩).

٩٥ خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس: أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٨: (أسلم قبل إسلام أبي بكر). وأبن أبي الحديد ١٣/٢. وكان ممن هاجر إلى الحبشة واستعمله رسول الله مع أخويه على صدقات ملحق. واستعمله على صنعاء اليمن. ثم رجعوا بعد وفاة النبي ثم مضوا جميعاً إلى الشام فقتلوا هناك، وأشهد خالد بأجنادين يوم السبت لليلتين بقينا من جمادى الأولى سنة ١٣هـ. الاستيعاب ٣٩٨/١ - ٤٠٠. والإصابة ٤٠٦/١. وأسد الغابة ٨٢/٢. وراجع ابن أبي الحديد ١٣/٦ و١٦.

٩٦ أسد الغابة ٨٢/٢، وأبن أبي الحديد ١٣٥/٢، ط. المصرية الأولى.

٩٧ الطبري ٥٨٦/٢ (ط. أوروبا ٢٠٧٩/١). وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٥١/٥. وفي أنساب الأشراف ٥٨٨/١ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

٩٨ اليعقوبي ١٢٦/٢.

٩٩ أسد الغابة ٨٢/٢. وراجع تفصيل ذلك في ابن أبي الحديد ١٣٥/١ نقلاً عن سقفة

(ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام وكان أول من استعمل على ربيع منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال؟! فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وأمر يزيد بن أبي سفيان^(١٠٠))

ج - سعد بن عباد^(١٠١).

(ذكروا إنَّ سعداً ترك آيماً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع. فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بها في كنانتي من نبل وأخضب سنان رعي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل. وأيم الله لو أنَّ الجنَّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي^(١٠٢)).

فلما أتى أبو بكر بذلك، قال عمر: لا تدعه حتى يبايع. فقال له بشير بن سعد: إنه قد لجأ وأبى، وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فأتروكه فليس

أبي بكر الجوهري.

(١٠٠) الطبري ٥٨٦/٢ (وط. أوروبا ٢٠٧٩). وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥١/٥.

وفي أنساب الأشراف ٥٨٨/١ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

(١٠١) سعد بن عباد بن قُليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد العقبة ومغازي رسول الله عداً بدر، فإنه اختلف في أنه هل شهدا أم لم يشهدا. كان جواداً سخياً، وكانت راية الأنصار بيده يوم الفتح، ولما نادى: (اليوم يوم الملحمة اليوم تسمى الحزومة) نزع رسول الله اللواء منه وأعطاه لابنه قيس. ولم يبايع أبا بكر حتى قتل بسهمين في الشام سنة ١٥ هـ ودفن بحوارين، نسبة في جمهرة ابن حزم ص ٦٥. ونخبره في الاستيعاب ٢٣/٢ - ٣٧. والإصابة ٢٧/٢ - ٢٨.

(١٠٢) الطبري ٤٥٩/٣. وآبن الأثير ١٢٦/٢. أورد الرواية إلى: فأتروكه. وكثر الحال ١٣٤/٣، ح ٢٢٩٦. والإمامة والسياسة ١٠/١، والسيرة الحلبية ٣٩٧/٤، بعده: (لا يسلم على من لقي منهم). والطبري ط. أوروبا ١٨٤٤/١.

تركه بضاركم، إنما هو رجل واحد.

فتركوه وقيلوا مشورة بشر بن سعد، وأستصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم - إلخ. (فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر^(١٠٣)). ولما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة.

فقال له: إيه يا سعد؟

فقال له: إيه يا عمر؟

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سعد: نعم، أنا ذلك، وقد أفضى إليك هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك وقد أصبحت والله كارهاً لجوارك. فقال عمر: من كره جوار جار تحول عنه.

فقال سعد: ما أنا غير مستسرّ بذلك، وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك.

فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج إلى الشام في أول خلافة عمر - إلخ^(١٠٤). وفي رواية البلاذري: أن سعد بن عباد لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام فبعث عمر رجلاً وقال: أدعه إلى البيعة وأحتل له، فإن أبى فاستعن الله عليه. فقدم الرجل الشام فوجد سعداً في حائط بحوارين^(١٠٥) فدعاه إلى البيعة. فقال: لا أبايع قريشاً أبداً. قال: فإني أقاتلك.

١٠٣) الرياض النضرة ١/١٦٨، مضافاً إلى سائر المصادر.

١٠٤) طبقات ابن سعد ٣/٢٠٣/١٤٥. وابن عساكر ٦/٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه،

وكتز العمال ٣/١٣٤، برقم ٢٢٩٦. والخلبية ٣/٣٩٧.

١٠٥) من قرى حلب معروفة. معجم البلدان.

قال : وإن قاتلني .

قال : أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة؟

قال : أما من البيعة فلنأخارج . فرماه بسهم فقتله^(١٠٦) .

وفي تبصرة العوام : أنهم أرسلوا محمد بن مسلمة الأنصاري فرماه بسهم .

وقيل : إن خالداً كان في الشام يومذاك ، فأعانه على ذلك^(١٠٧) .

قال المسعودي : (وخرج سعد بن عباد ولم يبايع ، فصار إلى الشام فقتل

هناك سنة ١٥هـ)^(١٠٨) .

وفي رواية ابن عبد ربه : (رمي سعد بن عباد بسهم فوجد دفناً في جسده

فمات ، فبكته الجن فقالت :

وقتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد

ورميناه بسهمين فلم نُخطئ فؤاده^(١٠٩) .

وروى ابن سعد : (أنه جلس يسول في نفق فاقْتَبَلَ فمات من ساعته

ووجدوه قد أخضر جلدته)^(١١٠) .

وفي اسد الغابة^(١١١) : (لم يبايع سعد أبا بكر ولا عمر ، وسار إلى الشام

فأقام بحوران إلى أن مات سنة ١٥هـ ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً على مقتله وقد

أخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول من ير ولا يرون

أحداً . . . إلخ .

(١٠٦) أنساب الأشراف ٥٨٩/١ . والعقد الفريد ٦٤/٣ - ٦٥ باختلاف سير .

(١٠٧) تبصرة العوام ط . المجلس بطهران ص ٣٢ .

(١٠٨) مروج الذهب ٣٠١/٢ و ٣٠٤ .

(١٠٩) العقد الفريد ٣٥٩/٤ - ٣٦٠ .

(١١٠) الطبقات ٣/١٤٥ . وأبو حنيفة الدينوري في المعارف ص ١١٣ .

(١١١) في ترجمة سعد . والاستيعاب ٣٧/٢ .

هكذا أنتهت حياة سعد بن عبادة. ولما كان قتل سعد بن عبادة من الحوادث التي كره المؤرخون وقوعها، أغفل جمع منهم ذكرها^(١١٢) وأهمل قسم منهم بيان كفيتهما ونسبوها إلى الجن^(١١٣)، غير أنهم لم يكشفوا عن منشأ العداء بين الجن وسعد بن عبادة، ولماذا فوّت سهمها إلى فؤاد سعد دون سائر الصحابة، فلو أنهم أكملوا الأسطورة وقالوا: إن صلحاء الجن كرهت امتناع سعد عن البيعة فرمته بسهمين فما أخطأ فؤاده لكانت أسطورتهم تامة.

من روى أن سعداً لم يبايع :

(١) ابن سعد في الطبقات. (٢) ابن جرير في تاريخه. (٣) البلاذري في ج ١ من أنسابه. (٤) ابن عبد البر في الاستيعاب. (٥) ابن عبد ربه في العقد الفريد. (٦) ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ٩/١. (٧) المسعودي في مروج الذهب. (٨) ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢٨/٢. (٩) محب الدين الطبري في الرياض النضرة ١٦٨/١. (١٠) ابن الأثير في أسد الغابة ٢٢٢/٣. (١١) تاريخ الخميس. (١٢) علي بن برهان الدين في السيرة الحلبية ٣٩٦/٣، ٣٩٧. (١٣) أبو بكر الجوهري، برواية ابن أبي الحديد عنه.

كان ما ذكرناه خلاصة من خبر استخلاف أبي بكر وبيعته، أوردناه ملخصاً من كتاب عبد الله بن سبأ الجزء الأول.
وفي ما يلي خبر استخلاف عمر وبيعته.

(١١٢) كابن جرير وابن كثير وابن الأثير في تواريخهم.

(١١٣) كمحب الدين الطبري في الرياض النضرة. وابن عبد البر في الاستيعاب.

استخلاف عمر وبيعه

دعا أبو بكر عثمان خالياً^(١١٤) فقال:

أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد.

قال: ثم أغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان:

أما بعد فإني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أقتلت نفسي في غشيتي؟ قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرها أبو بكر (رض) من هذا الموضع.

وذكر قبل ذلك عن عمر أنه كان جالساً والناس معه ويده جريدة ومعه شديد مولى لأبي بكر معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر، وعمر يقول: (أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول إنني لم ألكم نصحاً)^(١١٥).

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا وموقفه من كتابة وصية الرسول (ص)؟!

الشورى وبيعة عثمان

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد:

لما طعن الخليفة عمر قيل له: لو استخلفت. فقال:

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته،

(١١٤) دعاه خالياً: انفرد به في خلوة.

(١١٥) تاريخ الطبري ط. أوديا ٢١٣٨/١.

فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إن سالم ليحبّ الله حبّاً لو لم يخف الله ما عصاه^(١١٦).

وإنهم قالوا له: يا أمير المؤمنين، لو عهدت. فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أؤيّي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ - ثمّ رأيت أن لا أحمّلها حيّاً وميتاً. . . إلخ.

وروى البلاذري في أنساب الأشراف^(١١٧) قال عمر: أدعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. فلم يكلم أحداً منهم غير عليّ وعثمان، فقال: يا عليّ، لعلّ هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النّبيّ (ص) وصهرك وما أنالك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الأمر فاتّق الله فيه. ثمّ دعا عثمان وقال: يا عثمان، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنّك، فإن وليت هذا الأمر فاتّق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب النّاس. ثمّ قال: ادعوا لي صهيباً فدعني، فقال: صلّ بالنّاس ثلاثاً، وليخل هؤلاء النّصر في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلما خرجوا من عند عمر قال: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق^(١١٨).

وفي الرّياض النّضرة ط ٢ بمصر ١٣٧٣هـ، ٩٥/٢:

(لله درهم إن ولّوها الأصيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن كان السيف على عنقه. قال محمّد بن كعب: فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه؟ فقال: إن تركتهم فقد تركهم من هو خير مني).

(١١٦) العقد الفريد ٤/٢٧٤، أوردناه ملخصاً.

(١١٧) أنساب الأشراف ٥/١٦.

(١١٨) وقريب منه ما في طبقات آبن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٤٧. وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب ومنتخب الكتّاج ٤ ص ٤٢٩.

روى البلاذري في أنساب الأشراف ١٧/٥ عن الواقدي بسنده، قال: (ذكر عمر من يستخلف قليل: أين أنت عن عثمان؟ قال: لو فعلت لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس. قيل: الزبير؟ قال: مؤمن الرضى، كافر الغضب. قيل: طلحة؟ قال: أنفه في السماء وأشته في الماء. قيل: سعد؟ قال: صاحب مقنب^(١١٩)، قرية له كثير. قيل: عبد الرحمن؟ قال: بحسبه أن يجري على أهله بيته).

وروى البلاذري في ج ١٨/٥ من أنساب الأشراف: أن عمر بن الخطاب أمر صهيباً مولى عبد الله بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار. فلما دخلوا عليه قال: إني جعلت أمركم شورى إلى ستة نفر من المهاجرين الأولين الذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم - وسأهم، ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخزرجي: اختر خمسين رجلاً من الأنصار يكونوا معك، فإذا توفيت فاستحث هؤلاء النفر حتى يختاروا لأنفسهم وللائمة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث. وأمر صهيباً أن يصلي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام. وكان طلحة بن عبيد الله غائباً في ماله بالسراة^(١٢٠)، فقال عمر: إن قدم طلحة في الثلاثة الأيام، وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الأمر وأصرموه، وبايعوا من تتفقون عليه، فمن خالف عليكم فأصربوا عنقه. قال فبعثوا إلى طلحة رسولاً يستحثونه ويستعجلونه بالقدوم، فلم يرد المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان. فجلس في بيته وقال: أعلى مثلي يُفْتات! فاتاه عثمان، فقال له طلحة: إن رددت أثرُده؟ قال: نعم. قال: فاني أمضيته. فبايعه. وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٣/٣.

(١١٩) المقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

(١٢٠) السراة: الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لاماكن أخرى. معجم البلدان.

وروى في ص ٢٠ منه، قال :

فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ما زلت خائفاً لأن يتنقض هذا الأمر حتى كان من طلحة ما كان ، فوصلته رَجِم ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتى حُصِر فكان أشد الناس عليه .

وروى البلاذري في ١٨/٥ من كتابه أنساب الأشراف بسند ابن سعد قال :

(قال عمر: ليتبع الأقل الأكثر، فمن خالفكم فأضربوا عنقه).

وروى في ص ١٩ منه : عن أبي حنيفة أنه قال :

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل، رجعوا في الشورى، فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد، كانوا مع الأربعة، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف إذ كان الثقة في دينه ورأيه، المأمون للاختيار على المسلمين). وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٤/٣.

وروى أيضاً عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر قال : (إن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فأتبعوا صنف عبد الرحمن بن عوف وأسمعوا وأطيعوا) وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/١/٤٣.

وفي تاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢ : وروى البلاذري في أنساب الأشراف ١٥/٥ أن عمر قال :

(إن رجالاً يقولون إن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، وإن بيعة عمر كانت من غير مشورة والأمر بعدي شوري، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبّع الاثنان الأربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فأتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فأسمعوا وأطيعوا وإن صَفَّق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فأتبعوه).

وروى المتقي في كنز العمال ٣/ ١٦٠، عن محمد بن جُبَيْر عن أبيه، أنَّ
عمر قال :

(إن ضرب عبد الرحمن بن عوف إحدى يديه على الأخرى فباعوه). وعن
أسلم أنَّ عمر بن الخطاب قال :

(بائعوا لمن بايع له عبد الرحمن بن عوف، فمن أبى فأضربوا عنقه).
ومن كلِّ هذا يظهر أنَّ الخليفة كان قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرحمن
ابن عوف، وبُيِّت معه أن يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيخين، وهم يعلمون
أنَّ الإمام عليًّا يَأْبَى أن يجعل العمل بسيرة الشيخين في عداد العمل بكتاب الله
وسنة رسوله (ص) وأنَّ عثمان يوافق على ذلك، فيبايع عثمان بالخلافة،
ويخالفهم الإمام علي فيعرض على السيف.

والدليل على ما قلنا بالإضافة إلى ما سبق، ما رواه ابن سعد في طبقاته
عن سعيد بن العاص ما خلاصته : أنَّ سعيد بن العاص أتى الخليفة عمر
يستزيده في الأرض لبوسع داره، فَوَعده الخليفة بعد صلاة الغداة وذهب معه
حينئذ إلى داره. قال سعيد :

(فزادني وخطَّ لي برجليه فقلتُ : يا أمير المؤمنين زدني فإنه نبتت لي نابتة من
ولد وأهل. فقال : حسبك وأختبئ عندك، إنه سيلي الأمر من بعدي من يصل
رُحْمك ويقضي حاجتك. قال : فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتَّى
استخلف عثمان وأخذها عن شوري ورضي فوصلني وأحسن وقضى حاجتي
واشركني في أمانته)^(١٢١).

إذا فالخليفة عمر قد أنبا سعيد بن العاص أنه سيلي بعده ذو رحم سعيد
وهو عثمان وطلب منه أن يخبئ الأمر عنده؛ ويتضح من هذه المحاورَة أنَّ أمر
تولية عثمان الخلافة كان قد بُت فيه في حياة الخليفة عمر، وتعيين الستة في

(١٢١) بترجمة سعيد بن العاص من الطبقات، ط. أوروبا ٢٠/ ٥ - ٢٢.

الشورى كان من أجل تمرير هذا الأمر بصورة مرضية لدى الجميع .

أما تعريض الإمام علي للقتل فمما يدل عليه بالإضافة إلى ما مرّ ما رواه
أبن سعد أيضاً بترجمة سعيد بن العاص : أنّ عمر بن الخطاب قال لسعيد بن
العاص : (مالي أراك معرضاً كأنك ترى أنّي قتلت أباك ؟ ما أنا قتلتك ولكنك قتله
علي بن أبي طالب)^(١٢٢) وكان قد قتله بيدك .

أليس في هذا القول تحريش على الإمام علي وإثارة للضغائن عليه .

الإمام علي (ع) يعلم بأن الخلافة زويت عنه

كان الإمام علي يعلم بأن الخلافة زويت عنه وإنما اشترك معهم في
الشورى كي لا يقال : هو الذي زهد في الخلافة . ويدل على أنه كان يعلم ما
بيّت له ، الحديث الآتي :

روى البلاذري في ١٩/٥ من كتابه أنساب الأشراف :

إنّ عليّاً شكّا إلى عمّه العباس ما سمع من قول عمر : كونوا مع الذين
فيهم عبد الرحمن بن عوف ، وقال : والله لقد ذهب الأمر منا . فقال العباس :
وكيف قلت ذلك يا ابن أخي ؟ فقال : إنّ سعداً لا يخالف أبن عمّه عبد الرحمن
وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة ، وإن كان
الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان أبن عوف في الثلاثة الآخرين .
وقال أبن الكلبي : عبد الرحمن بن عوف زوج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط
وأما أزوى بنت كُرَيْر وأزوى أمّ عثمان فلذلك قال صهره . وقريب منه ما في
العقد الفريد ٧٤/٣ .

(١٢٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن أحبيحة بن أمية : توفي رسول الله (ص) وهو أبن تسع
سنتين أو نحوه طبقات ابن سعد ٢٠/٥ - ٢٢ . وسيرة ابن هشام ٢٧٧/٢ .

وروى في ص ٢١ منه عن أبي حنيفة قال :

(لما دفن عمر أمسك أصحاب الثوري وأبو طلحة يؤمهم فلم يحدثوا شيئاً ، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال ، وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طعن ، وصلى عليه صهيب بن سنان . قال : فلما رأى عبد الرحمن تناجي القوم وتناظرهم وأن كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها ، قال لهم : يا هؤلاء أنا أخرج نفسي وسعداً على أن اختار يا معشر الأربعة أحدكم ، فقد طال التناجي وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم ، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم ، فاجابوا إلى ما عرض عليهم إلا علياً فإنه قال : أنظر .

وأناهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إياه إلا علياً فأقبل أبو طلحة على علي ، فقال : يا أبا الحسن إن أبا محمد ثقة لك وللمسلمين ، فما بالك تخالف وقد عدل الأمر عن نفسه ، فلن يتحمل المأثم لغيره ؟ فأحلف علي عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى وأن يؤثر الحق وأن يجتهد للأمة ، وأن لا يحابي ذا قرابة ، فحلف له ، فقال : اختر مسدداً . وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة .

ثم إن عبد الرحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأيان المغلظة ، وأخذ عليهم المواثيق والعهود أنهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً وأن يكونوا معه على من يناوئه ، فحلفوا على ذلك ، ثم أخذ بيد علي فقال له : عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتكم أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس ، ولتسير بسيرة رسول الله (ص) لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها ، فقال علي : لا أحل عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحد . من ذا يطيق سيرة رسول الله (ص) ولكني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني ، وبما يمكنني ويقدر علمي . فأرسل عبد الرحمن يده . ثم أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يحمل

بني أُمَيَّةَ على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له. فقال علي: قد أعطاك أبو عبد الله الرضا فشانك فبايعه. ثم إنَّ عبد الرحمن عاد إلى علي فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر، فقال علي: عليَّ الاجتهاد، وعثمان يقول: نعم، عليَّ عهد الله وميثاقه وأشدُّ ما أخذ على أنبيائه أن لا يخالف سيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها. فبايعه عبد الرحمن وصافحه وبايعه أصحاب الشورى، وكان علي قائماً، فقعده، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك. ولم يكن مع أحد يومئذ سيف، فيقال: إنَّ علياً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلا جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان) ١ هـ.

في هذا الخبر حذف من أول قول عبد الرحمن (وسيرة الشيخين) ونقل أول كلام الإمام علي بتصرف وحذف آخره؛ وتنام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ اليعقوبي ١/١٦٢: أن عبد الرحمن خلا بعلي بن أبي طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. ثم خلا بعلي فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول؛ ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم خلا بعلي فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معها إلى إجبري^(١٢٣) أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني.

(١٢٣) الإجبري بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده.

وفي ذكر حوادث سنة ٢٣ من تاريخ الطبري ٢٩٧/٣، وكذلك ابن الأثير ٣٧/٣، قال الإمام عليّ لعبد الرحمن لما بايع عثمان في اليوم الثالث:

«حبوته حبة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم في شأن». وكذلك ورد في العقد الفريد ٧٦/٣، في العسجد الثانية في الخلفاء وتوارى عنهم برقم: ٥.

بيعة الإمام علي (ع)

قتل عثمان وعاد إلى المسلمين أمرهم وأنحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم، فتهافتوا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة؛ قال الطبري^(١٢٤):

فأتاه أصحاب رسول الله (ص) فقالوا:

إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله (ص).

فقال: لا تفعلوا فإنني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا، والله ما نحن بقاعلين حتى نبايعك.

قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضى المسلمين. . . .

وروى بسند آخر وقال:

اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فاتوا علياً فقالوا: يا أبا

(١٢٤) الطبري ١٥٢/٥ - ١٥٣، وط. أوربا ٣٠٦٦/١. وراجع الكنز ١٦١/٣ ح ٢٤٧١ فإنه يروي تفصيل بيعة عليّ وبجيء طلحة والزبير إليه وأمتناعه عن البيعة. . . . وكذلك حكاه ابن أعمش بالتفصيل في ص ١٦٠ - ١٦١ من تاريخه.

الحسن، هلُمَّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا.

فقالوا: والله ما نختار غيرك.

قال: فأختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان (رض) مراراً ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له:

إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر.

فقال هم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر فأجتمع الناس إليه.

فقال: إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتكم إلا أن أكون عليكم. ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي. ألا وإنه ليس لي أن أخذ منه درهماً دونكم. رضيتم؟

قالوا: نعم.

قال: اللهم أشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري^(١٢٥) وقال:

وخرج عليّ فأتى منزله، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: (إن أمير المؤمنين عليّ) حتى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يده فإنه لا بد من أمير. فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك. . . . فلما رأى

(١٢٥) الأنساب ٧٠/٥. وقد روى الحاكم في المستدرک ١١٤/٣ تشاور علي من بيعة طلحة.

عليّ ذلك صعد المنبر، وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت
إصبع طلحة شلّاء فتطبّر منها عليّ وقال: ما أخلفه أن ينكث.
روى الطبري^(١٢٦): (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال:
أوّل من بدأ بالبيعة يد شلّاء لا يتمّ هذا الأمر...) انتهى.

* * *

بعد دراسة الواقع التاريخي في إقامة الحكم في صدر الإسلام، ندرس في
ما يأتي رأي المدرستين في الخلافة والإمامة ونبدأ بذكر آراء مدرسة الخلافة.

(١٢٦) الطبري ١٥٣/٥ وط. أوروبا ٣٠٦٨/١.

الفصل الثاني

بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة

بإبعه تُغَرَّة أن يقتل^(٤).

ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء :

قال أنقضى القضاة الماوردي (ت : ٤٥٠هـ) في الأحكام السلطانية^(٥) والإمام علامة الزمان القاضي أبو يعلى (ت : ٤٥٨هـ) في الأحكام السلطانية^(٦)، كلاهما، قالاً في كتابيهما :

الإمامة تنعقد من وجهين : أحدهما بأختيار أهل الحل والعقد، والثاني بعهد الإمام من قبل .

فأما انعقادها بأختيار أهل الحل والعقد، فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى ، فقالت طائفة :

لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضا به عاماً والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (رض) على الخلافة بأختيار من حضرها ولم ينتظر بيعته قدوم غائب عنها .

(٤) البخاري ، كتاب الخدود . باب رجم الحبل ٤ / ١٢٠ . و (التبصرة) : مصدر غررت : إذا أغميت في الغرر وهي من التبغير ، كالتعلة من التعليل ، والمقصود أن الذي يبيع آخر دون مشورة من المسلمين ، فإنها قد غرر بالمسلمين وجزاء المتابع والمتابع له أن يقتل . (راجع معاجم اللغة) .

(٥) الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد المصري البغدادي ، ط . الثانية سنة ١٣٥٦هـ ، ص ٧ - ١١ . والماوردي نسبة إلى (بيع ماء النورد) كان من وجوه فقهاء الشافعية ، له مصنفات كثيرة .

(٦) الأحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن انقضاء الخليلي ط . الأولى بمصر سنة ١٣٥٦هـ ، ص : ٧ - ١١ .

وإنما اعتمدنا عليها أكثر من غيرها من كتب مدرسة الخلفاء ، لأن هذا النوع من الكتب مثل كتاب الخراج لأبي يوسف ، إنما ألّف لتدوين الأحكام التي تخص شؤون الحكم على رأي مدرسة الخلفاء ومن أجل العمل به ، خلافاً للكتب التي دونت في مقام المناظرة وليس للعمل بها . وكل ما نورد في ما يلي من كلا الكتابين وما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في إتمامش .

وقالت طائفة أخرى:

أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالاً بأمرين: أحدهما، أن بيعة أبي بكر (رض) آنعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها، وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح^(٧)، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة (رض). والثاني، أن عمر (رض) جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة. وقال آخرون من علماء الكوفة:

تنعقد بثلاثة يتولأها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين.

وقالت طائفة أخرى:

(تنعقد بواحد، لأنَّ العباس^(٨) قال لعليّ رضوان الله عليهما: أمدد يدك

٧) أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح: كان حَفَّاراً للقبور بمكة شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمواس - كورة قرب بيت المقدس - سنة ١٨ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٤ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤، وطبقات آبن سعد، ط. أوربا ٧٤/٢/٢.

وأسيد بن حضير: مَرَّت ترجمته في ص ١٤٤، الهامش رقم (١٦).

وبشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي: يقال أول من بايع أبا بكر، وكان حاسداً لسعد بن عباد، وقتل يوم عين النمر مع خالد. أخرج حديثه النسائي في سننه. راجع عبد الله ابن سبأ ٩٦/١. والتقريب ١٠٣/١. وأسد الغابة.

وأبو عبد الله، سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة الأموي: كان من أصطخر فارس اعتنقه ثبينة الأنصارية زوج أبي حذيفة فتبناه أبو حذيفة ولذلك عدَّ من المهاجرين. هاجر إلى المدينة قبل رسول الله وكان يؤم المهاجرين فيها وفيهم عمر بن الخطاب لأنه كان أقراهم للقرآن، أخى الرسول بينه وبين معاذ من الأنصار. قتل يوم البماة. ترجمته بأسد الغابة والإصابة.

٨) أبو الفضل، العباس بن عبد المطلب، وأمه: نثيلة بنت خباب النخري. شهد مع رسول

أبايكم، فيقول الناس عمّ رسول الله (ص) بايع أبين عمّه، فلا يختلف عليك
أثنان، ولأنّه حكم وحكم واحد نافذ^(٩).

(وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله، فهو ممّا انعقد الإجتماع على جوازه
ووقع الاتفاق على صحّته لأمرين عمل المسلمون بها ولم يتناكروهما، أحدهما:
أنّ أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمون إمامته بعهد.

والثاني أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى... إلى قوله: لأنّ بيعة
عمر (رض) لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأنّ الإمام أحقّ بها^(١٠).

ونقل اختلاف العلماء في لزوم معرفة الإمام وأنّ بعضهم قال:
(واجب على الناس كلّهم معرفة الإمام بعينه وأسمه، كما عليهم معرفة
الله ومعرفة رسوله).

ثمّ قال:

(والذي عليه جمهور الناس، أنّ معرفة الإمام تلزم الكافة بالجملة دون
التفصيل)^(١١).

وأضاف قاضي القضاة أبو يعلى الفراء الحنبلي في الأحكام السلطانية^(١٢)
على تلكم الأقوال قول بعضهم:
(إنّها تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد).

الله بيعة العقبة وأسّر في بدر ففدى نفسه وأبني أخويه عقيلًا ونوفلاً، هاجر قبل فتح مكة وشهده.
استسقى به عمر بن الخطاب في عام الرمادة - عام الجذب والقحط - توفي سنة ٣٢هـ. روى
عنه أصحاب الصحاح ٣٥ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨١.

(٩) الأحكام السلطانية للهاوردي ص: ٦ - ٧.

(١٠) المصدر السابق ص: ١٠. ويظهر من أقوالهم بأنهم يدينون بها وقع وأنّ الأمر الذي
وقع هو الدين ولا يختلفون في ذلك وإنّما الاختلاف في كيفية ما وقع.

(١١) المصدر السابق ص: ١٥.

(١٢) الأحكام السلطانية ص: ٧ - ١١.

(ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمِّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين).

وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: (تكون الجمعة مع من غلب) واحتج بأن ابن عمر صلّى بأهل المدينة في زمن الحرّة وقال: (نحن مع من غلب)^(١٣).

وقال إمام الحرمين الجويني (ت: ٤٧٨ هـ) في باب الاختيار وصفته وذكر ما يتعقد به الإمامة من كتاب الإرشاد:

(إعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأئمة على عقدها. والدليل عليه أنّ الإمامة لما عقدت لأبي بكر أبتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على الترتيب حامل. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت عدد معدود، ولا حدّ محدود، فالوجه الحكم بأنّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد)^(١٤).

(١٣) المصدر السابق ص ٧ - ٨ في طبعة وفي أخرى ص ٢٠ - ٢٣.

وأبن عمر، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أنّه زينب بنت مطعون الجمحية. استصفوه الرسول في أحد وشهد ما بعدها. روي عنه في الثناء على نفسه وأبيه روايات متعددة. أختى ستين سنة بعد رسول الله في الموسم. قالوا: كان جيّد الحديث، ولم يكن جيّد الفقه. لم يشهد شيئاً من الحروب مع عليّ، ثمّ ندم من ذلك لما حضرته الوفاة، قال: (ما أجد في نفسي من الدنيا إلّا أنّي لم أقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب). وكان سبب وفاته أنّ الحجاج أمر رجلاً فوضع زجّ رمح مسموم على قدمه في الزحام فمات سنة ٧٣ هـ، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٦٣٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغاية وسير النبلاء وجوامع السيرة ص ٢٧٥.

(١٤) الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني ط. القاهرة ١٣٦٩ هـ، ص ٤٢٤.

وقال الإمام أبن العربي (ت : ٥٤٣هـ) :

(لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد)^(١٥).

وقال الشيخ الفقيه الإمام العلامة المحدث القرطبي (ت : ٦٧١هـ) في المسألة الثامنة في تفسير ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة / ٣٠، من تفسير سورة البقرة :

(فلان عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد، فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحلّ والعقد. ودليلنا أن عمر (رض) عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك، فوجب ألا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود).

وقال الإمام أبو المعالي : (من أنعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمته، ولا يجوز خلعها من غير حدث وتغير أمر، قال : وهذا مجمع عليه).

وقال في المسألة الخامسة عشرة من تفسير الآية :

(إذا أنعقدت الإمامة باتفاق أهل الحلّ والعقد أو بواحد على ما تقدّم، وجب على الناس كافة مبايعته)^(١٦).

وقال أفضى القضاة عضد الدين الأيجي (ت : ٧٥٦هـ) في المواقف :

المقصد الثالث فيما ثبتت به الإمامة، ما ملخصه : أنها تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق بالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة. دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

١٥) الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيبي المشهور بابن العربي في شرحه سنن الترمذي ٢٢٩/١٣.

١٦) القرطبي، هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي في كتاب جامع أحكام القرآن، ط. مصر سنة ١٣٨٧هـ، ٢٦٩/١، ٢٧٢.

وقال :

إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فأعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمة. هذا ولم ينكر عليهم أحد، وعليه أنطوت الأعصار إلى وقتنا هذا^(١٧).

ووافق القاضي الأبي شراح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ)^(١٨).

وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال : قال رسول الله :
«يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال :
قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال :
«تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فأسمع وأطع» .
وروى عن ابن عباس أن رسول الله قال :
«من رأى من إمامة شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شراً فمات، مات ميتة جاهلية» .
وفي أخرى :

(١٧) المواقف في علم الكلام، ط. مصر ١٣٢٥ هـ، ٣٥١/٨ - ٣٥٣ تأليف القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأبي، توفي بالسجن عام ٧٥٦ هـ.
(١٨) السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف والذي طبع مع الكتاب بمصر.

«ليس أحد خرج من السلطان شبراً فبات عليه إلا مات ميتة جاهلية» .
 وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه حين كان من أمر الحرّة ما كان
 زمن يزيد بن معاوية قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :
 «من خلع بدأ من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس
 في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(١٩) .

وقال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية :
 (وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين : لا ينزل
 بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولا يتخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك ، بل
 يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك) . وقال قبله :
 (وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة
 ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنة أنه لا
 ينزل السلطان بالفسق)^(٢٠) .

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني (ت : ٤٠٣هـ) في كتاب
 التمهيد^(٢١) في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته ما
 ملخصه :

(قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث : لا يتخلع الإمام

(١٩) صحيح مسلم ٢٠/٦ - ٢٢ كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة .

وروى الحديث عن حذيفة ، وهو ابن اليمان العنسي ، كان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية ،
 فهرب إلى المدينة ، وتزوج بها وحالف بني عبد الأشهل ، وسُمّي البيان لمخالفته البيانية وآسسه
 حسل . شهد حذيفة الخندق وما بعدها ، وولي لعمر المدائن ، ومات بها سنة ست وثلاثين ،
 أربعين ليلة بعد بيعة الإمام علي . روى عنه أصحاب الصّحاح ٢٢٥ حديثاً . ترجمته في
 الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وبيجامع السيرة ص ٢٧٧ .

(٢٠) ٢٢٩/١٢ في شرحه على صحيح مسلم ، وراجع سنن البيهقي ١٥٨/٨ - ١٥٩ .

(٢١) ط . القاهرة ١٣٦٦هـ .

بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبرار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله. واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي (ص) وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا وأستأثروا بالأموال، وأنه قال (ع): اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشي، وصلّوا وراء كل برّ وفاجر. وروي أنه قال: أطعهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهره.

استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة

في القرون الأخيرة غالباً ما يستدل أتباع مدرسة الخلافة على صحة قيام حكم الخلافة في الماضي على أنه كان قائماً على أساس الشورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أن الحكم الإسلامي أيضاً يقام اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكماً إسلامياً يجب على جميع المسلمين بذل الطاعة له.



كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفية إقامة الحكم الإسلامي وأدلتهم على ما يرتأون، وقبل البدء بدراسة ما أرتأوا عليه، ينبغي أن ندرس المصطلحات التي يدور عليها البحث في ما يأتي.

مصطلحات بحث الإمامة والخلافة

يدور بحث الإمامة والخلافة على المصطلحات السبعة التالية :

أ - الشورى

ب - البيعة

ج - الخليفة وخليفة الله في الأرض

د - أمير المؤمنين

هـ - الإمام

و - الأمر وأولو الأمر

ز - الوصي والوصية

وفي ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفاً :

أولاً - الشورى

التشاور، والمشاورة، والمشورة في لغة العرب : استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر.

وشاوره : استخرج ما عنده من رأي .

وأشار عليه بالرأي ، يشير : إذا ما وجه الرأي .

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ الشورى/ ٣٨ من صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه^(١).

(١) راجع مادة: (شور) من: مفردات الراغب. ولسان العرب. ومعجم ألفاظ القرآن

لم يتغير معنى مشتقات هذه المادّة في استعمال القرآن الكريم، والحديث الشريف، ولدى المسلمين عمّا كانت عليه لغة العرب، وإنّما الكلام في مورد الشورى والمشاورة في الشرع الإسلامى وحكمها. كما سيأتى بيانه بعيد هذا إن شاء الله.

ثانياً - البيعة

أ - البيعة في لغة العرب :

البيعة في لغة العرب : الصفقة على إيجاب البيع^(٢)، وصفق يده بالبيعة والبيع، وعلى يده صفقاً: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتضافقوا: تبايعوا^(٣). كان هذا معنى البيعة لدى العرب.

أمّا العهد والحلف: فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابه البيت وسقاية الحاج وغيرهما من أعمال السيادة بمكة. فروى ابن إسحاق أن بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد عند الكعبة، ثم غمسوا أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاهدوا هم وحلفاءهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم وسمّوا (المطيين)^(٤).

وروى - أيضاً - في أمر تجديد الكعبة: أن البنيان عندما بلغ موضع الركن اختصموا فيه، كلّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتّى

الكريم.

(٢) لسان العرب، مادة: (بيع).

(٣) لسان العرب، مادة: (صفق).

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٤١ - ١٤٣.

تَحاوروا وتَحالفوا، وأعدّوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثمّ تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسَمّوا (لعقة الدم)^(٤).

ب - البيعة في الإسلام

كانت البيعة، أي: صفق اليد على اليد، في لغة العرب علامة على وجوب البيع، وأصبحت في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه.

وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ لَمَنْ نَكَثَ فَرَأَوْهُ يُنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح / ١٠ .
ونذكر من سنة الرسول (ص) ثلاثة مرّات أخذ الرسول (ص) فيها البيعة من المسلمين.

١ - البيعة الأولى

إنّ أول بيعة جرت في الإسلام بيعة العقبة الأولى، أخبر عنها عبادة بن الصامت وقال:
(وافي موسم الحج من الأنصار اثنا عشر رجلاً ممن أسلم منهم في المدينة، وقال عبادة:

بإيعتنا رسول الله (ص) بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأقي ببهتان نفترقه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلکم

(٥) سيرة ابن هشام ٢١٣/١ .

الجنة، وإن غشيتهم من ذلك شيئاً فأخذتهم بحذّه في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عزّ وجلّ؛ إن شاء عذب، وإن شاء غفر^(٦). وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى).

٢ - البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحجّ وتواعدنا مع رسول الله (ص) العقبة أواسط أيام التشريق، وخرجنا بعد مضيّ ثلث الليل متسلّلين مستخفين حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وأمرأتان، فجاء رسول الله (ص) ومعه عمّه العباس، فتكلّم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثمّ قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: نعم والذي بعثك بالحقّ لنمنعك مما نمنع به أُرُزْنَا^(٧)، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الخروب . . .

فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال حبلاً، وإنّا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله (ص) ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم . . . أي: ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم».

وقال رسول الله (ص): «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فقال رسول الله (ص): «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٤٠ - ٤٢.

(٧) أُرُزْنَا: نساؤنا، والمرأة يكتى عنها بالازار.

الحوارَينَ لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» يعني: المسلمين. قالوا: نعم.

وآختلفوا فيمن كان أول من ضرب على يده، أسعد بن زرارة أم أبو الهيثم ابن التيهان^(٨).

٣ - بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول الله (ص) أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلاثمائة، أو ألف وستائة، ومعه سبخون بدنة، وقال: لست أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً. وأحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكة، فبلغ الخبر أهل مكة فراعهم، واستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل، فاستعذ لهم رسول الله (ص) وقال: إن الله أمرني بالبيعة. فأقبل الناس يابعون على ألا يفروا، وقيل: بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفداً للمفاوضة، فلما رأوا ذلك تهببوا وصالحوا رسول الله (ص)^(٩).

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول (ص) وهي:

أ - البيعة على الإسلام.

ب - البيعة على إقامة الدولة الإسلامية.

ج - البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تهديد للبيعة الثانية، وذلك لأنَّ الرسول (ص) كان قد استنفرهم للعمرة. وبعد تبدل الحالة من العمرة إلى القتال، كانت الحالة

(٨) سيرة ابن هشام ٤٧/٢ - ٥٦.

(٩) إمتاع الأسماع للمقرئزي ص ٢٧٤ - ٢٩١.

الحادثة مخالفة للعمل الذي استنفرهم له وخرجوا من أجله، فكأنه كان مخالفاً لما عاهدهم عليه، فلذلك أحتاج إلى أخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، وفعل ذلك وأعطى ثمرة في إرعاب أهل مكة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بستّ روايات وردت في البيعة وطاعة الإمام:

١ - روى ابن عمر قال: كنا نبأيع رسول الله (ص) على السّمع والطّاعة ثمّ يقول لنا: «فيما أستطعت»^(١١).

٢ - وفي رواية، وقال عليّ: «ما استطعتم»^(١٢).

٣ - وفي رواية، وقال جرير: قال: «قل: في ما استطعت»^(١٣).

٤ - وروى المهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلى النبي (ص) وأنا غلام ليبياعني، فلم يبياعني^(١٤).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص):

«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره، إلّا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١٥).

(١٠) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب البيعة على السمع والطاعة في ما أستطاع، ح ٩٠، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(١١) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(١٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥.

(١٣) البخاري كتاب الأحكام، باب بيعة الصغير. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام.

والمهرماس بن زياد، أبو حيدر البصري الباهلي: من قيس عيلان. مات باليهامة بعد المائة. راجع ترجمته بأسد الغابة، ونقريب التهذيب.

(١٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح ٣. وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح ١٨٣٩.

٥ - وعن ابن مسعود قال :

قال (ص) : «سيلي أمسوركم بعدي رجال يطفثون السنّة ويعملون بالبدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها» . فقلت : يا رسول الله ! إن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال : «تسألني يا ابن أمّ عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمن عصى الله» (١٥) .

٦ - وعن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره :

«فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم» (١٦) .

وفي رواية :

«لا تضلوا بربكم» (١٧) .

يتّضح لنا من دراسة البيعة في سنّة الرسول (ص) أن للبيعة ثلاثة أركان :

أ - المبايع .

ب - المبايع له .

ج - المعاهدة على الطاعة للقيام بعمل ما .

وتقوم البيعة أولاً على تفهّم ما يطلب الطاعة على القيام به ، ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفيّة الواردة في السنّة ، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ ، غير أنّ شروط تحقّق البيعة المشروعة في الإسلام غير

وسنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب لا طاعة في معصية الله ، ح ٢٨٦٣ . وسنن النسائي ، كتاب البيعة ، باب جزاء من أمر بمعصية . ومسنّد أحمد ١٧/٢ و ١٤٢ .

(١٥) سنن ابن ماجه ٢/٩٥٦ ، ح ٢٨٦٥ . ومسنّد أحمد ١/٤١٠ وفي لفظ : ليس طاعة لمن عصى الله .

(١٦) مسنّد أحمد ٥/٣٢٥ عن عبادة بن الصامت أنّه روى الحديث في دار عثمان عندما شكاه معاوية إلى عثمان فعجله عثمان إلى المدينة ، ويختصر الحديث برواية عبادة في ص ٣٢٩ منه .

(١٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/٢١٥ .

واضحة لكثير من المسلمين اليوم، فنقول:

تتعقد البيعة في الإسلام إذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية:

أ - أن يكون المبايع ممن تصحّ منه البيعة، وبإيع مختاراً.

ب - أن يكون المبايع له ممن تصحّ مبايعته.

ج - أن تكون البيعة لأمر يصحّ القيام به.

وعلى ما بيّنا لا تصحّ البيعة من صبي أو مجنون، لأنها غير مكلفين بالأحكام في الإسلام، ولا تتعقد بيعه المكره، لأنّ البيعة مثل البيع، فكما لا يتعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تتعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف.

وكذلك لا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية الله. إذن فالبيعة مصطلح إسلامي، ولها أحكامها في الشرع الإسلامي.

الخلاصة:

البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع. وفي الإسلام أمانة على معاهدة المبايع المبايع له على أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما، ولا تتعقد إذا لم تتوفر شروطها: فإنها لا تصحّ من صبي أو مجنون، ولا تتعقد البيعة من مكره ولا تصحّ للمتجاهر بالمعصية ولا تصحّ للقيام بمعصية الله.

وقد بايع رسول الله (ص) على الإسلام أولاً، وعلى إقامة الدولة الإسلامية ثانياً، كما بايع المسلمين على القتال، وأشار الله سبحانه وتعالى إلى الأخير في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح / ١٠.

ثالثاً - الخليفة وخليفة الله في الأرض

أولاً - الخليفة والخلافة

الخلافة في لغة العرب : النيابة عن الغير^(١٨).

والخليفة : من يخلف غيره ، ويقوم مقامه ، ويسدّ مسدّه^(١٩).

وهذا المعنى ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :

أ - في سورة الأعراف :

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ...﴾ (٦٩).

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ...﴾ (٧٤).

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ...﴾ (١٦٩).

ب - في سورة مريم :

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ...﴾ (٥٩).

ج - في سورة الأنعام :

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ...﴾ (١٣٢).

وكذلك ورد في غيرها ونظائرها من آيات كريمة .

وورد في المعنى اللغوي - أيضاً - في حديث الرسول (ص) في قوله :

«اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خَلْفَائِي ، اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خَلْفَائِي ، اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خَلْفَائِي» .

قيل له : يا رسول الله (ص) من خلفائك؟

قال : «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»^(٢٠).

وأستعمل - أيضاً - في المعنى اللغوي في عصر الصحابة كالآتي :

(١٨) مفردات الراغب ، مادة : (خلف).

(١٩) نهاية اللغة ، لابن الأثير ، ولسان العرب ، مادة (خلف).

(٢٠) وسيأتي تفصيل مصادر هذا الحديث في الجزء الثاني .

أ - على عهد الخليفة الأول :

قال ابن الأثير في نهاية اللّغة :

وفي حديث أبي بكر، جاءه أعرابي فقال له : أنت خليفة رسول الله ؟
فقال : لا .

فقال : ما أنت ؟

قال : أنا الخالفة من بعده .

قال ابن الأثير: الخالفة: الذي لا غناء ولا خير فيه، وإنّما قال ذلك
تواضعاً . . . (٢١) .

ب - على عهد الخليفة الثاني :

روى السيوطي (ت : ٩١١هـ) في تاريخه وقال : (فصل في نبذ من أخباره
وقضاياه) أخرج العسكري في (الأوائل) والطبراني في (الكبير) والحاكم في
(المستدرک) : «أنّ عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة :
لأي شيء كان يكتب : «من خليفة رسول الله (ص)» في عهد أبي بكر؟ ثمّ كان
عمر يكتب أولاً : «من خليفة أبي بكر»، فمن أوّل من كتب : «من أمير
المؤمنين»؟ فقال : حدّثني الشفاء - وكانت من المهاجرات - أنّ أبا بكر كان
يكتب : من خليفة رسول الله ، وكان عمر يكتب : من خليفة خليفة رسول
الله ، حتّى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جليدين يسألهما عن
العراق وأهله ، فبعث إليه ليبد بن ربيعة وعدني بن حاتم ، فقدموا المدينة ،
ودخلا المسجد ، فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا : إستان لنا على أمير
المؤمنين ، فقال عمرو : أنتما والله أصبتهما اسمه . فدخل عليهما عمرو ، فقال :
السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال : ما بدا لك في هذا الاسم؟ لتخرجنّ ممّا

(٢١) وعن ابن الأثير نقل ذلك في لسان العرب .

قلت . فأخبره وقال : أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ .

وروى عن التتوي في تهذيبه ، وقال :

قال عمر للناس : أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فسُمي أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله ، فعدلوا عن تلك العبارة لظوها^(٢٢) .

(٢٢) تاريخ السيوطي ، ط . مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧١هـ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
والحاكم في المستدرک ٨١/٣ - ٨٢ . والأوائل للعسكري ص ١٠٣ - ١٠٤ .

ثانياً: خليفة الله في الأرض:

١ - في المصطلح الإسلامي:

ورد «خليفة الله في الأرض» في المصطلح الإسلامي بمعنى من أصطفاه الله من البشر وجعله إماماً للناس وحاكماً.

وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (٣٠).

وفسر بعضهم الآية بأن الله تعالى جعل آدم (ع) خليفة في الأرض؛ وفسرها آخرون بأن الله تعالى جعل نوع الإنسان خليفة في الأرض، ويؤيد التفسير الأول قوله تعالى في سورة (ص):

﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٢٦).

فإنه لو كان معنى الآية الأولى: إن الله جعل نوع الإنسان خليفة في الأرض فلا معنى عندئذ لتخصيص داود (ع) بجعله خليفة الله في الأرض من بين نوعه الإنساني الذي كان الله قد جعله خليفة في الأرض قبل داود (ع) ومع داود (ع) وبعده.

وقد أستعمل خليفة الله بهذا المعنى في روايات أئمة أهل البيت (ع) (٢٣).

جعل الله خلفاء أئمة للناس:

وقد جعل الله تعالى خلفاء في الأرض أئمة للناس وآتاهم الكتاب والنبوة، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب في سورة الأنبياء وقال:

﴿... وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ

(٢٣) راجع البحار (٢٦/٢٦٣) الحديث (٤٧) نقلاً عن كثر الفوائد للكراجكي، والكافي (٢٠٠/١)، ومن لا يحضره الفقيه (٢/٣٦٩ و٣٧١).

فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴿ (٧٢ - ٧٣) .
وقال جل ذكره في سورة الأنعام :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ . . . * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ . . . * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * . . . وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * . . . أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ﴿ (٨٣ - ٨٩) .

إِذَا فَإِنَّ مَنْ جَعَلَهُ اللهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ يُحْكِمُ بَيْنَ النَّاسِ، جَعَلَهُ - أَيْضًا - إِمَامًا لَهُمْ يَهْدِيهِمْ بَكْتَابِ اللهِ وَيُبَلِّغُهُمْ شَرْعِيَّتَهُ . وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ أَهْمُ وَظَائِفُ خُلَفَاءِ اللهِ التَّبْلِيغِ . كَمَا وَرَدَ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

أ - فِي سُورَةِ النُّحْلِ :

﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿ (٣٥) .

ب - فِي سُورَةِ النُّورِ (٥٤) وَسُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ (١٨) :

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿ .

ج - وَأَمْثَالُهَا فِي سُورِ :

آلِ عِمْرَانَ (٢٠) ، وَالْمَائِدَةِ (٩٢ ، ٩٩) ، وَالرَّعْدِ (٤٠) ، وَإِبْرَاهِيمَ (٥٢) ، وَالنُّحْلِ (٣٥) ، وَالشُّورَى (٤٨) ، وَالْأَحْقَافِ (٣٥) ، وَالتَّغَابُنِ (١٢) .

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَبْلُغُ عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رَسُولٌ يُوحِي إِلَيْهِ ، أَوْ وَصِيٌّ عَلَيْهِ اللهُ لِلذَّكَاءِ . كَمَا نَجِدُ مِثَالًا لَهُ فِي خَبَرِ تَبْلِيغِ الْآيَاتِ الْعَشْرِ الْأَوَّلَى مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةِ كَالآتِي تَفْصِيلُهُ :

أ - فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ وَاللَّفْظُ لِمُسْنَدِ أَحْمَدَ قَالَ :

«عَنْ عَلِيٍّ قَالَ :

لَمَّا نَزَلَتْ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ بَرَاءَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا النَّبِيَّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ فَبِعِثَهُ بِهَا لِيَقْرَأَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ دَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي :

أَدْرِكْ أَبَا بَكْرٍ، فَحِثْمًا لِحَقَّتْهُ فَخَذَ الْكِتَابَ مِنْهُ فَأَذْهَبَ بِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَأَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَلَحَقَّتْهُ بِالْجَحْفَةِ فَأَخَذَتْ الْكِتَابَ مِنْهُ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! نَزَلَ فِي شَيْءٍ؟ قَالَ: لَا. وَلَكِنْ جَبْرِئِيلُ جَاءَنِي فَقَالَ: لَنْ يُوَدِّيَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ»^(٢٤).

ب - فِي تَفْسِيرِ السِّيُوطِيِّ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ :

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ (ص) أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ) بَرَاءَةً إِلَى الْمَوْسِمِ، فَأَتَنِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّهُ لَنْ يُوَدِّيَهَا عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ، فَبِعَثَ عَلَيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى أَثَرِهِ حَتَّى لَحِقَهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَأَخَذَهَا فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْسِمِ^(٢٥).

ج - وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ :

«إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ) بَرَاءَةً إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ بَعَثَ عَلَيَّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) عَلَى أَثَرِهِ فَأَخَذَهَا مِنْهُ. فَكَانَ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ) وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّهُ لَا يُوَدِّيَ عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي»^(٢٦).

فِي هَذَا الْخَبَرِ أَرْسَلَ الرَّسُولُ (ص) صَحَابِيَّةً أَبَا بَكْرٍ لِتَبْلِيغِ عَشْرِ آيَاتٍ مِنْ صَدْرِ الْبَرَاءَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فِي حَجِّ الْعَامِ النَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ، فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ - أَمِينُ

(٢٤) مسند أحمد (١/١٥١)، وتحقيق أحمد محمد شاكر (٢/٣٢٢) الحديث ١٢٩٦، وفي الدر المنثور للسِّيوطي (٣/٢٠٩)، وفيه عن أنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص، وجاء في لفظ سعد: «... فَكَانَ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ) وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّهُ لَا يُوَدِّيَ عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي».

(٢٥) تفسير الدر المنثور للسِّيوطي ٣/٢١٠.

(٢٦) تفسير الدر المنثور للسِّيوطي ٣/٢٠٩.

وحي الله - وقال له : إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك . أي إن تبليغ عشر آيات من سورة البراءة للمخاطبين بها مباشرة وظيفه تبليغية خاصة بالرسول ، ولن يؤدي هذه الوظيفة عن الرسول إلا هو أو رجل منه وهو علي بن أبي طالب وصيه على شريعته . كما ستأتي السروايات في تعيين الوصي للرسول (ص) في بحث الوصية إن شاء الله تعالى ، ومن ثم ندرك أن التبليغ عن الله مباشرة وظيفه وولاية للرسول ووصيه .

يؤتي الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر
أحياناً تقتضي حكمة الله أن يأتي خليفته - الذي جعله إماماً للناس ومبلغاً لكتابه وشريعته - بآية تدل على صدقه في ما يبلغ عن الله ، وتسمى تلك الآية في العرف الإسلامي بالمعجزة ؛ لعجز البشر عن الإتيان بمثلها .
كما أخبر الله تعالى عن بعض ما أتى به رسوله موسى وعيسى (ع) وقال في خبر ما أتى به كلمه موسى عليه السلام :
أ - في سورة الاعراف :

﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٠٧) .
﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (١٠٨) .
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (١١٧) .
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَهُمْ﴾ (١٦٠) .
ب - في سورة الشعراء :

﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٢) .
﴿فَالْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥) .
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كالطود العظيم ﴿ (٦٣) .

وأخبر جلّ ذكره عما أتى رسوله عيسى بن مريم (ع) في سورة المائدة، فقال تعالى:

﴿ ... إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني ... ﴾ (١١٠).

وفي سورة آل عمران حكى عن عيسى (ع) أنه قال:

﴿ ... وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بها تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ... ﴾ (٤٩).

وأخبر تعالى عن ما أتى داود وسليمان الوصيين على شريعته في سورة الأنبياء وقال عزّ اسمه:

﴿ وسخرنا مع داود الجبال يُسبحن والطيور ... ﴾ (٧٩).

﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره ... ﴾ ومن الشياطين من يفوصون له ويعملون عملاً دون ذلك ... ﴾ (٨١ - ٨٢).

وليس من الضروري أن يؤتي الله جميع الأئمة جميع المعجزات كما لم يذكر سبحانه عن هود ولوط وشعيب أنه آتاهم معجزات موسى وعيسى وداود وسليمان صلوات الله عليهم أجمعين، وكذلك لم يمكن الناس بعض الرسل من أن يحكموا بينهم بالعدل، وكذلك لم يتسنّ للرسول موسى (ع) ولخاتم الرسل محمد (ص) أن يحكما بين الناس في أول أمرهما، بينما هم أئمة خلفاء منذ بدء تكليفهم بالتبليغ. إذاً فإنّ الخلافة والإمامة ملازمتان لتعيين الله صفيّاً من أصفائه لتبليغ كتابه ودينه، وليستا ملازمتين للحكم بين الناس وإتيان المعجزات. وبناءً على ذلك فإنّ خليفة الله هو المبلغ عن الله.

كان ذلكم معنى خليفة الله في كتاب الله .
 وورد معنى خليفة الرسول (ص) في حديث الرسول (ص) كالاتي :
 «اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي» .
 قيل له : يا رسول الله ! من خلفاؤك ؟
 قال : «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»^(٢٧) .
 إذاً فإن خليفة الله هو الذي عينه الله لتبليغ شريعته ، وخليفة الرسول هو
 الذي يقوم بتبليغ حديث الرسول وسنته من تلقاء نفسه .
 كذلك أستعمل مصطلحا خليفة الله وخليفة الرسول في الكتاب والسنة
 واستعملا في مصطلح المسلمين كالاتي بيانه :

٢ - الخليفة وخليفة الله في مصطلح المسلمين :

مرّ بنا في بحث معنى الخليفة اللغوي أنّ أبا بكر كان يسمّى بخليفة رسول
 الله (ص) وعمر بخليفة خليفة رسول الله (ص) ، وأنّه سمي بعد ذلك بأمر
 المؤمنين ، وبقي ذلك متداولاً إلى آخر الخلفاء العثمانيين ، وإلى جانب ذلك
 سُمّي الحاكم الإسلامي الأعلى بما يأتي :

أ - في العصر الأموي والعباسي :

تعارف أتباع مدرسة الخلفاء منذ العصر الأموي وإلى العصر العباسي على
 تسمية الحاكم الأعلى بخليفة الله .
 فقد قال الحجاج في خطبة صلاة الجمعة :
 فأسمعوا وأطيعوا خليفة الله ووصفيّه عبد الملك بن مروان^(٢٨) .

(٢٧) راجع مصادره في المجلد الثاني من هذا الكتاب (ط٣ ، ص ٥٨ - ٥٩) .

(٢٨) سنن أبي داود ٢ / ٢١٠ ، ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء .

ولما قيل في مجلس المهديّ العباسي: إن الخليفة الأموي الوليد كان زنديقاً، قال المهدي:

خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق^(٢٩).

وأشتهر ذلك على لسانهم في العصر الأموي والعصر العباسي، وورد ذكره في شعر الشعراء، كما قال جرير في قصيدة أنشدها في الخليفة عمر بن عبد العزيز وقال:

خليفة الله ماذا تأمرون بنا لسنا إليكم ولا في دار منتظر^(٣٠)
وإن عمر بن عبد العزيز مع أشتهاره بالتدين لم ينكر ذلك من قول جرير.

وقال - أيضاً - مروان بن أبي حفصة (ت: ١٨٢) في الخليفة أبي جعفر المنصور في قصيدته التي مدح بها معن بن زائدة الشيباني (ت: ١٥١هـ) حيث قال:

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان^(٣١)

ب - في العصر العثماني:

في عصر العثمانيين استعمل لفظ الخليفة اسماً لسلطان المسلمين الأعظم^(٣٢). بدون إضافة إلى (الله) أو (الرسول).

٢٩) تاريخ ابن الأثير ١٠/٧ - ٨.

٣٠) شرح شواهد المغني للسيوطي، ط. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧/١.

٣١) الكنى والألقاب للقمي ١/٢٥٢.

٣٢) راجع المعجم الوسيط، مادة (خلف).

ج - في عصرنا:

اشتهر في عصرنا أن المقصود في قوله تعالى للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أن الله تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض^(٣٣). وبناء عليه يكون معنى (خليفة الله في الأرض) نوع الإنسان، ومعنى (استخلف) و(يستخلف) وغيرهما مما ورد من مادة (خلف) استخلاف نوع الإنسان، وأشتهر - أيضاً - أن المقصود في تسمية الحاكم الأعلى للمسلمين بالخليفة إلى آخر عصر الخلافة العثمانية أنه خليفة رسول الله (ص) في الحكم على المسلمين. وعليه يكون معنى (الخليفة) خليفة رسول الله (ص)، ويصفون الخلفاء الأربعة بعد رسول الله (ص) بالراشدين دون من جاء بعدهم إلى آخر العثمانيين، واشتهرت هذه التسمية بين المسلمين حتى اليوم.

انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) جرى بعد الرسول (ص) كل ذلك التبديل لمعنى (الخليفة) و(خليفة الله في الأرض) في مدرسة الخلفاء.

(٣٣) قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾:

(وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده...)

وإذن فهذه منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان في نظام هذا الوجود على هذه الأرض الفسيحة. تفسير في ظلال القرآن (١/ ٦٥ - ٦٦).

ويرى مؤلف كتاب (خليفة) وسلطان و. و. يارتولد، ترجمة ايزدي. ط. طهران ١٣٥٨، ص ١٦. أن هذا المعنى قد تسرب إلى المجتمعات الإسلامية من أفكار أهل الكتاب. راجع الملحق رقم (١) في آخر الكتاب.

وفي مدرسة أهل البيت (ع) ورد لفظ (خليفة الله في الأرض) في روايات أئمة أهل البيت (ع) بمعنى المصطلح الإسلامي كما أشرنا إليه .

وأنقل مصطلح (الخليفة) بمعنى : خليفة رسول الله (ص) من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) منذ القرن الخامس الهجري وحتى اليوم . وأستندت مدرسة الخلفاء إلى عدم ورود (الخليفة) بالمعنى الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) في حديث الرسول (ص)، وقالوا: إنَّ الرسول (ص) ترك أُمَّته هملًا ولم يعين المرجع من بعده .

وفي مقام الردِّ عليهم أستند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام علي وصياً من بعده وقالوا: إنَّ الرسول (ص) عبَّئه خليفة من بعده بالمعنى الذي استحدث للخليفة بعد الرسول (ص) ولم يترك أُمَّته هملًا^(٣٤) .

جرى كل ذلك من أتباع المدرستين غفلة منهم عن أن المصطلح الذي أحدثته مدرسة الخلفاء بعد الرسول (ص) لم يكن ليأتي في حديث الرسول (ص) .

الخلاصة :

أ - خليفة الشخص في اللغة : من يقوم بعمله في غيابه، وقد ورد بالمعنى اللغوي في القرآن وحديث الرسول (ص) ومعاورات الصحابة .

ب - خليفة الله في الأرض في المصطلح الإسلامي : من عبَّئه الله تعالى لتبليغ شريعته أخذاً من الوحي أو من الرسول (ص)، وللحكم بين الناس، ويؤي بعضهم ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن

(٣٤) نجد بعض تلك الأدلة في كتاب (الالفين) للعلامة الحلي (ره) .

وروايات أئمة أهل البيت (ع).

ج - خليفة الرسول في حديث الرسول (ص): من يقوم بتبليغ حديثه وسنته.

د - في مصطلح المسلمين سُمِّي أبو بكر بخليفة رسول الله (ص)، وسُمِّي عمر بخليفة خليفة رسول الله، ثم سُمِّي عمر بأمير المؤمنين وبقيت هذه التسمية للحاكم الإسلامي الأعلى إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وفي العهدين الأموي والعباسي أُضيف إلى ذلك تسميته بخليفة الله، وإلى جانب دين الاسمين أشتهرت تسمية الحاكم الأعلى في العهد العثماني بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول، وانتشرت هذه التسمية لدى المسلمين بعد العهد العثماني حتى اليوم، وقيل لجمع من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول (ص)، وسُمِّي الخلفاء الأربعة بعد الرسول (ص) بـ (أحفاد الراشدين)، وانتقل مصطلح (الخليفة) إلى أتباع مدرسة أهل البيت.

وسمُّوا من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة). وقد أدت الغفلة عن هذا الأمر إلى التشويش على المسلمين فأشتهر لدى مدرسة الخلفاء أن الرسول (ص) ترك أئمة هملأ ولم يعين المرجع من بعده لأن المصطلح الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) لم يرد في حديث الرسول (ص)، وأستند أتباع مدرسة أهل البيت إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام علي وصياً بعده، وقالوا: إن الرسول (ص) عينه خليفة للمسلمين بالمعنى الذي استحدثه المسلمون للخليفة بعد الرسول (ص)، وأستند الخلاف بين المسلمين في هذا الأمر.

وسبأتي البحث في ما فعله الرسول (ص)، وما قاله في هذا الصدد بما يكشف عن حقيقة الأمر، بُعيد هذا إن شاء الله تعالى.

رابعاً - أمير المؤمنين

مما أوردنا سابقاً عرفنا أن لفظ أمير المؤمنين أستعمل منذ عصر الخليفة عمر ابن الخطاب وأريد به الحاكم الإسلامي الأعلى ، وبقي متداولاً كذلك إلى عصر العثمانيين .

خامساً - الإمام

الإمام في اللغة : الإنسان الذي يؤتم به ويقتدى بقوله أو فعله محققاً كان أو مبطلاً^(٣٥) ، كما ورد في قوله تعالى :

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أَوتِيَ كتابَهُ بِيمينِهِ فَاوْلَئِكَ يَقرَءُونَ كُتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾
الإسراء / ٧١ - ٧٢ .

ومن الثاني ما ورد ذكره في قوله تعالى :

﴿فَقَاتِلُوا أُمَمَةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا آيَانَ لَكُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ التوبة / ١٢ .
والإمام في الإسلام هو الهادي إلى سبيل الله بأمرٍ من الله إنساناً كان كما ورد ذكره في قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَتَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة / ١٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا . . .﴾ الأنبياء / ٧٣ .

أو كان كتاباً كما ورد ذكره في قوله تعالى :

﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كُتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ هود / ١٧ .

وتدرك من فحوى الآيتين المذكورتين أعلاه أن شرط الإمام في الإسلام أن كان كتاباً أن يكون منزلاً من قبل الله على رسوله لهداية الناس كما كان شأن

(٣٥) راجع مادة (أَمَّ) في معاجم اللغة .

نرى أن الرسول (ص) قصد من (سيابة): الأرض المهملة. إذن فقد طلب هودة من الرسول (ص) أن يجعل له بعض الأمر: إمارة ما على أرض أو قبيلة وما شابههما، فأجابه الرسول (ص) أنه لا يؤمره ولا على سيابة من الأرض، وهذا القول من الرسول (ص) نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظف واليهم على كل واحد منهم نقل كمية من الخصباء إلى مسجدهم الجامع ليفرشه بالخصباء، وأمر عليهم أحدهم وكان يتصعب في قبول الخصباء منهم، فقالوا: يا حَبْذا الإمارة ولو على الحجارة! وكذلك الأمر في الخبر السابق، فإن هودة طلب من الرسول الإمامة (ولو على الحجارة) فأجابه الرسول (ص): لا، ولا على الحجارة.

ب - في عرف المسلمين :

كان أكثر استعمال (الأمر) في عرف المسلمين يوم السقيفة وما بعدها، قال سعد بن عبادَةَ للأَنْصار يوم السقيفة:

(استبَدُّوا بهذا الأمر دون الناس . . .).

وأجابته الأنصار بقولهم: (نؤيِّلُكَ هذا الأمر).

ثمَّ تَرادوا الكلام وقالوا: (فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: . . . نحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر من بعده؟ . . .).

وقال أبو بكر في احتجاجه عليهم يومذاك: (ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الخيِّ من قريش . . .).

وقالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الأخضر، وعلى هذا لم يكن من المناسب أن يقول ولا سيابة أي لا بسر من الأرض بل كان المناسب أن يقول ولا بسر من التمر. ونرى أن السيابة مشتقة من السيب وهو كل سيب وخلي، ومنه السائبة: أي الدابة المهملة، ويكون المعنى: الأرض الخالية والمتروكة.

وقال - أيضاً - في قریش: (هم أحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم).

وقال عمر - أيضاً - يوم السقيفة: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أهله وعشيرته).

وقال الحباب بن المنذر في جوابه: (لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر... فأنتم والله أحق بهذا الأمر...).

وقال بشير بن سعد عندئذ في حق قریش: (لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً)^(٤١).

ج - في النصوص الإسلامية:

لقد جاء في حديث الرسول ذكر (الأمر) كثيراً مما سندرسه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى. ونكتفي هنا بتسجيل كلمة الرسول (ص) في جواب العامري:

«إن الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء».

وقد ورد في كتاب الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾

النساء/ ٥٩.



في كل هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعرف المسلمين، والنصوص الإسلامية سنة وكتاباً، إنما أريد من (الأمر) أمر الإمامة والحكم على المسلمين. وعلى هذا فإن (الأمر) أستعمل في الشرع الإسلامي بنفس المعنى الذي

(٤١) كل هذه المحاججات جاءت في خبر السقيفة بتاريخ الطبري، ط. أوروبا ١/ ١٨٣٧.

استعمل فيه لدى العرب والمسلمين ، ولا مانع بعد ذلك أن نسمي (أولي الأمر) مصطلحاً شرعياً وتسمية إسلامية وأنه أريد به الإمام بعد النبي (ص)، ولا خلاف في ذلك، ولكن الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الأمر، فإن مدرسة أهل البيت (ع) ترى أنه لما كان المقصود من أولي الأمر: الأئمة، فلا بد أن يكون منصوباً من قبل الله، معصوماً من الذنوب على التفصيل الذي سيأتي بيانه في بابهِ إن شاء الله.

وترى مدرسة الخلافة أن (أولي الأمر): من بايعه المسلمون بالحكم. وبناءً على ذلك يرون وجوب طاعة كل من بايعوه، وعلى هذا الأساس أطاعوا الخليفة يزيد ابن معاوية فقتلوا وسبوا آل بيت رسول الله (ص) بكر بلاء، وأباحوا مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيام، ورموا الكعبة بالمنجنيق، كما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى.

سابعاً - الوصي والوصية

ورد مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتها في كلام العرب بالمعاني الآتية: يقال لإنسان حيّ يعهد لإنسان آخر أن يقوم بأمر يهّمه بعد وفاته: الموصي، وللآخر: الوصي، وللأمر الموصى به: الوصية؛ وتجري الوصية بلفظ الوصية ومشتقاتها تارةً مثل أن يقول الموصي لوصيته: أوصيك بعدي برعاية أهلي أو إدارة مدرستي، وأن تفعل كذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدي معنى الوصية، مثل أن يقول الموصي لوصيته: أطلب منك أن تقوم بعدي برعاية أهلي وإدارة مدرستي وتفعل كذا وكذا.

وتجرب الموصي الآخرين عن وصيته أحياناً بلفظ: أوصيتُ إلى فلان، ووصيتي فلان، وأخرى يقول: عهدت إلى فلان، أو: أوكلت إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللفظين يؤديان معنى واحداً، وهكذا نظرهما.

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتها في لغة العرب،
وبنفس المعنى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ قال الله
سبحانه في سورة البقرة الآيات ١٨٠ - ١٨٢ :

﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾ - إلى قوله
تعالى - : ﴿فمن خاف من موصٍ جناً أو إثماً فأصلح بينهم﴾ وفي سورة المائدة
الآية ١٠٦ :

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان
ذوا عدل منكم . . .﴾ وكذلك وردت في سورة النساء الآيتان ١١ و ١٢ .

ومما ورد في السنة النبوية ما رواه كل من البخاري في أول كتاب الوصايا
من صحيحه، ومسلم في كتاب الوصية من صحيحه^(١٢) .

إن رسول الله (ص) قال : «ما حقّ أمرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن
يبيت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده» .

وللوصية أحكامها في الفقه الإسلامي . وبناء على ما ذكرنا فإن لفظي
الوصي والوصية من المصطلحات الإسلامية .

والوصية من الأنبياء والرسل كما سننقل أمثلة منها من التوراة والإنجيل أن
يعهد الرسل إلى أوصيائهم حمل شريعتهم بعدهم إلى الناس ورعاية أمتهم من
بعدهم .

وفي هذه الأمة فعل خاتم الأنبياء (ص) مثل من سبقه من الرسل وعهد
إلى الإمام عليّ (ع) تبليغ شريعته ورعاية أمته من بعده، وبواسطته عهد ذلك
إلى بنيه الأئمة الأحد عشر من بعده وأخبر النبي المسلمين بكل ذلك، تارةً بلفظ
الوصي والوصية ومشتقاتها، وأخرى بالفاظ أخرى تؤدي المعنى نفسه . فلُقّب

(٤٢) صحيح البخاري ٨٣/٢ . وصحيح مسلم بشرح النووي ٧٤/١١ .

الإمام عليّ بلقب الوصيّ وأصبح علماً له ، كما سيأتي بيان كل ذلك في باب
النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين وليّ الأمر من بعده مع بيان قول
من أنكر ذلك ورأى أنّ رسول الله (ص) لم يهتمّ بأمر المسلمين ولم يوص إلى
أحد من بعده ، إن شاء الله تعالى .

دراسة رأي مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات السبعة الماضية نتيسر لنا دراسة رأي المدرستين في الخلافة والإمامة وما استدّلوا به في هذا المقام ، ونبدأ بدراسة آراء مدرسة الخلافة في ما يأتي .

رأي مدرسة الخلافة وما استدّلوا به :

أولاً - قال الخليفة أبو بكر^(١) :

لن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (عمر وأبي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم .

ثانياً - قال عمر بن الخطاب^(٢) :

فلا يغترّن أمرؤ أن يقول إنّها كانت بيعة أبي بكر فلتة وثمت ، ألا وإنها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرة أن يقتلا .

١ و ٢) البخاري ، كتاب الحدود ، باب وجع الحبل .

مناقشة الاستدلالين

أشرنا هنا أولاً إلى استدلال الخليفة أبي بكر في السقيفة، وثانياً إلى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الأمر من بعده. أما ما كان من احتجاج الخليفة أبي بكر في السقيفة، فإنَّ الحقيقة في أمر احتجاجات جميعهم يوم ذاك، هي أنَّها كانت تجري وفق المنطق القَبلي؛ فإنَّ الأنصار لما تركوا جثتان رسول الله (ص) ملقَّين بين أهله، وبادروا إلى سقيفة بني ساعدة ليؤلَّوا سعداً ما قالوا إنَّ سعداً أفضل من غيره وأولى بهذا الأمر، بل قالوا: إنَّ الناس في فيثكم ولا يجرئ مجترئ عليكم.

وإنَّ مهاجرة قريش - أيضاً - لما التحقوا بهم احتجَّوا بالمنطق القَبلي حين قالوا: إنَّ قريشاً أوسط العرب داراً، وقالوا: من ذا ينازعنا سلطان محمَّد ونحن أهله وعشيرته؟

وكذلك كان قول الأنصاريِّ حين قال: منَّا أمير ومنكم أمير، وقول المهاجري حين قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وكذلك كان دافع أسيد بن حضير وسائر من حضر من أفراد قبيلته الأوس قَبلياً حين خافوا سلطة الخزرج عليهم، وتذكَّروا حرب البعاث بينهم، والتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن وقالوا: والله لئن وليتها عليكم الخزرج مرة، لا زالت هم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

ومَتَّ الغلبة أخيراً لمهاجرة قريش بمنجيء قبيلة (أسلم) التي ملأت سكك المدينة، وبايعت أبا بكر ونصرت مهاجرة قريش على الأنصار. وحقَّق للخليفة عمر بعد ذلك أن يعتبر بيعة أبي بكر فلتة؟



كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها.

أمّا ما ذكره الخليفة عمر من أمر الشورى، فسندرسه بحوله تعالى ضمن
دراسة آراء أتباع مدرسة الخلفاء في ما يأتي :

ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة :
تتلخّص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة وإقامتها في الأمرين
التاليين :

أولاً - تقام الخلافة :

أ - بالشورى

ب - بالبيعة

ج - بآتياع ما عملته الصحابة في إقامتها

د - بالقهر والغلبة

ثانياً - يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع ، وإن عصى ربه .

* * *

بعد دراسة المصطلحات المذكورة تتيسر لنا دراستها واحدة بعد الأخرى
في ما يأتي :

الأول - مناقشة الاستدلال بالشورى

إنّ أوّل من ذكر الشورى وأمر بها لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن
الخطاب، غير أنه لم يأت بدليل على أن الإمامة في الإسلام تُقام بالشورى،
واستدلّ المتأخرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحّة إقامة الإمامة بالشورى
بآيتين من كتاب الله، وبما جاء عن رسول الله (ص) أنّه كان يستشير أصحابه
في بعض الأمور المهمّة، وبكلمة عن الإمام عليّ . ونحن نبدأ هنا بدراسة ما
استدلّوا به في هذا الصّدّد ثمّ ندرس الشورى التي أمر بها الخليفة عمر.

الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله
استدلوا :

- أ - بقوله تعالى للمؤمنين : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ الشورى / ٣٨ .
ب - بقوله تعالى لرسوله (ص) : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ آل عمران / ١٥٩ .
ج - إن رسول الله (ص) كان يستشير أصحابه في الأمور المهمة ، فنقول :

أولاً - الاستدلال بآية ﴿ وأمرهم شورى ﴾
إن هذه الجملة من الآية ٣٨ من سورة الشورى جاء بعدها : ﴿ ومما
رزقناهم ينفقون ﴾ . كلتا الجملتين تدلان على رجحان الفعل فيهما ، وليس على
وجوب التشاور والإنفاق .
هذا أولاً ، وثانياً إنما يصح التشاور في أمر لم يرد فيه من الله ورسوله حكم ،
فقد قال الله سبحانه :

﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من
أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ الأحزاب / ٣٦ .
وسيأتي بعيد هذا ما جاء عن الله ورسوله (ص) في أمر الإمامة ما لا يبقى
معه مورد للتشاور .

ثانياً - الاستدلال بآية ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾
إن هذه الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران قد وردت
ضمن سلسلة من آيات ١٣٩ - ١٦٦ منها ، وكلّها في أمر غزوات
الرسول (ص) وكيف نصرهم الله فيها ، وفي بعضها يخاطب المسلمين وخاصة
الغزاة منهم ويعظهم ، وفي بعضها يخاطب الرسول (ص) خاصة ومن ضمنها
هذه الآية :

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ .

يظهر جلياً أنّ الأمر بالمشاورة في هذه الآية كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم ، ولم يكن أمراً بالعمل برأيهم ، بل قال له : فإذا عزمت فتوكل وأعمل برأيك . ويفهم من المجموع أيضاً أنّ مقام المشاورة الراجعة إنّما هو في الغزوات ، وما ذكره من مشاورة الرسول (ص) أصحابه أيضاً كانت في الغزوات كما سنذكرها في ما يأتي :

ثالثاً - الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) أصحابه

إنّ مشاورة الرسول (ص) أصحابه كانت في الغزوات فقط ، كما صرح بذلك الصحابي أبو هريرة ، وقال :
فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط^(٣) . وأشهرها مشاورته معهم في غزوة بدر ، وقصتها كما يأتي :

أ - غزوة بدر

ندب رسول الله (ص) أصحابه للتعريض لقافلة قريش التجارية الراجعة من الشام بقيادة أبي سفيان وخرج معه ٣١٣ شخصاً ممن استعدّ للاستيلاء على القافلة التجارية وليس للقتال ، وبلغ الخبر أبا سفيان فانهرف في سيرة عن الطريق ، وأستصرخ قريشاً بمكة فخرجت مستعدة للقتال في جيش يقارب الألف محارب ، وأفلت أبو سفيان والقافلة ، فكان الرسول (ص) أمام

(٣) كتاب المغازي للواقدي ٢ / ٥٨٠ . تحقيق الدكتور مارسدن جونس .

خيارين: التراجع إلى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهب للقتال بجيشه غير التكافي عدداً وعدة.

تفصيل الخبر:

روى ابن هشام في سيرته وقال:

وأنا الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد^(١).

ثم ذكر ما قاله المقداد وما قالته الأنصار، بينما لم يذكر ما قاله أبو بكر ثم عمراً!

وفي صحيح مسلم:

فتكلم أبو بكر فاعرض عنه، ثم تكلم عمر فاعرض عنه، فقام المقداد...^(٢).

إن مسلماً هكذا ذكر أيضاً، ولم يذكر ما تكلم به أبو بكر، وكلاهما لم يتما ذكر الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي وإمتاع الأسباع للمقرئ واللفظ للأول قال: قال عمر:

يا رسول الله، إنما والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبداً، ولتقاتلنك، فاتهب لذلك أهبتة وأعد لذلك عُدته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة/ ٢٤،

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/ ١٤٠٣.

ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغياد لسرنا معك - وبرك الغياد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن - فقال له رسول الله (ص) خيراً، ودعا له بخير.

ثم قال رسول الله (ص) : «أشيروا علي أيها الناس !» وإنما يريد رسول الله (ص) الأنصار، وكان يظن أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار، وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم . فقال رسول الله (ص) : «أشيروا علي !» فقام سعد بن معاذ فقال :

أنا أجيب عن الأنصار؛ كأنك يا رسول الله تريدنا ! فقال : «أجل» . قال : إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحى إليك في غيره، وأنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن كل ما جئت به حق، وأعطيناك موافقنا وعهودنا على السمع والطاعة ؛ فأمض يا نبي الله ؛ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منا رجل ؛ وصل من شئت، وأقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت . والذي نفسي بيده، ما سلكنا هذا الطريق قط، وما لي بها من علم ، وما نكره أن يلقانا عدونا غدا ؛ إنا لصبر عند الحرب . صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك .

حدثنا محمد قال : حدثنا الواقدي قال : فحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : قال سعد : يا رسول الله ، إنا قد خلفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشد حبا لك منهم ، ولا أطوع لك منهم ، هم رغبة في الجهاد ونية ؛ ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاق عدواً ما تخلفوا، ولكن إنما ظنوا أنها البعير . نبي لك عريشاً فتكون فيه ونعدك لك رواحلك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما

أحبينا، وإن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا.
فقال له النبي (ص) خيراً، وقال: «أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد!».

قالوا: فلما فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله (ص):
«سيروا على بركة الله. فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله، لكأنني
أنظر إلى مصارع القوم». قال: وأرانا رسول الله (ص) مصارعهم يومئذ؛ هذا
مصارع فلان، وهذا مصارع فلان، فما عدا كل رجل مصرعه. قال: فعلم
القوم أنهم يلاقون القتال، وأن العير تُفقد، ورجوا النصر لقول
النبي (ص)^(٦).

كانت استشارة رسول الله (ص) في هذا المقام: أنه استشار أصحابه في ماذا
يفعلون، بعد أن أخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم سيقاتلون ويتصرفون، وأخبره
بمصارع القوم والرسول (ص) أيضاً أخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن
واقفوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وإنما هو
نوع من الملاينة وإخبار بإفلات عير قریش وتغيير الأمر من الاستيلاء على مال
التجارة إلى القتال ليستعدوا للقتال.

ب - غزوة أحد

كانت تلکم مشاورة الرسول (ص) أصحابه في غزوة بدر. وفي ما يلي قصة
مشاورة الرسول أصحابه في غزوة أحد وفي هذه المشاورة عمل رسول الله (ص)
برأي أصحابه، كما ورد في مغازي الواقدي وإمتاع الأسماع للمقریزی^(٧).

(٦) مغازي الواقدي، ط. اكسفورد ١/ ٤٨ - ٤٩. وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ٢٤٧.
ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٧٧. وإمتاع الأسماع للمقریزی ص ٧٤ - ٧٥. والدر المنثور
١٦٦/٣.
(٧) مغازي الواقدي ص: ٢٠٨ - ٢١٤. وإمتاع الأسماع للمقریزی ص ١١٣ - ١١٨.

قالا:

إن رسول الله (ص) صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
«أيها الناس، إني رأيت في منامي رؤيا: رأيت كائني في دُرْع حصينة،
ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقَصَم^(٨) من عند ظُبَّتِه^(٩)، ورأيت بقرأ تذبج،
ورأيت كائني مُرْدِف كِبشاً».

فقال الناس: يا رسول الله (ص)، فما أولتها؟ قال:
«أما الدُرْع الحصينة فالمدينة، فامكنوا فيها. وأما انقِصام سيفي من عند
ظُبَّتِه فمصيبة في نفسي. وأما البقر المذبج فقتل في أصحابي. وأما أني مُردف
كِبشاً فكِبش الكتيبة نقتله إن شاء الله».

وفي رواية:

«وأما انقِصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي». وقال «أشيروا علي» ورأى
رسول الله (ص) ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أبي الأَكابر من
الصَّحابة مهاجرُهم وأنصارُهم، وقال عليه السلام: «أمكنوا في المدينة وأجعلوا
النساء والذَّراري في الأَطام، فإن دُخِل علينا قاتلناهم في الأزقة - فنحن أعلم
بها منهم - ورمُوا من فوق الصياصي والأطام»^(١٠). وكانوا قد شبَّكوا المدينة
بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن، فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدمراً
وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو: أخرج بنا إلى عدونا. وقال حمزة، وسعد بن
عبادة، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، في طائفة من الأنصار: إننا نخشى يا رسول

(٨) انقصم: تكسر وتلحم.

(٩) الظبة: حد السيف من قبل ذبابه وطرفه.

(١٠) الصياصي جمع صيصية: وهي الحصون، والأطام جمع أطم: وهي بيوت من حجارة
كانت لأهل المدينة.

الله أن يضنَّ عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جُبناً عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشرٌ كثير؛ قد كُنَّا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا في ساحتنا. ورسول الله (ص) لما يرى من إلحاحهم كاره؛ وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم^(١١) بسيفي خارجاً من المدينة، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً. وتكلم مالك ابن سنان والد أبي سعيد الخدري، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، وإياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلما أبوا إلا ذلك صلى^(١٢) رسول الله (ص) الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهد؛ وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا. ففرح الناس بالشخص^(١٣) إلى عدوهم، وكره ذلك المخرج كثير. ثم صلى رسول الله (ص) العصر بالناس وقد حشدوا، وحضر^(١٤) أهل العوالي^(١٥) ورفعوا النساء في الأطام، ودخل (ص) بيته ومعه أبو بكر وعمر (رض) فعمَّاه ولبَّساه. وقد صفَّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره، فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا للناس: قلتم لرسول الله (ص) ما قلتم واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزلُ عليه من السماء، فردُّوا الأمر إليه فيما أمركم فأفعلوه، وما رأيتم فيه له هوى أو رأي فأطيعوه. فبينما هم على ذلك إذ خرج رسول الله (ص) قد لبس لأمنته^(١٦)، ولبس الدرع فأظهرها وخزَمَ

(١١) جالد بالسيف: ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.

(١٢) في الأصل: (صل الله).

(١٣) الشخص: الخروج.

(١٤) في الأصل: (حضر).

(١٥) العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.

(١٦) اللامة: أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والسيف والنبل.

وسطها بِمَنْطَقَةٍ^(١٧) [مِنْ أَدَمِ]^(١٨) مِنْ حَائِلِ سَيْفٍ، وَأَعْتَمَ، وَتَقَلَّدَ السَيْفَ .
فَقَالَ الَّذِينَ يُلْحَوْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالَفَكَ، فَأَصْنَعْ مَا بَدَأَ
لَكَ، فَقَالَ: «قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْخَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ
لَا مَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، انْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ
فَاتَّبِعُوهُ، امْضُوا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ فَلَكُمْ النَّصْرَ مَا صَبَرْتُمْ» .

* * *

لَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي اسْتِجَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) لِإِلْحَاحِ أَصْحَابِهِ فِي الْخُرُوجِ أَنَّهُ
لَوْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمُ الرَّسُولُ لِأَثَرٍ فِي أَنْفُسِهِمْ تَأْثِيرًا سَيِّئًا، وَأُولَدَ فِيهِمُ الضَّعْفُ
وَالْإِسْتِكَاةُ بَدَلَ الْإِقْدَامِ وَالشَّجَاعَةِ، أَمَّا عَدَمُ اسْتِجَابَتِهِ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ طَاقُوا رَأْيَهُ
فَقَدْ ذَكَرَ هُوَ (ص) حِكْمَتَهُ .

مثال آخر من عمل الرسول برأي أصحابه فيما أشاروا عليه : قصة جرت
في غزوة الخندق نوردها في ما يأتي :

ج - غزوة الخندق

روى الواقدي والمقريزي عن بدء غزوة الخندق وقالوا :

«وَشَاوَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَكْثُرُ مَشَاوَرَتَهُمْ فِي
الْحَرْبِ . . . فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ سَلْمَانُ بِحُفْرِ الْخَنْدَقِ» .
وَأَخْبَرَا كَذَلِكَ عَنْ مَشَاوَرَةِ أُخْرَى فِي آخِرِ أَيَّامِ الْقِتَالِ وَقَالَا :

وَأَقَامَ (ص) وَأَصْحَابَهُ مَحْصُورِينَ بِضِعِّ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حَتَّى أَشْتَدَّ الْكَرْبُ ،
وَقَالَ (ص) : «اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا تُغَيِّدُهُ» .

(١٧) المنطقة والنطاق ، كل ما يشد به الوسط كالحزام .

(١٨) الذي بين المعوقين كان في الأصل بعد قوله : (حائل سيف) ، وهذا حق موضعه .

وأرسل إلى عُيَيْنَةَ بن حِصْن، والحارث بن عوف - وهما رئيسا غطفان - أن يجعل
لها ثُلُث ثَمَر المدينة ويرجعاً بمن معها، فطلبوا نصف الثمر فأبى عليهم إلا
الثُلُث، فرضياً. وجاء في عشرة من قومها حتى تقارب الأمر، وأحضرت
الصَّحِيفَة والدَّوَاة ليكتب عثمان بن عفَّان (رض) الصُّلح - وعَبَاد بن بشر قائم
على رأس رسول الله (ص) مَقْنَع في الحديد -، فأقبل أُسَيْد بن حضير، وعُيَيْنَةُ
مَادَّ رجله فقال له: يَا عَيْنَ الْهَجْرَس، اقْبِضْ رَجْلِيكَ. أَمَّا رَجْلِيكَ بَيْنَ يَدَي
رَسُولِ اللَّهِ (ص)؟! وَاللَّهِ لَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ لَأَنْفَذْتُ حِصْنِيكَ بِالرُّمَحِ! ثُمَّ قَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، إِنْ كَانَ أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ فَاْمُضْ لَهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ
ذَلِكَ فَوَاللَّهِ لَا نَعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ. مَتَى طَمَعْتُمْ بِهَذَا مَنَا؟ فَدَعَا رَسُولُ
اللَّهِ (ص) سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ فَاسْتَشَارَهُمَا خُفْيَةً، فَقَالَا: إِنْ كَانَ
هَذَا أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ فَاْمُضْ لَهُ، وَإِنْ كَانَ أَمْرًا لَمْ تُؤْمَرْ فِيهِ وَلَكَ فِيهِ هَوًى فَسَمِعْ
وِطَاعَةً، وَإِنْ كَانَ إِنْسًا هُوَ الرَّأْيُ فَمَا لَهُمْ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ. فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ (ص): «إِنِّي رَأَيْتُ الْغَرْبَ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ أَرْضِيهِمْ وَلَا
أُقَاتِلُهُمْ»، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لَيَأْكُلُونَ الْعِلْهَزَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ
الْجَهْدِ، مَا طَمَعُوا بِهَذَا مَنَا قَطُّ: أَنْ يَأْخُذُوا ثَمْرَةً إِلَّا بِشِرَاءٍ أَوْ قَرْئٍ! فَحِينَئِذٍ أَنَا
اللَّهُ بِكَ وَأَكْرَمُنَا بِكَ؛ وَهَذَا بَكَ، نَعْطِي الدُّنْيَةَ!؟ لَا نَعْطِيهِمْ أَبَدًا إِلَّا السَّيْفَ.
فَقَالَ (ص): «شَقَّ الْكِتَابُ» فَشَقَّهُ سَعْدٌ، فَقَامَ عُيَيْنَةُ وَالْحَارِثُ. فَقَالَ (ص):
«ارْجِعُوا بَيْنَنَا السَّيْفَ» رَافِعًا صَوْتَهُ.

كَانَتْ هَذِهِ قِصَّةُ اسْتِشَارَةِ الرَّسُولِ (ص) أَصْحَابِهِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَيُظْهِرُ
مِنْ مَحَاوِرَةِ الرَّسُولِ (ص) فِيهَا أَنَّهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - أَرَادَ أَنْ يَوْقَعَ الْخِلَافَ
بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُحَارِبَةِ، وَخَاصَّةً أَنَّ فِي آخِرِهِ يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَيَقُولُ: «ارْجِعُوا بَيْنَنَا
السَّيْفَ» فَإِنَّ هَذَا الْخَبَرَ يَنْتَشِرُ وَيَبْلُغُ قَرِيبًا وَيَقَعُ بَيْنَهُمُ الْخِلَافُ، وَقَدْ رَوَاهُ بَعْدَ
هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَمَرَ نَعِيمَ بْنَ مَسْعُودٍ لَذَلِكَ وَنَجَّحَ، فَالْقَى الشُّكَّ

والترديد والخلاف بين بني قريظة وقريش وكان ذلك من أسباب انكسارهم^(١٩).
 في ضوء ما بيناه من مشاورات الرسول (ص) يتضح لنا جلياً أنه لم تكن
 الغاية من تلك المشاورات أن يتعلم الرسول (ص) من أصحابه الرأي الصائب
 ليعمل به، بل كانت الغاية أحياناً أن يعلمهم الرسول (ص) بأسلوب المشورة
 الرأي الصائب الذي كان يعلمه الرسول (ص) مسبقاً ليعملوا به.

كما كان شأن مشورته إياهم في غزوة بدر، فإن الله كان قد أعلم
 رسوله (ص) النتيجة مسبقاً من أنهم سيقاتلون قريشاً ويتصرفون عليهم، وبعد
 المشاورة أعلمهم الرسول (ص) نتيجة الأمر، وأراهم مصارع قريش. إذاً
 كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين بأسلوب المشاورة إلى ما ينبغي أن
 يعملوه خلافاً لأسلوب الملوك الجبارين الذين يُملون آراءهم على الناس بقولهم
 مثلاً: نحن ملك... أصدرنا أمراً الملوكي بكذا... .

وإن صدر الآية يدلّ بوضوح على ما ذكرنا، فإنه تعالى قال: ﴿فبما رحمة من
 الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فأعف عنهم
 وأستغفر لهم وشاورهم في الأمر...﴾ آل عمران/ ١٥٩. فالمشاورة هنا من
 مصاديق اللّينة وكونها رحمة من الله، اللّتين وردتا في صدر الآية.

إذاً فتارة تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، وتارة تكون
 الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة أحد، فإن رسول
 الله (ص) بعد أن أخذ برأيهم وليس لامة حربه بقصد السير إلى أحد، ندموا
 على إلحاحهم على الرسول (ص) بالخروج، وقالوا: يا رسول الله (ص) ما كان

(١٩) مغازي الواقدي ٤٧٧/٢ - ٤٨٠. وإمتاع الأسماع للمقريزي ص ٢٣٥ - ٢٣٦.
 والعلم: كان أهل الجاهلية في سبي القحط والمجاعة يخالطون الوبر بالدم ويشوونه ويأكلونه
 ويسمونه العلهز.
 المجرس: ولد الثعلب، وقيل هو الغرد أو دويبة أخرى.

لنا أن نخالفك، فأصنع ما بدا لك. فقال: «قد دعوتكم إلى هذا فأبيتُم، ولا ينبغي لنبِي إذا لبس لامته أن يضعها حتَّى يحكم الله بينه وبين أعدائه».

يظهر من المحاورات التي دارت بين الرسول (ص) وأصحابه في هذه الواقعة، أنَّ عدم استجابة الرسول (ص) لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثر على نفوسهم تأثيراً سيئاً، ويولد فيهم ضعف النفس والتردد وعدم الإقدام في الحروب، ومن أجل ذلك أخذ برأيهم مع علمه بأنَّ رأيهم غير صائب. أمَّا في غزوة الخندق، فقد كانت المشاورة كيداً كاد به المشركين، وقد نجمت خطته صلوات الله عليه وآله.

الثاني - مناقشة الاستدلال بالبيعة

عرفنا في ما سبق:

أنَّ البيعة كالبيع تنعقد بالرضا والاختيار وليس بحدِّ السيف والجبر.
وأنَّه لا بيعة في معصية.
ولا في خلاف ما أمر الله به.
وأنَّه لا بيعة لمن يعصي الله.

وعرفنا أنَّ أوَّل بيعة أخذت بعد رسول الله هي البيعة للخليفة أبي بكر، وعلى صحتها تتوقَّف صحة بيعة الخليفة عمر، لأنَّها أخذت بأمر من الخليفة أبي بكر. وعلى صحة بيعة الخليفة عمر تتوقَّف صحة بيعة الخليفة عثمان، لأنَّها أخذت بأمر من الخليفة عمر حين أمر أن يبايعوا من الستَّة القرشيين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، وأن يقتلوا من خالف.

وعرفنا كيف أخذت البيعة للخليفة أبي بكر غلاباً في سقيفة بني ساعدة، ثمَّ بمساعدة قبيلة بني أسلم في سكك المدينة، وكيف حُمِلت النار إلى بيت فاطمة (ع) ابنة رسول الله (ص) لأنَّه قد تحصَّن فيه من أبي أن يبايع، وأنَّ بني

هاشم لم يبايعوا مدة حياة ابنة رسول الله (ص)، وأن الجن قتلت سعد بن عباد
بسهمين لأنه لم يبايع



كان هذا شأن أخذ البيعة في المدينة. أما خارج المدينة، فكان شأن من
أمتنع عن بيعة الخليفة أبي بكر وأبى أن يدفع الزكاة لجباة الخليفة، قتل
الرجال، وسبي النساء، وسلب الأموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول الله (ص)^(٢٠) وأسرته من قبيلة
تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلاً، وأخذوا السلاح، فقال جيش
خالد: إنا المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. فقال لهم
جيش خالد: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح. فوضعوها ثم صلوا مع
جيش خالد^(٢١)، ثم أخذوهم إلى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك.
فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه ألتي قتلني - وكانت في غاية الجمال -
فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال مالك: إنا على
الإسلام. وبعد قتله أمر خالد برأسه فنصب أثنية للقدر وتزوج بامرأته في تلك
الليلة ولما يدفن مالك^(٢٢).

وكما كان شأن قبائل كندة، فإن زياد بن لبيد البياضي عامل أبي بكر أخذ
ناقة لفتى من كندة، فسأله الكندي أخذ غيرها فأبى ذلك، لأنه وسمها بعيسم

(٢٠) راجع ترجمته في الإصابة ٣/٣٣٦، رقم الترجمة: ٧٩٩٨.

(٢١) تاريخ الطبري ط. أوربا ١/١٩٢٧ - ١٩٢٨ وراجع تاريخ البعقوبي ط. بيروت،
١٣١/٢.

(٢٢) راجع تاريخ أبي الغداء ص ١٥٨. ووفيات الأعيان، ترجمة وثيمة. وكذلك فوات
الوفيات. وبقية المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ،
١٨٥/١ - ١٩١.

الصدقة^(٢٣). فذهب الفتى إلى رجل من سادات كندة يقال له: حارثة بن سراقه، وقال له: يا ابن عمّ إنَّ زياد بن ليبيد قد أخذ لي ناقة فوسمها وجعلها مع إبل الصدقة، وأنا مشغوف بها، فإن رأيت أن تكلمه فيها فلمعه أن يطلقها ويأخذ غيرها من إبلي. فأقبل حارثة إلى زياد وقال له: إن رأيت أن تردّ ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعماً. فقال زياد: قد وضع عليها ميسم الصدقة. فترادّا الكلام، فأقبل حارثة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقة بعينها، وقال للفتى: خذ ناقتك فإن كلمك أحد سأحطم أنفه بالسيف وقال:

نحن إنها أطعنا رسول الله (ص) إذ كان حيّاً، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه؛ وأما ابن أبي قحافة فلا والله ماله في رقابنا طاعة ولا بيعه. وأنشأ أبياتاً من جملتها:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا عجباً ممّن يطيع أبا بكر
فقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة: إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد.

فقال له زياد: صدقت ولكننا اخترناه لهذا الأمر.

فقال له الحارث: أخبرني لم نحيّم عنها أهل بيته؟ وهم أحقّ الناس بها لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأحزاب/٦.

فقال له زياد: إنّ المهاجرين والأنصار انظر لأنفسهم منك! فقال له الحارث: لا والله ما أزلتموها عن أهلها إلا حسداً منكم، وما يستقرّ في قلبي أنّ رسول الله (ص) خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً يتبعونه، فأرحل عنا أيها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا. ثمّ أنشأ الحارث

(٢٣) فزع البلدان، رقة بني وليعة والأشعث بن قيس.

يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلى عليه الله لم يستخلف
فأرسل زياد إبل الصدقة أمامه إلى المدينة، ثم سار إلى المدينة وأخبر أبا
بكر، فجهّزه في أربعة آلاف مقاتل. فسار زياد يريد حضرموت وفي طريقه كان
يباغت قبائل كندة ويقتل منهم ويستأسر، مثل بني هند الذين هاجمهم وقتل
منهم جماعة وأحتوى على نسائهم وذرائعهم.

ووافي حيّ بني العاقل من كندة غافلين، فلما أشرفت الخيل عليهم
تصايحت النساء وأقتتل الرجال ساعة ووقعت الهزيمة عليهم، وأحتوى زياد
نساءهم وأموالهم.

وكبس بخيله في جوف الليل حيّ بني حجر من كندة، فقتل منهم مائتي
رجل، وأسر خمسين، وفرّ الباقون، وأحتوى على النساء والأولاد.

ثم قاتله الأشعث بن قيس وحاصره في مدينة (تيم) وأسترجع منه الأموال
والذّراري وردّها إلى أهلها، فأرسل الخليفة إلى الأشعث كتاباً يسترضيه فقال
الأشعث للرسول:

إنّ صاحبك أبا بكر يلزمنّا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر
بقتله قومي وبني عمي.

فقال له الرسول: نعم يا أشعث! يلزّمك الكفر لأنّ الله تبارك وتعالى قد
أوجب عليك الكفر بمخالفتك الجماعة المسلمين.

فضربه غلام من بني عمّ الأشعث بسيفه فقتله، واستحسن فعله الأشعث
فغضب من ذلك عامّة أصحاب الأشعث حتى بقي في قريب من ألفي رجل.
فكتب زياد إلى أبي بكر يخبره بقتل الرسول وأنهم محاصرون. فاستشار الخليفة
المسلمين في ما يصنع فأشار عليه أبو أيّوب الأنصاري وقال:

إنّ القوم كثير عددهم وإذا همّوا بالجمع جمعوا خلقاً كثيراً، فلو صرفت

عنهم الخيل في عامك هذا رجوت أن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين .

فقال أبو بكر: والله لو منعوني عقلاً واحداً مما كان النبي وظفه عليهم لقاتلتهم عليه أبداً أو ينيبوا إلى الحق . ثم كتب إلى عكرمة بن أبي جهل أن يسير بمن أجابه من أهل مكة إلى زياد ويستنهض من مر عليه من أحياء العرب . فخرج في ألفي فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم ، ثم سار إلى مارب . وبلغ ذلك أهل دبا فغضبوا وقالوا نشغله عن محاربة بني عَمَنَّا من كندة ، وأخرجوا عامل أبي بكر . فكتب أبو بكر إليه أن يسير إليهم ، وأن لا يقصر فيهم ، وإذا فرغ منهم أن يبعث بهم أسراء . فسار إليهم عكرمة وقتلهم وحاصرهم ، فسألوا الصلح وأن يؤدوا الزكاة ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، فأجابوه . فدخل عكرمة حصنهم ، وقتل أشrafهم صبراً ، وسبى نساءهم وأولادهم ، وأخذ أموالهم ووجهه بالباقيين إلى أبي بكر ، فهم أن يقتل الرجال ويقسم النساء والذرية ، فقال له عمر :

يا خليفة رسول الله ، إن القوم على دين الإسلام يحلفون بالله مجتهدين ما كنا رجعنا عن دين الإسلام . فحبسهم أبو بكر إلى أن توفي وأطلق عمر سراحهم على عهده .

فسار عكرمة إلى زياد فبلغ خبره الأشعث فانحاز إلى حصن النجير وجميع فيه نساءه ونساء قومه . فبلغ ذلك قبائل كندة ممن كان تفرق عن الأشعث لما قتل رسول أبي بكر فتلاوموا أن يتركوا بني عمهم محاصرين ، فسارت لقتال زياد ، فجزع لذلك فقال له عكرمة : أرى أن تقيم محاصراً لمن في الحصن وأمضي أنا فألقى هؤلاء القوم ، فقال له زياد : نعم ما رأيت ، ولكن إن ظفر الله بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم . فقال عكرمة : لست آلو جهداً في ما أقدر عليه .

فسار عكرمة حتى وافى القوم فتقاتلوا وكانت الحرب بينهم سجالاً والاشعث لا يعلم عن ذلك شيئاً، وطال عليهم الحصار وأشتدَّ بهم الجوع والعطش، فطلب من زياد الأمان له ولأهل بيته وعشرة من وجوه أصحابه وكتب بينهم، فبعث زياد الكتاب إلى عكرمة، فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك وأراهم الكتاب، فتركوا القتال وأنصرفوا، ودخل زياد الحصن وأخذ يضرب أعناق المقاتلة صبراً، ووافاه كتاب أبي بكر أن يحمل من نزل على حكمه إلى المدينة، فصعد من بقي منهم بالحديد وأرسلهم إلى المدينة^(٢١).

هكذا تمت بيعة الخليفة أبي بكر والتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت فلتة، وعليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وبها يستدلون.

الثالث - مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة

إنَّ الاستدلال بعمل الصحابة يتم لو كانت سيرتهم مصدراً للتشريع الإسلامي في عداد الكتاب والسنة ونزل فيهم ما نزل في رسول الله (ص) مثل قوله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ الأحزاب / ٢١ .

وقوله:

﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر / ٧ .

ويدون ذلك لا حجة علينا في عمل الصحابة. ثم لسا ندرى بمن نفتدي، وعمل بعضهم وأقوامهم يخالف البعض الآخر، ومن ثم اختلفت آراء العلماء في كيفية إقامة الخلافة، أتقام ببيعة رجل لأنَّ العباس عم النبي (ص)

(٢٤) لقد لحصنا الخبر عما رواه البلاذري في فتوح البلدان في ذكر ردة بني وليعة، والاشعث ابن قيس الكندي ص ١٢٢ - ١٢٣ . والحموي في مادة: حضرموت من معجم البلدان، وفتوح آبن اعثم ٥٧/١ - ٨٥ . وثمام الخبر في عبد الله بن سبأ ٣٩٣/٢ - ٤١٠ .

قال علي (ع): (أمدد يدك أبايعك يبايعك الناس) أم بقول الخليفة عمر حين قال: (بيعة أبي بكر فلتة) أم نفتدي بمعاوية حين شهر السيف في وجه الخليفة الشرعي الإمام علي (ع)? ولا نرى حاجة إلى المناقشة أكثر مما بيّنا. أمّا ما استدلّ بعضهم بقول الإمام عليّ في نهج البلاغة، فسندرسه في ما يأتي:

مناقشة الاستدلال بما جاء في نهج البلاغة على صحة الاستدلال بالشورى والبيعة وعمل الأصحاب

استدلّ بعضهم على ما أرتأى في الشورى والبيعة والاقتداء بعمل الصحابة بما رواه الشريف الرضي عن الإمام علي (ع) بباب الكتب من نهج البلاغة وهذا نصّه:

ومن كتاب له، إلى معاوية:

إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرّد، وإنّا الشورى للمهاجرين والأنصار. فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك [لله] رضى؛ فإن خرج عن أمرهم خارج بظعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه؛ فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين، ولأله الله ما تولى... (٢٥).

فإن الإمام قد احتجّ في هذا الكتاب على معاوية بالبيعة والشورى وإجماع المهاجرين والأنصار، وبناء على هذا فإن الإمام يرى صحة إقامة الإمامة بما ذكره.

والجواب أن الشريف الرضي كان أحياناً يتخير نفقاً من كتب الإمام وخطبه مما يحده في أعلى درجات البلاغة ويترك سائرته، وكذلك فعل مع هذا الكتاب

(٢٥) نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين.

وقد أورد الكتاب بتهامه نصر بن مزاحم في كتاب صفين، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام ؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد . وإنا الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضى ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة رده إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين ، ولأه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً . وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي ، وكان نقضهما كردهما ، فجاهدتها على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . فأدخل فيما دخل فيه المسلمون ؛ فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية ، إلا أن تتعرض للبلاء . فإن تعرضت له قاتلتك وأستعنت الله عليك . وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فأدخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله . فأمّا تلك التي تريدها فخذعة الصبي عن اللبن . ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . وأعلم أنك من الطلقاء^(٢٦) الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى . وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة : فبايع . ولا قوة إلا بالله^(٢٧) .

أتضح لنا من هذا الكتاب أن الإمام علياً يحتج على معاوية بما التزم به هو ونظراؤه ويقول له : إن بيعتي بالمدينة لزمته يا معاوية وأنت بالشام كما ألتزمت ببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشام ، وكذلك لزمته بيعتي نظراءك خارج المدينة

(٢٦) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الأسير الذي أطلق عنه إسناره ونخل سبيله . ويراد بهم الذين خلى عنهم رسول الله (ص) يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم .

(٢٧) صفين لنصر بن مزاحم ط . القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ ، ص ٢٩ .

كما لزمتهم بيعة عمر في المدينة وهم في أماكن أخرى .

هكذا يلزمه الإمام عليّ بكلّ ما التزمه هو ونظراؤه من مدرسة الخلافة يومذاك ، وهذا وارد لدى العقلاء ، فإنهم يحتجّون على الخصم بما التزمه هو . هذا أولاً .

وثانياً قوله : « فإذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً ، كان ذلك لله رضًى » فإنه قد ورد في بعض النسخ : « كان ذلك رضًى »^(٢٨) ، أي كان لهم رضًى ، على أن يكون ذلك باختيار منهم ولم تؤخذ البيعة بالجبر وحدّ السيف . وعلى فرض أنّه كان قد قال : « كان لله رضًى » نقول : نعم ، ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم الإمام عليّ وسبطا الرسول الحسن والحسين ، كان ذلك لله رضًى .

وأخيراً لست أدري كيف استشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة ونسوا أو تناسوا سائر أقوال الإمام التي نقلها الشريف الرضي - أيضاً - في نهج البلاغة مثل قوله في باب الحكيم :

لَمَّا أَنْتَهتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَالَ (ع) :

مَا قَالَتْ الْأَنْصَارُ؟ قَالُوا :

قَالَتْ : مَنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . قَالَ (ع) :

فَهَلَّا أَحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ؟ !
قَالُوا : وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ؟

(٢٨) راجع نهج البلاغة ط . الاستقامة بالقاهرة مجد لفظ الجلالة « الله » بين علامتين إشارة إلى أنه لم يرد لفظ الجلالة بين النسخ .

فقال (ع) :

لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم !!

ثم قال (ع) :

فإذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول (ص)،

فقال (ع) :

احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة^(٢٩).

وقوله - أيضاً - في باب الحكم :

وا عجباً! أ تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة^(٣٠).

قال الرضي : وله شعر بهذا المعنى :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا المشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغسرك أولى بالنبي وأقرب

وأجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية (خ : ٣) التي

قال فيها (ع) :

«أما والله لقد تقمّصها أين أبي فحافة وإنه ليعلم أن عليّ منها محلّ القطب

من الرّحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ

عنها كشحاً. وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جذاء^(٣١) أو أصبر على طخية

(٢٩) يريد من الثمرة آل بيت الرسول (ص).

(٣٠) نهج البلاغة، الحكمة : رقم ١٨٥ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣١) وطفقت . . . الخ : بيان لعلّة الإغضاء . والجذاء : بمعنى المقطوعة ، ويقولون : رحم

جذاء ، أي : لم توصل . وسن جذاء أي متهنمة . والمراد هنا ليس ما يؤيدها . كأنه قال : ففكرت

في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً.

عَمِيَاءُ^(٣١) يَتَرَمُّ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رِيَّةً^(٣٢) فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبَرَ عَلَى هَآئِنَا أَحْبَبُ^(٣٣) فَصَبَرْتُ فِي الْعَيْنِ قَدَى، وَفِي الْخَلْقِ شَجَاعاً^(٣٤) أَرَى تَرَاثِي نَهْأً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فَلَانٍ بَعْدَهُ^(٣٥) - ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعَشَى : -

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانٍ أَخِي جَابِرٍ^(٣٦)
فَيَا عَجَباً !! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ^(٣٧) إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَبٍ بَعْدَ وَقَاتِهِ، لَشَدِّ

(٣٢) طخية: أي ظلمة، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي، وإننا بمعنى القائمون فيها إذ لا يبتدون إلى الحق، وهو تأكيد لظلام الخال وأسوداده.
(٣٣) يكدح: يسعى سعي المجهود.

(٣٤) أحببى: ألزم، من حَجَبِي به كرضي: ألزم به ولزمه. ومنه: هو حَجَبِي بكذا أي: جدير، وما أحجاء وأحجى به أي: أخلق به، وأصله من الحجاء بمعنى العقل، فهي أحجى أي أقرب إلى العقل، وهاتان بمعنى هذه، أي: رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(٣٥) الشجاء: ما أعترض في الخلق من عظم ونحوه. والترات: الميراث.
(٣٦) أدلى بها: ألقى بها إليه.

(٣٧) الكور بالضم: الرجل أو هو مع أدواته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل. وحيان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم، وله نعمة واسعة ورغاية وافرة، وكان الأعشى يتنادمه، والأعشى هذا: هو الأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل.
وجابر: أخو حيَّان أصغر منه.

ومعنى البيت أنَّ فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين حيَّان في رفايته، فإنَّ الأول كثير العناية شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة. ووجه تمثُّل الإمام بالبيت ظاهر بآدنى تأمل.

(٣٨) رَوَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَعْدَ الْبَيْعَةِ: (أَقِيلُونِي فَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ).

ما تَشَطَّرَا ضَرَعِيهَا^(٣٩) فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا^(٤٠)، وَتَحْشُنُ مَسْهَا، وَيَكْثُرُ الْبَعَارُ فِيهَا، وَالْأَعْتَذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبُ الصَّعْبَةِ^(٤١)، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمٌ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحُّمٌ، فَمُنَى النَّاسِ - لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطِ وَشِمَاسٍ^(٤٢)، وَتَلَوْنِ وَأَعْتَاضٍ؛ فَضَبَّرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى

(٣٩) لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرَعِيهَا: جملة شبه قسمة أعترضت بين المتعاطفين والشطر أيضاً أن تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطرأ: أي اخذ كل منها شطراً. وسُمِّي شطري الضرع ضرعين مجازاً: وهو هاهنا من أبلغ أنواعه حيث أن من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلا نائماً، ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، فاطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد أسم النشطر والاقتسام، كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر، وأطلق على كل شطر أسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل منهما.

(٤٠) «الكلام - بالضم -: الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها. وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول: خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(٤١) الصعبة من الإبل: ما ليست بذلول. وأشنع البعير، وشنقه: كَفَّه بزمامه حتى الصق ذفراه: (العظم الناتئ خلف الأذن) يقامه الرجل، أو رفع رأسه وهو راكبه. واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس: أرخى. وتَقَحُّمٌ: رمى بنفسه في القحمة، أي: أهلكها.

قال الرضي: «كرايب الصعبة إن أشنع ما حرم وإن أسلس لها تقحم» يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صموتها تقحمت به فلم يملكها. يقال: اشنع الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه؛ وشنقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق. وإنما قال: «أشنع لها» ولم يقل: «أشنقها» لأنه جعله في مقابلة قوله: «أسلس لها» فكأنه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكها عليها. انتهى.

الصعبة: إما أن يشنقها فيخرم أنفها، وإما أن يسلس لها قترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

(٤٢) مَيَّي النَّاسِ: ابتلوا وأصيبوا، والشِمَاس - بالكسر -: إياه ظهر الفرس عن الركوب. والنفار والخط: السير على غير جادة. والتلَوْد: التبدل. والاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً يقال: بعير عرضي، يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية. أي: عجرفة وصعوبة.

إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَخَذَهُمْ، قَبْلَ اللَّهِ وَلِلشُّورَى (٤٣) مَتَى
اعْتَرَضَ الرُّتَبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صَبَرْتُ أَقْرُنُ إِلَى هَذِهِ النُّظَائِرِ (٤٤) ! لِكَيْفِي

(٤٣) لقد أوردنا تفصيل القصة من أوثق المصادر في ما سبق، وقال الشيخ محمد عبده في شرحه لهذه الكلمة:

كان سعد من بني عَمَ عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من عليّ كَرَم الله وجهه من قبل أخواله لأنَّ أمّه حنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعلّي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان؛ لأنَّ زوجته أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط كانت اختاً لعثمان من أمّه، وكان طلحة ميثالاً لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الآثار. وقد بكفي في ميله إلى عثمان أنحرافه عن علي، لأنّه تيمّي وقد كان بين بني هاشم وبني تيمم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر وبعد موت عمر بن الخطاب (رض) اجتمعوا وتشاوروا فأختلفوا، وانضمَّ طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى علي، وسعد إلى عبد الرحمن. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدّة الشورى فوق ثلاثة أيام، وإن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال: إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الَّذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على عليّ وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة ورسوله (ص) وسيرة الخليفين من بعده. فقال عليّ: أرجو أن أفعل وأعمل على ميثاق علمي وميثاقتي؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابته بنعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال: اللهم أسمع وأشهد. اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقية عثمان، وصفق يده في يد عثمان. وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبابيه. قالوا: وخرج الإمام عليّ واجداً، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: والله لقد تركت عليّاً وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد نقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لأعجب من قريش، إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني أخشى عليك الفتنة فأتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنّه قبل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظنّ هذا به! ولكن الله غلبي أن لا أكتمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعود فتحول إلى الحائط لا يكلمه! والله أعلم، والحكم لله يفعل ما يشاء.

(٤٤) المشابه بعضهم بعضاً دونه.

أَسْقَفْتُ إِذْ أَسْفُوا^(٤٦) وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِبُغْيِهِ^(٤٧) وَمَالَ
الْآخِرُ لِبُغْيِهِ^(٤٨) فَعَنْ هُنْ وَهْنُ^(٤٩). إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حَضْنِيهِ^(٥٠)
بَيْنَ نَيْلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يُحْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ حَضْمَةَ الْإِبِلِ نَيْتَةَ
الرَّبِيعِ^(٥١)، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ قَتْلَهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ^(٥٢) وَكَبِتَ بِهِ بَطْنُهُ^(٥٣). فَمَا
رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَتَنَالُونَ^(٥٤) عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ
وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشَقَّ عَطْفَايَ^(٥٥)، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ^(٥٦).

(٤٦) أسف الطائر: دنا من الأرض؛ يريد أنه لم يبالغهم في شيء.

(٤٧) صنّى صبغاً وصفاً صغواً: مال. والضغن: الضغينة يشير إلى سعد.

(٤٨) يشير إلى عبد الرحمن.

(٤٩) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، وقد أشرنا إلى بعضها في باب مناقشة الشورى.

(٥٠) يشير إلى عثمان؛ وكان ثالث الخلفاء. ونافجاً حَضْنِيهِ: رافعاً لها. والحضن: ما بين
الإبط والكشح؛ يقال للمتكبر: جاء نافعاً حَضْنِيهِ. ويقال مثله لمن امتلا بطنه طعاماً. والنَّيْلُ:
الروت. والمُعْتَلِفُ: من مادة (عَلَفَ) موضع العلف وهو معروف، أي: لا هم له إلا ما ذكر.
(٥١) الحَضْمُ، على ما في القاموس: الأكل مطلقاً، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم
بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب. والغضم: الأكل بأطراف الأسنان أخف من الغضم.
والنَيْتَةُ - بكسر النون -: كالنِبات في معناه.

(٥٢) انتكث قتلته: أنقض. وأجهز عليه عمله: تم قتلته، تقول: أجهزت على الجريح،
ودفقت عليه.

(٥٣) البِطْنَةُ - بالكسر -: البطر والأشر، والكظفة (أي: التخمعة) والإسراف في الشبع.
وكبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

(٥٤) عُرِفَ الضَّبُعُ: ما كثر على عتفها من الشعر، وهو نخين، يضرب به المثل في الكثرة
والازدحام.

ويتنالون: يتتابعون مزدحمين.

(٥٥) الحسنان: ولداه الحسن والحسين. وشقَّ عطفاه: خدش جانبيه من الاصطكاك. وفي
رواية: (شقَّ عطاياي)، والعطاف: الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

(٥٦) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين
يديه.

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَطَ آخَرُونَ^(٥٦) كَانَتْهُمْ
لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
حُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بَلَىٰ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا،
وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ^(٥٧) وَرَأَوْهُمْ زُبُرُجَهَا، أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ
النُّسْمَةَ^(٥٨) لَوْلَا حُضُورُ الْخَاصِرِ^(٥٩) وَقِيَامُ الْحَمِجَةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ
عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقَارُوا عَلَى كِبَلَةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبٍ مَظْلُومٍ^(٦٠) لَا لَقِيتُ حَبْلَهَا
عَلَى غَارِبِهَا^(٦١)، وَلَسَقِيتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أُولَهَا، وَلَا لَقِيتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ
عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عِزٍّ^(٦٢).

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد^(٦٣) عند بلوغه إلى هذا الموضع من
خطبته فنأوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا

٥٦ الناكثة: أصحاب الجمل. والمارقة: أصحاب النهروان. والقاسطون - أي
الجالثون -: أصحاب صفين.

٥٧ حلّيت الدنيا: من حلّيت المرأة إذا تزوّجت بحليها. والزبرج: الزينة من وضي أو جواهر.

٥٨ النسمة - محرّكة -: الروح، وبرأها: خلقها.

٥٩ من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لخدمة الإمام بحضوره.

٦٠ والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة.
والكفظة: ما يعتري الأكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب:
شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

٦١ الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

٦٢ عقطة العز: ما تنتزه من أنفها، تقول: عقطت تعقط من باب ضرب، غير أنّ أكثر
ما يستعمل ذلك في النعجة. والأشهر في العز النقط بالنون، يقال: ماله عافط ولا ناقط، أي
نعجة ولا عنز. كما يقال: ما له ثاغية ولا راغية. والعقطة: الحبيقة أيضاً، لكنّ الالتيق بكلام
أمير المؤمنين هو ما تقدّم.

٦٣ السواد: العراق، وسَمِي سواداً لحضرته بالزروع والأشجار، والعرب تسمي الأخضر
أسود. قال الله تعالى: ﴿مَدَامَتَانِ﴾ يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

أمير المؤمنين، لو أطرَدتَ خطبتك من حيث أفضيت .
 فقال: هَيْهَاتَ يَا أَبْنِ عَبَّاسَ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ^(٦٤) هَذَرْتُ ثُمَّ قَرْتُ .
 قال ابن عباس: فَوَاللَّهِ مَا أَسَفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ
 أَنْ لَا يَكُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ .
 نسوا أو تناسوا كُلَّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) وَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِ أَحْتَجُّ
 بِهِ الْإِمَامَ عَلِيَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ لِلتَّزَامِ مُعَاوِيَةَ وَنَظَائِرِهِ بِهِ .

الرابع - مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة
 من سَبَرِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، وَجَدَ أَنَّ حُكْمَ الْخِلَافَةِ إِلَى عَهْدِ الْخُلَفَاءِ
 الْعُثْمَانِيِّينَ الْأَتْرَاقَ كَانَ يَقُومُ عَلَى أَسَاسِ الْقَسْرِ، وَشَدَّ قِيَامَهُ خِلَافَ ذَلِكَ مِثْلَ
 حُكْمِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي الْأَمْرِ وَلَا مُنَاقَشَةَ لَنَا فِي ذَلِكَ .
 أَمَّا مَا قَالُوا: (مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً وَسَمِيَ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَبِيتَ وَلَا يَرَاهُ إِمَاماً بَرّاً كَانَ أَوْ
 فَاجِراً) .

لست أدري عَمَ يَتَكَلَّمُ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامُ: عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ فِي إِقَامَةِ الْحُكْمِ فِي
 الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، أَمْ عَنْ شَرِيعَةِ الْغَابِ لِمَجْتَمَعِ الْأَسْوَدِ وَالْفُهُودِ؟
 وَلَكِنِّي لَا يُوَافِقُنِي الْبَعْضُ عَلَى إِيْرَادِ أَقْوَالِ السَّابِقِينَ بِاعْتِقَادِ أَنَّ أَهْلَ هَذَا
 الْعَصْرِ لَا يُوَافِقُونَهُمْ فِي آرَائِهِمْ وَمَعْتَقَدَاتِهِمْ وَيَقُولُ الْآخَرُونَ: (فَلَنَكُنَ الْيَوْمَ فِي
 حَاضِرِ الْإِسْلَامِ)^(٦٥)، نَتَبَّهَ هُنَا صُورَةَ غُلَافِ كِتَابِ طَبِيعِ لِمَدَارِسِ بِلَدٍ فِيهِ

٦٤) الشَّقْشِقَةُ - بِكَسْرِ فَكُونِ فَكْسَرٍ - : شَيْءٌ كَالرُّةِ يَجْرُجُهُ الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ،
 وَصَوْتُ الْبَعِيرِ بِهَا عِنْدَ إِخْرَاجِهَا هَدِيرٍ، وَنَسْبَةُ الْهَدِيرِ إِلَيْهَا نَسْبَةٌ إِلَى الْآلَةِ؛ قَالَ فِي الْقَامُوسِ:
 وَالْخَطِيطَةُ الشَّقْشَقِيَّةُ الْعُلُويَّةُ، وَهِيَ هَذِهِ .

٦٥) مجلة الأزهر، مجلد ٣٢، باب الكتب من جلد ١٠، سنة ١٣٨٠ ص ١١٥٠ - ١١٥١
 فِي نَقْدِهِ لِكِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ .

الكعبة البيت الحرام ومسجد الرسول وحرمة، والكتاب يثني على يزيد ويروي الحديث في مدحه، يزيد الذي رمى الكعبة بالمنجنق وأباح مسجد الرسول وحرمة لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويقعون على النساء، كما سيأتي تفصيله في باب (جيش الخلافة يستباح حرم الرسول) وباب (مسير جيش الخلافة إلى مكة). وينشر في الحرمين الشريفين للدفاع عن يزيد والثناء عليه هذا الكتاب :

المكتبة العامة للبريد

وزارة المعارف
الكتبات المدرسية

حَقَائِقُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
يُنْيَسَ بْنِ مُعَاوِيَةَ



اطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)

رأينا في بحث وجوب طاعة الإمام بمدرسة الخلفاء كيف رووا عن رسول الله (ص) النهي عن الخروج على السلطان الجائر المخالف لسنة الرسول (ص) ووجوب طاعته؛ أما مدرسة أهل البيت (ع) فقد رووا عن رسول الله (ص) روايات تناقض تلك الروايات مثل رواية الإمام الحسين (ع) سبط رسول الله (ع) عن جده قال:

«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٦٦).

وبمقارنة نظير هذه الروايات بروايات مدرسة الخلفاء، أدركنا أن تلكم الروايات بمدرسة الخلفاء إنما رويت عن رسول الله (ص) احتساباً للخير وتأييداً للسلطات الحاكمة على المسلمين، وكان ذلك في أوائل العصر الأموي، ثم دونوها في عصر تدوين الحديث أوائل القرن الثاني الهجري بكتب الحديث صحاحها ومسانيدها^(٦٧) وتسالموا جميعاً على صحتها والعمل بها، وشرحها وعلّق عليها وأكدها علماء بلاط السلطات الحاكمة من محدّثين وقضاة وخطباء وأئمة الجمعة والجماعة وأشباههم مدى العصور في شتى البلاد منذ عصر الخلافة الأموية بالشّام والأندلس ثم العباسية في بغداد والعثمانيين في تركيا وحكّام المماليك في مصر والسلاجقة والغزنويين في إيران والاكراذ في الشّام، وأغدقت تلك السلطات عليهم الجاه والمال والحظوة في بلاطها، وتابعهم على ذلك الملأ من أتباعهم.

٦٦ في خطبة الإمام الحسين (ع) لجيش حرّ بن يزيد الرياحي، بتاريخ الطبري وأبن الأثير ومقتل الخوارزمي.

٦٧ تأتي الإشارة إليه في أوائل الجزء الثاني إن شاء الله تعالى.

وهكذا أنقسم المسلمون إلى مدرستين؛ مدرسة الخلفاء التي أغدق حكامها: المال والجاه والمناصب والخطوة على مروّجي أفكار مدرستها، ومدرسة أهل البيت (ع) التي قاومت تلك الأفكار والروايات المروية تأييداً للسلطات واجتهاداتها، فبذلت لها السلطات الحاكمة القتل والسجن والتشريد وحملات الإبادة وإحراق الكتب والمكتبات مدى العصور^(٦٨) لإبعاد أفكارها المحافظة على سنة الرسول (ص) من المجتمع وإخفائها عن أنظار المسلمين^(٦٩). وبعد كل ما ذكرنا، ماذا يصل إلينا من الحقائق في هذا العصر؟

خلاصة البحث

كان المنطق السائد يوم السقيفة في الأفعال والأقوال، هو المنطق القَبلي سواء أكان لدى المهاجرين أم الأنصار، وكانت بيعة أبي بكر يومذاك فلتة حسب تقويم الخليفة عمر لها.

ولم يستند الخليفة عمر إلى أي دليل من الكتاب والسنة في ما طرحه من إقامة الخلافة بالشورى وإنما اعتمد أجهاده الخاص.

اجتهد فجعل تعيين ولي الأمر من بعده بين ستة أشخاص لا أكثر من ذلك.

وأجتهده فجعلهم من المهاجرين دون الأنصار.

وأجتهده فجعل الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف دون الآخرين وقال: إذا اتفق أثنان على واحد وأثنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن. وأجتهده وقال: إذا صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فأتبعوه،

٦٨ يأتي شرحها في بحث حملة المغول على البلاد الإسلامية من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

٦٩ ندرس تفصيل كل ما ذكرناه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

فمن آتخذ من اجتهد الخليفة عمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص) مصدراً للتشريع الإسلامي، قال بأن الإمامة تقام بالشورى بين ستة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم.

وأما ما أستشهد به أتباع مدرسة الخلفاء بآية: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ فإن الآية لا تدل على أكثر من رجحان الشورى في أمر لم يأت عن الله ورسوله فيه أمر، لأن الله سبحانه كلياً أراد الفرض في أمر قال: كتب الله عليكم كذا، أو فرض كذا، أو جعل أو وصى، أو غيرها من الألفاظ الدالة على الوجوب.

وأما آية: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ في الخطاب للرسول (ص) فإن القصد المشاورة في الغزوات، ومن أجل تربية نفوس المسلمين أو إيجاد الشك والخلاف بين المشركين، وكلها كانت من أجل تعيين إجراء الحكم الشرعي، وليس من أجل معرفة الحكم الشرعي. ثم إنهم لم يعينوا كيف تكون الشورى من أجل تعيين الإمام، وقد رأينا كيف تمت الشورى لإقامة خلافة عثمان. هذا عن الشورى.

وأما البيعة فإنها لا تنعقد بالإجبار وحده اليف، ولا تنعقد للقيام بمعصية، ولا لمن يعصي الله.

وأما سيرة الأصحاب، فإن آتخذت في عداد الكتاب والسنة مصدراً للتشريع الإسلامي، صح الاستدلال بها، وإلا فلا.

وما أستشهد به في هذا المقام، من كلام الإمام علي (ع)، فإنه كان لمعالجة الخصم بما ألتمز به، وهذا متعارف لدى العقلاء، ثم إن إجماع الصحابة بما فيهم الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين يدل على رضا الله كما عبر عنه الإمام.

أما قولهم: من غلب بالسيف فهو أمير المؤمنين تحب طاعته برأ كان أو فاجراً، فهو الواقع الذي دأبوا عليه، كما يظهر ذلك لمن يدرس تاريخ الخلفاء

في الإسلام .

كانت هذه دراسة آراء مدرسة الخلفاء وأدلتهم عليها؛ أمّا مدرسة أهل البيت، فسندرس آراءهم وأدلتهم في البحث الآتي بحوله تعالى .

الفصل الثالث

بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة

إهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده

وصي الرسول (ص) ووزيره ووليّ عهده وخليفته من بعده

مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنّة الرسول (ص) المخالفة لآمّاجها

إنتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه

ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في أمر الحكم من بعده

ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة بتعيين الوصي في أمة موسى (ع)

الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم الأئمة عليّ وبنوه مبلّغون عن الرسول (ص)

في البحث السابق ذكرنا آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة وأدلتهم عليها .
 أما أتباع مدرسة أهل البيت (ع) فإنهم يشترطون في الإمام بعد النبي أن
 يكون معصوماً من الذنوب، منصوباً من قبل الله عز وجل، منصوباً عليه من
 قبل نبيه (ص)، لقوله تعالى الخليفة إبراهيم (ع) :
 ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴿
 البقرة/ ١٢٤ .

إذا فالإمامة عهد من الله يخبر نبيه عمن عهد الله إليه، كما يخبر عن سائر
 أوامر الله وأحكامه، وأنه لا ينال عهد الإمامة من الله من كان ظالماً، وأن كل
 من لم يتصف بالظلم إلى نفسه ولا إلى غيره فهو معصوم .
 وعلى هذا فالإمامة عهد وتعيين من الله، والرسول مبلغ إياها، ويلزمها
 العصمة . وقد تحقق هذان الشرطان في أئمة أهل البيت (ع) كما يأتي بيانهما .

عصمة أهل البيت (ع)

أخبر الله سبحانه وتعالى بأن أهل البيت - وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم - معصومون من الذنوب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ الأحزاب / ٣٣ .

شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة

روى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(١) قال :
 (لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً ، وَقَالَ : «أَدْعُوا لِي ، ادْعُوا لِي» . فَقَالَتْ صَفِيَّةُ^(٢) : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «أَهْلُ بَيْتِي عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ

(١) يستدرك الصحيحين ١٤٧/٣ .

وعبد الله بن جعفر ذو الجناحين : أبْنِ عَمَّ النَّبِيِّ أَبِي طَالِبٍ وَأُمَّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسِ الْخَثْعَمِيَّةِ . وَلَدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي هَجْرَةِ أَبِيهِ إِلَيْهَا ، وَهَاجَرَ أَبُوهُ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَكَانَ حَلْبِيًّا كَرِيمًا يُقَالُ لَهُ : بَحْرُ الْجُودِ ، تُوْفِيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ عَامَ الْجَحَافِ - عَامَ جَاءَ فِيهِ سَيْلٌ عَظِيمٌ يَبْطُنُ مَكَّةَ جَحْفَ الْحَاجِّ وَذَهَبَ بِالْإِبِلِ عَلَيْهَا أَحْمَالُهَا - . وَرَوَى عَنْهُ أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ٢٥ حَدِيثًا . تَرَجَمَتْ بِأَسَدِ الْغَابَةِ وَجَوَامِعِ السِّيَرَةِ ص ٢٨٢ .

(٢) صفية بنت حيي بن أخطب : من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل ، وأمها برة بنت السموأل من بني قريظة . كانت زوجة كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر فأصطفاهما النبي وقال لها : إِنْ أَخَذْتَ الْإِسْلَامَ أَمْسَكَتْكَ لِنَفْسِي وَإِنْ أَخَذْتَ الْيَهُودِيَّةَ فَمَعْسَى أَنْ أَعْتَقَكَ فَتُلْحِقَنِي بِشَوْمِكَ ، فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ هَوَيْتَ الْإِسْلَامَ وَصَدَّقْتَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَنِي حَيْثُ صَرْتَ إِلَى رَحْلِكَ ، وَمَا لِي فِي الْيَهُودِيَّةِ لِرَبِّ وَمَا لِي فِيهَا وَالِدٌ وَلَا أَخٌ ، وَتُعَيِّرُنِي

والحسين^(٣). فجيء بهم. فألقى عليهم النبي (ص) كساءه، ثم رفع يديه،

الكفر والإسلام، قاله ورسوله أحب إلي من العنق وأن أرجع إلى قومي. فأعتدت ثم تزوجها النبي وتوفيت في سنة ٥٢ هـ. وروى عنها أصحاب الصحاح ١٠ أحاديث. ترجمتها بطبقات ابن سعد ١٢٠/٨ - ١٢٩. وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

(٣) فاطمة بنت رسول الله (ص) وأمها أم المؤمنين خديجة (ع).

في ترجمتها بأسد الغابة والإصابة: أن كتبها أم أبيها وأنه أنقطع نسل رسول الله إلا منها، وقال رسول الله (ص) لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويغضب لرضاك». أخرجه - أيضاً - الحاكم في مستدركه ١٥٣/٣. وبميزان الاعتدال ٧٧/٢. وتهذيب التهذيب ٤٤١/١٢. وفي باب مناقب فاطمة بصحيح البخاري ٢٠٠/٤ و٢٠١ و٢٠٥: قال رسول الله (ص): «فاطمة بضعة مني، من أغضبها أغضبي».

وفي رواية أخرى فيه بباب ذب الرجل عن أبيته من كتاب التكاثر ١٧٧/٣، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذي، ومسنند أحمد ٤١/٤ و٣٢٨. ومستدرك الصحيحين ١٥٣/٣: ويؤذني ما آذاها، أو يؤذيها.

وكان آخر الناس عهداً برسول الله إذا سافر فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس عهداً به فاطمة، كما في مستدرك الصحيحين ١٥٦/٣ و١٥٥ و٤٨٩/١. ومسنند أحمد ٢٧٥/٥. وسنن البيهقي ٢٦/١.

وفي باب فرض الخمس من صحيح البخاري ١٢٤/٢، عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إن رسول الله قال: «لا نورث ما تركنا صدقة». فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر.

وفي باب غزوة خيبر منه ٣٨/٣: فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها، وكان عليّ وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر...

ورواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد ١٥٤/٥. ومسنند أحمد ٩/١. وسنن البيهقي ٣٠٠/٦.

وترجمتها في أسد الغابة: وأوصت إلى أسماء أن تغسلها ولا تدخل عليها أحداً، فلما توفيت جاءت عائشة فمعتها أساء.

ثم قال: «اللهم هؤلاء آتوا فصل على محمد وآل محمد». وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وفي رواية أم المؤمنين عائشة: أَنَّ الكساء كان مرطاً مريحاً من شعر أسود^(٤).

قال المؤلف:

ولم يعرف موضع قبرها حتى اليوم. وروى عنها أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. جوامع السيرة ص ٢٨٣. والحسان سبطا رسول الله وآبنا علي وفاطمة. ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. في سنن ابن ماجه باب فضائل أصحاب رسول الله (ص). ومستدرک الصحيحين ١٦٧/٣. ومصادر كثيرة غيرها.

بائع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقي أكثر من سنة أشهر في الخلافة، ثم أقتضت مصلحة الإسلام العليا أن يصلح معاوية. ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد دس إليه السم فقتله سنة خمسين. أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢٥١/١ - ٢٦٦.

وفي سنة ستين أبى الحسين أن يبايع يزيد وقال: «وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد». فقتله جيش يزيد بكريلاء عاشوراء سنة إحدى وستين. اللهوف لابن طاووس.

روى أصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخاري ومسلم، وعن الحسين ٨ أحاديث. جوامع السيرة ص ٢٨٤ و٢٨٦. وتقريب التهذيب ١٦٨/١.

(٤) الموطأ: كساء من صوف أو خز. والمرحل من الثياب: ما أشبهت نقوشه رحال الإبل. وعائشة بنت أبي بكر وأتتها أم رومان. ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، بنتيها الرسول (ص) بعد ثمانية عشر شهراً من هجرته إلى المدينة. وتوفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩، وصلى عليها أبو هريرة. وروى عنها أصحاب الصحاح ٢٢١٠ أحاديث، راجع كتابنا أحاديث عائشة.

ورويتها في شأن نزول آية التطهير في صحيح مسلم ١٣٠/٧، باب فضائل أهل بيت النبي. ومستدرک الصحيحين ١٤٧/٣. وتفسير الآية في تفسير ابن جرير والدر المنثور للسيوطي.

وفي رواية الصحابي وثلة بن الأسقع: إن رسول الله أدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه - الحديث^(٥).

وفي رواية أم المؤمنين أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...﴾ وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل (ع) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله ألسنت من أهل البيت؟ قال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ. إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ»^(٦).

وقد روى شأن نزول آية التَّطَهِيرِ غير من ذكرنا كل من:

أ - عبد الله بن عباس^(٧).

ب - عمر بن أبي سلمة^(٨) ربيب النبي (ص).

وآية المباهلة في تفسير الزمخشري والرازي. وسنن البيهقي ١٤٩/٢.

٥) وثلة بن الأسقع الثبتي: أسلم والنبي يتجهز إلى تبوك. وقيل إنه خدم النبي ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثلاثين أو ثلاث وثلاثين بدمشق أو ببيت المقدس. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩. وروايته في شأن آية التطهير بسنن البيهقي ١٥٢/٢، ورواية أخرى منه بمسند أحمد ١٠٧/٤. ومستدرك الصحيحين ٤١٦/٢ و١٤٧/٣. ومجمع الزوائد ١٦٧/٩. وأبن جرير والسيوطي في تفسير الآية من تفسيرها. وأسد الغابة ٢٠/٣.

٦) رواية أم سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي ١٩٨/٥ و١٩٩.

ورواية أخرى في سنن الترمذي، ٢٤٨/١٣. ومسند أحمد ٣٠٦/٦. وأسد الغابة ٤/٢٩.

و٢٩٧/٢. وتهذيب التهذيب ٢٩٧/٢.

وأخرى بمستدرك الصحيحين ٤١٦/٢ و١٤٧/٣. وسنن البيهقي ١٥٠/٢. وأسد الغابة ٥٢١/٥ و٥٨٩. وفي تاريخ بغداد ١٢٦/٩.

وأخرى: بمسند أحمد ٢٩٢/٦.

٧) رواية ابن عباس بمسند أحمد ٣٣٠/١، وخصائص النسائي ص ١١. والرياض النضرة ٢٦٩/٢. ومجمع الزوائد ١١٩/٩ و٢٠٧. وتفسير الآية بالدر المنثور.

٨) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومي: ربيب رسول الله، أمه أم

ج - أبو سعيد الخدري^(٩).

د - سعد بن أبي وقاص^(١٠).

هـ - أنس بن مالك^(١١)، وغيرهم^(١٢).

وَأَسْتَشْهَدُ بِهَا الْحَسَنَ السَّبْطَ (ع) عَلَى الْمُنْبَرِ^(١٣)، وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (ع) فِي الشَّامِ^(١٤).

سلمة. ولد في الحيرة. شهد مع عليّ الجمل، وأستعمله على البحرين وعلى فارس. توفي سنة ٨٣هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٢ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤. وحديث بشأن آية التطهير في: «فضائل الخمسة» ١/ ٢١٤ عن صحيح الترمذي ٢٠٩/٢.

٩) رواية أبي سعيد في تفسير الآية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٧٨. وجمع الزوائد ٩/ ١٦٧ و١٦٩. وستاتي ترجمته في الهامش رقم (٥) ص ٢٩٥.

١٠) سعد بن أبي وقاص. - مَرَّتْ ترجمته في الهامش رقم (٦٢) من بحث: الواقع التاريخي - وأبى أن يبايع عليّاً، وأبى على معاوية أن يسب عليّاً. ودسّ إليه معاوية السمّ لما أراد أن يبايع يزيد، فمات. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وصحيح مسلم ٧/ ١٢٠ وأحاديث أم المؤمنين عائشة ١/ ٣٥٦ ط. بيروت ١٤٠٥هـ.

وروايته بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤ - ٥. وسنن الترمذي ١٣/ ١٧١ - ١٧٢.

١١) رواية أنس بن مالك في سنن الترمذي ١٣/ ٢٤٨. وجمع الزوائد ٩/ ٢٠٦.

١٢) مثل قتادة في تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته بأسد الغابة ٣/ ٤١٣، ومغلل بن يسار، راجع سنن الترمذي ١٣/ ٢٤٨.

١٣) روي آستشهاد السبط بمسندك الصحيحين ٣/ ١٧٢. وجمع الزوائد ٩/ ١٤٦ و١٧٢.

١٤) علي بن الحسين: أمّه بنت يزيد كذا في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزخشي راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب. وماتت في نفاسها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، وزوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ٢/ ١٢٨) ويبدو أنها كانت تسمّى غزالة. توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين.

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتي إلى باب دار عليّ وفاطمة يسلم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس:

شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنّما يريد الله... الصلّاة رحمكم الله» كلّ يوم خمس مرّات^(١٦).

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى باب عليّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: «الصلّاة، إنّما يريد الله...»^(١٧).

وقال أبو برزة: إنّهُ صلّى مع رسول الله سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة...^(١٨).

وعن أنس بن مالك ستة أشهر^(١٩). وروى - أيضاً - غيرهم في ذلك. في هذه الآية، أخبر الله عن المعصومين في عصر رسول الله خاصّة، وعينهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم وقراءة الآية في ملا من أصحابه عدّة شهور على باب بيّتهم.

وروى عنه أصحاب الصباح بعض الأحاديث وأستشهاده بآية التطهير وجاء في تفسير الآية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الأعيان ٤٢٩/٢. وتاريخ البعقوبي ٣٠٣/٢.

(١٥) رواية ابن عباس في تفسير الآية وآية «وأمر أهلك». من الدر المنثور.

(١٦) أبو الحمراء: مولى رسول الله، أسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، والحدّيث بترجمته في الاستيعاب ٥٩٨/٢. وأسند الغابة ١٧٤/٥. وجميع الزوائد ١٦٨/٩.

(١٧) أبو برزة الأسلمي: اختلفوا في اسمه. توفي في البصرة سنة ستين أو أربع وستين. روى عنه أصحاب الصباح ٢٠ أو ٤٦ حديثاً. ترجمته بأسند الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و٢٨٣. وحدّيته المذكور في مجمع الزوائد ١٦٩/٩، لفظه: سبعة عشر شهراً ونراه من غلط النسخ.

(١٨) رواية أنس بمسند أحمد ٢٥٢/٣. والطائلي ٢٧٤/٧، ح ٢٥٠٩. وأسند الغابة ٥٢١/٥. وتفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي.

إن هذه الآية، وما ورد عن رسول الله (ص) من قول وفعل في تفسيرها، تكفي دليلاً لإثبات عصمة أهل البيت (ع).

ومن الناحية العملية، لم يسجل التاريخ عن أئمة أهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على أن التاريخ الإسلامي دون من قبل علماء مدرسة الخلفاء، وغالباً ما دونوا في كتب التاريخ الإسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، وكان الخلفاء مدى العصور جاذبين لإطفاء نور أئمة أهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين إليهم (ع) ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا، وشدوا منهم من شدوا، وخاصة بنو أمية الذين امرؤا بلعن الإمام علي (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينج من عذابهم ومطاردتهم عبيد أئمة أهل البيت وشيعتهم ومن اعتقد بإمامتهم؛ مع كل ذلك لا نجد في التاريخ المدون أية صغيرة أو هفوة نسبت إلى أئمة أهل البيت (ع). وكفى بهذا دليلاً على أن الله عصمهم من الرجز وطهرهم تطهيراً.

كان هذا أهم أدلة مدرسة أهل البيت على عصمة أهل البيت (ع)، وفي ما يأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في إمامتهم، وقد قال الله تعالى في حق رسوله:

﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ النجم / ٣ - ٤ .

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده

قبل أن ندرس النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين أولي الأمر من بعده، ندرس شيئاً من اهتمام الرسول (ص) بهذا الأمر في ما يأتي:

إن أمر الإمامة بعد الرسول (ص) كان من الأمور المهمة التي لم تغب عن بال الرسول (ص) ومن كان حوله، بل كانوا يفكرون فيه منذ البدء؛ فقد رأينا ببصرة من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول الله (ص) لإسلامهم أن يكون لهم أمر من بعد الرسول (ص)، ورأينا هودة الحنفي يطلب من الرسول (ص) منحه شيئاً من الأمر.

وكذلك كان الرسول (ص) - أيضاً - يفكر في الأمر من بعده ويدبر له منذ أول يوم دعا إلى الإسلام، وأول يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي .

أما تدبيره في أول يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي، فقد كان ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والنسائي وأبن ماجة في سننهما، ومالك في الموطأ، وأحمد في المسند، وغيرهم في غيرها - واللفظ للأول - قال:

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في (العسر واليسر) والمنشط والمكره . وأن لا ننازع الأمر أهله . . .^(١)

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ح ١، ١٦٣/٤ .

ولفظ العسر واليسر في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح ٤١ و ٤٢ . وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على أن لا تنازع الأمر أهله . وسنن أبن ماجة، كتاب الجهاد، باب البيعة ح ٢٨٦٦ . وموطأ مالك، كتاب

وعبادة هذا كان أحد النقباء الاثني عشر على الأنصار يوم بيعة العقبة الكبرى^(١) حين قال النبي (ص) للنيف والسبعين من الأنصار الذين بايعوه: أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا من بينهم اثني عشر نقيباً، فقال رسول الله (ص) للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم (ع) . . . (٢) .

إن عبادة بن الصّامت أحد أولئك النقباء الاثني عشر روى من بنود البيعة التي بايعوا الرسول عليها: «أن لا ينازعوا الأمر أهله» .



ولما أراد رسول الله (ص) من (الأمر) الوارد في هذا الحديث الصحيح، والذي يذكر فيه أخذ البيعة من اثنين وسبعين رجلاً وأمرأتين من الأنصار أن لا ينازعوا الأمر أهله، هو الأمر الذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة^(٣)، وأهل الأمر هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(٤) .

وإن رسول الله (ص) وإن لم يشخص هنا وليّ الأمر من بعده، لأنه لم يكن من الحكمة أن يعرف وليّ الأمر من بعده وهو من غير قبيلة الأنصار، ولعلّ

الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، ح ٥ . ومسنّد أحمد ٣١٤/٥ و٣١٦ و٣١٩ و٣٢١، وراجع ٤١١/٤ منه .

وترجمة عبادة بسير أعلام النبلاء ٣/٢ . وتهذيب ابن عساکر ٢٠٧/٧ - ٢١٩ .

(٢) بترجمة عبادة في الاستيعاب ٤١٢/٢ . وأسد الغابة ١٠٦/٣ - ١٠٧ .

(٣) الطبري . ط . أوروبا ١/١٢٢١ .

(٤) راجع نزاع الأنصار القبلي مع المهاجرين في فصل السقيفة وبيعة أبي بكر، بأول الكتاب .

(٥) النساء/٥٩ . ويأتي تفسيرها والأحاديث الواردة عن رسول الله (ص) حوله في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى .

نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمل ذلك يومئذ، غير أنه أخذ البيعة منهم أن لا ينازعه حين يعينه لهم بعد ذلك.

وقد عين الرسول (ص) وليّ الأمر من بعده وشخص وصيه وخليفته في مجتمع أصغر من هذا المجتمع، وذلك في أول يوم دعا الأقربين إليه للإسلام، كما رواه جمع من أهل الحديث والسير مثل: الطبري، وأبن عساكر، وأبن الأثير، وأبن كثير، والمتقي، وغيرهم - واللفظ للأول^(٦) - قال: عن علي بن أبي طالب (ع) قال:

لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ الشعراء/ ٢١٤. دعاني رسول الله (ص) فقال لي:

يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أبادهم بهذا الأمر، أرى ما أكره، فصمت عليه، حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فأصنع لنا صاعاً من طعام، وأجعل عليه رجل شاة، وأملأ لنا عساً من لبن، ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به.

فعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمة، والعباس، وأبو لهب. فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلما وضعته تناول رسول الله (ص) حذية (أي: قطعة) من اللحم فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في

(٦) تاريخ الطبري ط. أوريا ١١٧١/٣ - ١١٧٢. وأبن عساكر تحقيق المحمدي ج ١ من ترجمة الإمام. وتاريخ أبن الأثير ٢/ ٢٢٢. وشرح أبن أبي الحديد ٣/ ٢٦٣. وفي تاريخ أبن كثير ٣/ ٣٩، وقد حذف اللفاظ وقال: كذا وكذا. وكثر العمال للمتقي، ١٥/ ١٠٠ و ١١٥ و ١١٦ منه، وفي ص ١٣٠: يكون أخي وصاحبي ووليكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الإسلامية ببيروت ١/ ٢٨٥.

نواحي الصَّحفة، ثمَّ قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتَّى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلَّا موضع أيديهم. وأيم الله الَّذي نفس عليَّ يده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثمَّ قال: إسقِ القوم. فجثتهم بذلك العس، فشربوا منه حتَّى رَووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدَّ ما سحركم صاحبكم. فنفَّرَ القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال الغد: يا عليَّ إنَّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فنفَّرَ القوم قبل أن أكلمهم، فعذَّ لنا من الطَّعام بمثل ما صنعت، ثمَّ أجمعهم إليَّ.

قال: ففعلت، ثمَّ جمعتهم، ثمَّ دعاني بالطَّعام، فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتَّى ما لهم بشيء حاجة، ثمَّ قال: إسقهم. فجثتهم بذلك العس، فشربوا حتَّى رَووا منه جميعاً. ثمَّ تكلم رسول الله (ص) فقال: يا بني عبد المطلب، إنِّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا قد جثتكم به. إنِّي قد جثتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه.

فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيَّي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنه جميعاً وقلت - وإنِّي لأحدثهم سنًا وأرمصهم عينًا، وأعظمهم بطنًا، وأحمشهم ساقًا - : أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقيتي، ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي ووصيَّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع.



كانت هذه الدعوة في السَّنة الثالثة من البعثة، وهي أوَّل مرَّة أظهر فيها الرِّسول (ص) الدعوة إلى الإسلام، وشخَّص فيها الإمام من بعده وعرفه

للاقربين إليه. ولأنها فعل ذلك هنا، ولم يفعله بعدها بعشر سنوات ويوم أخذ البيعة من الأنصار لإقامة المجتمع الإسلامي، لأن الإمام كان من غير قبائل الأنصار وكان بناء المجتمع عندهم على أساس قبلي، ولم يكن من الحكمة أن يأخذ البيعة منهم لمن يلي الأمر بعده وهو ليس من قبائل الأنصار، فأكتفى في ذلك المقام بأخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه في الأمر.

وفي هذه المرة شخّصه للأقربين إليه في محاورة شبيهة بمشاوره أصحابه في غزوة بدر، فإنه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الأمر، كما أخبر بها أصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين، مع ذلك استشارهم أول الأمر في ما يفعل، وكذلك فعل هنا، فإنه مع علمه بالعاقبة وأن الذي يقبل مؤازرته هو الإمام عليّ، مع ذلك علّق تعيين الوزير والوصي والخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ ولتقدّم بالقبول أيّهم شاء، ولما أبى كلّهم ذلك، وبادر بالقبول أبن عمّه عليّ، أخذ برقبته وقال فيه ما مرّ وأمرهم بطاعته.



رأينا في ما مرّ بنا إلى هنا اهتمام الرسول (ص) بأمر الإمامة من بعده: يشخّصه في مكان، ويأخذ البيعة أن لا ينازعوه في مكان آخر، ويقابل طمع الطامعين بالرفض في غيرهما.

ومن أجل أن ندرك مدى اهتمام الرسول (ص) بأمر من يستخلفه من بعده، ندرس في ما يأتي ما كان يعمل (ص) عندما يغيب عن المدينة أياماً معدودات في الغزوات، وكيف كان يعيّن خليفة عليهم من بعده.

باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته

في السنة الثانية من الهجرة:

أذن لرسول الله (ص) بالقتال في صفر من السنة الثانية، فغزا بالمهاجرين

يعترض عيراً لقريش فبلغ ودان والأبواء^(٧).

أولاً: استخلف سعد بن عبادَةَ سيّد الخزرج من الأنصار خمس عشرة ليلة، مدة غيبته عن المدينة.

ثانياً: استخلف في غزوة بواط^(٨) سجد بن معاذ من سادة الأوس من الأنصار في ربيع الأول.

ثالثاً: استخلف مولاة زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري - وكان أغار على سرح المدينة - فبلغ (ص) سفوان وفاته كرز والسرح^(٩).

رابعاً: استخلف أبا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى الأولى أو الثانية يعترض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، وفاته، وكان القتال ببدر في رجوعها من الشام^(١٠).

(٧) الأبواء: قرية من أعمال فراض على بعد ٢٣ ميلاً من المدينة، فيها قبر أمّ النبي (ص). ودان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها وبين الأبواء ستة أميال. معجم البلدان.

(٨) بواط: من جبال جهينة من طريق الشام، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، ويرد: جمع البريد ويبلغ البريد: اثني عشر ميلاً. في معجم البلدان بهاء بواط. يبدو جلياً مراعاة رسول الله (ص) في الغزوتين الأولتين مشاعر الأنصار القبلية حين استخلف في الأولى سيّد الخزرج وفي الثانية سيّداً من الأوس.

(٩) كانت هذه الغزوة أيضاً في ربيع الأول ويعد بواط. وسفوان: وإد بناحية بدر. كرز بن جابر بن حسل الفهري: قتل يوم الفتح مع رسول الله (ص). راجع جمهرة أنساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب بن فهر، وترجمته من الإصابة. (١٠) ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية يثع يبعد عن المدينة تسعة برد.

وأبو سلمة: عبد الله بن عبد الأسد، أمه برة عمّة الرسول (ص) وأبنة عبد المطلب. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. حضر بدرأً وخرج في أحد ومات منه في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. راجع ترجمته في أسد الغابة.

خامساً: استخلف ابن أم مكتوم الضرير في غزوة بدر الكبرى، وغاب عن المدينة تسعة عشر يوماً^(١١).

سادساً: استخلف أبا لبابة الأنصاري الأوسي في غزوة بني قينقاع^(١٢).
سابعاً: استخلف أيضاً أبا لبابة في غزوة السوق، وكان خروجه (ص) في طلب أبي سفيان حين أقبل في مائتي راكب ليبرّ بذرّه أن لا يمسّ الطّيب والنساء حتى يثار لأهل بدر، وأنتهوا إلى العريض فبلغهم خروج النبيّ (ص) فجعلوا يلقون جرب السوق تحفّفاً، فسقيت غزوة السوق^(١٣).

في السنة الثانية :

ثامناً: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة قُرْقَرَة الكُدْر، وسار (ص) للنّصف من المحرّم يريد سليم وغطفان - قبيلتين من قيس عيلان - فأنجفوا، وغنم من أموالهم، ورجع ولم يلق كيداً^(١٤).
تاسعاً: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة قَرَان، وغاب عن المدينة عشرة

(١١) خرج الرسول (ص) من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

(١٢) قال أهل السيرة: لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستوخموا فأتوا العالية فنزل بنو النضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزوراً - وهما واديان ييطان من حرة هناك - فاتخذ بنو النضير الخدائق والأطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها إلى أن غزاهم النبيّ (ص) وأخرجهم منها. راجع مادة: (بطحان) و(مهزور) من معجم البلدان.

وأبو لبابة: بشير أورداعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، أحد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورداعة وأبي لبابة في أسد الغابة.

(١٣) العريض: وادي المدينة. معجم البلدان، مادة: (عريض).

(١٤) قُرْقَرَة الكُدْر: ناحية معدن بني سليم ممّا يلي حارة العراق إلى مكّة وهي على بعد ثمانية أيام من المدينة. معجم البلدان، مادة: (قُرْقَرَة). سار إليها النبيّ في النصف من المحرم.

أيام من جمادى الآخرة، فتفرقوا ولم يلق كيداً^(١٥).

عاشراً: استخلف عثمان بن عفان في غزوة ذي أمر بنجد، سار (ص) يريد غطفان، فأنجفوا من بين يديه ولم يلق كيداً، وغاب فيها عن المدينة عشرة أيام.

حادي عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة أحد، وقاتل المشركين في سفح جبل أحد - على بعد ميل من المدينة - غاب فيها عن المدينة يوماً واحداً.
ثاني عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة حمراء الأسد - على بعد عشرة أميال من المدينة - سار في طلب أبي سفيان حين بلغه أنه يريد الكرّ على المدينة، ففاته أبو سفيان ومن معه، فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة.

في السنة الرابعة:

ثالث عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة بني النضير بناحية الغرس، حصرهم خمسة عشر يوماً، ثم أجلاهم عنها^(١٦).

رابع عشر: استخلف عبد الله بن رواحة الأنصاري في غزوة بدر الثالثة ستة عشر يوماً، وأقام فيها ثمانية أيام لموعد أبي سفيان إياهم في أحد أنه سيقاتلهم العام القادم في بدر، وخرج أبو سفيان من مكة إلى عسفان، ثم عاد منها إلى مكة^(١٧).

١٥) قرآن: معدن بني سليم بناحية الفرع من المجاز. معجم البلدان ولسان العرب، مادة: (قرآن).

١٦) كانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا وما والاها، وقبا: قرية على ميلين من المدينة، وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية به. معجم البلدان، مادة: (غرس) و(قبا).

١٧) عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبة. شهد المشاهد مع رسول الله (ص) وكان أحد الأمراء الثلاثة الذين استشهدوا في مؤتة. ترجمته في الاستيعاب وأسد الغاية.

في السنة الخامسة :

خامس عشر: استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفان خمس عشرة ليلة وخرج لعشر خلون من المحرم ، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الأودية^(١٨) .

سادس عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني - وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم - فهرب وتفرق أهلها ، فلم يجد بها أحداً ، فأقام أياماً وعاد إلى المدينة وهي أول غزواته إلى الروم^(١٩) .

سابع عشر: استخلف مولاة زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء المريسيع ثمانية عشر يوماً ، خرج فيها لليلتين خلتا من شعبان^(٢٠) .

ثامن عشر: استخلف في غزوة الخندق ابن أم مكتوم ، وهو يقاتل الأحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال أو ذي القعدة .

تاسع عشر: استخلف أبا رهم الغفاري في غزوة بني قريظة ، وهم على بعض يوم من المدينة ، حصرهم خمسة عشر يوماً أو أكثر ، بدأهم بسبع بقين من ذي القعدة^(٢١) .

(١٨) ذات الرقاع : جبل قريب من النخيل مما يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمراء وسود وبيض . راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والإشراف للمسعودي .

(١٩) دومة الجندل : كانت حصناً مبنياً بالجندل في متسع من الأرض خمسة فراسخ ، وهي على سبع مراحل من دمشق ، بينها وبين مدينة الرسول (ص) خمس عشرة ليلة . راجع مادة : (دومة) بمعجم البلدان وترجمة الغزوة في التنبيه والإشراف للمسعودي ، ذكر السنة الخامسة .

(٢٠) ماء المريسيع : على طريق الفرع والفرع ثمانية برد من المدينة .

(٢١) أبو رهم : كلثوم بن الحصين : أسلم بعد قدوم النبي (ص) المدينة ، شهد أحداً فرمى بسهم في نحره فبصق عليه النبي (ص) فبرأ . انظر ترجمته في أسد الغابة .

في السنة السادسة :

عشرين : استخلف في غزوة بني لحيان من هذيل ، بالقرب من عسفان ، ابن أم مكتوم ، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيداً^(٢٢) .

حادي وعشرين : استخلف ابن أم مكتوم ، خمس ليال في غزوة ذي قرد ، على ليلتين من المدينة^(٢٣) .

ثاني وعشرين : استخلف ابن أم مكتوم في غزوة الحديبية^(٢٤) .

في السنة السابعة :

ثالث وعشرين : استخلف سباع بن عُرْفُطَةَ في غزوة خيبر ، وهي على بعد ثمانية برد من المدينة ، وبعد فتح قلاعها عنوة وصلحاً سار إلى وادي القرى فحصرهم أياماً حتى أفتتحها عنوة ، ثم صالح أهل تيباء وهي على ثمانية مراحل من الشام ، ووادي القرى بينها وبين المدينة^(٢٥) .

رابع وعشرين : واستخلف أيضاً سباع بن عرطفة في عمرة القضاء^(٢٦) .

(٢٢) بنو لحيان ، نسبهم في جمهرة أنساب ابن حزم ط . مصر سنة ١٣٨٢ ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .

وعسفان بين مكة والمدينة ، اختلفوا في تعيين موضعه . معجم البلدان ، مادة : (عسفان) .
(٢٣) ذي قرد : من طريق خيبر ، وكان عيينة بن حصن الفزاري أغار على لقاحه وهو بالغابة وهي على برود من المدينة أو أكثر . فخرج (ص) يوم الأربعاء لثلاث أو لأربع خلون من شهر ربيع الأول فاستنقذ بعضها وعاد إلى المدينة . التنبيه والإشراف ، ذكر السنة السادسة .

(٢٤) خرج الرسول (ص) يوم الاثنين هلال ذي القعدة للعمرة فصده المشركون عن دخول مكة ، فأقام بالحديبية حل تسعة أميال من مكة ، ثم وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر في السنة القادمة .

(٢٥) سباع بن عرطفة الغفاري : استعمله النبي على المدينة لما سار إلى خيبر وتيباء . ترجمته بأسد الغابة .

(٢٦) سار النبي (ص) لست ليال خلون من ذي القعدة .

في السنة الثامنة :

خامس وعشرين : استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري في غزوة مكة .
سادس وعشرين : سار بعد غزوة مكة إلى هوازن لغزو حنين ، وحنين واد
إلى جانب ذي المجاز يبعد ثلاث ليال عن مكة ، وبقي - أيضاً - أبورهم والياً
على المدينة في هذه الغزوة .
سابع وعشرين : وأستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك - على بعد
تسعين فرسخاً من المدينة - .
وهي آخر غزواته ، وكانت غزواته ثمانية وعشرين غزوة إن اعتبرنا خيبر
ووادي القرى غزوتين ، وإلا فهي سبع وعشرين غزوة .

* * *

رجعنا في ذكر أسماء من أستخلفهم رسول الله (ص) على المدينة في غيابه
عنها إلى التنبيه والإشراف للمسعودي في ذكره التاريخ من السنة الثانية إلى
السنة الثامنة من الهجرة ، وقد يختلف في ذكر أسماء من ولّاه رسول الله (ص)
على المدينة مع غيره أحياناً . أما ما ذكره في استخلاف الإمام عليّ على المدينة في
غزوة تبوك فقد قال ذلك - أيضاً - إمام الحنابلة في مسنده في ما رواه عن سعد
ابن أبي وقاص ؛ قال :

إن رسول الله (ص) حين خرج في غزوة تبوك أستخلف عليها علياً (رض)
على المدينة ، فقال عليّ : يا رسول الله ما كنت أحب أن تخرج وجهاً إلا وأنا
معه . فقال : أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا
نبي بعدي^(٢٧) .

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب

(٢٧) مسند أحمد ١/ ١٧٧ .

غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن أبي وقاص أيضاً أنه قال :
 إن رسول الله (ص) خرج إلى تبوك وأستخلف علياً فقال: اتخلفني في
 الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا
 أنه لا نبي بعدي^(٢٨).

وما رواه مسلم - أيضاً - في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه قال :
 سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له
 علي: يا رسول الله خلّفتني مع الصبيان والنساء؟ فقال له رسول الله (ص):
 أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي^(٢٩).

* * *

هكذا لم يرغب الرسول (ص) في غزواته عن المدينة أياماً معدودات دون
 أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه مدة غيابه عن المدينة، بل إنّه لم يرغب يوماً
 عن المدينة أو بعض يوم دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه، كما كان
 الشأن في غزوة أحد، وكان جبل أحد على بعد ميل من المدينة، فإنه (ص) قد
 عين خليفته عليهم مدة غيابه عنهم، بل وفي غزوة الخندق أيضاً حيث كان
 يقاتل في المدينة وأستقرّ دون الخندق، عين لأهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم
 في الحرب.

إذا كان هذا دأب الرسول (ص) في غيابه عن المدينة بعض يوم، كذلك
 في حال انشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة، فماذا فعل لأمرته من بعده هو

(٢٨) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك ٥٨/٣.

(٢٩) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب، ح ٣٢،
 وراجع أيضاً مسند أبي داود الطيالسي ٢٩/١. وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٩٥/٧ و١٩٦. ومسند
 أحمد ١٧٣/١، ١٨٢، ٣٣٠ و١٥٣/٤. وتاريخ بغداد للخطيب ٤٣٢/١١. وخصائص
 النسائي ص ٨ و١٦. وطبقات ابن سعد ٣/١٠٥.

يتركهم أبد الدهر؟ هل تركهم هملاً، ولم يعين لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين ولي الأمر من بعده

نبداً هذا الباب بذكر ما فعله الأنبياء في تعيين الوصي وولي الأمر لأمتهم من بعدهم .

الوصية في الأهم السابقة

قد سلسل المسعودي^(١) اتصال الحجج وأوصياء الأنبياء من لدن آدم حتى خاتم النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - وأوصيائه، فقد ذكر - مثلاً - :

أن وصي آدم كان هبة الله وهو شيث بالعبودية .

وأن وصي إبراهيم كان إسماعيل (ع) .

وأن وصي يعقوب كان يوسف (ع) .

وأن وصي موسى كان يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف (ع) وخرجت عليه صفورا زوجة موسى (ع) .

(١) إثبات الوصية، للمسعودي، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ص: ٥ - ٧٠ .
والمسعودي هو: أبو الحسن، علي بن الحسين المسعودي، ينتهي نسبه إلى الصحابي عبد الله ابن مسعود. توفي سنة ٣٤٦هـ. وفي ترجمته بطبقات الشافعية ٣٠٧/٢: قيل كان معتزلي العقيدة. وأشار إلى هذا الكتاب الكتبي في فوات الوفيات ٤٥/٢، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ٩٤/١٣ وقال: له كتاب البيان في أسماء الأئمة، وفي الميزان، لابن حجر ٢٢٤/٤: له كتاب تعيين الخليفة. وسماه في الذريعة وغيرها: (إثبات الوصية).

وَأَنْ وَصَّى عِيسَى كَانَ شَمْعُون (ع) .
وَأَنْ وَصَّى خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ (ص) كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، ثُمَّ الْأَحَدُ
عَشَرَ مِنْ وَلَدِهِ (ع) .
وَنَحْنُ نَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى ذِكْرِ خَبَرِ ثَلَاثَةِ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ آنَفًا :

أ - خَبَرُ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ :
قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ :
لَمَّا حَضَرَ آدَمَ الْوَفَاةَ . . . جَعَلَ وَصِيَّتَهُ إِلَى شِيثَ
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ :
هَبَّةُ اللَّهِ ؛ وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ : شِيثَ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى آدَمَ . . . وَكُتِبَ وَصِيَّتَهُ ، وَكَانَ
شِيثَ فِي مَا ذَكَرَ وَصِيَّ أَبِيهِ آدَمَ (ع) .
وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ ثُمَّ وَفَاتَهُ :
ثُمَّ إِنَّ آدَمَ حِينَ أَذَى الْوَصِيَّةَ إِلَى شِيثَ ، احْتَقَبَهَا وَأَحْتَفِظَ بِمَكْنُونِهَا ، وَأَتَتْ
وَفَاةَ آدَمَ . . .
وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ :
وَتَفْسِيرُ شِيثَ : هَبَّةُ اللَّهِ ، وَهُوَ وَصِيَّ آدَمَ ، وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ إِلَى
شِيثَ .

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ :
ذَكَرَ وَفَاةَ آدَمَ وَوَصِيَّتَهُ إِلَى أَبْنِهِ شِيثَ (ع) :
وَمَعْنَى شِيثَ : هَبَّةُ اللَّهِ . . . وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ إِلَى أَبْنِهِ
شِيثَ . . .

ب - خبر يوشع بن نون وصي موسى

أولاً: يوشع بن نون في التوراة:

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلاً عن التوراة: أن يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يتلوّث بعبادة العجل على عهد هارون.

وفي آخر الإصحاح السابع والعشرين من سفر العدد^(٢) ورد خبر تعيينه من قبل الله وصياً لموسى كالنص الآتي:

فَكَفَّرَ مُوسَى الرَّبَّ قَائِلاً: "يُرْسِلُ الرَّبُّ إِلَهُ
أَرْتَاحَ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ" يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
وَيُدْخِلُهُمْ لِكَيْ لَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْعَمَمِ الَّتِي لَا رَأْيَ لَهَا. "قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى
أَخْذْ يَشُوعَ ابْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ" وَارْتَبَتْهُ فَنَدَّمَ الْيَارَازَارُ الْكَاهِنَ
وَقَامَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ وَأَوْصُوا أَعْيُنَهُمْ. "وَأَجَلَّ بَيْنَ مِثْبَاطِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لِكُلِّ
جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ". فَيَقِفُ أَمَامَ الْيَارَازَارِ الْكَاهِنِ فَيَسْأَلُهُ بِقَسَامِ الْأَوْرَمِ أَمَامَ
الرَّبِّ. حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَهْ كُلِّ
الْجَمَاعَةِ. "فَقَالَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعَ وَارْتَبَتْهُ فَنَدَّمَ الْيَارَازَارُ الْكَاهِنَ
وَقَامَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ" وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا نَكَرَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى....

وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحاً من سفر يوشع بن نون.

ثانياً: في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم، عُرِبَ يوشع بـ (اليسع) في سورة الأنعام، الآية: ٨٦ وسورة ص، الآية: ٤٨.

(٢) التوراة من الكتاب المقدس، بيروت، المطبعة الأمريكية سنة: ١٩٠٧ م.

ثالثاً: في مصادر الدراسات الإسلامية :

في تاريخ اليعقوبي ٤٦/١ :

وكان موسى لما حضرته وفاته أمره الله عز وجل أن يدخل يوشع بن نون إلى قبة الرّمان فيقدّس عليه ، ويضع يده على جسده لتحوّل فيه بركته ، ويوصيه أن يقوم بعده في بني إسرائيل .

وجه الشّبه بين وصيّ خاتم الأنبياء ووصيّ موسى (ع)

إنّ يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يعبد العجل . وأمر الله نبيّه موسى أن يعيّنه وصيّاً من بعده لئلا تكون جماعة الرّب كالغنم بلا راع . وكان الإمام عليّ مع النّبيّ في غار حراء ولم يعبد صنماً قطّ وأمر الله نبيّه في رجوعه من حجّة الوداع أن يعيّنه أمام الحجّيج قائداً للأمة من بعده ، ولا يترك أمته هملاً ؛ وقد صدّق بذلك رسول الله (ص) في غدِير خم وعيّنه وليّاً للعهد من بعده كما سنذكره في ما يأتي ، وصدق رسول الله (ص) حيث قال :
«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النُّعْلِ بِالنُّعْلِ . . . » وقد أوردنا مصادرّه في أول الجزء الثاني من (خمسون ومائة صحابيٍّ مَخْتَلَقٍ) .

ج - خبر شمعون وصيّ عيسى

أولاً : شمعون في الانجيل :

ورد في قاموس الكتاب المقدّس ذكر عشرة أشخاص بهذا الاسم ، منهم :
شمعون بطرس وشمعون اسمه في التوراة سمعون ، وقد ورد خبره في إنجيل متى ، الإصحاح العاشر كالآتي :

«ثُمَّ دَعَا - يَعْنِي عِيسَى - تَلَامِيذَهُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحِ نَجَسَةٍ حَتَّى يَخْرِجُوهَا ، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلِّ ضَعْفٍ . وَهَذِهِ أَسْمَاءُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ رَسُولًا : الْاَوَّلُ سَمْعَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَطْرُسُ . . . » .

وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢١ العدد: ١٥ - ١٨ أن عيسى أوصى إليه وقال له: «ارع غنمي» كناية عن رعاية من آمن به .
وجاء في قاموس الكتاب المقدس أيضاً:
«عينه المسيح لهداية الكنيسة» .

ثانياً: شمعون في مصادر الدراسات الإسلامية:
ذكر خبره اليعقوبي وسمّاه: سمعان الصفا .
وقال المسعودي في ٣٤٣/١:
«قتل برومية بطرس وأسمه باليونانية: شمعون والعرب تسمّيه: سمعان .
وفي مادة: دير سمعان من معجم البلدان:
«دير سمعان: بنواحي دمشق، وسمعان هذا الذي ينسب إليه الدير أحد
أكابر النصارى، ويقولون إنه شمعون الصفا» .



أوردنا نتفاً من أخبار هؤلاء الأوصياء الثلاثة كمثال لأخبار بقية أوصياء
الأنبياء في الأمم السابقة .

ولم يكن خاتم الأنبياء بدعاً من الرسل ليترك أمته دون تعيين ولي الأمر من
بعده، وهو الذي لم يغب عن المدينة - المجتمع الإسلامي الصغير - في غزواته
ولا ساعة من نهار دون أن يستخلف عليها أحداً . كلاً لم يترك خاتم الأنبياء
والمرسلين المجتمعات الإسلامية للأبد دون أن يعيّن أولي الأمر من بعده، بل
عينهم بألفاظ مختلفة وفي أماكن متعدّدة؛ منها ما خصّ بالذكر الإمام من بعده
ومنها ما ذكر فيها جميع الأئمة .

وما خصّ بالذكر الإمام عليّ بن أبي طالب وحده؛ الأحاديث الآتية:

وصي الرسول (ص) ووزيره وولي عهده وخليفته من بعده

الوصي في أحاديث الرسول (ص)

أوردنا في أول الباب قصّة إندار بني هاشم وأن رسول الله (ص) قال لعليّ ابن أبي طالب (ع) بمحضر من رجال بني هاشم في ذلك اليوم :

«إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا» .

وبهذا القول عين الرسول (ص) وصيّ وخليفته فيهم وأمرهم بإطاعته ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ الحشر/ ٧ .

وروي الطبراني عن سلمان ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنّ لكلّ نبيّ وصيّاً فمن وصيّك؟ فسكت عنيّ ، فلما كان بعد رأي فقال : يا سلمان . فأسرعت إليه ، قلت : ليّك . قال : تتعلّم من وصيّ موسى؟ قال : نعم ، يوشع ابن نون . قال : لم؟ قلت : لأنّه كان أعلمهم يومئذ . قال :

«فإنّ وصيّيّ وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب»^(٣) .

(٣) رواه الميثمي عن الطبراني في المعجم الكبير ٢٢١/٦ . وجمع الزوائد ١١٣/٩ ، ورواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الأئمة ص ٤٣ ، باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل وهذا لفظه :

قال أنس :

قلنا لسلمان : سلّ رسول الله (ص) من وصيّك؟ فقال سلمان رسول الله (ص) ، فقال : من كان وصيّ موسى بن عمران؟ فقال : يوشع بن نون . قال : إنّ وصيّيّ ووارثيّ ومنجز وعدي ، عليّ ابن أبي طالب . وراجع الرياض النضرة للمحب الطبري (٢/ ٢٣٤) .

وعن أبي أيوب أن رسول الله (ص) قال لابنته فاطمة:
«أما علمت أن الله عز وجل أطلع على أهل الأرض فأختار منهم أباك
فبعثه نبياً، ثم أطلع الثانية فأختار بعلك فأوحى إليّ أنكحته وأتخذته
وصياً»^(١).

وعن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال:
«إن وصيَّ وموضع سرِّي وخير من أترك بعدي وينجز عدي ويقضي ديني
عليّ بن أبي طالب»^(٢).

وعن أنس بن مالك أن الرسول توضأ وصلى ركعتين وقال له:
«أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيّد المسلمين،
ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين...» فجاء عليّ (ع) فقال (ص): من جاء

(٤) مجمع الزوائد للهيتمي ٢٥٣/٨، وفي ١٦٥/٩ منه عن عليّ بن عليّ الهلالي: ووصيَّ
خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك - الحديث. ومتنخب كنز العمال بهامش مسند أحمد
٣١/٥. وكنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل عليّ بن أبي طالب، ح ١١٦٣،
٢٠٤/١٢.

وفي موسوعة أطراف الحديث من المعجم الكبير للطبراني ٢٠٥/٤. وجمع الجوامع
لنسيوطي، رقم الحديث: ٤٣٦١.

وأبو أيوب الأنصاري: اسمه خالد بن زيد الخزرجي. شهد بيعة العقبة وجميع مشاهد
رسول الله (ص) وشهد مع الإمام عليّ الجمل وصفين ونهروان. وتوفي عند مدينة القسطنطينية
سنة خمسين أو إحدى وخمسين أسد الغابة ١٤٣/٥.

(٥) كنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل عليّ بن أبي طالب، ح ١١٩٢،
الثانية ٢٠٩/٢.

وفي أطراف الحديث عن كنز العمال، الحديث ٣٢٩٥٢. والطبراني ٢٧١/٦.
وأبو سعيد الخدري: سعد بن مالك الخزرجي. كان من الحفاظ لحديث رسول الله (ص)
(ت: ٥٥٤هـ). أسد الغابة ٢١١/٥.

يا أنس؟ فقلت: عليّ. فقام إليه مستبشراً فأعنته - الحديث^(٦).

وعن الصحابي بريدة قال: قال النبي:

«لكل نبي وصي ووارث، وإن علياً وصي ووارثي»^(٧).

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي، ما موجه: إن جبرائيل جاء بهدية من الله ليهديا الرسول (ص) إلى ابن عمه ووصيه علي بن أبي طالب - الحديث^(٨).

كان هذا ما وجدناه في الوصية في أحاديث الرسول (ص).

الوصية في كتب الأمم السابقة

روى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والخطيب في تاريخ بغداد واللفظ للأول:

إن الإمام علياً في مسيره إلى صفين عطش جيشه في صحراء، فأنطلق بهم حتى أتى بهم على صخرة، فأعانهم حتى أقتلعوها وشرب الجيش حتى أرتووا،

٦) حلية الأولياء ٦٣/١. وتاريخ ابن عساكر ٤٨٦/٢. وشرح نهج البلاغة. ط. الأولى ٤٥٠/١. وفي موسوعة أطراف الحديث عن تحاف السادة المتقين للزبيدي ٤٦١/٧.

وأنس بن مالك: أبو ثمامة الخزرجي، روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثاً. اختلف في سنة وفاته من ٩٠-٩٣ هـ. الاستيعاب. وأسد الغاية. والإصابة. مَرَّت ترجمته في ص ١٣٤.

٧) مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر مصورة المجمع العلمي الإسلامي ج ١٢/ق ١٦٣/١ ب ترجمة الإمام علي وطبعها على حدة دار المعارف بيروت سنة ١٣٩٥ في ثلاث مجلدات ورواية بريدة في ٥/٣ منها. والرياض النضرة ٢٣٤/٢ عن بريدة وهو:

أبو عبد الله بريدة بن الحصيص بن عبد الله الأسلمي؛ قدم المدينة بعد أحد فشهد مع رسول الله (ص) مشاهدته وتحول بعده إلى البصرة وأبتنى بها داراً. ثم خرج غازياً إلى خراسان فأقام بمرور وتوفي بها سنة ٦٣ هـ. أسد الغاية ١٧٥/١، وتهذيب التهذيب ١/٤٣٢-٤٣٣.

٨) المحاسن والمساوي لمحمد بن إبراهيم البيهقي (كان حياً قبل: ٣٢٠ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ٦٤/١ - ٦٥.

وكان بالقرب منهم دير، فلما أطلع صاحب الدير على هذا الأمر قال: ما بُني هذا الدير إلا بذلك الماء وما أستخرجه إلا نبي أو وصي نبي^(٩).

خبر آخر يؤيد الخبر السابق:

في صغين لنصر بن مزاحم وتاريخ أبين كثير واللفظ للأول: قال: لما نزل علي الرقة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال علي: نعم، فما هو؟ قال الراهب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي قضى فيما قضى، وسطر فيما سطر، أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحباؤون الذين يحمدون الله على كل نسر، وفي كل صعود وهبوط، تذلل ألسنتهم بالتهليل والتكبير والتسبيح، وينصره الله على كل نواه، فإذا توفاه الله أختلفت أمته ثم اجتمعت، فلبث بذلك ما شاء الله ثم أختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق، ولا يرتشي في الحكم. الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء. يخاف الله في السر،

(٩) وقعة صغين، ط. المدي بمصر سنة ١٣٨٢هـ ص ١٤٥. وتاريخ الخطيب ٣٠٥/١٢. وقد أوردنا الخبر بإيجاز من الأول.

وقد بني في مكان الدير منذ قرون مسجد برائا، وتغير مجرى نهر دجلة والفرات اللذين كانا يجريان في أرض العراق وأصبح مجرى نهر دجلة قريباً من المسجد المذكور.

وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم. من أدرك ذلك النبي (ص) من أهل هذه البلاد قآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره؛ فإنَّ القتل معه شهادة.

ثم قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك. قال: فبكى عليّ ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً. الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار. ومضى الراهب معه، وكان - فيها ذكروا - يتغذى مع عليّ ويتعشى حتى أصيب يوم صفين. فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ: أطلبوه. فلما وجدوه، صلى عليه ودفنه، وقال: هذا منا أهل البيت. وأستغفر له مراراً^(١٠).

الوصية في أحاديث الصحابة والتابعين

الوصية في خطبة أبي ذر

وقف أبو ذر على عهد عثمان بباب مسجد رسول الله وخطب وقال في خطبته:

(ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه . . .).

سيأتي تمام الخطبة في ذكر النوع العاشر من أنواع الكتمان في مدرسة الخلفاء إن شاء الله تعالى.

الوصية في حديث الأشر

قال مالك بن الحارث الأشر لما بويع أمير المؤمنين (ع):

(١٠) صفين ص ١٤٧ - ١٤٨. وآبين كتير ٢٥٤/٧. والبليخ: اسم نهر بالرقّة، يجتمع فيه الماء من عيون. معجم البلدان.

أيها الناس هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل^(١١).

الوصية في حديث عمرو بن الحمق الخزاعي
عندما جمع أمير المؤمنين الناس بالكوفة وخاطبهم في شأن المسير إلى صفين
لحرب معاوية، قام عمرو بن الحمق الخزاعي وخاطب الإمام وقال:
يا أمير المؤمنين إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة
مال تؤتيه، ولا آلتها سلطان ترفع ذكره به، ولكنني أحببتك بخصال
خمس: إنك ابن عم رسول الله (ص)، ووصيه، وأبو الذرية التي بقيت فينا
من رسول الله (ص)، وأسبق الناس إلى الإسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في
الجهاد^(١٢).

(١١) تاريخ يعقوبي ١٧٨/٢.

(١٢) شرح النهج لاسن أبي الحديد ٢٨١/١. وفي طبعة تحقيق عماد أبو الفضل إبراهيم

١٨١/٢.

وعمر بن الحمق الخزاعي: هاجر إلى النبي (ص) بعد الحديبية، سقى النبي (ص) فدعا
له وقال: اللهم منعه بشبهه. فمُرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحية شعرة بيضاء. شهد مع
عني مشاهدته كلها وكان من أصحاب حجر بن عدي. وخاف زياد بن أبيه وهرب من الكوفة إلى
الموصل وأختفى في غار بالقرب منه، فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل. وكان العامل عمرو بن
الحكم ابن أخت معاوية. ليحمل إليه عمراً فوجده ميتاً، كان قد نهشته حية فقطع رأسه وبعث
به إلى خاله معاوية. وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام. وكان معاوية قد حبس زوجة عمرو
ابن الحمق، أمنة بنت الشريد، فوجه إليها رأس عمرو فالقي في حجرها فأرتعت لذلك ثم
وضعت في حجرها ووضعت كفها على جبينه ثم لثمت فاه وقالت: غيبتموه عني طويلاً ثم
أهديتموه إني قتيلاً فأهلاً بها من هدية غير قالية ولا مقلية. وكان قتله في سنة خمس للهجرة.

الوصية في كتاب محمد بن أبي بكر
كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر. سلام على أهل طاعة الله
مَنْ هو مسلم لأهل ولاية الله. أما بعد فَإِنَّ الله . . . أنتخب محمداً (ص)
فأختصه برسالته، وأختاره لوحيه، وأتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصداقاً لما
بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة
والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وصدق ووافق، وأسلم وسلم،
أخوه وأبن عمه عليّ بن أبي طالب (ع)، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ
حميم، فوفاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، وسالم
سَلَمَه، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروع، حتّى برز
سابقاً لانظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت
أنت، وهو هو المبرز السابق في كلّ خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس
نيةً، وأطيب الناس ذريةً، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم . . . ثمّ
لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله،
وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل. على ذلك
مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك
من بقية الأحزاب رؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (ص). والشاهد لعلّي مع
فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله
عليهم، من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون
بأسياهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في أتباعه، والشقاء في

خلافه، فكيف - يا لك الويل - تعيد نفسك بعليّ، وهو وارث رسول الله (ص)، ووصيه وأبو ولده وأول الناس له أتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه ويشركه في أمره.

وكتب معاوية في جوابه :

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر. سلام على أهل طاعة الله. أما بعد فقد أتاني كتابك، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه وما أصفى به نبيّه، مع كلام ألفته ووضعت، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف. ذكرت حقّ ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقربته من نبيّ الله (ص)، ونصرته له ومواساته إيّاه في كل خوف وهول، واحتجاجك عليّ بفضل غيرك لا بفضلك. فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك. وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبينا (ص)، نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا فلمّا اختار الله لنبيّه (ص)، ما عنده، أتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلح حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من أبتزّه وخالفه. على ذلك اتّفقا وآتسقا، ثمّ دَعَوَاهُ إلى أنفسهم فأبطأ عنها وتلكأ عليها، فهما به المموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعهانه على سرّهما، حتّى قبضا وأنقضى أمرهما. ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يبتدي بهديهما - إلى آخر الكتاب.

أوردنا جواب معاوية لما فيه من الاعتراف بما ذكره محمد بن أبي بكر. وأورد تمام الكتابين نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والمسعودي في مروج الذهب. وأشار إليهما الطبريّ وأبن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ست وثلاثين هجرية.

روى الطبري بسنده عن يزيد بن ظبيان :

الوصية والوراثة . . .) .

وقال ابن أبي الحديد :

خطب عليّ عليه السلام فقال في أثناء خطبته : (أنا عبدُ الله ، وأخو رسوله ، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدي إلا كذب ؛ ورثتُ نبيَّ الرحمة ، ونكحْتُ سيِّدة نساء هذه الأمة ، وأنا خاتم الوصيين)^(١٨) .

الوصية في خطبة الإمام الحسن (ع)

خطب الإمام الحسن (ع) بعد مقتل أبيه وقال في خطبته :

(أنا الحسن بن عليّ وأنا آبن النبيّ وأنا آبن الوصي)^(١٩) ، الحديث .

الوصية في تعزية الشيعة للإمام الحسين بوفاة أخيه الإمام الحسن (ع)

لما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك ، اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وكتبوا إلى الحسين بن عليّ يعزّونه على مصابه بالحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن عليّ [فسلام عليه]^(٢٠) يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً . . . ما أعظم ما أصيب به هذه الأمة عامّة وانت وهذه الشيعة خاصّة بهلاك آبن الوصيّ وآبن بنت النبيّ و . . .^(٢١) .

(١٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . ط . مصر الأولى ٢٠٨/١ .

(١٩) نقلنا الخبر من مستدرک الحاكم ١٧٢/٣ . وراجع ذخائر العقبى ص ١٣٨ . وفي مجمع الزوائد للهيتمي ١٤٦/٩ عن الطبراني وغيره .

(٢٠) لم يرد هذا في النص ولكن السياق يقتضيه .

(٢١) تاريخ البعقوبي ٢٢٨/٢ .

وفي مروج الذهب للمسعودي : قال ابن عباس لمعاوية لما بلغه وفاة الإمام الحسن وهو بالشام : ولئن أصبنا به فقد أصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعده بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة . . . (٢٢).

الوصية في خطبة الإمام الحسين (ع)

خطب الإمام الحسين (ع) يوم العاشر من المحرم على جيش الخليفة يزيد وقال في خطبته في مقام الاحتجاج عليهم :

(أما بعد فأنسبوني فأنظروا من أنا؟ ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وأنتهاك حرمتي . ألسنت أبن بنت نبيكم (ص) وأبن وصيه وأبن عمه وأول القوم إسلاماً وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عنده؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟) (٢٣).

إذاً كان ما وصف به الإمام الحسين أباه الإمام علياً من أنه وصي رسول الله (ص) مشهوراً عندهم كشهرة نبوة جده، وأن عم أبيه حمزة سيد الشهداء، وأن جعفر الطيار ذا الجناحين عمه . ولذلك ذكره في نسبه ولم يرد عليه أحد منهم .

عبد الله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح يحتج بالوصية

دعا العباسيون في بادئ أمرهم الناس إلى القيام ضد الأمويين بأسم آل

(٢٢) مروج الذهب للمسعودي ٤٣٠/٢ .

(٢٣) في الخطبة التي رواها الطبري في ط . أوربا ٣٢٩/٢ . وأبن الأثير، ط . أوربا ٥٢/٤ .

وذكر الخطبة ابن كثير في ١٧٩/٨ وحذف منها ما ذكره الإمام الحسين في وصف أبيه وكتب بدلا (وعلي أبي) وأورد الباقي .

محمد (ص) وكان يدعى أبو مسلم أمير آل محمد^(٢٤) وكانوا يحتجّون على خصوصهم بالنصوص التي وردت عن رسول الله (ص) في حقّ آله بالحكم، ولما تمّ لهم الاستيلاء على الحكم أداروا ظهورهم لآل محمد (ص).
وممن احتجّ بالوصيّة عمّ السفاح أول الخلفاء العباسيين؛ فقد روى الذهبي عن أبي عمرو الأوزاعي^(٢٥) ما موجهه:
لما قدم عبد الله بن عليّ عمّ السفاح الشام وقتل بني أميّة بعث إليّ وقال في كلامه:

ويحك أوليس الأمر لنا ديانة؟

قلت: كيف ذاك؟

قال: أليس كان رسول الله (ص) أوصى لعليّ؟

قلت: لو أوصى إليه لما حكم الحكمين. فسكت وقد اجتمع غضباً، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا، أومى أن أخرجه؛ فخرجت - الحديث.

إنّ الأوزاعي احتجّ في ردّ الوصيّة بما احتجّ به الخوارج على الإمام عليّ وجوابه جواب الإمام للخوارج، والذي مرّ ذكره تحت عنوان: الوصيّة في كلام الإمام عليّ (ع) واحتجّاه.

محمد بن عبد الله بن الحسن يحتجّ على الخليفة المنصور بالوصيّة روى الطبري وأبن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ١٤٥ بتاريخيهما: أنّ محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما خرج على الخليفة العباسي

(٢٤) تاريخ البعقوبي ٣٥٢/٢. والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٩٣. وتاريخ ابن الأثير ١٣٩/٥ - ١٤٢ - ١٩٤ في ذكر حوادث سنة ١٢٩ و ١٣٠.
(٢٥) بترجمته في تذكرة الحفاظ ١٨١/١.

أبي جعفر المنصور وبإيعه الناس بالمدينة، كتب في جواب أبي جعفر كتاباً مفصلاً يدلي بحججه في أنه أحق بالخلافة من المنصور وجاء فيه :
 . . . وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ . . .

فكتب إليه المنصور كتاباً يردّ فيه على ما احتجّ به وسكت عن جواب هذه الحجة ، وسكوت المنصور إقرار منه بصحتها لديهم^(٢٦) .

الخليفة المهدي يرفض وصية لذكر (الوصي) فيها في تاريخ الطبري :

قال أبو الخطاب لما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي من أهل مرو بقرية يقال لها باران الوفاة أوصى الى المهدي فكتب ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إلى آخر الآية ثم كتب والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ويشهد ان محمداً عبده ورسوله (ص) وان علي بن أبي طالب وصي رسول الله (ص) ووارث الامامة بعده ، قال : فَعَرَضْتُ الْوَصِيَّةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَوْضِعَ رَمَى بِهَا وَلَمْ يَنْظُرْ فِيهَا^(٢٧) .

الخليفة هارون الرشيد يخبر بها بلغمه من الأوصياء في الأخبار القوال عن الأصمعي^(٢٨) ما موجهه :

(٢٦) الطبري، ط. أورد ٢٠٩/٣. وتاريخ ابن الأثير ط. مصر الأولى ١٩٩/٥. وابن كثير ٨٥/١٠.

(٢٧) تاريخ الطبري ٥٣٢/٣.

(٢٨) الأصمعي : عبد ملك بن فريب (ت : ٢١٦هـ) البصري اللغوي النحوي . قيل : كان يحفظ أثني عشر ألف أرجوزة . ترجمته في الكنى والألقاب للقمي .

قال: دخلت على الرشيد فارسل إلى ولديه محمد وعبد الله، فأتياه وأجلسهما عن يمينه وشماله وأمرني بمطارحتهما، فكنت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا به وأصابا، فقال: كيف ترى أدبها؟

قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما. . . قال: فضمهما إلى صدره، وسبقته عبرته حتى تحدّرت دموعه، ثم أذن لهما، حتى نهضا وخرجا، قال:

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويسودّ كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قضى به المنجّمون عن مولدهم، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟

قال: بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما.

قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد^(٢٩)، فلذلك قال ما قال.



قال المؤلف:

قصّد الرشيد من الأوصياء الأئمة من أهل البيت: موسى وأباه جعفر الصادق وجده محمد الباقر وجدّ أبيه علي بن الحسين ثمّ الحسن والحسين وأباهما علي بن أبي طالب (ع). وقصّد من الأنبياء خاتم الأنبياء (ص).

ومن أجل ذلك فعل الخليفة هارون الرشيد ما لم يفعله خليفة من قبله ولا بعده وذلك كما رواه المؤرّخون وقالوا:

(ولمّا صار إلى مكّة صعد المنبر، فخطب، ثمّ نزل، فدخل البيت، ودعا

٢٩) الأخبار الطوال، ط. القاهرة الأولى سنة ١٩٦٠، ص ٣٨٩ لابي حنيفة الدينوري (ت: ٢٨٢هـ). ومروج الذهب للمعدي ٣/ ٣٥١.

بمحمّد والمأمون، فأملّى على محمّد كتاب الشرط على نفسه، وكتب محمّد الكتاب، وأحلفه على ما فيه، وأخذ عليه العهود والمواثيق، وفعل بالمأمون مثله، وأخذ عليه مثل ذلك، وكان نسخة الكتاب الذي كتبه محمّد بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه محمد بن هارون في صحّة من بدنه وعقله وجواز من أمره . إنّ أمير المؤمنين هارون ولأني العهد من بعده، وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً، ولّى أخي عبد الله بن أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدي برضى منّي وتسليم، طائعاً غير مكره، ولأه خراسان بثغورها وكورها، وأجنادها وخراجها وطرازها، ويريدها، ويوت أمواها وصدقاتها وعُشورها، وجميع أعيالها في حياته وبعد موته، وشرطت لعبد الله أخي عليّ الوفاء بها جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي . . . إلى آخر الكتابين .

وروى الطبري بعد ذلك وقال :

(وكتبنا لأمر المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر من شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقوّاده وصحابته وقضاته وحجّة الكعبة وشهاداتهم عليها كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجّة وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة، فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كلّه في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاجّ والعُمّار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويَعُوّه ويعرفوه ويحفظوه ويُؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم . ففعلوا ذلك وقرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد

الحرام، فأنصرفوا. وقد أشتهر ذلك عندهم وأثبتوا الشهادة عليه... (٣٠).

شهرة لقب وصي النبي (ص) للإمام علي (ع)
وإنتشار ذكره في أشعار الصحابة والتابعين وكتب اللغة

في صدر الإسلام

كان لقب الإمام علي (ع) بالوصي مشهوراً في الصدر الإسلامي الأول
وإنتشر ذلك في كتب اللغة؛ فقد ورد في مادة: (الوصي) من لسان العرب:
وقيل لعلي (ع): وصي.

وفي تاج العروس: والوصي كغني لقب علي (رض).
وسياقي قول المبرد في الكامل في اللغة بعيد هذا.

وورد ذكره في شعر الشعراء منذ عصر الصحابة مثل قول حسان بن ثابت
شاعر النبي (ص) في قصيدته بعد وفاة النبي (ص):

جزى الله عنا والجزاء بكفه	أبا حسن عنا ومن كابي حسن
حفظت رسول الله فينا وعهده	إليك ومن أولى به منك من ومن
الست أخاه في الهدى ووصيه	وأعلم منهم بالكتاب والسنن ^(٣١)

(٣٠) تاريخ اليعقوبي ٤١٦/٢ - ٤٢١. وأورد الطبري تفصيل ذلك في ذكر حوادث سنة
ست وثمانين ومائة، ط. أوربا ٦٥٤/٣ - ٦٦٥. وأشار إلى ذلك بإيجاز كل من المسعودي في مروج
الذهب، ٣٥٣/٣. وآبن الأثير في تاريخه (الكامل)، ط. أوربا ١١٧/٦ - ١١٨. وآبن كثير في
البداية والنهاية ١٨٧/١٠.

(٣١) الموفقيات للزبير بن بكار، ط. بغداد، سنة ١٩٧٢م، ص ٥٧٤ - ٥٧٥، وجاء شعر
حسان في تاريخ اليعقوبي ١٢٨/٢ مع اختلاف في اللفظ، وشرح نوح البلاغة لابن أبي الحديد،
ط. الأولى ١٥/٢.

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن بعض شعراء قريش في مدح عبد الله بن عباس قوله:

والله ما كلم الأقوام من بشر بعد الوصي عليّ كأبن عباس^(٣٢)
وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط في مقتل عثمان:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتل النجيب الذي جاء من مصر
فأجابه الفضل بن عباس بأبيات جاء فيها:

ألا إن خير الناس بعد محمد وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبه وأول من أردى الغواة لدى بدر^(٣٣)

(٣٢) الموفقيات ص ٥٧٥. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الأولى ٢٠١١. وطبعة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢٦٢/٢.

(٣٣) تاريخ الطبري، ط. أوروبا ٣٠٦٤/١ و٣٠٦٥. وتاريخ ابن الأثير، ط. أوروبا ١٥٢/٣ في ذكرهما ما رثي به عثمان.

والوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان وكان ذكوان عبداً لأمية فتبناه وألحقه بنسبه. وأم الوليد أروى أم الخليفة عثمان. أرسله رسول الله (ص) مصدقاً إلى بني المصطلق، فخرجوا ينلقونه، فهاهم فعاد إلى رسول الله (ص) وأخبر أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، فنزلت فيه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الحجرات ٦. فأرسل إليهم رسول الله (ص) غيره فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام. ولأه الخليفة عثمان الكوفة فشرب الخمر وصل بهم صلاة الصبح أربعاً وهو سكران، فعزله عثمان، وقد ذكرنا تفصيل خبره في أول ذكر أخبار عصر الصهرين من كتاب أحاديث عائشة.

أقام في الرقة بعد عثمان وتوفي بها. ترجمته في أسد الغابة والإصابة.

والفضل بن العباس بن عبد المطلب، أكبر ولد العباس. شهد مع النبي (ص) فتح مكة وحسيناً وثبت معه حين أنهزم الناس، وشهد غسل رسول الله (ص) ودفنه وأستشهد يوم مرج الصفر أو أجناد بن بالشام وكلاهما سنة ثمان عشرة هجرية، وقيل: أستشهد يوم اليرموك، وترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة.

قصد (بعد ثلاثة) أي بعد الرسول (ص) وأبي بكر وعمر، والتجوي: نسبة إلى

وقال النعمان بن عجلان شاعر الأنصار في قصيدته - أيضاً - بعد وفاة

النبي (ص):

وكان هوانا في عليٍّ وإنه لاهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
وصي النبي المصطفى وأبن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أغاظ الأنصار في حوادث
السيف وانتصار الإمام عليٍّ للأنصار من مهاجرة قریش^(٣٤).
وقال أبن أبي الحديد:

ومن الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كونه (ع) وصي رسول
الله (ص) قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:
ومنا علي ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتابه
وصي النبي المصطفى وأبن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟

قبيلة من مذحج، كانت تسكن محلة بمصر وقيل لمن يسكن تلك المحلة - أيضاً - التجيبي
والتجويي. وكان منهم عبد الرحمن بن عديس البلوي الذي أشترك في قتل الخليفة عثمان، وإيأه
عنى الوليد بالتجبيبي في شعره، ومنهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي قاتل الإمام عليٍّ،
وكانت داره إلى جنب أبن عديس، ومعنى البيت: ألا إن خير الناس بعد الرسول (ص) وأبي
بكر وعمر - أي عثمان - أصبح مقتولاً بيد التجبيبي الذي جاء من مصر.

راجع مادة: (التجبيبي) و(التدؤلي) في أنساب السمعاني، وراجع مادة: (التجبيبي) في
الإكمال لابن ماكولا ٢١٤/١ و٢٥٦، ومادة: (التدؤلي) في اللباب في تهذيب الأنساب لابن
الأثير.

٣٤ النعمان بن عجلان الزاهر الأنصاري، لسان الأنصار وشاعرهم. استعمله عمر، عا.

لكنني أنعى أبين عَفَّانَ التَّقِيَّ إِنَّ الْوَلِيَّ طَالِبُ ثَارِ الْوَلِيِّ^(٣٥)

وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل، وكان في عسكر علي (ع):

قل للوصي أقبلت قحطانها فادع بها تكفيكها همدانها

وقال حجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم أيضاً:

يا ربنا سلم لنا علنا سلم لنا المبارك المرضي

إِنَّ شَخْصاً بَيْنَ النَّبِيِّ - لَكَ الْخَيْرُ - وَبَيْنَ الْوَصِيِّ غَيْرُ مَشُوبٍ
وقال ابن أبي الحديد بعد إيراد الآيات التي أوردنا مختصراً منها:
ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة
الجمال .

وأبو مخنف من المحدثين ومن يرى صحة الإمامة بالاختيار وليس من
الشيعة ولا معدوداً من رجالها .
ومما رويناه من أشعار صفين التي تتضمن تسميته (ع) بالوصي ما ذكره
نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين وهو من رجال الحديث .

الوصية في الأشعار التي قيلت بصفين

لما كتب الإمام علي إلى جرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس
الكندي وكانا من ولاية عثمان في البلاد الإيرانية فأجاب جرير بشعر جاء فيه :

أَتَانَا كِتَابُ عَلِيٍّ فَلَمْ	نَرَدِّ الْكِتَابَ ، بَارِضِ الْعَجَمِ
وَلَمْ نَعْصِرْ مَا فِيهِ لِمَا أَتَى	وَلَمَّا نَذِمْنَا وَلَمَّا نَلَمْنَا
وَنَحْنُ وَلَاةٌ عَلَى ثَغَرِهَا	نَضِيمُ الْعَزِيزِ وَنَحْمِي الذَّمَّ
نَسَاقِيهِمُ الْمَوْتَ عِنْدَ الْلِقَاءِ	بِكَأْسِ الْمَنَايَا وَنَشْفِي الْقَرَمَ
طَحَنَاهُمْ طَحْنَةً بِالْقَنَا	وَضَرَبَ سُيُوفُ تَطِيرُ اللَّمَمَ
مُضِينَا يَقِيناً عَلَى دِينِنَا	وَدِينِ النَّبِيِّ مُجَلِّي الظُّلَمَ
أَمِينَ الْإِلَهِ وَيَرْهَانِهِ	وَعَدْلِ الْبِرَّةِ وَالْمَعْتَصَمَ
رَسُولِ الْمَلِكِ ، وَمَنْ بَعْدِهِ	خَلِيفَتِنَا الْقَائِمِ الْمُدَّعَمَ
عَلِيّاً عَنِيَتْ وَصِيَّ النَّبِيِّ	نَجَالِدُ عَنْهُ غَوَاةَ الْأُمَمِ (٣٨)

(٣٨) صفين ص ١٥ - ١٨ . وابن أبي الحديد ٢٤٧/١ . وراجع فتح ابن أعثم ٣٠٥/٢ .

ومما قيل على لسان الأشعث في جواب كتاب الإمام (٣٩):

أتانا الرسول رسول عليّ	فسرّ بمقدمه المسلمونا
رسول الوصي وصي النبي	له الفضل والسبق في المؤمنين
بما نصّح الله والمصطفى	رسول الإله النبي الأمينا
يُجاهد في الله، لا ينثني	جميع الطغاة مع الجاحدين
وزير النبي وذو صهريه	وسيف المنية في الظالمينا

وقيل على لسانه أيضاً:

أتانا الرسول رسول الوصي	عليّ المهدب من هاشم
رسول الوصي وصي النبي	وخير البرية من قائم
وزير النبي وذو صهريه	وخير البرية في العالم
له الفضل والسبق بالصالحات	لهذي النبي به يأتي
محمد أمني رسول الإله	وغيث البرية والخاتم
أجبتنا علياً بفضل له	وطاعة نصّح له دائم

(٣٩) كان الأمراء إذا لم يكونوا ممن ينظم الشعر يطلبون ممن معهم في موارد خاصة أن ينظموا في الجواب عنهم وكان هذا المقام من الأشعث من تلك الموارد.

وجريور بن عبد الله البجلي: أسلم قبل وفاة النبي (ص) بأربعين يوماً، شهد حرب القادسية. أرسله رسول الله (ص) لتهديم صنم لختهم في ذي الخلصة فذهب إليه وأحرقه. توفي سنة إحدى أو أربع وخمسين هجرية.

ترجمته في الاستيعاب. وأسد الغابة. والإصابة.

والأشعث بن قيس الكندي: أسلم مع وفد قومه إلى رسول الله (ص) في السنة العاشرة ولم يدفع الصدقة لجباة الخليفة أبي بكر، فقاتلوه وأسرّوه، فأطلقه الخليفة وزوّجه أخته أم فروة، وشهد بعض فتوح الشام والعراق، واستعمله عثمان على أذربيجان، وشهد صفين مع عليّ وكان ممن ألزم عليّاً بالتحكيم وشهد الحكمين بدومة الجندل. وتوفي بالكوفة بعد مقتل الإمام عليّ بأربعين ليلة. ترجمته في الاستيعاب. وأسد الغابة، والإصابة.

فقيهٌ حلیمٌ له صولةٌ كليث عرينٍ بها سائِمٌ^(٤٠)
وبعد أن أعطى معاوية مصر لعمرو طعمة ليعينه على قتال الإمام علي،
قال الإمام في ذلك شعراً جاء فيه :

يا عجباً لقد سمعت منكراً
كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السَّمع ويغشي البصرا
ما كان يرضي أحداً لو خبرا
ان يقرنوا وصيه والأبتر
شاني الرسول واللّعين الأخزرا^(٤١)

ولمّا وقع خلاف بين جيش الإمام عليّ في عزل الأشعث من قيادة قبيلته
وتعيين غيره، قال النجاشي في ذلك :

رضينا بما يرضى عليّ لنا به
وإن كان في ما يأتِ جدع المناخر
وصيّ رسول الله من دون أهله
ووارثه بعد العموم الأكابر^(٤٢)

ومّا ورد في الأشعار التي قيلت في يوم صفين ما جاء في شعر النضر بن
عجلان الأنصاري قوله :

(٤٠) صفين ص ٢٠ - ٢٤ .

(٤١) صفين ص ٤٣ .

(٤٢) صفين ص ١٣٧ .

والعموم جمع العمّ .

والنجاشي قيس بن عمرو : شاعر غضرم . اشتهر في الجاهلية والإسلام . أصله من نجران

اليمن . سكن الكوفة . توفي نحو ٤٠ هـ . الاعلام للزركلي .

وجنود صفين لعمرى غافلا
ولقد اكونُ بذاك حقاً جاهلا
ولقيتُ من لهوات ذاك عياطلا
لا كيف إلا حيرةً ونحاذلا
من لم يكن عند البلايل عاقلا
دين الوصي تصادفوه عاجلا^(٤٣)

سلم لنا المذهب النقيبا
وأجعله هادي آفة مهديا
وأحفظه ربّي حفظك النبيا
ثم أرتضاه بعده وصياً^(٤٤)

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي :

أما لك لا تنيب إلى الصواب
تُحاربُ من يقومُ لدى الكتاب
نزرك بجحفل شبه الهضاب
يردك عن عوائك وأرتياب^(٤٥)

قد كنتُ عن صفين فيما قد خلا
قد كنتُ حقاً لا أحاذرُ فتنةً
فرايتُ في جمهور ذلك مُعظماً
كيف التفرقُ والوصي إمامنا
لا تُعَيِّنُ عقولكم لآخر في.
وذروا معاوية الغويّ وتابعوا
وقال حجر بن عدي الكندي :

يارتنا سلم لنا علياً
المؤمن المسترشد المرضيا
لا خطل الرأي ولا غبيا
فإنه كان له ولياً

ألا أبلغ معاوية بن حرب
أكل الدهر مرجوس لغير
فإن تسلم وتبقى الدهر يوماً
يقودهم الوصي إليك حتى

(٤٣) صفين ص ٣٦٥ .

(٤٤) صفين ص ٣٨١ . وقد جاء إنشاده هذه الأبيات في شرح النهج لابن أبي الحديد في حرب الجمل .

وحجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير: وفد على النبي (ص) وشهد القادسية وشهد مشاهد الإمام عليّ وكان على كندة بصفين . وأرسله زياد مع جماعة إلى معاوية فقتلهم بمرج عذراء سنة إحدى وخمسين هجرية . وقال حجر: إني لأقول المسلمين كُبر في نواحيها ، أي : عندما فتحها المسلمون .

(٤٥) صفين ص ٣٨٢ و(عوائك): من العواء ، أشتق أسم (معاوية) ، فإن المعاوية :

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:
يا شُرطة الموت صبراً لا يهولُكم
دينُ أبْن حربٍ فإنَّ الحقَّ قد ظهراً
وقاتلوا كلَّ من يبغي غوائلكم
فإنَّما النصرُ في الضُّرِّ لمن صَبَرَا
سِيَقُوا الجوارحُ حُدَّ السِّيفِ وأحْتَبُوا
في ذلك الخَيْرَ وأرجُوا الله والظفرا
وأيقنوا أنَّ من أضْحى يخالفكم
أضْحى شقيّاً وأضْحى نفسَه خَسِرا
فيكم وصيَّ رسول الله قائدكم
وأهله وكتاب الله قد نشر^(٤٦)
وقال الفضل بن العباس أيضاً:
وصيَّ رسول الله من دون أهله
وفارسه إن قيل هل من منازل^(٤٧)
وقال المنذر بن أبي حمصة الوداعي في شعره:
ليس منا من لم يكن لك في الدِّ
ه ولياً يا ذا الولا والوصية^(٤٨)

الكلبة تعاري الكلاب.

(٤٦) صفين ص ٣٨٥.

والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب وهو أخو أبي سفيان بن الحارث الشاعر، وقال بعضهم إنهما شخص واحد. ترجمتهما بأسد الغابة في الأسماء والكنى.

(٤٧) صفين ص ٤١٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. الأولى ٢٨٤/١.

وسياقي تفصيل خبر البيت بعيد هذا إن شاء الله تعالى.

(٤٨) صفين ص ٤٣٦، وكان فارس همدان وشاعريهم، وواحدة: بطن من همدان.

الاشتقاق لابن دريد.

الوصية في كتاب ابن عباس

قال ابن عباس في وقعة صفين في جواب كتاب معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد أتاني كتابك وفهمت ماسطرت فيه، فأما ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة وسلطان بني أمية، فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين استنصرك، فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبينك وبينه في ذلك أخو عثمان لأمه الوليد بن عقبة. وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدي، فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان كان خير منك.

وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش إلا ستة رجال، فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا من خذلك. وأما ذكرك الحرب، فقد بقي لك منا ما ينسبك ما كان قبله وتخاف ما يكون بعده.

وأما قولك إنني لو بايعني الناس لأسرعت إلى طاعتي، فقد بايع الناس علياً، وهو أخو رسول الله (ص) وأبن عمه ووصيه ووزيره، وهو خير مني، وأما أنت فليس لك فيها حق، لأنك طليق وأبن طليق ورأس الأحزاب وأبن آكلة الأكباد، والسلام.

فلما أنتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية وقرأه، قال: هذا فعلي بنفسني. والله لأجهدن أن لا أكاثبه سنة. ثم أنشأ يقول:

دعوت ابن عباس إلى أخذ خبطة	وكان أمراً أهدي إليه رسائلي
فأخلف ظني والحسودات جمّة	ولم يك في ما نابني بمسواصلي

وفي ترجمته في الإصابة: له إدراك، وهو أول من جعل سهم البراذين دون سهم العراب قبله الخبير الخليفة عمر فأعجبه ذلك وقال: امضوها على ما قال. الإصابة ٤٧٨/٣.

ولم يك في ما جاء ما يستحقه وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عباس أراك مخوفاً بجهلك حلمي إنني غير غافل
فأبرق وأرعد ما أستطعت فإنني إليك بما يشجيك سبط الأنامل
وصفين داري ما حييت ولبس ما تربص من ذاك الوعيد بقاتلي

فأجابه الفضل بن العباس وهو يقول:

الا يا ابن هند إنني غير غافل
وإنك مما تبتغي غير نائل
الآن لما أخبت الحرب نارها
عليك وألقت بركها بالكلال
وأصبح أهل الشام صرعى فكلهم
كفقة قاعٍ أو كشحة أكل
وأيقنت أنا أهل حق وإنما
دعوت لأمر كان أبطل باطل
دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة
وليس لها حتى يموت بقائل
فلا سلم حتى يشجر الخيل بالقنا
وتضرب هامات الرجال الأوائل
وآليت لا تهدي إليه رسالة
إلى أن يحول الحول من رأس قابل
أردت بها قطع الأجواب وإنما
رماك فلم يخطئ بشار المقاتل
قلت له لو بايعوك تبعنهم
فهذا علي خير حافٍ وناعل

وصي رسول الله من دون أهله
وفارسه إذ قيل هل من منازل
فدونكه إذ كنت تبغي مهاجراً
أشتم بنصل السيف ليس بناكل^(٤٩)

وقال مالك الأشتر:

كل شيء سوى الإمام صغير
قد أصبنا وقد أصيب لنا اليو
واحد منهم بالف كبير
إن ذا الجمع لا يزال بخير
من رأى غرة الوصي علي
إنه والذي ينج له النأ
من رضاه إمامه دخل الجنة
بعد أن يقضي الذي أمر الله
وهلاك الإمام خطب كبير
م رجال بزل حماة صقور
إن ذا من ثوابه لكثير
فيه نعمة ونعمة وسرور
إنه في دجى الحنادس نور
س سراج لدى الظلام منير
ة عفواً وذنبه مغفور
ه به ليس في الهدى تحير^(٥٠)
ونقل المسعودي في مروج الذهب:

(٤٩) كتاب الفتوح لابن أعثم ٢٥٤/٣ - ٢٥٨. وصقن ص ٤١٦. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. الأولى، ٢٨٤/١.

(٥٠) قال ابن أعثم في الفتوح (٢٢٦/٣) والخوازمي في المناقب ص ١٧٠ ما موجزه: إن الأشتر وسائر أصحاب الإمام علي (ع) افتقدوه يوماً بصفين فبحثوا عنه ووجدوه تحت رايات ربيعة فرأى الإمام الأشتر متغيراً عن حاله باكياً فقال له: ما خبرك يا مالك أفقدت ابنك أم أصابك غير ذلك؟ فجعل الأشتر ينشد ويقول... الأبيات.

حماة: جمع حام وهو المدافع الذي لا يُقرب أو الأسد لحمايته.
الدجى: جمع دجبة وهي الظلمة.

الحنادس: جمع جندس، ليل جندس أي مظلم، والحنادس ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن.

أ- في ذكر من رثى الإمام علياً بعد استشهاده :

وفي ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي الله عنه :

تأسّ فكّم لك من سلوة نضرج عنك غليل الحزن
بموت النّبيّ وقتل الوصيّ وقتل الحسين وسمّ الحسن
ب- في ذكر قتل حجر بن عدي :

وإنّ قاتل حجر بن عدي قال له ساعة قتله :

إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك ، يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطفیان
والمثولي لأبي تراب ، وقتل أصحابك ، إلّا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا
صاحبكم وتنبأوا منه ، فقال حجر وجماعة ممن كان معه : إنّ الصبر على حدّ
السيّف لأيسر علينا ممّا تدعوننا إليه ، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه
أحبّ إلينا من دخول النار^(٥١) .

وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن أنتمى إلى سامة بن لؤي بن
غالب :

وسامة منّا فأما بنوه
فأمرهم عندنا مظلّم
أناس أتونا بأنسابهم
خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوص
حيّ وكلّ أقاويله محكم
إذا ما شئت فلم تدرما
تقول فقل : ربّنا أعلم^(٥٢)

(٥١) مروج الذهب : ١ في ٢/٤٢٨ ، وب : ٣/٤ .

(٥٢) المسعودي في ذكر خبر ولد سامة أواخر ترجمة الإمام علي ٢/٤٠٨ . وولد سامة الذين

الوصية في شعر المأمون

قد دفعت سياسة التقرب إلى العلويين الخليفة العباسي المأمون، أن
يتخب الإمام علياً الرضا ولياً للعهد ويذكر الوصية في شعره؛ فقد قال:
الأم على حبي الوصي أبا الحسن
وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن^(٥٣)

وقال أيضاً:

ومن غاو بغص علي غيظاً إذا أدنيت أولاد الوصي^(٥٤)

اشتهار لقب الوصي للإمام علي (ع) مدى القرون

وروى المبرد في الكامل وقال: قال الكمي:
والوصي الذي أمال التجو بي به عرش أمة لانهدام
قال المبرد: قوله: الوصي، فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون^(٥٥).

تكلّموا في أنسابهم إليه هم بنو ناجية.

أما علي بن محمد بن جعفر العلوي، فإن جعفرأ هذا هو الإمام جعفر الصادق بن الباقر
وعلي آينه. نسبه في الأنساب لابن حزم ص ٦١.

(٥٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢/٢.

(٥٤) المحاسن والمساوي للبيهقي ١٠٥/١.

(٥٥) التجوي هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التذلي، قاتل الإمام علي (ع). وقيل له
التجبي والتجوي نسبة إلى المحلة التي كان يسكنها بمصر قبل هجرته إلى الكوفة. راجع الهامش
رقم ٣٢ من هذا الفصل.

الكامل للمبرد، ط. مكتبة المعارف، بيروت ١٥١/٢.

والمبرد هو: أبو العباس، محمد بن زيد الأزدي الثمالي البصري. قال الخطيب البغدادي
بترجمته: شيخ أهل النحو وحافظ علوم العربية، من تأليفه: الكامل في اللغة. توفي ببغداد سنة
٢٨٥هـ، ترجمته بتاريخ بغداد ٣/٣٨٠، وكشف الظنون، مادة: (الكامل).

والكميت: أبو المستهل آبن زيد الأسدي، من أهل الكوفة. كان عالماً بأدب العرب ولغاتها

إذا فالإمام عليّ كان مشهوراً بأنه وصيّ الرسول (ص) حتى أصبح الوصيّ لقباً له كما كان مشهوراً بكنيته أبي تراب .

وأستشهد المبرد على قوله بأنّ الامام عليّاً كان مشهوراً بلقب الوصيّ بـاجاء في شعر أبي الأسود الدؤليّ قوله : (الوصي) مع أسم حمزة والعبّاس ، بلا تعريف لأحدهم حيث قال :

أَحَبَّ مُحَمَّدًا حَبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْزَةً وَالْوَصِيَّ^(٥٦)
وقول الحميريّ :

إِنِّي أَدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيَّ بِهِ يَوْمَ النَّخِيلَةِ مِنْ قَتْلِ الْمُحَلِّينَا^(٥٧)
وقوله أيضاً :

وَاللَّهِ مِنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجَنُوبَ وَأَطْعَمَا

وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه . ترجم شعره الهاشميات إلى الألمانية، (ت : ١٢٦ هـ) . الأعلام للزركلي ٩٢/٦ .

٥٦ الكامل للمبرد ١٥٢/٢ . وأورده أبو الفرج بترجمة الحميري في الأغاني ، ط . ساسي ، ١٠/٧ . وتاريخ دمشق لابن عساكر مصورة المجمع العلمي الإسلامي ٣١٠/٢/٨ أ ، ب .
وأبو الأسود : ظالم بن عمرو الدؤليّ ، من الفقهاء والأعيان والشعراء ، واضع علم النحو ، رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود ، وأخذ عنه جماعة ، وهو أوّل من نقط المصحف ، شهد مع عليّ (ع) صفين ، توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ . الأعلام للزركلي ٣٤/٣ . وراجع العقد الفريد ط . مصر عام ١٣٧٢ ، ٢١١/٣ .

٥٧ الكامل للمبرد ١٧٥/٢ ، وأورد البيت وتفصيل سبب إنشاده السيد الحميري الشعر ، في الأغاني ، ط . ساسي ٢١/٧ يوم الخريبة . والعقد الفريد ٢٨٥/٣ وابن أبي الحديد ٤٣/١ وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٢/١ .

والسيد الحميري ، إسماعيل بن محمد ، كان واحداً من ثلاثة ، أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ، كان مقدماً عند الخليفتين المنصور والمهدي العبّاسيين ، توفي سنة ١٧٣ هـ . الأعلام للزركلي ٣٢٠/١ .

ثم أنسبوا لوصيه و وليه بالمنكرات فجرعوه العلقماً^(٥٨)

وقال إمام الشافعية، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ):

إن كان حب الوصي رفضاً فإنني أرفض العباد^(٥٩)

وقال ابن دريد:

أهوى النبي محمداً ووصيه وأبنيه وأبنته البتول الطاهرة^(٦٠)

وفي ديوان المتنبي:

وقيل للمتنبي: ما لك لم تمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض)؟

فقال:

وتركت مدحي للوصي تعمداً

إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وإذا استقل الشيء قام بذاته

وكذا ضياء الشمس يذهب باطلاً^(٦١)

والبيت الثاني جرى مجرى الأمثال بهذا اللفظ:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه

وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً^(٦٢)

٥٨) في ترجمة السيد الحميري، من الأغاني ٦/٩ يوم الخريبة.

٥٩) ديوان الشافعي ص ٣٥، ط. بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦٠) بترجمة ابن دريد في الكنى والألقاب ٢٧٤/١.

وأيضاً دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري شاعر نحوي، لغوي ومن مؤلفاته: الجمهرة (ت: ٣٢١هـ).

٦١) ديوان أبي الطيب المتنبي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق فريدريخ، ص: ٨٥٦، ط. برلين.

سنة ١٨٦١م.

٦٢) جاء بهذا اللفظ في ترجمة أبي نؤاس في الكنى والألقاب ١٦٢/١.

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي كما في ديوانه أيضاً:

هو أبْن رسول الله وأبْن وصيِّه

وشبههما شبهت بعد التجارب^(٦٣)

وقال شيخ الإسلام الحموي الجويني (ت: ٧٢٢هـ):

آخر أحمد المختار صفوة هاشم أبو السادة الغر الميامين مؤتمن
وصيُّ إمام المرسلين محمد علي أمير المؤمنين أبو الحسن
- الأبيات^(٦٤). وقال أيضاً:

أخي خاتم الرسل الكرام محمد

رسول إله العالمين مطهر

عليّ وصيُّ المصطفى ووزيره

أبي السادة الغر البهاليل حيدر^(٦٥)

وقال السيد محمد حبيب العبيدي (ت: ١٣٨٣هـ) مفتي الموصل، أيام

ثورة العراقيين عام ١٩٢٠ ميلادية، عند احتلال بريطانيا للعراق وفي دحض
أدعاء بريطانيا أنّ لها حقّ الوصاية على العراق والعراقيين. في صرخته الأولى،
كما سمّاها في ديوانه:

أيّها الغرب جئت شيئاً فريباً ما علمنا غير الوصي وصياً

* * *

(٦٣) ديوان المتنبي ص ٣٣٣.

(٦٤) في مقدّمة كتابه فرائد السّمطين، الورقة: ٢ ب، مخطوطة مصورة المكتبة المركزية
بجامعة طهران برقم ١٦٩٠/١٦٦٤. جمع في البيت الثاني بين ذكر الاسم (علي) وذكر الصفة
(وصي).

(٦٥) في أوّل السّمط الأول من كتابه فرائد السّمطين، الورقة: ٧ ب.

قسماً بالقرآن والإنجيل ليس نرضى وصاية لقبيل
أو تسيل الدماء مثل السيول أفبعد الوصي زوج البتول

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

دون ملك العراق بين الطلول لأبي عبد الله نجل البتول
قد أريق دماء خير قتيل أفبعد الحسين سبط الرسول

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

قد ظلمنا العراق يا ساكنيه إن دمع النساء لا يجديه
حين تبكي السبطين أو تبكيه أفمن بعد المجتبي وأخيه

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

يا محبي آل النبي الكرام أكون العراق ملك اللثام
وهو ميراث آل خير الأنام أفبعد الائمة الاعلام

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

* * *

وقال في صرخته الثانية :

اشهدوا يا أهل الثرى والثريا قد أبت شيعة الوصي وصياً

* * *

قد نكشنا عهد النبي لدينا وأحتملنا إثمًا وعاراً وشيناً
إن قبلنا وصاية وغوينا أفلا يسخط الوصي علينا

إن رضينا بالإنكليز وصياً؟

ما عسى أن نقول يوم الجزاء لنبي الهدى أبي الزهراء
والشهيد المقيم في كربلاء وإمام الهدى بامراء

إن رضينا بالإنكليز وصياً؟

وقال أيضاً في قصيدة ثانية :

لست منّا ولم تكن منك شيئاً فلماذا تكون فينا وصياً
 لم تكن يا أبن لندن علوياً هاشمياً ولم تكن قرشياً
 لا ولا مسلماً ولا عربياً من بني قوماً ولا شرقياً
 فلماذا تكون فينا وصياً؟

إلى قوله:

لا تقل جعفرية حنفية لا تقل شافعية زيدية
 جمعنا الشريعة الأحمدية وهي تأبى الوصاية الغربية
 فلماذا تكون فينا وصياً؟

قد شتمنا سياسة التفريق وأهتدينا إلى سواء الطريق
 يا عدواً لنا بشوب صديق أنت بين الوصي والصديق
 لست إلّا مزوراً أجنبياً فلماذا تكون فينا وصياً^(٦٦)

* * *

كل ما ذكرناه في شأن الوصي والوصية كان مشهوراً لدى أتباع مدرسة الخلفاء منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر فقد قال الضبي من عسكر عائشة يوم الحمل:

نحن بنو ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف قديماً بالوصي

كانوا يلقبون الإمام علياً بالوصي ويلقبونه مع الأحد عشر من بنيه بالأوصياء كما قاله الخليفة العباسي هارون الرشيد في ما أخبر عما يقع من القتال بين ولديه الأمين والمأمون.

كانوا يلقبون الإمام علياً بالوصي في حال الغفلة عن معنى هذا اللقب

(٦٦) ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات بقلم السيد محمد علي كمال الدين. مطبعة التضامن. ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

ومغزاه . أما في حال التنبيه إلى معنى هذا اللقب ومغزاه فقد كانوا ينكرونه حيناً ويكتمونه حيناً آخر، ويحرفون الكلام عن مواضعه آوثة أخرى . كما سندررس كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى .

مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية وتأويل ما أنتشر منها

إنَّ أوَّل من وجدناه يفعل ذلك، أمَّ المؤمنين عائشة في ما روي عنها من حديث، غير أنَّ حديثها في إنكار الوصية يدل على آشتهار الإمام عليّ بلقب (الوصي) في عصرها، كما نبين ذلك في ما يأتي:

حديث عائشة يدلُّ على أنَّ عليّاً كان وصيَّ الرسول (ص) ومما يدلُّ على أنَّ الإمام عليّاً كان مشهوراً بين الصحابة بأنَّه وصيُّ رسول الله (ص) مضافاً إلى ما أوردناه؛ رواية أمَّ المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم، قال:

ذكروا عند عائشة أن عليّاً كان وصيّاً فقالت: متى أوصى إليه فقد كنت مسندته إلى صدري - أو قالت: حجري - فدعا بالطلست فلقد آنخنت في حجري وما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه^(١)؟

* * *

كانت أمَّ المؤمنين عائشة بحاجة إلى استنفار الناس للحرب الإمام عليّ والتي

(١) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الوصية، ٨٩/١١. وصحيح البخاري، كتاب المغازي باب مرض النبي، ٦٥/٣، وكتاب الوصية، باب الوصايا. وفتح الباري ٢٩١/٦. ومسنند أحمد ٣٢/٦.

سميت في التاريخ بأسم حرب الجمل، ومن ثم نرى أن هذه المذاكرة لم تجر عفواً، وإنما كانت شبيهة بالاحتجاج عليها في ما أشتهر للإمام بأنه وصي النبي، وكان هذا الموقف منها متناسباً مع هذا الواقع التاريخي، وكذلك متناسباً مع مواقفها الأخرى من الإمام علي؛ فقد روى ابن سعد عن عائشة، في خبر مرض رسول الله (ص) أنها قالت:

فخرج بين رجلين تحطّ رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني الفضل - وبين رجل آخر؛ قال عبید الله: فأخبرت ابن عباس بما قالت، قال: فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة؟ قال: قلت: لا! قال ابن عباس: هو علي! إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير^(٢).

وفي حديث أخرجه في مسند أحمد ١١٣/٦:

جاء رجل فوقع في علي وفي عمار عند عائشة فقالت: أما علي، فلست قائلة لك فيه شيئاً؛ وأما عمار فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول فيه: «لا يخيّر بين أمرين إلّا أختار أرشدهما».

هكذا كانت أمّ المؤمنين تدفع عن عمار الواقعة وتسكت عمّن ينال من الامام علي (ع).

وفي حديث ثالث:

وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم: عن عائشة أن رسول الله (ص) بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه

(٢) طبقات ابن سعد، ط. بيروت ٢/٢٣٢.

وقد ذكر البخاري نفسه في صحيحه باب مرض النبي ووفاته ٦٣/٣، وهذا لفظه: (فقال ابن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة؟ قال قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب).

حذف البخاري من الحديث قول ابن عباس: (إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير).

في صلاتهم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكر لرسول الله (ص) فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك. فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فانا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله (ص): أخبروه أن الله يحبّه (٣).

تري من يكون هذا الرجل الذي يحبه الله ولم تر عائشة أن تذكر اسمه؟ إنه لو كان والدها الخليفة أبا بكر أو الخليفة عمر أو غيرهما من ذوي عصبتها مثل ابن عمها طلحة ونظرائهم، لذكرت اسمه؛ ومهما بحثنا في مصادر مدرسة الخلفاء لم نجد اسمه، فأضطررنا إلى مراجعة مصادر مدرسه أهل البيت، فوجدنا الخبر في تفسير سورة الإخلاص من تفسير مجمع البيان وتفسير البرهان، وباب معنى ﴿قل هو الله أحد﴾ من كتاب التوحيد للشيخ أبي جعفر محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١هـ) واللفظ للأخير:

عن الصحابي عمران بن حصين:

أن النبي (ص) بعث سرية واستعمل عليها علياً (ع). فلما رجعوا سألهم، فقالوا: كل خير، غير أنه قرأ بنا في كل صلاة بـ ﴿قل هو الله أحد﴾. فقال: لم فعلت هذا؟ فقال: لحبي لـ ﴿قل هو الله أحد﴾. فقال النبي (ص): ما أحببتها حتى أحبك الله عز وجل (١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ ح ٢٦٣، ص ٥٥٧.

وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي (ص) أمته في توحيد الله تبارك وتعالى ١٨٢/٤.

(٤) تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي أمين الدين، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٦٨هـ)، تصحيح أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سنة ١٣٣٣ - ١٣٥٦هـ، ٥٧٦/١٠. وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧ هـ، ١١٠٩هـ) ط. الثالثة، قم سنة ١٣٩٤هـ - ٥٢١/٤. وتوحيد الصدوق، ط. طهران، سنة ١٣٨٧هـ ص ٩٤ ح ١١. وعمران بن حصين أبو نجيذ الخزاعي، أسلم عام خير، بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، وكان

ولصحة هذا الحديث شاهدان قويان :

أ - في صحيح البخاري وغيره أنَّ أم المؤمنين عائشة عبرت في حديثها عن الإمام عليّ بلفظ : رجل ، وكذلك فعلت في هذا الحديث .

ب - ورد في صحيح البخاري وغيره أنَّ رسول الله (ص) قال لعليّ يحبه الله كما قال في هذا الحديث : أحبك الله .

هكذا لا تذكر أم المؤمنين عائشة أسم عليّ (ع) في حديثها وتكفي عنه بالرجل ؛ ولم تقتصر على هذا المقدار من الجفوة بل زادت ، كما سنذكر بعضها في ما يأتي :

أم المؤمنين تظهر السرور بقتل الإمام علي (ع)
وأكثر من كل ما ذكرناه ما رواه أبو الفرج في مقتل الإمام علي (ع) وقال :
(لما أن جاء عائشة قتل الإمام علي ، سجدت) (١) أي : سجدت شكراً لله
مما بشرها به .

وروى الطبري وأبو الفرج وأبن سعد وابن الأثير وقالوا :

لما أتى عائشة نعي عليّ قالت :

فألقت عصاها وأستقر بها النوى

كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ثم قالت : من قتله؟ فقيل : رجل من مراد ، فقالت :

فإن يك نائياً فلقد نعا غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أم سلمة : ألعليّ تقولين هذا؟ فقالت : إذا نيت

من فضلاء الصحابة ومحاب الدعوة ، توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ . أسد الغابة ١٣٧/٤ - ١٣٨ .

(٥) مقاتل الطالبين ، ط . القاهرة ، سنة ١٣٦٨ هـ ، ص ٤٣ .

فذكروني^(٦).

ثم تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا بأسم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأنّ قولك فيهم في كلّ مجتمع طنين ذباب^(٧)

مقارنة أحاديث أمّ المؤمنين عائشة بأحاديث غيرها

كان ما ذكرناه بعض مواقف أمّ المؤمنين عائشة من الإمام عليّ (ع). أمّا قولها: (متى أوصى إليه، وأنخث فمات في صدري أوحاقتني وذاقنتي)^(٨). فقد تفرّدت هي بروايته وتعارضه الروايات الآتية:

قال آبن سعد في طبقاته: باب من قال توفي رسول الله (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب، عن الإمام عليّ:

«قال: قال رسول الله (ص) في مرضه: أدعوا لي أخي؛ قال: فدعي له علي، فقال: أدن مني. فدنوت منه فاستند إليّ فلم يزل مستنداً إليّ وإنّه ليكلّمني حتّى أن بعض ريق النبيّ (ص) ليصيبني. ثمّ نزل برسول الله (ص) وثقل في حجري...» الحديث.

وروى عن عليّ بن الحسين، قال:

(٦) تاريخ الطبري في ذكر سبب مقتل أمير المؤمنين من حوادث سنة ٤٠ هـ، ط. أوروبا ٣٤٦/١. وكذلك آبن الأثير، ط. أوروبا ٣٣١/٣، وط. الأولى، ١٥٧/٣. وطبقات آبن سعد ٢٧/٣. ومقاتل الطالبين ص ٤٢، وفي لفظه: (بغاه غلام)، وفي لفظ غيره: (نعاه).
(٧) جاء تمثّل أمّ المؤمنين بالبيتين في مقاتل الطالبين ص ٤٢.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، الباب الأول، ٨٤/٢. وكتاب المغازي، باب مرض النبيّ ٦٣/٣ منه، وصحيح مسلم كتاب الوصية باب: ١٩، وآبن ماجه كتاب الجنائز، باب ٦٤، ومسند أحمد ٣٢/٦، ٦٤ و٧٧، والطبري ١٨١٤/١. وراجع قبله ص: ٢٩٨ من هذا الكتاب.

(قبض رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي).

وعن الشعبي، قال:

(توفي رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي وغسله علي... الحديث.

وروى عن أبي غطفان، قال:

(سألت ابن عباس: أرايت رسول الله (ص) توفي ورأسه في حجر أحد؟

قال: توفي وهو لمستند إلى صدر علي، قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها

قالت: توفي رسول الله (ص) بين سحري ونحري! فقال ابن عباس: أتعقل؟

والله لتُؤتي رسول الله (ص) وإنه لمستند إلى صدر علي، وهو الذي غسله... الحديث.

(أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير

المؤمنين:

ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (ص)؟ فقال عمر: سل علياً، قال:

أين هو؟ قال: هو هنا. فسأله، فقال علي: أسندته إلى صدري فوضع

رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد

الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل

علياً، قال: فسأله فقال: كنت أنا أغسله وكان العباس جالساً وكان أسامة

وشقران يختلفان إلي بالماء^(٩).

لو كان النبي أنخث وتوفي بين سحر عائشة ونحرها أو حاققتها وذافقتها،

كما قالت هي، لقال الخليفة عمر لكعب الأحبار: سل أم المؤمنين عائشة عن

آخر ما تكلم به رسول الله (ص) ولم يكن يحيله على الإمام علي (ع).

وأقوى من كل الروايات السابقة رواية من شهدت ذلك من أمهات

(٩) هذه الأحاديث الخمسة في طبقات ابن سعد، باب: من قال: توفي رسول الله (ص) في

حجر علي بن أبي طالب. ط. أوربا ٢/٢ ق ٥١/٢.

المؤمنين وهي أم سلمة فإنها قالت :

(والذي أحلف به أن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) عدناه غداة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ - مراراً - فقالت فاطمة كأنك بعثته في حاجة قالت: فجاء بعد، فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعنا عند الباب، قالت أم سلمة: وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله (ص) وجعل يسأره ويناجيه، ثم قبض (ص) من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً^(١٠).

وفي رواية عبد الله بن عمرو:

(أن رسول الله (ص) قال في مرضه: ادعوا لي أخي - إلى قوله - فدعي له عليّ فستره بثوبه وأكبّ عليه . . .)^(١١) الحديث .

ومما قاله الإمام عليّ (ع) عن وفاة رسول الله (ص) قوله :

(فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك،

فإننا لله وإننا إليه راجعون)^(١٢).

وقال أيضاً:

(ولقد قبض رسول الله (ص) وإن رأسه لعلّني صدري . ولقد سالت نفسه

١٠) أخرجه الحاكم في مستدركه ١٣٨/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأعترف بصحته الذهبي في تلخيص المستدرک، وأخرجه ابن عساکر في باب: أنه كان أقرب الناس عهداً برسول الله (ص)، من ترجمة الإمام عليّ ١٤/٣ - ١٧ بطرق متعددة، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣٤٨/٦. وجميع الروايات ١١٢/٩. وكنت العمال، ط. الثانية: كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب، ح ٣٧٤، ١٥/١٢٨ وأخرجه سبط ابن الجوزي، في تذكرة خواص الأئمة، باب حديث النجوى والوصية عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل.

١١) كنت العمال، ط. الأولى، ٣٩٢/٦. وتاريخ ابن كثير ٣٥٩/٧. وترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساکر، ط. بيروت، سنة ١٣٩٥هـ - ٤٨٤/٢.

١٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٢.

في كَفِّي ، فامررتها على وجهي . ولقد وليت غسله (ص) والملائكة أعواني ، فضجّت الدار والأفنية ، ملا يهبط ، وملا يعرج ، وما فازقت سمعي هينة منهم يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه^(١٣) .

مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة

تفرّدت أم المؤمنين عائشة برواية ، أنّ النبي (ص) توفّي في حجرها في مقابل كلّ تلکم الأحاديث .

وأغلب الظنّ كما قلنا سابقاً أنّها قالت ذلك في حرب البصرة ، أي بعد زمان الخليفتين عمر وعثمان ، وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الإمام ويأمر بنقل ما يناقضها .

وعلى فرض صحّة قول عائشة أنّ النبي (ص) توفّي على صدرها ، هل كان ذلك مناقضاً لما تواتر من أنّ الإمام عليّاً كان وصيّ رسول الله (ص)؟ وألم يكن ثمّت زمان آخر ليدلي الرسول (ص) بوصاياه للإمام عليّ؟ كما تدلّ عليه روايات كثيرة مثل ما رواه أصحاب السنن والمسانيد عن الإمام عليّ ، قال :

(كان لي من رسول الله (ص) مُدخلان : مدخل بالليل ، ومدخل بالنهار ، فكنت إذا أتيتهُ وهو يصليّ تنحنح)^(١٤) .

وفي رواية :

(كانت لي من رسول الله (ص) منزلة لم تكن لأحد من الخلائق ؛ إني كنت أتيتهُ كلّ سحر فأسلم عليه حتّى يتنحنح . . .)^(١٥) الحديث .

(١٣) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٩٧ .

(١٤) سنن أبين ماجة ، كتاب الادب ، باب الاستئذان ، ح ٣٧٠٨ ، ومسنند أحمد ٨٠ / ١ .

(١٥) مسند أحمد ٨٥ / ١ و ١٠٧ ويأتي تفصيله في باب مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة أهل البيت .

ومن تاريخ أبن عساكر عن جابر:
 (لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْعَظَافِ، نَاجَى رَسُولَ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا، فَأَطَالَ نَجْوَاهُ فَقَالَ
 بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أَطَالَ نَجْوَى أَبِي عَمَّةٍ. فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا
 أَنْتَجِيتهُ؟ بَلِ اللَّهُ أَنْتَجَاهُ).

وفي لفظ آخر للرواية:
 (فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَنْظُرَانِ وَالنَّاسُ، قَالَ: ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَيْنَا
 فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَالَتْ مَنَاجَاثُكَ الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: مَا أَنَا أَنْتَجِيتهُ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْتَجَاهُ)^(١٦).



أوردنا هذه الروايات من مصادر أخرى - أيضاً - في باب ذكر حاملي علوم
 الرسول (ص) من هذا الكتاب، وفي باب مصادر الشريعة الإسلامية لدى
 مدرسة أهل البيت (ع).

مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة وحديث الإمام علي (ع)
 تفرّدت أم المؤمنين عائشة برواية ما أخبرت به عن خبر آخر ساعات حياة
 الرسول الأكرم (ص) أنه طلب طستاً ليبول فأنخنث ومات بين حاقنتها
 وذاقنتها، وأمثال هذه الألفاظ، أضف إليه حديثها وحديث غيرها في بدء نزول
 الوحي:
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) عِنْدَمَا تَلَقَّى أَوَّلَ وَحْيٍ هَبَطَ بِهِ جِبْرَائِيلُ مِنَ اللَّهِ بَيِّنَاتٍ

(١٦) أخرج الحديثين أبن عساكر بترجمة الإمام علي ٣١٠/٢ و ٣١١، وأبن كثير في تاريخه
 ٣٥٦/٧، وفي شرح نهج البلاغة ط. مصر الأولى ٧٨/٢ ما ملخصه:
 دخلت عائشة وهما يتناجيان، فقالت: يا علي ليس لي إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا
 أبن أبي طالب؟!

سورة إقرأ، شكَّ في جبرائيل أنه شيطان يريد أن يتلقَّب به، وشكَّ في الآيات الكريمة أنها من قبيل سجع الكهان حتى طمأنه الرجل النصراني ورقة بن نوفل أنه نبيُّ أوحى إليه كموسى بن عمران، فأطمأنَّ وأدرك أنه نبيُّ، إلى أحاديث أخرى لهذه المدرسة عن سيرة رسول الله (ص).

إنَّ تلَكم الأحاديث كما ذكرنا في البحوث التمهيدية كَوَنت رؤية خاصة عن رسول الله (ص) لمن يعتقدها، تحطُّ من مقام أفضل الرسل عن مستوى الإنسان العادي، وهذا حقٌّ للرجل (ذي المعرفة) السعودي أن يقول: محمد رجلاً مثلي مات.

أمَّا في حديث الإمام عليٍّ عن بدء نزول الوحي وهو الشاهد الوحيد الذي كان عندئذ مع الرسول (ص) في غار حراء: أنه سمع رنة حينئذ وأنَّ الرسول (ص) أخبره أنَّ الرنة من الشيطان لأنَّه أيس من عبادته.

وفي حديثه أيضاً: أنَّ الله قرن برسول الله (ص) منذ أن كان فطياً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليلة ونهاره.

وفي حديثه عن وفاة رسول الله (ص) أنه أدناه إليه وأخذ يناجيه ويسرُّ إليه ويوصي حتَّى قبض (ص)^(١٧) وسالت نفسه في كفِّه فأمرها على وجهه وأنه أخذ في تغسيله وتكفينه والملائكة أعوانه في ذلك، وقد ضجَّت الدار والأفنية ملاً يهبط وملاً يعرج، وأنه ما فارقت سمعه هنيئة منهم يصلُّون عليه حتَّى واره في ضريحه.

إنَّ أمثال هذه الأحاديث عن سيرة الرسول بمدرسة أهل البيت - أيضاً - كَوَنت رؤية خاصة لمن يعتقدها، ولن يتيسَّر تقارب بين المسلمين ما لم تدرس المجموعتان من الأحاديث معاً دراسة مقارنة لنصل إلى الحقيقة المنشودة ثمَّ

(١٧) وقد أُنِّد حديثه، حديث أم سلمة وغيرها في ذلك.

يتفاهم الإخوة المسلمون في ضوء تلك الدراسات إن شاء الله تعالى .
ونؤكد مرة أخرى أنَّ في مقدمة ما ينبغي دراسته دراسة مقارنة ؛ أخبار سيرة
الرسول الأكرم (ص) وتاريخ عصر الرسول (ص) وعصر من تشرَّف بصحبته .

حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة

وموقفان مختلفان

روى ابن عساكر أنَّ امرأتين سألتا عائشة، فقالتا:
يا أم المؤمنين أخبرينا عن عليّ، قالت: أي شيء تسألن عن رجل وضع
يده من رسول الله (ص) موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه،
وأختلفوا في دفنه، فقيل: إنَّ أحبَّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه . قالتا:
فلم خرجت عليه؟ قالت: أمر قضي، لوددت أن أفديه بها في الأرض^(١٨).
إنَّ حديثها هذا يتفق مع حديث الإمام عليّ الذي قال فيه:
قُبِضَ رسول الله (ص) وإنَّ رأسه على صدري، ولقد سألت نفسه في
كفّي وأمررتها على وجهي .

ويتعارض مع حديثها:

(انحنيت بين حاقنتي وذاقنتي) .

وروى ابن عساكر - أيضاً - عن عائشة أنَّها قالت: قال رسول الله (ص)
وهو في بيتها لما حضره الموت:

أدعوا لي حبيبي . . .

فدعوا عليّاً فأناؤه، فلما رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه فلم
يزل يحتضنه حتى قُبِضَ عليه^(١٩) .

حديثها هذا يتفق مع حديث عبد الله بن عمرو الذي قال فيه:

١٨ و ١٩) كلا الحديثين أخرجهما ابن عساكر في ترجمة الإمام علي ١٥/٣ .

(إنَّ رسول الله قال في مرضه : أدعوا لي علياً . . .) ويعارض أحاديثها، في أنَّ الرسول (ص) توفيَّ بين سحرها ونحرها، وأمثالها، ومنشأ صدور الحديثين المتعارضين من أم المؤمنين عائشة ؛ وسببه، اختلاف موقفها من الإمام علي . وبياناه :

موقفان مختلفان تجاه الإمام علي (ع)

بعد وفاة الرسول (ص) بويع الخليفة أبو بكر، وبقي عليٌّ ومعه جميع بني هاشم ستة أشهر بحسب رواية أم المؤمنين عائشة لم يبايعوه حتى توفيت فاطمة^(٢٠)، ثم بقي الإمام عليٌّ بعيداً عن الساحة، حتى أخريات خلافة عثمان، حيث قادت أم المؤمنين عائشة^(٢١) المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما لمجابهة الخليفة أملاً منها في أن يلي بعده ابن عمها طلحة. ولما قتل عثمان وباع المسلمون علياً أقامت عليه حرب الجمل، وأنكسرت فيها وأرجعها الإمام عليٌّ إلى المدينة، وبقيت حائرة عليه حتى استشهد، ومَرَّبنا إظهارها للسرور من مقتله، ثم ولي الحكم معاوية وجمع بينهما الموقف الواحد من الإمام، ثم فترت العلاقة بينهما على أثر قتل معاوية لحجر بن عدي .

ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد، كان شقيقها عبد الرحمن بن أبي بكر من أشدَّ المعارضين لبيعة يزيد، وخطب مروان في مسجد الرسول (ص) وكان والياً على الحجاز من قبل معاوية، فقال :

إنَّ أمير المؤمنين قد آختر لكم، فلم يأل، وقد استخلف لابنه يزيد بعده .

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال : كذبت والله يا مروان ! وكذب

(٢٠) مرَّ مصادر الخبر في بحث السقيفة من هذا الكتاب .

(٢١) أوردنا تفاصيل موقف عائشة من عثمان ومعاوية في كتابنا : (أحاديث أم المؤمنين عائشة) فصل : مع معاوية، وأوردنا فهرستاً من تلك الوقائع .

معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَتَىٰ لَكُمْ﴾ الأحقاف/١٧.

فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب، وقالت: يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت القاتل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن؟ كذبت والله ما هو به، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك فضض من لعنة الله.

وفي رواية، فقالت: كذب والله ما هو به، ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل^(٢٢). وأخرج البخاري الحديث في صحيحه وقال:

(كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد ابن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفَ لَكُمْ أَتَعْدَانِي﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري^(٢٣).

هكذا حذف البخاري قول عبد الرحمن: (تريدون أن تجعلوها هرقلية. . .) وأبدله بقوله: (قال شيئا) وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في حق مروان. بينما أوردها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري المسمى بفتح الباري مفصلاً، وفي لفظ بعضها: ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في

(٢٢) تاريخ ابن الأثير ٣/١٩٩ في ذكر حوادث سنة ٥٦ هـ.

والفضض: القطعة من الشيء.

(٢٣) صحيح البخاري ٣/١٢٦، باب ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ﴾ من تفسير سورة الأحقاف.

صلبه^(٢٤).

وإنما فعل الشيخ البخاري ذلك لأن معاوية ويزيد هما من خلفاء المسلمين، ولا يرى البخاري أن يسمع العامة قول عبد الرحمن في حقهما، أنهما جعلوا الخلافة هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مقامه.

وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في مروان - أيضاً - لأن مروان أصبح خليفة للمسلمين ولا ينبغي ذكر ما يشينه. هكذا فعل الشيخ البخاري في صحيحه، فإنه حذف كل شيء يشين الخلفاء والحكام في كل حديث جاء فيه من ذلك شيء. ومن ثم أعترنت مدرسة الخلفاء كتابه أصح الكتب بعد كتاب الله، وعُدَّ هو إمام أهل الحديث لديهم.



لما لم يستطع مروان أن يأخذ البيعة في الحجاز ليزيد، قدم معاوية الحجاز حاجاً ودخل المدينة، وكان من خبره ما رواه ابن عبد البر، حيث قال:

(قعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعة يزيد، فكلَّمه الحسين بن علي، وأبن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر، فكان كلام ابن أبي بكر: أهرقلية؟! إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟ لا نفعل والله أبداً. وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد، فردّها عليه عبد الرحمن، وأبى أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بدنياي؟! فخرج إلى مكة، فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد بن معاوية)^(٢٥).

(٢٤) فتح الباري ١٠/١٩٧-١٩٨، وأخرج القصة بتفصيلها أبو الفرج في الأغاني ١٦/٩٠ - ٩١. وراجع ترجمة الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ومستدرك الحاكم ٤/٤٨١. وتاريخ ابن كثير ٨/٨٩. والإجابة في ما استدركته عائشة على الصحابة، وترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر في تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٢٥) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب ٢/٣٩٣. وأسد الغابة ٣/٣٠٦.

وذكر ابن عبد البر بعده وقال :

(إنَّ عبد الرحمن مات فجأةً بموضع يقال له : (الحبشي)^(٢٦) على نحو عشرة أميال من مكة فدفن بها . ويقال : إنه توفي في نومة نامها ، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين (رض) ظنعت من المدينة حاجة حتى وقفت على قبره ، وكانت شقيقته ، فبكت عليه وتمثلت :

وكنّا كندماي جذيمة حقة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالك

لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً^(٢٧)

أما والله لو حضرتك لدفتك حيث مت مكانك ، ولو حضرتك ما بكيتك).

وفي مستدرك الحاكم :

(رقد في مقيل قاله : فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات ، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شرٌّ وعجل عليه فدفن وهو حي)^(٢٨).

* * *

والإصابة ٤٠٠ / ٢ . وشذرات الذهب في ذكر حوادث سنة ٥٣ هـ ، وقريب منه ما في مستدرك الحاكم ٤٧٦ / ٣ .

(٢٦) في معجم البلدان :

الحبشي : جبل بأسفل مكة ، بينه وبين مكة ستة أميال ، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر فجأة ، فحمل على رقاب الرجال إلى مكة ، فقدمت عائشة من المدينة وأتت قبره وتمثلت :
وكن كندماي جذيمة . . . البيتين .

(٢٧) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٩٣ / ٢ .

(٢٨) مستدرك الحاكم ٤٧٦ / ٣ ، وكذلك في تلخيص المستدرك للذهبي وقد جاء فيه :

(الحبشي).

لو بقي عبد الرحمن حياً لما تمت بيعة يزيد مع موقفه الصّارم ضد بيعته ومعه أمّ المؤمنين عائشة، فهات في طريق مكة، كما مات مالك الأشتر في طريق مصر مسموماً بسمّ دسّه إليه معاوية^(٢٩).

مات عبد الرحمن ليفسح الطريق لبيعة يزيد، كما توفي قبله الإمام الحسين بسمّ دسّه إليه معاوية. اغتيل عبد الرحمن في هذا السبيل، كما اغتيل سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ولم يخف ذلك على أمّ المؤمنين عائشة، فأقامت على بني أمية عامة حرباً شعواء من الدعاية القويّة ضدّهم بدأتها بنشر ما سمعته من النبيّ (ص) في شأن مروان وأبيه الحكم، وقابلت سياسة معاوية خاصّة والتي كانت ترمي إلى طمس فضائل بني هاشم عامة وبيت الإمام خاصّة، لمقام الحسين عند المسلمين، وهو يريد أن يورث الخلافة في عقبه وبلغ الأمر به أن أمر بلعن الإمام عليّ (ع) على منابر المسلمين، عندئذ قابلت أمّ المؤمنين عائشة هذه السياسة مقابلة قويّة وأخذت تنشر في هذا الدور فضائل الإمام عليّ وشبليه الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) وزوجته فاطمة ابنة رسول الله (ص) ومن ثمّ روي عنها في فضائلهم بعض ما كانت سمعته من رسول الله (ص) وما شاهدته، ومن جملة الحديثان الأنفان المتعارضان مع أحاديثها الأخرى في وفاة الرسول (ص).

* * *

كان موقف أمّ المؤمنين عائشة من حديث الوصية جزءاً من عمل الخلافة القرشية مع أحاديث الرسول (ص) في شأن أهل بيته تبعاً لسياسة عامة قریش: (الآن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم) كما يأتي ذكرها في البحث الآتي بإذنه تعالى.

(٢٩) راجع فصل: مع معاوية، من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة).

كتبان فضائل الإمام عليّ ونشر سبّه ولعنه والسبب فيهما

نبدأ في ما يأتي بذكر السبب في ذينك ثم نوالي إيراد أخبار كتبان فضائل الإمام عليّ ونشر سبّه ولعنه .

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم
روى الطبري محاورتين جرتا بين الخليفة عمر وأبن عباس وقال : قال
الخليفة في إحداهما لابن عباس :

ما منع قومكم منكم ؟ - أي ما منع قومكم قريشاً من ولايتكم -

قال ابن عباس : لا أدري !

قال عمر : لكنني أدري ، يكرهون ولايتكم لهم !

قال ابن عباس : لم ونحن لهم كناخير ؟

قال : غفراً ؛ يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحاً
بجحاً . لعلمكم تقولون إن أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما
حضره . الحديث .

وفي الثانية قال :

يا ابن عباس ! أندري ما منع قومكم منكم بعد محمد ؟

فكرهت أن أجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يُدريني .

فقال عمر : كرهوا أن يجتمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم
بجحاً بجحاً ؛ فأختارت قريش لأنفسها فأصابته ووُفِّقَتْ .

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن تأذن لي في الكلام ونُحِطَ عني الغضب تكلمتُ.

فقال: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أما قولك - يا أمير المؤمنين - اختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت؛ فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة؛ فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْيَاهُمْ﴾.

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس؛ قد كانت تبغني عنك أشياء كنت أكره أن أُقرَّك عليها فتزِيل منزلتك مني.

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزِيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أَمَاط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولك - يا أمير المؤمنين - ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً؛ فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم - يا بني هاشم - إلا حسداً ما يحول، وضغنأ وغشأ ما يزول.

فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش؛ فإن قلب رسول الله (ص) من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس.

فقلت: أفعِل.

فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال:

يا أبين عباس مكانك! فوالله إني لراعٍ لحقك، محبٌ لما سرك.
فقلت: يا أمير المؤمنين! إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم؛ فمن حفظه
فحفظه أصاب، ومن أضاعه فحفظه أخطأ. ثم قام فمضى^(١).

وقفة تأمل لدراسة الحديثين

في الحديثين صرح الخليفة عمر بأن قريشاً كرهوا أن يجتمع في بني هاشم
النِّبوة والخلافة فيتَّبِجَ بنو هاشم على قريش بَجْحاً أي يتباهوا بذلك على
قريش مباهاة.

وقال في الثاني: (فأختارت قريش لأنفسها فأصابت ووقفت). إذا فقد
بحثت قريش في أمر الولاية عن مصلحة أنفسهم - في ظاهر الأمر الدينيوي -
وليس مصلحة سائر المسلمين. وأي فرق للمسلمين أيّ قبيلة من قريش وليت
الحكم بعد رسول الله (ص).

وفي تصويبه عمل قريش لم يستدل بغير قوله (أختارت قريش لأنفسها) ولم
يذكر أي دليل آخر من كتاب الله أو سنة رسوله (ص).

ويستفاد من جواب أبين عباس (فلو أن قريشاً أختارت لأنفسها حيث
أختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها) أمران:

أولاً - إن اختيار قريش كان في غير ما اختاره الله، ويقصد حيث أختار
الله الإمام علياً (ع). كما سنورد الآيات والأحاديث في هذا الصدد يُعيد هذا
إن شاء الله تعالى.

ثانياً - إنه ليس لقريش أن تختار غير ما اختاره الله. ويشير بقوله هذا إلى

(١) في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ هـ من تاريخ الطبري ط. مصر الأولى، ٣٠/١ -
٣٢ - وطبعة أوربا، ١/٢٧٦٨ - ٢٧٧٢، والثانية منها - أيضاً - في تاريخ ابن الأثير، ٢٤/٣ -
٢٥ - واللفظ للطبري.

عملك فتقول: هلّم إلينا ولا هلّم إليكم دون غيركم... الحديث^(٢).

يظهر أن هذه المحاوره جرت بينها في أخريات حياة عمر. وجرت في آخر شهر من حياة الخليفة عمر ما رواه في هذا الصدد البخاري بسنده وقال:

عن ابن عباس أنه قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن ابن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؛ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت. فغضب عمر ثم قال: إنّي إن شاء الله لقائم العثية في الناس فمحذوهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فلإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. فقال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاعت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب أن أخرج عمر ابن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العثية مقالة لم يقلها منذ استخلف. فانكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٣٢١ - ٣٢٢.

لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر فلما سكّت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد! فإني قاتل لكم مقاتلة قد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ - إلى قوله - ثم إنه بلغني أن قاتلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يَغْتَرُّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر. من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يُقتل. - إلى قوله في آخر الخطبة أيضاً - فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يُقتل^(٣).

يا ترى! من هو فلان المعزوم على بيعته؟ ومن هو فلان الذي أهاج بقوله غضب الخليفة فخطب وقال في خطبته ما قال؟ إنّ ابن أبي الحديد الشافعي قد كشف في بعض ما رواه عن اسميهما وقال:

(إنّ الرجل الذي قال: لو قد مات عمر لباعيت فلاناً؛ عمّار بن ياسر قال: لو قد مات عمر لباعيت عليّاً. فهذا القول هو الذي أهاج عمر أن خطب بها خطب به)^(٤).

دراسة مفهوم الخطبة:

يفهم من كلام الخليفة أنه خشي أن يفلت زمام الأمر بعد وفاته من يد

(٣) صحيح البخاري ١١٩/٤ - ١٢٠، باب رجم الحبل من الزنا من كتاب الحدود. وقد أوردنا مورد الحاجة من الخطبة ص ١٤٣ قبل هذا. و(ويضعونها) كذا جاءت في الأصل والصواب: يضعونها.

(٤) في شرح الخطبة (٢٦) من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة.

قريش ويبادر غيرهم من المسلمين - صحابة وتابعين - إلى بيعه من يكرهون ولايته، وهو الإمام علي، ولذلك ابتكر طريقة سدّ بها الطريق على أولئك وقال: (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرة أن يُقتل). قال ذلك في حين أنه بنفسه ولي أمر المسلمين دون مشورة المسلمين، وأستند في شرعية حكمه إلى تعيين الخليفة أبي بكر له، وبمها يكن من أمر فقد أمسك - بطرحه ذلك - بزمام الأمر بقوة يده، ثم طرح بعد ذلك بقليل، وعندما طعن، وأمر بأن يجتمع ستة من قريش ليختاروا واحداً منهم للخلافة، وجعل أمر ترشيح الخليفة بيد عبد الرحمن بن عوف، وشرط هذا - للبيعة - عمل الخليفة بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقبل عثمان الشرط ورفضه الإمام علي (ع)، وكانوا يعلمون أن الإمام علياً لا يقبل أن يجعل سيرة أبي بكر وعمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله. وإذا رجعنا إلى ص ١٧٥ من هذا الكتاب نجد الخليفة عمر ينيئ سعيد بن العاص الأموي أن الذي يلي الأمر من بعده هو ذو رحم سعيد، وقد ولي بعد الخليفة عمر ذو رحم سعيد (عثمان بن عفان الأموي)، ولعلنا نجد السبب - أيضاً - في ص ١٧١ منه أن أبا بكر دعا عثمان خالياً فقال: (اكتب... هذا ما عهد أبو بكر إلى المسلمين، أما بعد) فأعمني عليه فذهب عنه، (فكتب عثمان: أما بعد! فأني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب) ولما أفاق أمضى ما كتبه عثمان من توليته عمر لأنه كان قد وافق قصده.

وعن أمر من يلي بعد عثمان روى اليعقوبي وقال:

إن عثمان اعتلّ علّة اشتدت به، فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم، ثم كتب بيده: عبد الرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق فأثنى عبد الرحمن فآخبره، فقال عبد الرحمن، وغضب غضباً شديداً: استعمله علانية،

ويستعملني سرّاً! ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة. وغضب بنو أمية، فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، وسيره إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف.

ووجه إليه عبد الرحمن بن عوف بابه، فقال له قل له: والله لقد بايعتك، وإن في ثلاث خصال أفضلكَ بهن... الخبر^(٥).

ويظهر أنه كان قد بُت في أن يلي الحكم بعد عثمان عبد الرحمن بن عوف غير أن عبد الرحمن توفي قبل عثمان سنة ٣١ أو ٣٢ هـ بعد أن اشتد الخصام بينهما^(٦)، وكذلك وقع الخلاف بين بني أمية «الأسرة الحاكمة من قريش» وسائر أقباض قريش، وقادت أم المؤمنين عائشة أسرتها من تميم والمخالفين حتى سقط الخليفة عثمان قتيلاً في داره في المدينة ويمحضر من المهاجرين والأنصار^(٧).

عند ذلك ملك المسلمون أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم فتهاوتوا على الإمام علي (ع) ببايعونه وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله (ص)، ولما ولي الإمام علي (ع) الحكم ألغى جميع امتيازات قريش التي منحوها على عهد الخلفاء قبله، وساوى بين سروات قريش وسائر المسلمين - العرب منهم والموالي - في تقسيم بيت المال والمنزلة الاجتماعية، فلملمت قريش أطرافها بعد أربعة أشهر من حكمه، وأقامت عليه حرب الجمل التي اجتمع فيها مروان (المطالب بدم عثمان) وطلحة والزبير (اللذان حرّضا على قتل عثمان) بقيادة أم المؤمنين عائشة التي أفتت بقتل عثمان ثم أقامت قريش عليه حرب صفين.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ١٦٩/٢.

(٦) راجع الأوتل لابي هلال العسكري ط. بيروت ١٤٠٧، ص ١٢٩، وشرح النهج لابي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٦٩/١.

(٧) راجع كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) ط. بيروت عام ١٤٠٨ ص ٨٧ - ١٦٢ فصل في عهد الصهرين.

أقامت الحريين عليه باسم الطلب بدم عثمان، وبذلك شوشت قريش على المسلمين في خارج المدينة الرومية الصحيحة. وبعد تحكيم الحكيمين بصفين خرجت على الإمام علي الخوارج بنهروان. ولهذا كله تكرر شكوى الإمام من ظلم قريش مثل قوله في كتابه لآخيه عقيل:

«فَدَعُ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَاصُهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجَوَّاهُمْ فِي الشَّقَاقِ، وَجَاهَهُمْ فِي التَّبَةِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كِبَاجِعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْخَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحْمِي... الكتاب»^(٨).

وأخبر عن مشاجرة وقعت بينه وبين أحدهم وقال:

وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَحَرِيصٌ.
فَقُلْتُ: بَلَى أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقَّالِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا فَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ [بَهْتَ] لَا يَذْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مُنْزَلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هَوِيلِي؛ ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ [فِي] الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ^(٩).

٨) نهج البلاغة، شرح محمد عبده - الرسائل، الكتاب رقم ٣٦. والأغاني ط. ساسي ٤٤/١٥.

وانتركاض: مبالغة في الركض، واستعاره لسرعة خواطروهم في الضلال، وكذلك التحول من الجول والحوالان، والشقاق: الخلاف، وجاحهم: استعصاؤهم على سابق الحق، والتية: الضلال والغواية.

الجوازي: جمع جازية بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم.

٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة: ١٦٧. وطبعة بيروت للدكتور صبحي الصالح، الخطبة: ١٧٢.

وقال في خطبة أخرى :

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَجَمِي
وَأَكْفَأُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَارَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا
إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ فِي الْحَقِّ أَنْ تُنَمِّعَهُ، فَأَصْبِرْ مَغْشُومًا أَوْ مُتَّسِفًا.
فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ، وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ
عَنِ الْمَبْنِيَةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرَعْتُ رَيْبِي عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ مِنْ
كَظَمِ الْعَيْطِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشُّفَارِ»^(١).

وأخيراً استشهد الإمام (ع) بيد أحد الخوارج في محراب مسجد الكوفة
وبعد استشهاد الإمام علي (ع) استولى معاوية على الحكم في سنة أربعين
للهجرة وسموا هذا العام بعام الجماعة وهو في الحقيقة عام الجماعة لقريش،

وضرب الوجه : كناية عن الرد والمنع ، «وفرعته بأحجة» : من «قرعه بالعصاء ضربه بها،
وهب» : من هبب التيس - أي : صياحه - أي : كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب
كأنه يحول لا يدري ما يقول.

واستعينك : استنصرك واطلب منك المعونة، ويروي في مكانه «أستعديك» أي : اطلب
منك أن تعديني عليهم وأن تنتصف لي منهم.

و «ثم قالوا - الخ» أي : إنهم أعترفوا بفضله، وأنه أجدرهم بالقيام به ففي الحق أن يأخذه،
ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر، وقالوا للإمام : في الحق أن نتركه، فتناقض
حكمهم بالحقية في القضيتين، ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توافرت فيه شروطه.

و «حرمة رسول الله» كناية عن زوجته، وأراد بها أم المؤمنين عائشة.

(١٠) نيج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة : ٢١٢.

وقد جاء القسم الأول منها في كتاب الغارات للثقي، ص ٣٩٢.

واستعديك : استعينك، وأكفا الإناء أي قلبه، كناية عن تضييعهم حقه.

والرافد : المعين، والذاب : المدافع، و «ضننت» أي : بخلت، والقذى : ما يقع في العين،
والشجى : ما أعترض في الخلق من عظم ونحوه، يريد غصة الحزن.
والشفار : جمع شفرة، وهي حد السيف وغيره.

واستمرّ حكم معاوية عشرين عاماً، وتوفي في سنة ستين للهجرة.

* * *

كان ذلكم بعض آثار كراهية قريش لحكم الإمام علي (ع)، ومن آثار تلك الكراهية منعهم نشر حديث الرسول (ص) كما سنذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

منع كتابة حديث الرسول (ص)

روى عبد الله بن عمرو بن العاص وقال:

«كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) فنهني قريش وقالوا: تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا! فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: أكتب! فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»^(١١).
صرّحت قريش بسبب نهيتها عن كتابة حديث الرسول (ص) وهو أن يكون حديثه في حال غضبه على أحد أو حال رضاه من أحد.

ففي الأولى يبقى حديث الرسول (ص) منقصة له، ونحن نعلم كم تحدّث الرسول (ص) عن عتاة قريش وشرح الآيات التي نزلت تقرّيعاً لهم! وفي الثانية يبقى حديث الرسول (ص) نصّاً في حق أحد لا يرضون أن ينشر نصّه له.

ولهذا السبب نفسه منعوا كتابة وصية الرسول (ص) في مرض وفاته عندما قال:

«هلّم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده».

فقال عمر: إنّ النبي غلبه الوجع، وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب

(١١) راجع مصادره في ص ٤٤ من المجلد الثاني من هذا الكتاب الطبعة الثالثة.

الله .

وقالوا: «ما شأنه! أهجر؟»^(١٢).

كان هذا المنع وذلك النهي بسبب الخشية من أن ينشر نصُّ عن الرسول (ص) في حق من يكرهون ولايته فتجتمع الخلافة والنبوة في بيتهم! ويسبب تلکم الکراهية - أيضاً - منع الخليفة عمر في عهد خلافته من كتابة حديث الرسول (ص)، وبقي المنع نافذاً حتى عصر الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز وجرت أمور أخرى ذكرناها في فصل: (منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء) من المجلد الثاني من هذا الكتاب، وجرى بعد عهد الخلفاء الأربعة ما سنذكره على التوالي في ما يأتي إن شاء الله تعالى:

سياسة الخلافة القرشية وسائر بني أمية

أ - على عهد معاوية:

ذكر الجاحظ بإيجاز سياسة الخلافة القرشية على عهد معاوية كما رواه ابن أبي الحديد وقال:

قال أبو عثمان الجاحظ: إنَّ معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبِّ عليّ عليه السلام والبراءة منه .

وخطب بذلك على منابر الإسلام ، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز (رض) فأزاله .

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أنَّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إنَّ أبا تراب أتخذ في دينك، وصدَّ عن سبيلك؛ فالعنه لعناً

(١٢) راجع ص ٤٤ - ٤٦ من المجلد الثاني من هذا الكتاب المتن والهامش . ومَرَّ ذكر ذلك في ص ١٤٠ - ١٤١ من هذا المجلد .

وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الأفاق، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز^(١٣).

روى الطبري^(١٤) وقال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبه على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه، وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها أعتياداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ، والإقصاء لهم، والإطراء لشيعه عثمان، والإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جُرِبْتُ وجُرِبْتُ وعملتُ قبلك لغيرك، فلم يذمّني، وسبّلو فتحمّد أو تذرّم، فقال: بل نحمّد إن شاء الله.

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الأحداث وقال:
كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب، وأهل بيته، وكان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة^(١٥).

(١٣) شرح الخطبة السابعة والخمسين من خطب نهج البلاغة في شرح ابن أبي الحديد ط. الأولى فصل فيها روي من سب معاوية وحزبه لعلي ٣٥٦/١ وطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٨٧ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥٦/٤. وهو مصدر ما نرويّه عن شرح ابن أبي الحديد في ما يأتي.

وأبو عثمان الجراح هو عمرو بن بحر الليثي البصري اللغوي النحوي توفي سنة ٢٥٥هـ في البصرة وكان ماثلاً إلى النصب ومن كتبه (العثمانية) التي نقض عليه أبو جعفر الإسكافي عمّد ابن عبد الله (ت: ٢٤٠هـ) والشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ).

(١٤) في حوادث سنة إحدى وخمسين من الطبري ط. أوروبا ١١٢/٢ - ١١٣. وط. الأولى ١٠٨/٦. وط. دار المعارف القاهرة ٢٥٣/٥ - ٢٥٤. وابن الأثير ٢٠٢/٣.
(١٥) شرح الخطبة (٢٠٨) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. مصر الأولى. ١٥/٣ - ١٦. ومنه ننقل كلّ ما ننقل من شرح ابن أبي الحديد.

وقال : كتب معاوية^(١٦) إلى عمّاله في جميع الآفاق : ألا يميزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدّوا بحالهم، وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم، وأسمه، وأسم أبيه، وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويُفضيه في العرب منهم والموالي، فكثّر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب أسمه، وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إليّ وأقرّ إلى عيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، ففُتّرت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه، وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله . . . ، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشرة، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة . . . الحديث^(١٧).

(١٦) قد نقل كتاب معاوية هذا أيضاً أحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٧٥.

(١٧) في شرح «من كلام له، وقد سأل سائل عن أحاديث البدعة» من شرح النهج ١٥/٣

وقد روى آبن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: «لأن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم»^(١٨).

وروى آبن أبي الحديد^(١٩) عن أبي جعفر الإسكافي وقال: «لأن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (ع) تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغب في مثله».

وروى في هذا الصدد عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث الذي أخرجه البخاري^(٢٠) ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن

- ١٦، أورد آبن أبي الحديد الرويتين المرويتين عن (المدائني). وهو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ٣١٥هـ) ذكر له النديم في الأحداث ٢٥ كتاباً (الفهرست ص ١١٥).

(١٨) المصدر السابق؛ وص ٢١٣ من فجر الإسلام.

ونفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال في ترجمته بتاريخ بغداد: كان صدوقاً له مصنفات كثيرة؛ وقال المسعودي في ذكر المؤرخين وأصحاب الأخبار في أول كتابه مروج الذهب، ٢٣/١:

وكذلك تاريخ أبي عبد الله الملقب بنفطويه فمحتشور من ملاحه كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تاليفاً وأملحهم تصنيفاً وذكر أسماء مؤلفاته في هدية العارفين ص ٥ وقال (ت: ٣٢٣هـ).

(١٩) شرح النهج ط. مصر الأولى، ٣٥٨/١. والإسكافي نسبة إلى الإسكاف من نواحي النهر وان بين بغداد وواسط. وأبو جعفر الإسكافي في مادة الإسكاف من معجم البلدان عداده في أهل بغداد أحد المتكلمين من المعتزلة (ت: ٢٠٤هـ) وقال آبن حجر في ترجمته:

محمد بن عبد الله الإسكافي؛ من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم؛ وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم؛ وهو بغدادى أصله من سمرقند؛ قال آبن النديم: كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونيل الأمانة والنزاهة؛ بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد؛ وكان المعتصم يعظمه. وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره. توفي سنة ٢٤٠، لسان الميزان، ٢٢١/٥.

(٢٠) قد ذكر البخاري هذا الحديث في صحيحه ٣٤/٤ كتاب الأدب باب يبل بالرحم ببلالها

العاص، قال: سمعت رسول الله يقول جهاراً غير سر^(٢١): «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين».

وفي البخاري بعده بطريق آخر عنه: (ولكن لهم رحماً أبلاًها ببلالها) - يعني أصلها بصلتها - انتهى.

كانت تلکم رواية ابن أبي الحديد عن صحيح البخاري وفي طبقات البخاري في عصرنا بدل لفظ (آل أبي طالب) بـ: (آل أبي فلان).

وروى الطبري أن المغيرة بن شعبة، أقام سبع سنين وأشهرًا في الكوفة لا يدع شتم عليٍّ والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه^(٢٢)، غير أن المغيرة كان يداري، فيشتد مرةً، ويلين أخرى.

وروى الطبري: أن المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة يومذاك أميراً على الكوفة من قبل معاوية: «إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تذكر شيئاً من فضل عليٍّ علانية، فإنك لست بذاك من فضل عليٍّ شيئاً أجعله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدءاً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّةً، فإن كنت ذاكرًا فضله، فأذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلکم سرّاً، وأما علانية في المسجد، فإن هذا لا يحتملة الخليفة لنا ولا يعذرنا به...» (٢٣) الحديث.

بطريقين عن ابن العاص. وفي ط البخاري كتّن عن آل أبي طالب بآل أبي فلان.
(٢١) هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن ابن العاص وكتّن - أيضاً - وقال آل أبي فلان، ومسمّم ١٣٦/١ كتاب الإيمان باب موالات المؤمنين ومقاطعة غيرهم.

(٢٢) الطبري ط. أوربا ١١٢/٢.

(٢٣) الطبري ط. أوربا ٣٨/٢.

وقال اليعقوبي^(٢٤) ما موحزه :

وكان حجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب ، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية ، وهم يلعنون علياً على المنبر ، يقومون فيردون عليهم ، ويتكلمون في ذلك .

فلما قدم زياد الكوفة وجّه صاحب شرطه إليهم ، فأخذ جماعة منهم فقتلوا ، وهرب عمرو بن الحمق الخزاعي إلى الموصل وعدّة معه ، وأخذ زياد حجر بن عدي الكندي وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب ، وذرّوا على الولاة ، فخرجوا بذلك من الطاعة ، وأنفذ شهادات قوم . فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال ، أمر معاوية بإيقافهم هناك ، ثم وجه إليهم من يضرب أعناقهم ، فكلمه قوم في ستة منهم فأخلى سبيلهم ، وأمر أن يعرض على الباقي البراءة من علي واللعن له فقالوا : إن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم ، فأبرأوا منه نخل سبيلكم ! قالوا : اللهم لسنا فاعلي ذلك !

فحفروا لهم قبورهم وأدّيت أكفانهم ، فقاموا الليل كله يصلون ، فلما أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من علي فقالوا : نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه . فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله فقال حجر دعوني أتوضأ وأصلي . فلما أتم صلاته قتلوه وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة مع حجر ، فلما بلغوا عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن العفيف اللخثمي قالوا : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مقالته . فبعثوا بهما إلى معاوية فلما دخلا عليه ، قال معاوية لللخثمي : ما تقول في علي؟ قال : أقول فيه قولك ! قال أنبرا من دين علي؟ فسكت ، فقام ابن عم له فاستوهبه من معاوية فحبسه شهراً ثم

(٢٤) اليعقوبي ٢ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

خَلَّى سَبِيلَهُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْكَوْفَةِ. أَمَّا الْعَنْزِي فَقَدْ قَالَ لَهُ: يَا أَخَا رِبِيعَةَ! مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَمِنَ الْأَمْرِينَ بِالْحَقِّ وَالْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ. قَالَ: فَمَا قَوْلُكَ فِي عِثَانَ؟ قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الظُّلْمِ وَأَرْجَى أَبْوَابِ الْحَقِّ. قَالَ: قَتَلْتَ نَفْسَكَ. قَالَ: بَلَى إِيَّاكَ قَتَلْتُ، فَبَعَثَ بِهِ مَعَاوِيَةَ إِلَى زِيَادٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْعَنْزِي شَرٌّ مِنْ بَعَثْتُ، فَعَاقِبَهُ عَقُوبَتَهُ الَّتِي هُوَ أَهْلُهَا وَاقْتَلَهُ شَرَّ قَتْلَةٍ. فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى زِيَادٍ بَعَثَ زِيَادٌ بِهِ إِلَى قَسِّ النَّاطِفِ فَدَفَنَ بِهِ حَيًّا^(٢٥).

وَمِنْ قِصَصِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ أَيْضًا مَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَيْفِي بْنِ فَسِيلٍ، فَإِنَّهُ أَمَرَ فَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ! مَا تَقُولُ فِي أَبِي تَرَابٍ؟ قَالَ: مَا أَعْرِفُ أَبَا تَرَابٍ؛ قَالَ: مَا أَعْرِفُكَ بِهِ! قَالَ مَا أَعْرِفُهُ، قَالَ: أَمَا تَعْرِفُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؟! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ، - وَبَعْدَ مَحَاوَرَةٍ بَيْنَهُمَا - قَالَ: عَلِيٌّ بِالْعَصَا، فَقَالَ: مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: أَحْسَنُ قَوْلٍ أَنَا قَائِلُهُ فِي عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ أَقُولُهُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَضْرِبُوا عَاتِقَهُ بِالْعَصَا حَتَّى يُلْصَقَ بِالْأَرْضِ؛ فَضْرَبَ حَتَّى أُلْصَقَ بِالْأَرْضِ؛ ثُمَّ قَالَ: أَقْلَعُوا عَنْهُ، فَتَرَكُوهُ، فَقَالَ لَهُ: إِلَيْهِ مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ شَرَطْتَنِي بِالْمَوَاسِي وَالْمُدَى مَا قُلْتُ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنِّْي، قَالَ لِنُفَعْتَهُ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قَالَ: إِذَا وَاللَّهِ تَضَرَّعْتُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَسْعِدْ وَتَسَلِّتْ، قَالَ: أَدْفَعُوا فِي رِقَبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِرُوهُ حَدِيدًا وَاطْرَحُوهُ فِي السَّجَنِ، ثُمَّ قَتَلَ مَعَ حَجَرٍ^(٢٦).

(٢٥) أوردناها مع جرد من عبد الله بن سبأ ٢/٢٦٨ - ٢٩٢، ط. نشر توحيد ١٤١٣ هـ وفي ترجمة حجر من تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيبه تفصيل الخبر.

(٢٦) الطبري ١٠٨/٦ و١٤٩. وابن الأثير ٣/٢٠٤. والأغانى ١٦/٧، وابن عساكر ٤٥٩/٦.

وكتب إلى معاوية في رجلين حضرميين^(٢٧) أنهما على دين عليّ ورأيه، فاجابه: من كان على دين عليّ ورأيه، فاقتله، ومثل به، فصلبهما على باب دارهما بالكوفة^(٢٨).

كما أمره بدفن الخثعمي الذي مدح علياً وعاب عثمان حياً، فدفنه حياً^(٢٩). وختم حياته بما ذكره المسعودي، وأبن عساكر، قال ابن عساكر: جمع أهل الكوفة فملا منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من علي^(٣٠). وقال المسعودي: وكان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يعرضهم على لعن عليّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف، ثم ذكر أنه أصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم.

وكان عمرو بن الحمق الخزاعي ممن أصابه التشريد والقتل في هذه المعركة، فإنه فرّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه، فحزّوا رأسه وحملوه إلى معاوية، فأمر بنصبه في السوق ثم بعث برأسه إلى زوجته في السجن - وكان قد سجنها في هذا السبيل - فالتقي في حجرها^(٣١).

عمّت هذه السياسة بالبلاد الإسلامي، وأتبعها ونفذها غير من ذكرنا من الأمراء أيضاً، كبسر بن أرطاة في ولايته البصرة، وأبن شهاب في الري^(٣٢) فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون، ثم أصبحت هذه سياسة بني أمية

(٢٧) نسبة إلى حضرموت من بلاد اليمن.

(٢٨) المحبر، ص ٤٧٩.

(٢٩) راجع قصة حجر بن عدي في عهد الله بن سبأ.

(٣٠) المسعودي في أيام معاوية ٣/٣٠، وأبن عساكر ٥/٤٢١.

(٣١) المعارف لابن قتيبة ٧/١٢، والاستيعاب ٢/٥١٧، والاصابة ٢/٥٢٦، وتاريخ أبن

كثير ٨/٤٨، والمحبر، ص ٤٩٠.

(٣٢) في حوادث سنة ٤١هـ من الظهري ٦/٩٦، وأبن الأثير ٣/١٦٥، وأبن شهاب في

أبن الأثير ٣/١٧٩ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدى وأربعين).

التقليدية، ولعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق والغرب ما عدا سجستان، فإنه لم يلعن على منبرها إلا مرة، وأمتنعوا على بني أمية، حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد في حين كان يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة^(٣٣).

وقد كانوا يلعنون علياً على المنابر بمحضر من أهل بيته، وقصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر^(٣٤) في تطهير اللسان، وقال:

(إنَّ عمرًا صعد المنبر فوقع في عليٍّ، ثمَّ فعل مثله المغيرة بن شعبه، فقبل للحسن: إصعد المنبر لتردَّ عليهما، فامتنع إلا أن يعطوه عهداً أنهم يصدقوه إن قال حقاً، ويكذبوه^(٣٥)) إن قال باطلاً، فأعطوه ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أنشدك الله يا عمرو! يا مغيرة! اتعلما أن رسول الله (ص) لعن السائق والقائد أحدهما فلان؟ قالوا: بلى، ثمَّ قال: يا معاوية! ويا مغيرة! ألم تعلمَّا أنَّ النبي (ص) لعن عمرًا بكل قافية قالها لعنة؟ قالوا: اللهم بلى... الحديث.

ولما كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنة وقدموا الخطبة على الصلاة، قال ابن حزم في المحلى^(٣٦):

(٣٣) أوردها ملخصة من معجم البلدان ٣٨/٥ ط. المصرية الأولى في لغة سجستان، وهي من بلاد إيران.

(٣٤) في تطهير اللسان ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فمختلف فيه، لكن قوَاهُ الذهبي بقوله: إنه أحد الاثبات، وما فيه جرح أصلاً، ثمَّ أورد الحديث.

(٣٥) كذا جاءت في الأصل والصحيح يصدقونه... ويكذبونه.

(٣٦) المحلى لابن حزم تحقيق أحمد محمد شاكر ٨٥/٥ - ٨٦، وراجع كتاب الأم للشافعي

أحدث بنو أمية تقديم الخطبة على الصلاة، واعتلوا بأن الناس كانوا إذا صلوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب (رض) فكان المسلمون يقرؤون، وحقّ ضم ذلك.

وقال اليعقوبي في تاريخه (٢/٢٢٣):

وفي هذه السنة - سنة ٤٤هـ - عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصل في العيدين وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس إذا صلوا، أنصرفوا لشلا يسمعون لعن علي فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فداً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله (ص).

وفي الصحيحين^(٣٧) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال:

خرجت مع مروان وهو أمير المدينة - في أضحى أو فطر - فلما أتينا المصل إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجلبت بثوبه، فجبذني، فارتفع، فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله. فقال: يا أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لما بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة.

وكانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرؤن الصحابة به أيضاً، ففي صحيح مسلم^(٣٨) وغيره عن سهل بن سعد: قال:

٢٠٨/١

(٣٧) البخاري ١١/٢، ومسلم ٣٠/٣، وسنن أبي داود ١/١٧٨، وأبن ماجه ١/٣٨٦، والبيهقي ٣/٢٩٧، وفي مستد أحمد ٣/١٠ و ٢٠ و ٥٢ و ٥٤ و ٩٢، واسم المعارض على مروان في مستد أحمد غير أبي سعيد.

(٣٨) أوردته ملخصاً عن صحيح مسلم ٧/١٢٤ باب مناقب علي، وأورده البخاري عرقاً في صحيحه باب مناقب علي، وفي باب نوم الرجل في المسجد من كتاب الصلاة ٢/١٩٩، وفي إرشاد الساري ٦/١١٢: أن هذا الوالي هو مروان بن الحكم؛ وراجع البيهقي ٢/٤٤٦.

«استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعيد فأمره أن يشتم علياً، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعليّ لاسم أحبّ إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي به، فقال له: أخبرنا عن قصته، لم سمي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله (ص) بيت فاطمة، فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟» إلى قوله:

«هو في المسجد راقد، فجاء وهو مضطجع، وقد سقط رداؤه عن شقه، فجعل رسول الله (ص) يمسحه عنه، ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب».

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: «أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (ص) فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم. سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله! خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؛ قال فتناولنا لها، فقال: أدعوا لي علياً فأتي به أرمداً، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فقل نعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة، وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي»^(٣٩).

(٣٩) مسلم ١٢٠/٧، والترمذي ١٣/١٧١، والمستدرک ٣/١٠٨ و١٠٩، وزاد فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة، والاصابة ٢/٥٠٩، والنسائي في الخصائص ص ١٥.

ورواه المسعودي^(٤٠) عن الطبري هكذا: قال:

ولما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ أنصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريرته، ووقع في عليّ، وشرع في سبّه، فزحف سعد، ثم قال: أجلسني معك على سريرك، ثم شرعت في سب عليّ؟! والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال عليّ أحب إليّ، ثم ساق الحديث باختلاف يسير وذكر في آخره أنه قال: وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثم نهض. أما ابن عبد ربه فقد ذكره باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد وقال: ^(٤١)

«ولما مات الحسن بن عليّ حجّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله (ص) فقيّل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد، ثم لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أم سلمة زوج النبي (ص) إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن أحبه، وأنا أشهد الله أن الله أحبه، ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها» انتهى^(٤٢).

وقال ابن أبي الحديد:

روى أبو عثمان - الجاحظ - أيضاً أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير

(٤٠) مروج الذهب ٣/٣٤ في أيام معاوية، ثم ذكر ما صدر عن معاوية في المجلس ثم أربأ بقلمي عن ذكره.

(٤١) العقد ١٢٧/٣.

(٤٢) نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة)، بحث دواعي وضع الحديث من فصل (مع معاوية). ط. بيروت سنة ١٤٠٥ هـ - ص: ٣٨٩.

المؤمنين! إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً! (١٣)

تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الإمام علي (ع) ولعنه روى الثقيفي في كتابه الغارات وقال: إن عمر بن ثابت كان يركب بالشام ويدور في القرى بالشام فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول: أيها الناس! إن علي بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينحس برسول الله (ص) ليلة العقبة فآلمعوه قال: فإلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك (وكان في أيام معاوية) (١٤).

خبر ليلة العقبة بإيجاز:

في امتاع الأسباع (١٥):

عندما رجع النبي سنة ٩ للهجرة من غزوة تبوك ومرّ بعقبة وفي أسفلها واد تسير القوافل منها فأمر الجيش أن يسيروا من بطن الوادي وسار هو ليلاً من طريق العقبة فتآمر بعض المنافقين على نفر ناقة الرسول ليلاً ليقتلوه فمنعهم من ذلك الصحابيان عمار بن ياسر وحذيفة اللذان كانا في صحبة الرسول، ونسب عميل معاوية هذا العمل إلى أبن عم الرسول (ص).

البعث لمعاوية على ما فعل:

إن كان دافع سائر قریش في ما فعلته مع الإمام علي (ع)، كرهها أن

(١٣) شرح الخطبة (٥٧) من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة.

(١٤) الغارات للثقيفي، ص: ٣٩٧.

(١٥) إمتاع الأسباع ص: ٤٧٧، ومرّ الإشارة إلى الخبر ومصادره في ص: ١٢٥ من هذا

الكتاب.

تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم . فقد كان دافع معاوية القرشي الأموي مع ذلك حقه على بني هاشم كما يظهر ذلك في الخبر الآتي :

روى الزبير بن بكار وقال :

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة :

دخلت مع أبي على معاوية . فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب بما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، ورأيت مغتماً فانتظرت ساعة ، وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت : ما لي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال : يا بني ! جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم . قلت : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه ، فقال : هيهات هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ! ملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل : أبو بكر ، ثم ملك أخو عدي فأجتهد وشمر عشر سنين ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : عمر .

وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمداً رسول الله) فأي عمل يبقى ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك ؟ لا والله إلا دفناً دفناً^(٤٦) .

كان ذلكم من معاوية بسبب حقه على بني هاشم .

(٤٦) الموفقيات ص ٥٧٦ - ٥٧٧ ، ومروج الذهب ٤٥٤/٢ ، وابن أبي الحديد ٤٦٣/١ وط . مصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٢٩/٥ - ١٣٠ . وكانت قریش نكثي رسول الله (ص) أباً كبشة استهزاء به .

أسباب حقد معاوية على بني هاشم :

لمعرفة أسباب حقد معاوية على بني هاشم ينبغي قراءة بحث (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين عائشة) وكان في ما شرحناه هناك من تلك الأسباب :

إن معاوية ورث ذلكم الحقد من أمه هند التي لاكت كبد حمزة عم الرسول (ص) في غزوة أحد، وصنعت من أطرافه قلادة تشفياً لغيظها على بني هاشم .

وأخيراً شفى حقد آل أبي سفيان يزيد بن معاوية بقتله آل الرسول في كربلاء وقطع رؤوسهم وسبي نسائهم كما ذكرناه مفصلاً في المجلد الثالث من هذا الكتاب .

وولي بعد يزيد آل مروان من بني أمية وفي ما يأتي أمثلة من سياستهم مع آل الرسول بعد ذكر ما فعله ابن الزبير في دولته :

سياسة ابن الزبير

شرح ابن أبي الحديد ابن الزبير في دولته وقال :

روى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير، أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلّي فيها على النبي صلى الله عليه وآله، وقال : لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمّع رجال بآنافها .

وقال :

وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمر بن المثنى : أن له أهيل سوء يَغضون رؤوسهم عند ذكره .

وقال أيضاً :

وروى سعيد بن جبير أن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس : ما

حديث أسمعه عنك! قال: وما هو؟ قال: تأنيبي وذمّي! فقال: إني سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «بش المرأة المسلم يشبع ويجوّع جاره»، فقال ابن الزبير: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة... الحديث. عرض ابن عباس إلى بخل ابن الزبير في حديثه.

وقال أيضاً: روى عمر بن شبة عن سعيد بن جبير، قال: خطب عبد الله ابن الزبير، فقال من عليّ عليه السلام، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية (ت: ٨١هـ)، فجاء إليه وهو يحطّب، فوضع له كرسي، فقطع عليه خطبته. وقال: «يا معشر العرب، شامت الوجوه! أئتنقص عليّ وأنتم حضوراً! إن عليّاً كان يدّ الله على أعداء الله، وصاعقة من أمره، أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم فشنّوه وابتغصوه، وأضمرّوا له السيف والحسد وأبى عنه صلى الله عليه وآله حيّ بعد لم يمّت؛ فلما نقله الله إلى جواره، وأحبّ له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، وشفت أضغانها، فمنهم من ابتزّه حقّه، ومنهم من ائتمر به ليقتله، ومنهم من شتمه وقذفه بالباطيل؛ فإن يكن لدريته وباصري دعوته دولة تنشر عظامهم، وتحفر على أجسادهم؛ والأبدان منهم يومئذ بالية، بعد أن تقتل الأحياء منهم، وتذلّ رقابهم، فيكون الله عزّ اسمه قد عدّهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم، وشفا صدورنا منهم، إنّه والله ما يشتم عليّاً إلّا كافر يُسرّ شتم رسول الله (ص) ويخاف أن يبوّخ به، فيكنّى بشتم علي عليه السلام عنه. أما إنّه قد تحطت المنية منكم من امتد عمره، وسمع قول رسول الله (ص) فيه: «لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يُبغضك إلّا منافق، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(٤٧).

(٤٧) شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ط. الأولى ٣٥٨/١ وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٦١/٤ - ٦٣.

ورواه البيهقي في تاريخه، ٣٦٢/٢، أكثر تفصيلاً من هذا، وابن الزبير هو عبد الله بن

وقال ابن أبي الحديد:

وكان عبد الله بن الزبير يُبغض علياً عليه السلام، ويتقصه وينال من عِرضه^(٤٨).

وقال اليعقوبي:

تحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكروه، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به.

وأخذ آبن الزبير محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبياعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبياعن أو ليحرقنهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبياعنه، أو ليضرمئها علينا بالنار، فيا غوثاه!^(٤٩) فوجه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد الله الجذلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكة، فكسر الحجرة، وقال لمحمد بن علي: دعني وآبن الزبير! قال: لا أستحل من قطع رحمه ما استحلت مني^(٥٠).

الزبير الأسدي ببيع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ في الحجاز والعراق واستمر حكمه حتى قتله الحجاج سنة ٦٧هـ.

(٤٨) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣٥٨/١.

(٤٩) في نسختنا: فيا غوثاً، والصحيح ما أثبتناه.

(٥٠) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦١. ومحمد بن الحنفية آبن علي بن أبي طالب (ت: ٨١هـ).

بعد أبين الزبير:

بعد قتل أبين الزبير صفا الجوّ للخلفاء الأمويين من آل مروان فتابعوا معاوية في سياسته في شأن الإمام علي (ع) كالآتي بيانه بحوله تعالى :

ب - على عهد عبد الملك وأبنيه الوليد

روى أبين أبي الحديد عن الجاحظ أنه قال :

وقال أبو عثمان : وما كان عبد الملك مع فضله وأناته وسداده ورُجْحانه ممن يخفى عليه فضل عليّ عليه السلام ، وإن لعنه على رؤوس الأشهاد ، وفي أعطاف الخطب ، وعلى صَهَوَات المنابر مما يعود عليه نقصه ، ويرجع إليه وهنه ، لأنهما جميعاً من بني عبد مناف ، والأصل واحد ، ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيد ما فعله الأسلاف ، وأن يقرّر في أنفس الناس أنّ بني هاشم لا حظّ لهم في هذا الأمر ، وأنّ سيّدَهم الذي به يصلون ، ويفخروه يفخرون ، هذا حاله وهذا مقداره ، فيكون مَنْ يتسمي إليه ويُدّلي به عن الأمر أبعد ، وعن الوصول إليه أشحط وأنزَح .

وقال أيضاً :

روى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام ، فقال : لعنه «اللّه» بالجر ، كان لصّ أبين لصّ .
فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ، ومن نسبته علياً عليه السلام إلى اللصوصيّة وقالوا : ما ندري أيّهما أعجب ! وكان الوليد لَحْنَاناً^(٥١) .

(٥١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣٥٦ وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

٥٨ - ٥٧/٤ .

وعبد الملك بن مروان بويح له بالخلافة سنة ٦٥هـ وتوفي سنة ٨٦هـ وبويح بعده لابنه الوليد بالخلافة .

ويؤيد أن الوليد كان لحناً ما رواه أهل السير وقالوا:
 إنَّ روح بن زنباع قال دخلت يوماً على عبد الملك وهو مهموم فقال: فكُرت
 في من أوليه العرب فلم أجده! فقلت: وأين أنت عن ريحانة قريش وسيدها
 الوليد! فقال لي يا ابن زنباع إنَّه لا يلي العرب إلّا من تكلم بكلامهم، قال
 فسمعها الوليد فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو وجلس معهم في بيت
 وطيرَ عليه ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل ممّا كان. فقال عبد الملك أما إنه قد
 أعذر^(٥٢).



كان ذلكم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على عهد عبد الملك وآبئه
 الوليد وبعضه الآخر ندرسه من خلال دراسة ما فعله واليهما الحجاج في هذا
 الشأن.

بعض ما فعله الحجاج تنفيذاً للسياسة القرشية

روى ابن أبي الحديد بعض ما فعله الحجاج في هذا الشأن وقال:
 كان الحجاج لعنه الله يلعنُ علياً (ع)، ويأمر بلعنه. وقال له متعرّض به
 يوماً وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عَقُونِي فستَمُونِي علياً، فغيّر اسمي،
 وصلني بها أتبلغ به، فلاني فقير. فقال: لِلطُف ما توصلت به قد سميتك كذا،
 ووليتك العمل الفلاني فاشْخَصْ إليه^(٥٣).

وروى المسعودي في هذا الشأن وقال:

قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود، حي من اليمن،

(٥٢) ترجمة الوليد في تاريخ الإسلام للذهبي، ٦٥/٤، وقال الذهبي - أيضاً - في ترجمة روح
 ابن زنباع في سير أعلام النبلاء. ط. الأولى، ٢٥١/٤. وكان شبه الوزير للخليفة عبد الملك
 (ت: ٨٤هـ).

(٥٣) شرح ابن أبي الحديد ٣٥٦/١ وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥٨/٤.

وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهدته كلها، وشهد معه تحريق البيت، وكان من أنصاره وشيعته: والله ما كافأناك بعد، ثم أرسل إلى أسماء ابن خارجة - وكان من فزارة - أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك، فقال: لا والله، ولا كرامة، فدعا له بالسياط، فقال: أنا أزوجه، فزوجه، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن رُوج عبد الله بن هانئ، قال: ومن أود؟ والله لا أزوجه ولا كرامة، قال: هاتوا السيف، قال: دعني حتى أشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوجه لا يقتلك هذا الفاسق، فزوجه، فقال له الحجاج: يا عبد الله، قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان، وما أود هنالك، فقال: لا تقل - أصلح الله الأمير - ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب، قال: وما هذه المناقب؟ قال: ما سُب أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط، قال: هذه والله منقبة، قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد، وكان والله ما علمته امرأة سوء، قال: وهذه والله منقبة، قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا تتولاه، قال: وهذه والله منقبة، قال وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت، قال: وهذه والله منقبة، قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل، وقال: وأزيدكم آبنيه الحسن والحسين وأمهيا فاطمة، قال: وهذه والله منقبة. قال: وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة ما لنا، فضحك الحجاج وقال: أما هذه يا أبا هانئ فدعها. وكان عبدُ الله دميماً شديد الأدمة مجدوراً، في رأسه عَجَر، مائل الشدق، أَحْوَل قبيح الوجه، شديد الحول^(٥٤).

وروى آبن سعد في ترجمة عطية بن سعد بن جنادة العوفي من طبقاته

(٥٤) مروج الذهب ٣/١٤٤، وابن أبي الحديد ١/٣٥٧ وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/٦١.

وقال :

كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن آذع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب وإلا فأضربه أربعمئة سوط وأحلق رأسه ولحيته . فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج فأبى عطية أن يفعل ، فضربه أربعمئة سوط وحلق رأسه ولحيته^(٥٥) .

* * *

وسار على نهج الحجاج أخوه وواليه على اليمن كالآتي بيانه :

بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته على اليمن روى الذهبي عن حجر المدري ما موجزه قال : قال علي بن أبي طالب : كيف بك إذا أمرت أن تلعنني .

قلت : أو كائن ذلك ؟

قال : نعم !

قلت : فكيف أصنع ؟

قال : العني ولا تبرأ مني .

قال : فأمره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن علياً . فقال : إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله . فما فطن لها إلا

٥٥) الطبقات الكبرى ط . أوروبا ٦/ ٢١٢ - ٢١٣ ، والطبري ط . أوروبا ٢/ ٢٤٩٤ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٤ - ٢٢٦ . وفي تقريب التهذيب : وعطية أخرجه حديثه البخاري وأبو داود والترمذي وأبن ماجة وثوفي سنة ١١١هـ .

ومحمد بن القاسم الثقفي كان على رأس جيش في بلاد فارس فأمره الحجاج سنة ٩٢هـ أن يذهب لفتح بلاد السند ففتح بلادها وقتل ملكها وكان في ما فتح من بلادها مدينة الكراتشي ومولتان من بلاد باكستان اليوم ، ولما ولي الخليفة سليمان أمر بتصفية ولاية الحجاج فسجن محمد وقتل في السجن سنة ٩٢هـ .



هكذا توالى سياسة الخلافة الأموية القرشبة إلى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي قام بتقص تلكم السياسة كما سندرسه في ما يأتي:

ج - على عهد عمر بن عبد العزيز:

إن عمر بن عبد العزيز خالف سياسة الخلافة الأموية وأمر بترك لعن الإمام علي (ع). وذكروا في سبب ذلك وقالوا ما رواه ابن أبي الحديد وغيره واللفظ لابن أبي الحديد:

فأما عمر بن عبد العزيز (رض) فإنه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن علياً، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رأيته قام فصلّى وأطال في الصلاة - شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك - فلما أنفقت من صلاته كلّخ في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني، أنت اللاعن علياً منذ اليوم! قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم! فقلت: وهل كان علي من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلّا له! فقلت لا أعود، فقال: اللّه أنك لا تعود! قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها^(٥٧)، ثم كنت أحضر تحت

(٥٦) تاريخ الإسلام للذهبي، ٥١/٤ - ٥٢، في ترجمة محمد بن يوسف الثقفي.
 وحجّر هو ابن قيس الحمداني والمذري نسبة إلى مدّر جبل باليمن قال ابن حجر تابعي ثقة
 أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجة ترجمته في تهذيب التهذيب ٢١٥/٢ وتقريبه ١٥٥/١.
 (٥٧) شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٥٨/٤ - ٥٩. وأورد
 هذا الخبر ابن عساكر في تاريخ دمشق، ومصورة المجمع العلمي الإسلامي ١٣٢/١ في
 ترجمة عمر بن عبد العزيز.

منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حيثئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي يمر في خطبته تهدير شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجتمجم، ويعرض له من الفهاهة والخصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حقلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرّرت الكن عيباً! فقال: يا بني، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري؛ مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله عهداً؛ لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرته، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٥٨)، يعظكم لعلكم تذكرون^(٥٩)، وكتبت به إلى الأفاق فصار سنة^(٦٠).

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه السب:

وليت فلم تشتم عليا ولم تحف

برياً ولم تقبل إساءة مجرم

وكفرت بالعفو الذنوب مع الذي

أتيت فأضحى راضياً كل مسلم^(٦١)

وقال الرضي أبو الحسن (ره):

وعمر بن عبد العزيز ولي الخلافة سنة ٩٩هـ. ومات مسموماً سنة ١٠١هـ.

(٥٨) ذكر الخبرين بإيجاز كل من ابن الأثير في تاريخه، ١٦/٥. والمسعودي في مروج الذهب،

١٨٤/٣.

(٥٩) سورة النحل / ٩٠.

(٦٠) شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وأوجز منه في تاريخ المعقوي

٣٠٥/١.

(٦١) الأغاني ٢٥٠/٩ (طبعة الدار) مع اختلاف في الرواية.

يَا أَبْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ بَكَ
غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ إِنَّكَ قَدْ طَبَّ
أَنْتَ نَزَهْتَنَا عَنِ السَّبِّ وَالْقَذِّ
سَبِّ الْعَيْنِ فَتَى مِنْ أُمِّيَّةٍ لَبَكَيْتُكَ
سَبِّ وَإِنْ لَمْ يَطْبُ وَلَمْ يَزُكْ يَبْشُرْكَ
فَبِ؛ فَلَوْ أَمَكَّنَ الْجَزَاءُ جَزَيْتُكَ^(٦٢)

* * *

إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمْ يَنْجَحْ فِي مَسْعَاهُ لِسَبِّينَ :
أولاً - لَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدْ أَعْتَادُوا عَلَى لَعْنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَرَأَوْا فِيهِ سَنَةً لَا
يَنْبَغِي تَرْكُهُ ، وَأَبَى بَعْضُهُمْ تَرْكَ لَعْنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (ع) عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ مِثْلَ أَهْلِ حَرَّانَ كَمَا رَوَاهُ الْحَمُويُّ وَالْمَسْعُودِي حَيْثُ قَالَ :
قَدْ كَانَ أَهْلُ حَرَّانَ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى حِينَ أُزِيلَ لَعْنُ أَبِي تَرَابٍ - يَعْنِي عَلِيَّ
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ (رَضَ) - عَنِ الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَمْتَنَعُوا عَنْ إِزَالَتِهِ وَقَالُوا :
لَا صَلَاةَ إِلَّا بِلَعْنِ أَبِي تَرَابٍ . وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَنَةً حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ
الْمَشْرِقِ وَظُهُورِ الْمُسَوَّدَةِ مَا كَانَ^(٦٣) .
ثانياً - لَأَنَّ الْخُلَفَاءَ الْأُمَوِيِّينَ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَعَادُوا تِلْكَ السَّنَةَ
السَّيِّئَةَ كَمَا نَدَرَسَهَا فِي مَا يَأْتِي بِإِذْنِهِ تَعَالَى .

د - عَلَى عَهْدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

رَوَى أَبُو عَسَاكِرٍ فِي تَرْجُمَةِ جُنَادَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَنْدِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْحَرَّيِّ مَوْلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ وَقَالَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ جَدِّهِ الْجَنْدِيدِ أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ مِنْ حَوْرَانَ
إِلَى دِمَشْقَ لِأَخْذِ عَطَائِي فَصَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ بَابِ الدَّرَجِ فِإِذَا عَلَيْهِ
شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو شَيْبَةَ الْقَاصِّ يَقْصُ عَلَى النَّاسِ فَرُغْبَ فَرُغْبِنَا وَخَوْفَ فَبَكِينَا ،

(٦٢) ديوانه ، لوحة ١٢٤ . وابن أبي الحديد ٣٥٧/١ .

(٦٣) مروج الذهب ٢٤٥/٣ . ومادة حَرَّانَ مِنْ مَعْجَمِ الْبَلَدَانِ ، وَاللَّفْظُ لِلْأَوَّلِ ، وَحَرَّانَ
مَدِينَةٌ بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَالشَّامِ وَتَرْكِبُهَا وَتُخْرِجُ مِنْهَا أَبُو تَيْمِيَّةٍ (ت : ٧٢٨هـ) مُؤَسِّسُ الْمَذْهَبِ السَّلْفِيِّ .

فلما أنقضى حديثه قال اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فلعنوا أبا تراب عليه السلام . فالتفت إلى من على يميني فقلت له : فمن أبو تراب؟ فقال : علي بن أبي طالب أبن عم رسول الله وزوج أخته وأول الناس إسلاماً وأبو الحسن والحسين . فقلت : ما أصاب هذا القاص ، فقصت إليه وكان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه وأبطح برأسه الحائط فصاح فأجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتي وساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبد الملك وأبو شيبة يقدمني ، فصاح : يا أمير المؤمنين ! قاصك وقاص آباءك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم . قال : من فعل بك؟ فقال : هذا فالتفت إليّ هشام وعنده أشراف الناس فقال : يا أبا يحيى متى قدمت؟ فقلت أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركني صلاة الجمعة فصليت وخرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقرأ فسمعنا فرغب من رغب وخوف من خوف ودعا فأمنا وقال في آخر كلامه إختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فسألت من أبو تراب؟ فقلت : علي بن أبي طالب أول الناس إسلاماً وأبن عم رسول الله وأبو الحسن والحسين وزوج بنت رسول الله فوالله يا أمير المؤمنين لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذي أحللت فكيف لا أغضب لصهر رسول الله وزوج أخته؟! فقال هشام : بش ما صنع ، ثم عقد لي على السند ثم قال لبعض جلسائه : «مثل هذا لا يجاورني هاهنا فيفسد علينا البلد فباعده إلى السند» فلم يزل بها إلى أن مات وفيه يقول الشاعر:

ذهب الجود والجنيد جميعاً فعلى الجود والجنيد السلام^(٦٤)

* * *

(٦٤) ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد في تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٤١٠/٣ واللفظ له وفي مختصره لابن منظور، ١١٧/٦ - ١١٨ .

كان ذلكم عمل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وفي ما يأتي مثلاً
من عمل ولاته :

عمل خالد بن عبد الله القسري

ذكر المبرد في «الكامل» أن خالد بن عبد الله القسري لما كان أمير العراق
في خلافة هشام ، كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر ، فيقول : اللهم العن
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، صهر رسول الله على ابنته ، وأبا
الحسن والحسين ! ثم يقبل على الناس فيقول : هل كُئِيتُ ؟^(٦٥) !

من هو خالد بن عبد الله القسري :

ابن النصرانية^(٦٦) أبو الهيثم بن عبد الله القسري كان كريماً بيت مال
المسلمين يتفقه ويكسب به حمد الناس في الدنيا . ولي مكة لأبناء عبد الملك
الوليد وسليمان وهشام ، وولي العراق هشام .

قال ابن عساكر في ترجمته :

ساق ماء إلى مكة فنصب طستاً إلى جانب زمزم ثم خطب فقال : قد
جئتكم بماء الغاية لا يشبه أم الخنافس (يعني ماء زمزم) ، وكان يقع في علي بن
أبي طالب .

وقال ابن عساكر : وذكر كلاماً لا يحل ذكره .

وقال - أيضاً - :

وخطب وقال في خطبته : والله لو كتب إلي أمير المؤمنين لنقضتها حجراً

٦٥ الكامل ٤١٤ ط . أوربا ، وابن أبي الحديد ١/٣٥٦ .

والمراد أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية كان
من أهل البصرة فسكن بغداد (ت : ٢٨٥ هـ) بها وأشهر مؤلفاته الكامل . راجع ترجمته في تاريخ
بغداد للخطيب .

٦٦ هكذا جاء ذكره في فهرست الطبري ، ١٦٣ . للمستشرق دي خويه .

حَجَرًا، يعني الكعبة.

وكان عاقبة أمر خالد أنَّ الخليفة هشاماً سلَّمه إلى يوسف بن عمر واليه على العراق فقتله تعذيباً في السجن سنة ١٢٦هـ^(٦٧).

وقال ابن خلكان: بنى خالد كنيسة في داره لأُمّة^(٦٨).

كانت الخلافة الأموية تسعى جاهدة في إبعاد المسلمين عن ذكر الإمام علي بخير، وبلغت في ذلك أنها منعت من تسمية أحد بأسم علي: كما نرى ذلك في الخبر الآتي:

بنو أمية يقتلون من سُمِّي علياً

روى ابن حجر في ترجمة علي بن رباح وقال ما موجهه:

كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود أسمه علي قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال: هو عليّ، وكان يغضب من عليّ ويخرج عليّ من سماء به.

المعنى أنَّ رباحاً كان يقول: أَسْمِ ابني عليّ... وقال ابن حجر:

قال علي بن رباح لا أجعل في حلٍّ من سمائي (علي) فَإِنَّ أَسْمِي عليّ^(٦٩).

* * *

ويظهر من خبر عمر بن عبد العزيز وخبر هشام الآتي أنَّ لعن الإمام علي من قبل بني أمية كان مع علمهم بمنزلته. فقد روى ابن أبي الحديد:

أنَّ هشام بن عبد الملك لما حجَّ خطب بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال:

(٦٧) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٣٦٩/٧ - ٣٨٤.

(٦٨) هكذا رواه ابن كثير في تاريخه، واللفظ له ٢١/١٠. وبعض أخباره في مروج الذهب،

١٢٠/٣ و ١٧٤ و ١٧٩ و ٢٨٠. وابن خلكان ٧/٢.

(٦٩) علي بن رباح اللخمي (ت: ١١٤ أو ١١٧هـ) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب،

٣١٩/٧.

يا أمير المؤمنين، إن هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحبُّ فيه لعن أبي تراب، فقال: أكفف، فما لهذا جئنا؟^(٧٠).

إنَّ سببَ امتناع هشام من لعن الإمام عليٍّ في خطبته في الموسم يوم عرفة هو الأمر نفسه الذي كان يتلجلج بسببه عبد العزيز في لعنه الإمام عليًّا في خطبته في المدينة كما أبانه لابنه عمر بن عبد العزيز والذي أسلفنا ذكره، حيث قال له:

يا بني إنَّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم - جنده وخاصّة من حوله - لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد .
إذا فقد كانت سياسة الخلافة الأموية القرشية في هذا الأمر تبعاً لسياسة الخلافة القرشية في بادئ أمر الخلافة بعد الرسول (ص) وقد بقيت آثار تلك السياسة في المجتمع الإسلامي بعد بني أمية كما ندرس أمثلة مما جرى في هذا الشأن على عهد بني العباس في ما يأتي بإذنه تعالى .

على عهد العباسيين:

بقيت في المجتمع الإسلامي على عهد العباسيين آثار ما فعله الخلفاء، والولاء قبلهم . وندرس في ما يلي ثلاثة أمثلة من ثلاث طبقات في هذا الشأن على عهدهم:

أولاً - من عمل طبقة العلماء:

روى ابن حجر في ترجمة أبي عثمان حريز بن عثمان^(٧١) الحمصي وقال ما

(٧٠) شرح ابن أبي الحديد ٣٥٦/١ .

(٧١) حريز بن عثمان دخل بغداد في عصر المهدي العباسي (ت: ١٦٣هـ) قال ابن حجر في ترجمته بهذيب التهذيب، ٢٣٧/٢ - ٢٤٠ . وتقريب التهذيب ١٥٩/١ : ثقة ثبت روي بالنصب أخرج حديثه البخاري وغيره عدا مسلم، وراجع ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساکر -

موجزه:

كان ينتقص علياً وينال منه، وقال إسماعيل بن عياش^(٧٢) عادت حريز ابن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه. وقال أيضاً: سمعت حريز بن عثمان يقول: هذا الذي يرويه الناس عن النبي (ص) أنه قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» حق، ولكن أخطأ السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنها هو: أنت مني بمنزلة قارون من موسى.

وذكر الأزدي أن حريز بن عثمان روى أن النبي (ص) لما أراد أن يركب جاء علي بن أبي طالب فحل حزام البغلة ليقع النبي (ص).

وقيل ليحيى بن صالح^(٧٣) لم لا تكتب عن حريز؟ فقال: كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين، فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة.

وقال ابن حبان^(٧٤): كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة.

ثانياً - من عمل طبقة الحكماء:

روى ابن حجر في ترجمة نصر بن علي، وقال: لما حدث نصر بن علي حديث علي بن أبي طالب أن رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأبائهما وأمهاتهما كان في درجتي

لابن بدران ١١٦/٤ - ١١٨.

(٧٢) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي (ت: ٨١ أو ٨٢هـ) أخرج حديثه أصحاب السنن. تقريب التهذيب، ٧٣/١.

(٧٣) يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي (ت: ٢٢٢هـ) أخرج حديثه أصحاب الصحاح والسنن تقريب التهذيب، ٣٤٩/٢.

(٧٤) ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت: ٣٥٤هـ).

يوم القيامة، أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه فيه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا من أهل السنة فلم يزل به حتى تركه^(٧٥)

ثالثاً - من عمل هامة الناس:

روى الذهبي في ترجمة ابن السقا من تذكرة الحفاظ، وقال:
الحافظ الإمام، محدث واسط، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي.

وأنفق أنه أمل حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به فأقاموه، وغسلوا موضعه فمضى ولزم بيته. فكان لا يحدث أحداً من الواسطيين، فلهذا قل حديثه عندهم^(٧٦).



لم يقتصر ما جرى من الحكم على آل البيت طوال القرون على ما أوردنا أمثلة منه من قيامهم بلعنهم وأمر الناس بلعنهم والتبري منهم وترك رواية أحاديث الرسول (ص) في مدحهم، بل شمل أنواع الأذى لهم وقتلهم قتل إبادة، كما أوردنا بعضها في المجلد الثالث من هذا الكتاب، في ذكرنا ما جرى على آل الرسول (ص) في كربلاء، ثم تسلسل قتل الحكم إياهم على عهد الأمويين والعباسيين، كما حفل بذكر أخبارهم أبو الفرج في كتابه مقاتل

(٧٥) نصر بن علي بن صهبان الأزدي الجهمي (ت: ٢٥٠ أو ٢٥١ هـ) تهذيب التهذيب، ٤٣٠/١٠.

(٧٦) تذكرة الحفاظ ص ٩٦٥ - ٩٦٦.

وحديث الطير أن رسول الله (ص) أهدني إليه طير مشوي فوضع بين يديه فقال: اللهم ائني بأحب الخلق إليك يأكل معي. فجاء علي بن أبي طالب وأكل معه. وراجع أسانيد حديث الطير في: ١٠٥/٢ - ١٥٥، من سيرة الإمام علي في تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق البهانة المحقق المحمودي ط. بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

الطالبين . وأحياناً كان يجري عليهم من قبل الخلفاء العباسيين أشدّ مما كان يجري عليهم على عهد الخلفاء من قبلهم ، كالآتي ذكر أمثلة منه بحوله تعالى :

أ - مثال مما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور
روى أبو الفرج أنّ المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن
أبن علي بن أبي طالب :
أنت الديباج الأصفر؟
قال : نعم .
قال : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك .
ثم أمر بأسطوانة ففرغت ثم أدخل فيها فبنيت عليه وهو حي^(٧٧) .

ب - بعض ما جرى على آل الرسول على عهد المتوكل
روى الطبري في ذكر حوادث سنة (٢٣٦هـ) ، وقال :
وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ وهدم ما حوله من المنازل والدور
وأن يحرق ويبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه . فذكر أنّ عامل
صاحب الشرطة نادى في الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى
المطبق ، فهرب الناس وأمتنعوا من المصير إليه وحرث ذلك الموضع وزرع ما
حواليه^(٧٨) .

(٧٧) الطبري ١٩٨/٩ ، ومقاتل الطالبين ص ٢٠٠ .
والديباج من الثياب ما كان من الحرير ، وديباجة الوجه حسن بشرته .
والمنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ثاني الخلفاء العباسيين (ت : ١٥٨هـ) .
(٧٨) الطبري ١٤٠٧/٣ في ذكر حوادث سنة ست وثلاثين ومائتين ، والمتوكل على الله جعفر
ابن المعتصم بن هارون الرشيد . ولي الخلافة سنة ٢٣٢ وقاتل سنة ٢٤٧هـ . والمطبق : سجنه
الرهيب .

وقال ابن الأثير في ذكر حوادث سنة (٢٣٦هـ) من تاريخه:

في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه. فنأدى بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق فهرب الناس وتركوا زيارته وخرب وزرع. وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته. وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم. وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه نخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون:

قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك. ففعل ذلك يوماً والمتنصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المتنصر: يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك فكل أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه، فقال المتوكل للمغنيين: غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المتنصر قتل المتوكل^(٧٩).

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين^(٨٠):

وبعث برجل من أصحابه يقال له الديزج - وكان يهودياً فأسلم - إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخرا ب كل ما حوله، فمضى لذلك وخرب ما حوله وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم

(٧٩) الكامل في التاريخ لابن الأثير ط. مصر الأولى، ١٨/٧.

(٨٠) مقاتل الطالبين ٥٩٨ - ٥٩٩.

إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به
مسالح، بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه .

وروى عن محمد بن الحسين الأشثاني أنه قال :

بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسي
فيها، وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكمن النهار
ونسير الليل، حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين
مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، وجعلنا نشمه ونتحرى جهته
حتى أتينا، وقد قلع الصندوق الذي كان حواله وأحرق، وأجرى الماء عليه
فأنخف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه فأكبينا عليه فشممنا منه رائحة
ما شممت مثلها قط كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي، أي
رائحة هذه؟ فقال لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر. فودعناه وجعلنا
حول القبر علامات في عدة مواضع .

فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة حتى صرنا إلى
القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه .

وقال - أيضاً - :

وأستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي فمنع آل أبي طالب
من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً
أبر أحداً منهم شيء وإن قل إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غمماً، حتى كان القميص
يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه
ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل، فعطف المنتصر
عليهم وأحسن إليهم، ووجه بهال فرقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع
أحواله ومضادة مذهبه طعناً عليه ونصرة لفعله^(٨١) .

(٨١) مقاتل الطالبين ص ٥٩٩ .

كانت تلکم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على آل الرسول مدى القرون . وسوف ندرس آثاراً أخرى لها بعد إيراد نتيجة البحث الآتية بحوله تعالى .



نتيجة البحث :

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم فنت من استطاعت أن تنهيه عن كتابة حديث الرسول (ص) في حياة الرسول (ص) كي لا يكتب نص عن الرسول (ص) يثبت حقاً في الخلافة لمن تكره أن يلي الحكم من بني هاشم بعد الرسول (ص) . وأيضاً لكي لا ينشر حديث من الرسول (ص) فيه منقصة لذوي أرومتهم من قريش تبعدهم عن الحكم وفضيلة لمنافسيهم من بني هاشم خاصة والأنصار عامة .

وللسبب نفسه منعت الرسول (ص) من كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته ، تلك الوصية التي قال عنها : لن تفلأبعدها أبداً . وخشية أن يكتب نصاً لمن يتولى الحكم بعده من بني هاشم الذين كرهوا أن تجتمع فيهم النبوة والخلافة ، وللسبب نفسه سعى الصحابي عمر القرشي ومن معه من مهاجرة قريش في أخذ البيعة لأبي بكر القرشي التيمي بعد وفاة الرسول (ص) .

ولذلك - أيضاً - أدلى أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه عمر القرشي العدوي بواسطة عثمان القرشي^(٨٢) .

وللسبب نفسه منع الخليفة عمر من كتابة حديث الرسول (ص) ونشره ، وأحرق ما كتبه الصحابة منه وسجن منهم في المدينة من خالفه ونشر حديث

(٨٢) راجع أخبارها ومصادرها في فصل الواقع التاريخي لقيام الخلافة من هذا الكتاب ص ١٣٩ فما بعدها .

الرسول (ص) في البلاد خارج المدينة^(٨٣).
وللسبب نفسه كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم
فيقول . . . جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد، وأنا شريككم^(٨٤).
وللسبب نفسه لم يؤل الخليفان أبو بكر وعمر أحداً من بني هاشم على
جيش في الفتوح ولا على بلد مفتوح^(٨٥).
ولذلك - أيضاً - دبر الخليفة عمر تولية عثمان القرشي الأموي على الحكم
بواسطة عبد الرحمن بن عوف في الشورى القرشية^(٨٦).
وللسبب نفسه جرد عثمان القرآن من حديث الرسول (ص) ونسخه في
مصحف ووزعه على البلاد الإسلامية وأحرق ما عداها من مصاحف الصحابة
التي دون فيها مع القرآن أحاديث الرسول (ص) في تفسير القرآن. وجلب
الصحابي عبد الله بن مسعود من الكوفة إلى المدينة لمخالفته إياه في إحراق
المصاحف وأمر بضربه وقطع عطاءه من بيت المال^(٨٧).
ونفى الصحابي أبا ذر من المدينة إلى الريزة لنشره حديث الرسول بين
العباد وفي البلاد^(٨٨).
وأدلى بالخلافة إلى عبد الرحمن القرشي الزهري في وصيته التي كتبها في

(٨٣) راجع ٤٤/٢ - ٤٥. من هذا الكتاب فصل منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء.
(٨٤) تاريخ الطبري ١٩/٥. في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٣٠ هـ.
(٨٥) راجع مروج الذهب للمسعودي ٣٢١/٢ - ٣٢٢. ويؤيد ذلك أنهم لم يؤلوا أحداً من
بني هاشم على عهد الخلفاء الثلاثة.
(٨٦) أشرنا إلى هذا الخبر قبيل هذا.
(٨٧) راجع بحث (على عهد عثمان) من (تاريخ القرآن) في كتابنا (القرآن الكريم وروايات
المدرستين) وراجع خبر ابن مسعود في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة فصل (على عهد
الصهرين).
(٨٨) راجع ٤٦/٢ من هذا الكتاب.

مرضه بالرعاف^(٨٩).

وعندما توفي عبد الرحمن في حياة عثمان وقتل عثمان ولم يتسن له أن يولي أحداً من قريش على الحكم عندئذ ملك المسلمون زمام أمرهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه يتقدمهم سروات قريش من الصحابة بعد فقدهم زمام المبادرة، وبعد أربعة أشهر من ذلك للفت قريش أطرافها وأقامت على الإمام علي حرب الجمل بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير لعلها تسلب الحكم من الإمام علي (ع)^(٩٠)، وثنت بإقامة حرب صفين عليه للسبب نفسه ولكي تتمكن من إقامة الحربين عليه أشاعت بين المسلمين خارج المدينة بأن الإمام قتل الخليفة عثمان وأستولى على الحكم^(٩١)؛ ولما كان المسلمون خارج المدينة يأخذون معالم دينهم وأخبار سيرة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه ممن يليهم من الصحابة، وولاتهم من رجالات قريش وحلفائها ومواليها، ولا يعلمون ما عدا القرآن من الإسلام وسيرة أهله غير ما يذيعه فيهم أولئك الرجال، ولا يملكون سبيلاً للمعرفة غير ذلك؛ فقد استطاعت قريش أن تشوش على المسلمين رؤيتهم للإمام علي (ع)، وزاد في الطين بلة رفع جيش معاوية المصاحف عندما ضعفوا عن القتال في صفين ودعوتهم الإمام علياً (ع) وجيشه إلى تحكيم القرآن ثم إلى تحكيم الحكيمين، وعندما أصر القراء في جيش الإمام علي (ع) ومن تبعهم على قبول التحكيم وخدع الصحابي عمرو بن العاص القرشي الأموي الصحابي أبا موسى الأشعري في مقام الحكم، وانتشر خبر الخدعة؛ كبر ذلك على جمع ممن قبلوا التحكيم من قراء أهل الكوفة فكفروا عامة المسلمين، وخرجوا على الإمام علي (ع) وحاربوه في النهروان فقتلهم

(٨٩) مضى ذكر مصدره.

(٩٠) راجع خبر الجمل في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة فصل على عهد الصهرين.

(٩١) راجع أخبار صفين في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير.

الإمام علي (ع)، ثم اغتال أحدهم الإمام في محرابه بمسجد الكوفة^(٩٢). إنَّ كلَّ ذلك شوش على المسلمين خارج المدينة الرؤىة الصحيحة للإمام عليّ (ع) وسبب قبوهم ما ينشر عن الإمام علي (ع) خلافاً للواقع والحق .
ومن جانب آخر تبدل كره قريش أن يستولي على الحكم أحد من بني هاشم - والمقصود في هذه الكراهية استيلاء الإمام علي على الحكم إذ لم يكن غيره في بني هاشم مرشحاً للحكم غيره -، تبدل ذلك الكره في الحريين التي أقامتها قريش على الإمام علي (ع) إلى الحقد والعداء على الإمام علي (ع) وقام حكم قريش على المسلمين بعد ذلك على أساس الحقد والعداء للإمام عليّ (ع)، وظهر ذلك جلياً في حكم بني أمية على المسلمين كما نشير إليه في ما يأتي:

٩٢) راجع أخبار صفين والنهروان في تاريخ الطبري وآبن الأنبر وآبن كثير وغيرها.

عداوة الخلافة الأموية للإمام علي وآثارها

أولاً - في خلافة آل أبي سفيان وعلى عهد معاوية

عندما استولى معاوية على الحكم بنى سياسة الحكم على أساسين:

١ - الإدلاء بالخلافة لابنه يزيد بعد أن كانت سياسة الخلفاء قائمة على

أساس تداول الخلافة في قريش وكان شعارهم في ذلك (وسّعوها في قريش تنسع)^(٩٣).

٢ - سياسة العداوة لآل الرسول (ص) ولسيدهم الإمام علي (ع) خاصة. لم نعلم في التاريخ مثيلاً لعداء معاوية للإمام علي (ع) خاصة بالإضافة إلى عداوته لعامة بني هاشم، ولذلك شدد حكمه على ذمهم واختلاق المثالب في حقهم والمناقب لغيرهم، ونشر ذلك بين الناس في البلاد، وأمر بلعن الإمام علي (ع) في كل ناد وخاصة في خطب صلاة الجمعة في المساجد من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب الإسلامية، وآلى ألا يتركه حتى يهرم عليه الصغير ويفنى الكبير، وقتل من أمتنع عن ذلك من أفاضل المسلمين بأنواع القتل، وأرعى على ذلك أبنة يزيد حين قتل آل الرسول (ص) في كربلاء وقطع رؤوسهم وسبى ذرية الرسول وطاف بالرؤوس وبالسبايا في البلاد، وبذلك انتهت أفعال الخلافة الأموية من آل أبي سفيان، وانتهى الحكم إلى بني مروان من آل أمية.

٩٣) محمد خير رفع قريش هذا الشعار بعد وفاة الرسول (ص) في ابن أبي الحديد ١٨/٢ وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤٣/٦ كما أن عملهم في تولية القرشيين على الحكم من بطون مختلفة من قريش لخير دليل على ذلك.

سياسة حكم الخلافة المروانية من آل أمية

تبع الخلفاء من آل مروان سياسة معاوية في تداول الحكم في أسرهم وفي لعن الإمام علي (ع) والتنقيص من قدره إلى زمان عمر بن عبد العزيز الذي أمر بترك لعن الإمام . غير أن الناس كانوا قد اعتادوا على لعن الإمام ورآه بعضهم فريضة لا يصح تركها ولا تقبل صلاة الجمعة دونها كما كان شأن أهل حران الذين قالوا: (لا صلاة دون لعن أبي تراب)، ولم يدم حكم ابن عبد العزيز أكثر من سنتين وأشهر^(٩٤) إذ سمّه آل أبيه^(٩٥) وعادت آل أمية بعده إلى عاداتها القديمة في لعن الإمام إلى أن جاء إلى الحكم بعدهم بنو العباس، وكانت سياستهم كالآتي:

سياسة حكم الخلافة العباسية:

كان في خلفاء بني العباس من زاد على بني أمية في قتل آل الرسول والخط من مكانتهم بين المسلمين مثل أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمتوكل، وفيهم من خالف أولئك ومال إلى أهل البيت^(٩٦).

غير أن الناس كانوا قد تربوا تسعين عاماً مدة الخلافة الأموية^(٩٧) كما خطط معاوية تربيتهم على التبرّي من الإمام علي (ع) ولعنه وتنقيصه، وبقي أثر تلكم التربية إلى عهد العباسيين، فقد كان على عهدهم من العلماء والمحدثين حريز

(٩٤) مروج الذهب للمسعودي ٣٥/٣ وغيره.

(٩٥) تاريخ ابن كثير ٢٠٩/٩.

(٩٦) مثل الناصر لدين الله الذي كان من أتباع مدرسة أهل البيت وقد شاهدت من آثاره في سامراء في مصلّى الأئمة تحت مسجد المهدي والمسمى بسرّادب الغيبة كتابة خشبية في صُفّتها نصبت في ارتفاع أكثر من متر من قاع الصفة كتب عليها أسماء الأئمة الاثني عشر وأنها شيدت بأمر الخليفة الناصر لدين الله.

(٩٧) راجع مروج الذهب للمسعودي ٢٣٥/٣.

ابن عثمان (ت: ١٦٢هـ) الذي كان يلعن الإمام بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة ووضع الأحاديث في ذم الإمام ورواها في بغداد وغيرها من عواصم البلاد الإسلامية.

وكان في عامة بلادهم أناس مثل أهالي واسط الذين اتفق لعالمهم ومحدث بلدهم عبد الله بن محمد بن عثمان (ت: ٣٧١هـ) أن أملى حديث الطير، فأقاموه وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته.

اتفق لمحدث البلد مرة واحدة أن يحدث بحديث واحد فيه فضيلة للإمام علي (ع) فأقامه أهل البلد وغسلوا الموضع الذي جلس فيه وحديث ذلك الحديث.



لم يقتصر الأمر على ما ذكرنا ومن ذكرنا، ولا على تلك العصور، بل امتد الأمر إلى غيرهم وإلى عصرنا الحاضر وإنما آقتصرنا في ما سبق على ذكر أمثلة من عمل الحكام طوال القرون في إخفاء ذكر أهل بيت الرسول (ص) ونشر الكراهية لهم والانتقاص من قدرهم كي لا يتجه المسلمون إليهم، ويدبروا عنهم. فبنتفض حكمهم - حكم الخلافة القرشية - ويشاد على انتقاضه حكم لآل الرسول (ص)، وأنتجت سياسة الخلافة القرشية قادة وأتباعاً مع أهل البيت، أموية وعباسية، وغير أموية وغير عباسية إجراء عشرة أنواع من الكتمان والتحريف في مدرسة الخلفاء على سنة الرسول (ص) وأخبار سيرة أهل بيته وأصحابه في ما يخص منها أهل البيت، كما سندرسها في بحث: (دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه) الآتي بإذنه تعالى.

عشرة أنواع من الكتمان والتحريف
لسنة الرسول (ص)
وأخبار سيرة أهل بيته وأصحابه

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لأتجاهها

في هذه العجالة نضرب - مثلاً - لما فعلته مدرسة الخلفاء بالنصوص التي تخالف أئجاهها بعملها مع النصوص التي فيها ذكر صفة الوصي للإمام علي (ع) في سنة الرسول (ص) وأقوال الصحابة ونقول:

روى الصحابة روايات متعددة موثوقة ومعتبرة أن رسول الله (ص) قال: علي وصي ووزير ووارثي. وفي بعضها: وخليفتي؛ وأشتهر الإمام علي بلقب الوصي من بين هذه الألقاب، وأصبح علماً له، ولم يعرف غيره بهذا اللقب، كما كناه رسول الله (ص) بأبي تراب، فأختص به وأشتهر وأصبح علماً له، ولم تعرف لغيره هذه الكنية. ثم أكثرت الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من الشعراء ذكره بالوصي في أشعارهم كما ورد ذكره عند علماء أهل الكتاب وأخبروا الناس بذلك.

إنكار الوصية

لما كانت شهرة لقب (الوصي) للإمام علي تخالف سياسة مدرسة الخلفاء، فقد سعوا في مقابلة هذه الشهرة بإنكارها وكتمان النصوص الدالة عليها. بدأت أم المؤمنين عائشة بحملة دعاية قوية ضد شهرة الإمام علي بلقب الوصي وإنكرته، ثم استمرت حملاتهم ضد هذه الشهرة بأشكال أخرى مدى القرون.

ومن أهم ما فعلته مدرسة الخلفاء في هذا المقام كتمان النصوص الواردة في شأن الوصية، ويجد الباحث المتتبع من كتمان النصوص التي تخالف سياسة الخلفاء بمدرستهم سواء ما كان منها في شأن الوصية أو في غيرها، أمراً هائلاً خطيراً.

ومن أمثلة الكتمان لدى مدرسة الخلفاء، الأصناف العشرة الآتية، نذكرها بحسب أهميتها في كتمان سنة الرسول (ص) بدءاً بالهم فالأهم:

أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديله بكلمة مبهمة.

ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف.

ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص).

د - حذف بعض أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه.

هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه.

و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص).

ز - تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان.

ح - إحراق الكتب والمكتبات.

ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه.

ي - وضع الروايات المختلفة بدلاً من روايات سنة الرسول (ص) الصحيحة وسيرة الصحابة الصحيحة.

أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة بدل ما حذف، مثل ما فعله الطبري

وأبن كثير بخبر دعوة بني هاشم في تفسير الآية : «وأندر عشيرتك الأقربين» حيث حذف قول رسول الله (ص) : «ووصني وخليفتي فيكم» وأبدلاه بقولها : [وكذا وكذا] .

ومن هذا النوع من الكتمان ما فعله البخاري في صحيحه مع سيرة الصحابة في خبر عبد الرحمن الذي مرّ بنا سابقاً، حيث حذف قول عبد الرحمن لمروان وقال : [فقال عبد الرحمن شيئاً] بذل كلام عبد الرحمن بقول مبهم وأضاف إلى ذلك حذف ما روته أم المؤمنين عائشة عن رسول الله (ص) من الحديث في حق الحكم والد الخليفة مروان .

ومن هذا النوع من الكتمان - أيضاً - ما فعلوه بخبر استشارة رسول الله (ص) أصحابه في شأن غزوة بدر وجواب أصحابه له ؛

فقد روى أبن هشام والطبري وقالوا :

(وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله أمض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن ، أذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون - إلى قوله : - فقال رسول الله (ص) خيراً ودعاه به) .

وجاء في جواب سعد بن معاذ الأنصاري قوله :

(فأمض يا رسول الله (ص) لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخفضناه معك ما تخلف منا رجل . . . فسر رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ذلك) .

تري ماذا كان جواب الصحابيّين أبي بكر وعمر لرسول الله (ص) الذي حذف من هذه الرواية وأبدل بقول مبهم وهو : [وأحسن] ؟ ولو كان القول

حسناً فلم حذف ذلك القول الحسن؟! بينا أثبت قول المقداد المهاجري وسعد ابن معاذ الأنصاري، نرجع إلى صحيح مسلم فنجد في روايته:
 أن رسول الله (ص) شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان قال:
 (فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه. ثم تكلم عمر فأعرض عنه...
 الحديث).

ترى لماذا أعرض الرسول (ص) عن الصحابين، لو كان قولهما حسناً؟
 ونبحث عن قولهما لدى الواقدي والمقرئزي فنجدهما يقولان هكذا، واللفظ
 للأول:

(قال عمر: يا رسول الله إنَّها والله قريش وعزَّها، والله ما ذلَّت منذ عزَّت،
 والله ما أمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزَّها أبداً، ولتقاتلنك، فاتَّهب لذلك
 أمهته وأعدَّ لذلك عدَّته...^(١)).

عرفنا من رواية ابن هشام والطبري ومسلم أن الصحابيَّ عمر تكلم بعد
 الصحابيَّ أبي بكر، ووصف الطبري وأبن هشام قول كلِّ منهما بـ [فاحسن]
 وفي رواية مسلم أن الرسول (ص) أعرض عن أبي بكر، ثم عن عمر، ومن ثمَّ
 نعرف أن قولهما كان أمراً واحداً، وعندما صرَّح الواقدي والمقرئزي بقول عمر
 وكتما قول أبي بكر، كشف لنا قول عمر - أيضاً - عن قول أبي بكر.

ولمَّا كان قول الصحابين يسوء ذكره بعض الناس حذف قولهما من رواية
 ابن هشام والطبري ومسلم، ومن أجل هذا النوع من الكتمان، أصبحت هذه
 الكتب من أوثق الكتب بمدرسة الخلفاء.

وأصبح صحيح البخاري الذي لم يذكر شيئاً من هذا الخبر؛ مبهمًا وغير
 مبهم أكثر أشتهاراً بالصحة والوثاقة من جميع الكتب.

* * *

(١) مرَّبنا ذكر مصادر الخبر في بحث مناقشة الاستدلال بالشورى بهذا الكتاب.

إن الطبري وأبن كثير أبدا من حديث الرسول (ص) «وصي وخليفتي»
بـ [كذا وكذا] لأن هذا الخبر ينسب العامة إلى حق الإمام علي في الحكم، ولا
يحسن أنتشاره.

وأبدل البخاري قول عبد الرحمن بـ (شيئا)، لأن قول عبد الرحمن كان
يسوء الخلفاء: معاوية ويزيد مروان، وينسب العامة على ما لا ينبغي أن يتنبهوا
إليه.

وأبدل قول أبي بكر وعمر في جواب رسول الله (ص) في كل من سيرة ابن
هشام وتاريخ الطبري، وحذف من رواية صحيح مسلم، لما فيه ما لا يزين
الخليفين أبا بكر وعمر، وكلهم حذف بعض الخبر وأبهم في القول.
وهذا النوع من الكتان كثير عند علماء مدرسة الخلافة.

ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف
ومن أنواع الكتان عندهم ما فعلوه بمكاتبات جرت بين محمد بن أبي بكر
ومعاوية، فقد وجدنا في كتاب صفين لنصر بن مزاحم (ت: ٢١٢هـ) ومروج
الذهب للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ) تفصيل كتاب محمد بن أبي بكر لمعاوية وفيه
ذكر فضائل الإمام علي بما فيها أنه وصي النبي، وأعترف معاوية في جوابه بها،
وفي الكتابين ذكر ما لا يزين الخلفاء نشره، فحذفها الطبري (ت: ٣١٠هـ)
مع ذكره لسند إلى الكتابين، وأعتذر عن ذلك بعدم احتمال العامة لسامع ما
فيهما، أي أنه أخفى الحقائق عن الناس.

وجاء بعده ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) وفعل كذلك وأعتذر بالعدر نفسه.
وجاء بعدهما ابن كثير وأشار إلى كتاب محمد بن أبي بكر في موسوعته
التاريخية الكبرى^(٢) وأقتصر بقوله: (وفيه غلظة).

(٢) البداية والنهاية ٣١٤/٧. وقد ذكرنا الكتابين مع تعليقنا عليهما، وعمل ما فعله الطبري

قصد الطبري وآبن الأثير من قولها: (عدم احتمال العامة لسماع ما فيها):
أن العامة لا تبقى على عقيدتها بالخلفاء بعد سماع الكتائب.
وهذا الصنف من الكتبان، أي: حذف تمام الخبر مع الإشارة إلى الخبر
المحذوف، نادر عند علماء مدرسة الخلفاء.

ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص)
من أنواع الكتبان بمدرسة الخلفاء تأويل معنى الرواية كما فعل الذهبي^(٣)
بترجمة النسائي صاحب السنن؛ فإنه قال: سئل النسائي أن يخرج فضائل
معاوية، قال: أي شيء أخرج؟! حديث: اللهم لا تشيع بطنه؟
فقال الذهبي:
(قلت: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص): اللهم من لعنته أو
شتمته فأجعل ذلك له زكاة ورحمة).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) [لعل . . .]. وجاء بعده آبن كثير (ت:
٧٧٤هـ) وقال:

(وقد أنتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه).
وهذا نص كلامه^(٤) في الرواية التي جاءت في شأن معاوية، في صحيح
مسلم، باب (من لعنه النبي أو سبه، جعله الله له زكاة وطهوراً) من كتاب البر
والصلة، عن آبن عباس قال:
كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله (ص) فتواريت خلف باب،
قال: فجاء فخطاني خطأ وقال: «اذهب وادع لي معاوية». قال: فجئت

في ما سبق.

٣) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨ - ٧٠١.

٤) البداية والنهاية ١١٩/٨.

فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: «إذهب فادع لي معاوية». قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه»^(٥). كان هذا لفظ مسلم.

وأورد الحديث ابن كثير في تاريخه وزاد على كلام رسول الله (ص) بعد قوله. «إذهب وادع لي معاوية» جملة: (وكان يكتب الوحي) وهذا لفظ ابن كثير:

(عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله (ص) قد جاء، فقلت: ما جاء إلا إلي، فأخبرت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطأتين، ثم قال: إذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنه يأكل. فأتيت رسول الله (ص) فقلت: إنه يأكل، فقال: إذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنه يأكل، فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه. قال: فما شبع بعدها. وقد أنتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أمّا في دنياه، فإنه لما صار إلى الشام أميراً^(٦) كان يأكل في اليوم سبع مرّات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: والله ما أشبع وإنّما أعياء، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كلّ الملوك. وأمّا في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة، أنّ رسول الله (ص) قال:

اللهمّ إنما أنا بشر فأبشّر عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه، وليس لذلك أهلاً، فأجعل ذلك كفارة وقرية تقرّبه بها عندك يوم القيامة. فركب مسلم من

٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة ح ٩٦ ص ٢٠١٠.

وخطاني: ضربني باليد المبسوطة بين الكتفين. في تاريخ ابن كثير (خطاني) تصحيف.

٦) وهذه الإضافة إلى آخرها من كلام ابن كثير.

الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك^(٧). انتهى كلام ابن كثير. وأراد بها قال أن دعاء الرسول على معاوية دعاء له في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فيها ذكره من مزية كثرة الأكل للملوك، وأما الآخرة فأعتمد الأحاديث التي نسبت إلى رسول الله (ص) أنه كان يلعن المؤمنين - معاذ الله - ودعا أن يكون لهم زكاة وطهوراً، وأن مسلماً حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضواناً وتقرباً إلى الله يوم القيامة. وهكذا يؤكد الأحاديث والأخبار التي فيها ذم لذوي السلطة من الخلفاء والولاة إلى ما فيه مدحهم والثناء عليهم. ولنا هنا نظرة تأمل في ما ورد أن النبي لعن المؤمنين - معاذ الله -.

نظرة تأمل في ما روي في باب من لعنه النبي (ص)
 روي واللفظ هنا لمسلم في صحيحه، باب من لعنه النبي: أن رسول الله (ص) قال:
 «اللهم إني آخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فأجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة».

أشعر - وأنا أكتب هذا - بمثل طعن المدى في قلبي لعظم ما نسب إلى رسول الله (ص)!! يرون هذا الحديث في مقابل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأنتَ لعلی خلق عظیم﴾، وينبغي دراسة هذا الحديث في الصنف الثامن من أنواع الكتبان: (وضع الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة)، فإنها نسبت إلى رسول الله (ص) في مقابل ما تواتر عند جميع المسلمين من سيرة رسول الله الصحيحة في باب سمو أخلاقه الكريمة، وإنها رويت أمثال هذه

الرواية عن رسول الله (ص) لكتبان ما مرّ بنا من رواية أمّ المؤمنين عائشة أنّ رسول الله (ص) لعن الحكم بن أبي العاص والد الخليفة الأموي مروان، وكتبان ما تواترت روايته عن رسول الله (ص) في حقّ الخليفة معاوية التي أولها أبن كثير إلى ما فيه مدح معاوية؛ وبما أنا قد ناقشنا هذه الأحاديث في الجزء الثاني من كتاب (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) والثالث من (قيام الأئمة بإحياء السنة)، فلا نعيد تلك البحوث في هذا الكتاب.

* * *

عود على بدء

نعود إلى بحث تأويل معنى الرواية من أصناف الكتبان ونقول:

وكان من هذا الباب من التأويل وما يأتي بحثه^(٨) في خبر دره سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وتمحل أبن فتحون وأبن حجر في تأويل قول سعد لأبي محجن: (والله لا نجلدك على الخمر). وسيأتي في بحث نصّ رسول الله (ص) على أنّ عدد الأئمة الخلفاء بعده اثنا عشر، كيف ارتبكوا في تأويله عندما رأوا أنه لا يصدق على غير الأئمة الاثني عشر من آل رسول الله (ص). وأوّل كلّ واحد من العلماء الحديث على غير الأئمة الاثني عشر من آل الرسول (ص) بهما لم يرض به العالم الآخر ونقضه.

ومن هذا الباب من الكتبان ما فعله الطبراني بالحديث الآتي كما في مجمع الزوائد^(٩).

(عن سلمان، قال: قلت: يا رسول الله، إنّ لكلّ نبيّ وصيّاً، فمن وصيّك؟ فسكت عني، فلمّا كان بعد رأيي فقال: يا سلمان فأسرعت إليه قلت: لبيك، قال: «تعلم من وصيّ موسى؟» قلت: نعم. يوشع بن نون، قال:

(٨) في بحث انتشار أحاديث سيف... في الصنف العاشر من أصناف الكتبان.

(٩) مجمع الزوائد ٩/ ١١٣ - ١١٤.

«لم؟» قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ، قال: «إن وصي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب». رواه الطبراني وقال: وصي: أنه أوصاه بأهله لا بالخلافة).

انتهى ما نقله الهيثمي عن الطبراني في مجمع الزوائد.

دراسة للحديث النبوي الشريف ونظرة تأمل في تأويل الطبراني إياه لمعرفة مدى صحة تأويل الطبراني للحديث الشريف ندرس ثلاثة جوانب من الحديث: السائل، والسؤال، وحكمة النبي في الجواب.

السائل هو: سلمان الفارسي نسباً، ولم يكن من بني عبد المطلب أو أقرباء أزواج الرسول أو أصهاره ليعنيه من يخلفه الرسول على أهله وإنما كان ممن عاشر رهبان النصراني وعلماؤهم قبل أن يسلم على يدي الرسول (ص)، وأخذ منهم علم الأمم السابقة وأخبار أنبيائها وأوصيائها، ومن ثم قال للرسول (ص): (إن لكل نبي وصياً فمن وصيك؟). فهو إذن يسأل عن وصي النبي على شريعته ووليّ عهده في أمته، ولم يقل له أن رب كل عائلة يعين وصياً فمن وصيك من بعدك؟ ليفهم منه أنه يسأل عن خليفته على أهله.

أمّا جواب النبي (ص) وتأخّره عن الإجابة فقد كان هذا شأن النبي (ص) في الأمور المهمة. ينتظر أمر السماء مثل أنتظاره في المدينة أمر السماء في تحويل القبلة إلى الكعبة وهو يعلم أنها قبلته، حتى نزلت عليه: «قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها» البقرة/ ١٤٤. ولما كان رسول الله (ص) يعلم تنافس الإنسان العربي على الإمرة كما مرّ بنا بعض أخباره^(١٠) فيما سبق، وكان المجتمع الإسلامي الصغير في المدينة الذي بدأ النبي (ص) بتأسيسه لا يتحمّل نشر خبر ولاية عهد الإمام

(١٠) في فصل مصطلحات بحث الإمامة والخلافة.

علي بعد النبي (ص)، تأخر النبي (ص) في جواب سلمان، ولعله أجاب سلمان حين أذن له بذلك، وعندئذ فاتح سلمان وأعدّه لاستماع الجواب بالسؤال منه عن وصي موسى وهو يعلم أن سلمان يعلم ذلك بما عنده من علماء أهل الكتاب، فلما أجابه بأن يوشع بن نون كان وصي موسى، سأله النبي (ص) وقال له: «لم؟» فلما قال سلمان في جوابه: «لأنه كان أعلمهم يومئذ» قال النبي (ص): «إن وصي و... علي بن أبي طالب».

والحكمة في جواب النبي (ص) لسلمان بهذا الأسلوب ما يأتي:

أولاً: ضرب النبي (ص) المثل يوشع بن نون لأنه كان أشهر أوصياء الأنبياء، ولأن موسى بن عمران (ع) كان قد استخلفه على أمته من بعده، فقد بني إسرائيل ومارس الحروب، كما فعل الإمام علي بعد النبي (ص) في مدة حكمه.

ثانياً: سأل عن سبب كون يوشع وصياً لموسى وأجاب سلمان أنه كان أعلمهم.

بهذه المحاور بين رسول الله (ص) أن علياً وصيه. ليس لكونه ابن عم الرسول (ص) أو لأنه دافع عن الإسلام في حروب النبي (ص) ببسالة فائقة، بل لأنه أعلمهم، أي أنه كشف عن قابلية الإمام علي للصباية على الإسلام والمسلمين وأكد ذلك بقوله (ص): «موضع سري وخير من أترك بعدي». وهذا الكلام - أيضاً - أوله الطبراني وقال: «خير من أترك بعدي من أهل بيتي». كان هذا تأويل الطبراني في حديث لم يجد فيه مغزاً من ضعف وما شاكله من القول.

حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية

قال ابن أبي الحديد الشافعي في شرح الوصية في كلام الإمام علي (ع):

(لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة أحد... هم أساس الدين... ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصية والوراثة) ما يأتي :
 (أما الوصية فلا ريب عندنا أن علياً (ع) كان وصيّ رسول الله (ص) وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولنا نعي بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى لعلّها إذا لمحت أشرف وأجل). انتهى كلام ابن أبي الحديد.

ونقول في جوابه :

إنّ الإمام علياً (ع) لم يقل : لي حقّ الولاية والوصية والوراثة، كي يمكن تأويل قوله إنّ له حقّ الولاية والوصية على أهل رسول الله (ص)، بل قال : (آل محمد هم أساس الدين... وفيهم الوصية). أثبت الإمام الصفات المذكورة لآل رسول الله (ص) بما فيها الوصية، ولا معنى للقول بأنّ آل رسول الله (ص) لهم حقّ الوصية على آل رسول الله (ص)، أثبتها الإمام لآل رسول الله (ص) وهو أحدهم وسائرهم الاثمة الأحد عشر من بيته. ومن ثمّ حار العلامة الشافعي في تأويل الوصية هنا ولم يستطع أن يردد تأويل الطبراني، وإنما قال : (لسنا نعي بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى)، فما هي الأمور الأخرى التي لم تذكرها أيها العالم المختار في تأويل الحديث؟

وخلاصة القول إنّ العلماء في هذا الصنف من الكتان يؤوّلون من سنة رسول الله (ص) حديثه وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة على المسلمين من خلفاء وولاة وما فيه نقدهم إلى ما فيه مصلحتهم ومدحهم والثناء عليهم.

د - حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه
 من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء؛ حذف بعض الخبر الذي ينقلونه دونها

إشارة إلى المحذوف؛ مثل ما فعلوه مع قصيدة الصَّحابيِّ الأنصاريِّ النعمان بن عجلان التي استشهدنا ببيتين منها في باب الأشعار التي قيلت في الوصية، وقد رواها الزبير بن بكار بتمامها ضمن إبراده أخبار السقيفة وما وقع بين المهاجرين والأنصار من خصومة ومحاججات، منها أقوال عمرو بن العاص ضدهم، فأجابه النعمان بقصيدة ذكر فيها مواقف الأنصار في حروب رسول الله (ص) مع قريش، ثم إيواءهم مهاجرة قريش ومقاسمتهم الأموال، ثم ذكر حوادث السقيفة وقال:

وقلتم: حرام نصب سعد ونصبكم
عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم
وإن علياً كان أخلق بالأمر
وكان هوأنا في عليّ وإنه
لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى
وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
وصي النبي المصطفى وآبن عمه
وقاتل فرسان الضلالة والكفر
وهذا بحمد الله يهدي من العمى
يفتح آذاناً ثقلن من الوقور
نجي رسول الله في الغار وحده
وصاحبه الصديق في سالف الدهر
- الأبيات (١١) -

(١١) راجع مصادر ترجمته وشعره في الهامش رقم ٣٤ ص ٣٠٦. في باب: شهرة لقب وصي

وأورد آبن عبد البر تمام القصيدة بترجمة النعمان بن عجلان من الاستيعاب
غير أنه حذف منها البيتين الآتين:

فذاك بعون الله يدعوا إلى الهدى

وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر

وصي النبي المصطفى وآبن عمه

وقاتل فرسان الضلالة والكفر

حذف هذين البيتين لما فيها من ثناء على آبن عم الرسول (ص) أنه وصي

الرسول (ص) وأبقى البيتين اللذين فيها مدح أبي بكر.

وجاء بعده آبن الأثير وقال بترجمة النعمان من أسد الغابة:

ومن شعره يذكر أيام الأنصار ويذكر الخلافة بعد النبي (ص)، ثم ذكر

من أول القصيدة أبياته في أيام الأنصار فحسب وحذف من القصيدة الأبيات

التي يشير فيها إلى الخلاف الذي وقع يوم ذلك في أمر الخلافة والبيتين اللذين

مدح فيها الإمام علياً وخاصة أنه كان وصي النبي.

وجاء آبن حجر بعده فقال في ترجمته:

(وهو القاتل يفخر بقومه من أبيات) ثم أورد أبياته في المفاخرة بأيام

الأنصار ولم يذكر من أبيات هذه القصيدة ما فيه ذكر الخلافة.

وهكذا كلما تأخر الزمن حذف العلماء من الروايات ما لم يرق لهم ذكره،

فأبتعدنا عن فهم الواقع التاريخي.

إذا نرى أن الزبير بن بكار (ت: ٢٥٦هـ) غفل وذكر في كتابه الموفقيات

ما وقع من الاختلاف في أمر الخلافة بعد رسول الله (ص) وما تقاولوا فيه من

خطب وشعر، ومن ضمنها قصيدة النعمان بن عجلان التي فيها بيتان ذكر فيها

فضائل الإمام علي وخاصة أنه وصي النبي، وتنبه لها آبن عبد البر (ت:

النبي (ص) للإمام علي وانتشار ذكره في أشعار الصحابة والتابعين من هذا الكتاب.

٤٦٣هـ) فحذف البيتين .

وجاء بعده ابن الأثير (ت : ٦٣٨هـ) وتنبّه إلى أنّ ذكر ما وقع من الخلاف في الخلافة - أيضاً - لا يصلح ، فحذف من القصيدة ما فيه ذكر الاختلاف في أمر الخلافة وقال : (ويذكر الخلافة) هذا إضافة إلى حذفه ما فيه وصف الإمام عليّ .

وجاء بعدهما ابن حجر (ت : ٨٥٢هـ) فحذفها كذلك ولم يقل إنّ في القصيدة ذكراً للخلافة .

وهكذا كلّما تأخر الزمن زاد العلماء من حذف الحقائق ما لا يصلح ذكره لمدرسة الخلفاء .

* * *

إذا راجعنا ما سبق إيراده في بحث الوصيّة وما يأتي في بحث أصناف الكتّان ، وما كتّموه من خبر الوصية ، يتّضح جليّاً ، أنّ انتشار تعيين الرسول عليّاً وصيّاً له كان يسوّء مدرسة الخلفاء ، فحذفوا من القصيدة والخبر هذا القسم دون أن يشيروا إلى أنّهم حذفوا منها شيئاً ، وهذا النوع من الكتّان من أكثر أصناف الكتّان بمدرسة الخلفاء سواء في حديث الرسول (ص) أو سيرته أو سيرة صحابته ، ويطول بنا المقام لو أردنا أن نأتي بأمثلة منها في غير شأن الوصيّة من سنّة الرسول (ص) في هذا المقام .

هـ - حذف تمام الرواية من سنّة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه إنّ ابن هشام^(١٢) أخذ من سيرة ابن إسحاق برواية البكائي ما أورد في

(١٢) ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري .

قال ابن خلّكان : (جمع سيرة رسول الله (ص) من المغازي والسير لابن إسحاق وهذّبها . . .) .

سيرته من روايات سيرة الرسول (ص) وقال في ذكر منهجه بأول الكتاب :
(وتشارك بعض ما ذكره آبن إسحاق في هذا الكتاب . . . وأشياء يشنع
الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره . . .) .

وكان مما حذفه آبن هشام من سيرة آبن إسحاق (مما يسوء الناس ذكره)
خبر دعوة الرسول بني عبد المطلب عندما أوحى الله اليه : ﴿وانذر عشيرتك
الأقربين﴾ فقد روى الطبري في تاريخه عن آبن إسحاق بسنده أنّ رسول
الله (ص) قال في دعوته لبني عبد المطلب :

(«فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى
فيكم؟» فأحجم القوم عنها جميعاً . وقال عليّ بن أبي طالب :
أنا يا نبيّ الله ، أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي - رقبة عليّ بن أبي طالب -
ثم قال :

«إنّ هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم ، فأسمعوا له واطيعوا» .
قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع

وقال السيوطي في بغية الوعاة ، ص ٣١٥ : (مذهب السيرة النبوية ، سمعها من زياد
البكائي صاحب آبن إسحاق ونقحها . . .) .
قصّدا من مذهبها ونقحها ، أنه حذف من سيرة آبن إسحاق ما كان مخالفاً لمصلحة السلطة
الحاكمة .

توفي بمصر سنة ٢١٨ أو ٢١٣ هـ .

والبكائي : هو زياد بن عبد الله بن طفيل البكائي العامري (ت : ١٨٣ هـ) .

وآبن إسحاق : هو أبو عبد الله أو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار الملقبى بـ «ولاء» ، كتب
السيرة بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه الخليفة المهديّ . توفي سنة ١٥١ أو ١٥٢ هـ .
١٥٤ هـ .

ذكرنا هذه التراجم من مقدمة محمد حسين هيكل على سيرة آبن هشام ، ط . القاهرة سنة
١٣٥٦ هـ ، ورجعنا إلى هذه الطبعة في ما ذكرناه في المتن .

لابنك وتطيع) (١٣).

حذف ابن هشام هذا الخبر وأخباراً كثيرة أخرى كان يرى أن ذكرها يسوء الناس وهم عصبة الخلافة (١٤). ولهذا السبب أهملت سيرة ابن إسحاق لأن فيها أخباراً لا يرغبون في نشرها حتى فقدت نسخها (١٥). وأشتهرت سيرة ابن هشام وأصبحت أوثق سيرة عند الناس.

وقد أدرك الطبري أهمية هذا النص في حق الإمام علي بعد أن أثبتته في تاريخه فتدارك في تفسيره ما غفل عنه في تاريخه، فإنه لما أورد الخبر بالسند نفسه في تفسيره آية «وأنذر عشيرتک الأقربين» قال:

فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى وكذا وكذا... ثم قال: إن هذا أخى وكذا وكذا فآسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب... الحديث (١٦).

وكذلك فعل - أيضاً - ابن كثير في تاريخه (١٧) وتفسير الآية من تفسيره. وهذا ما نسميه بحذف بعض الخبر مع الإبهام في القول. وأكثر من هذا ما فعله محمد حسين هيكل حيث أورد الخبر في ص ١٠٤ من الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمد) ولفظه:

«فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر وأن يكون أخى ووصيى وخليفتي فيكم». وحذفه في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩ من كتابه (١٨).

(١٣) ذكرتها ملخصة من تاريخ الطبري، ط. مصر الأولى ٢١٦/٢ - ٢١٧.

(١٤) ذكرنا بعضها في كتابنا المخطوط: (من تاريخ الحديث).

(١٥) طبع أخيراً قسم من سيرة ابن إسحاق في الرباط بالمغرب سنة ١٣٩٦هـ.

(١٦) تفسير الطبري، ط. الأولى، بولاق سنة ١٣٢٣ - ١٣٣٠هـ، ٧٢/١٩ - ٧٥.

(١٧) البداية والنهاية ٤٠/٣.

(١٨) نقلناه من كتاب الغدير للحبر الحجة الأمينى، ط. طهران، سنة ١٣٧٢هـ، ٢٨٨/٢.

وهذا الصَّنَف من الكتان أي تمام الخبر دونها إشارة إليه كثير عند علماء مدرسة الخلفاء .

و - النهي عن كتابة سَنَةِ الرسول (ص)

من أهم أصناف كتان سَنَةِ الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء نَهْي الخلفاء عن كتابة سَنَةِ الرسول (ص) . وكان بدء النهي في عصر رسول الله (ص) حيث نهت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة حديث الرسول (ص) وقالت له : تكتب كل ما سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب . وقريش هنا هم المهاجرون من أصحاب رسول الله (ص) وهم الذين منعوا الرسول عن كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته ، ثم لما وَلُوا الحُكْم بعد رسول الله (ص) نهوا عن كتابة حديث الرسول (ص) وبقي منع كتابة الحديث سارياً حتى عصر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحظر وأمر بتدوين حديث الرسول (ص) . وسيأتي تفصيل أخبار النهي عن كتابة حديث رسول الله (ص) في الجزء الثاني من الكتاب في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين ، ومضى ذكر خبر منع الرسول (ص) من كتابة وصيته في خبر السقيفة .

والله أعلم كم من حديث لرسول الله (ص) في أمر الوصية ، نسي مع ما نسي من سَنَةِ الرسول (ص) بسبب عدم كتابتها طيلة هذه القرون .

* * *

ويلحق بهذا الصنف من الكتان الخبران الآتيان :

أولاً - خبر الأنصار مع معاوية وعمرو بن العاص ، كما رواه صاحب الأغاني وقال ما موجهه :

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، فخرج إليهم حاجبه

سعد أبو ذرّة، فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، وقال: الأنصار بالباب. فقال عمرو: ما هذا اللّقب الذي قد جعلوه نسباً يا أمير المؤمنين؟ أُرِدُّد القوم إلى أنسابهم، فقال [له معاوية:] إني أخاف من ذلك الشّعة، فقال [هي كلمة تقولها إن مضت عرّتهم ونقصتهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلا الأنصار، فنظر معاوية إلى عمرو ونظر منكر، فقال له: باعدتَ جدّاً، فقال: اخرج فقل: من كان هاهنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها [فلم يدخل أحد، فقال معاوية: أخرج فقل: من كان هاهنا من الأنصار فليدخل، فخرج فقالها] فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير، وهو يقول:

يا سعد لا تبعد الدّعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخبره الإله لقومنا أثقل به نسباً على الكفار
إن الذين ثوؤا بئدر منكم يوم القليب هم وقود النار
وقام مغضباً فأنصرف. فبعث معاوية فردّه وترّضاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار.

فقال معاوية لعمرو: كنّا أغنياء عن هذا^(١٩).

نرى السلطة الحاكمة في هذا الخبر تنهى عن نشر لقب الأنصار الذي هو من سنة الرسول (ص) لما فيه من ثناء على الأنصار اليمانيين، وليسوا من عصابة الخلافة، والجامع بين هذه الموارد التي أوردناها هو نهى السلطة عن نشر سنة الرسول، حقاً على خصومها.

ثانياً - ما رواه - أيضاً - بسنده عن أبين شهاب، قال: قال لي خالد بن

(١٩) الأغاني، ط - ساسي ١٢٠/١٤ و ١٢٢، وط - بيروت ١٣/١٦ و ١٧.

عبد الله القسري: أكتب لي النسب، فبدأت بنسب مُضَر، [فمكثت فيه أياماً، ثُمَّ أتيت، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما أتممت، فقال: اقطعه قطعة الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة. فقلت له: فإنه يمرّ بي الشيء من سيرة عليّ بن أبي طالب أفأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم^(٢٠).

نرى أنّ السلطة الحاكمة تمنع من كتابة أسم الإمام عليّ (ع) إلا إذا ما كان فيه ذمّ له. فكيف إذا تسمّح بكتابة سنّة الرسول (ص) التي تنصّ على أنّ الرسول (ص) عينه وصياً من بعده؟!

نهى الخلفاء عن نشر سنّة الرسول (ص) وكان مصير من يخالفهم ويروي أو يكتب ما يخالف أعجابههم مدى القرون القتل المعنوي أو الجسدي كما سنشير إلى أمثلة منه في ما يأتي إن شاء الله.

ز - تضعيف الروايات ورواية سنّة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان وقتل المخالفين أحياناً

لا يستطيع الباحث أن يحصي عمل العلماء في تضعيف الراوي والكتاب اللذين ينتقصان السلطان، وكذلك تضعيفهم الروايات التي فيها أنتقاص لمقام السلطة من خليفة ووالٍ وأمير وأحياناً تقتل العامة العالم المخالف لهذا الاتجاه،

(٢٠) الأغاني، ط. ساسي ٥٩/١٩ وط. بيروت ٢٣/٢٢.

وأيضاً شهاب: هو محمد بن محمود القرشي الزهري. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٢٥ هـ أو بعده بسنة أو سنتين). تقريب التهذيب ٢٠٧/٢.
وخالد بن عبدالله: ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد، والعراقيين البصرة والكوفة سنة ١٠٥ هـ هشام ابن عبد الملك، ثم عزله سنة ١٢٠. وقتله والي العراق من بعده. وقد رمي في نسبه ودينه. راجع ترجمته في الأغاني وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧٦/٥ - ٨٠ وغيره.

وكي لا يطول البحث في هذا الصنف من الكتان نقتصر على ذكر أربعة أمثلة منه في ما يأتي :

١ - انتقاص من يذكر الوصية

قال ابن كثير ما موجهه :

(وأما يغتر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء ، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة ، فكذب وبهت وأفتراء ، يلزم منه خطأ كبير من نحوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته - إلى قوله - : وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعلي في الآداب والأخلاق . . . كل ذلك من الهذيان ، فلا أصل لشيء منه بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة ولا يعول على ذلك ولا يغتر به إلا غبي عبي) (٢١).

هكذا تكلم ابن كثير بتوتر عصبي شديد من عناء هذه المشكلة ، ولنر من هم الذين أغتر بهم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء . إنهم كل من الأشخاص الآتية أسماؤهم :

أولاً - من الصحابة :

أ - الإمام علي بن أبي طالب المهاجري .

ب - سلمان المحمدي (الفارسي) .

ج - أبو أيوب الأنصاري .

د - أبو سعيد الخدري الأنصاري .

هـ - أنس بن مالك الأنصاري .

و - بريدة بن الحصيب الأسلمي المهاجري .

ز - عمرو بن العاص القرشي .

- ح - أبو ذر الغفاري .
ط - الإمام الحسن سبط الرسول الأكبر .
ي - الإمام الحسين السبط الشهيد .
ك - حسان بن ثابت الأنصاري .
ل - الفضل بن العباس بن عبد المطلب .
م - النعمان بن عجلان الأنصاري .
ن - عبد الله بن أبي سفيان الحرث بن عبد المطلب .
س - أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري .
ع - سعيد بن قيس الأنصاري .
ف - حجر بن عدّي الكندي .
ص - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين .
ق - عمرو بن الحمق الخزاعي .
ر - عبد الله بن عباس .
ش - المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب .
ت - الأشعث بن قيس الكندي وهو من خصوم الإمام علي .
ثانياً - من التابعين :
أ - جرير بن عبد الله البجلي .
ب - النجاشي الشاعر قيس بن عمرو .
ج - محمد بن أبي بكر (الخليفة الأول) .
د - المنذر بن حمضة الوادعي .
هـ - عبد الرحمن بن جعيل .
و - النضر بن عجلان .
ز - مالك الأشتر .

ح - عمر بن حارثة الأنصاري .

ط - عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي .

ثالثاً - من حكام مدرسة الخلفاء وأئمة مذهبهم :

أ - الأمير علي بن عبد الله عم الخليفة العباسي السفاح .

ب - الخليفة العباسي هارون الرشيد .

ج - الخليفة العباسي المأمون .

د - إمام الشافعية محمد بن إدريس الشافعي

رابعاً - من المؤلفين الذين أخرجوا أحاديث الوصية عن رسول الله (ص) :

أ - إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) في كتابه : مناقب علي .

ب - الدينوري (ت : ٢٨٢ هـ) في الأخبار الطوال .

ج - إمام المؤرخين الطبري (ت : ٣١٠ هـ) في تاريخه .

د - البيهقي (كان حياً قبل ٣٢٠ هـ) في المحاسن والمساوي .

هـ - مسند الدنيا، الطبراني إمام المحدثين في عصره (ت : ٣٦٠ هـ) في

معاجمه .

و - أبو نعيم الإصبهاني (ت : ٤٣٠ هـ) في حلية الأولياء .

ز - الحافظ أبن عساكر الشافعي (ت : ٥٧١ هـ) في تاريخ مدينة دمشق .

ح - ابن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) في تاريخه .

ط - ابن أبي الحديد الشافعي (ت : ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة .

ي - المتقي الهندي (ت : ٩٧٥ هـ) في كنز العمال .

هؤلاء هم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء على حسب تعبير ابن كثير

الذين أغتروا بروايات الوصية ورووها وأخرجوها في كتبهم ، إلى كثير من

نظرائهم من الصحابة والتابعين الذين أغتروا بها واحتجوا بها في أشعارهم

وخصّصهم ورواها عنهم أمثال :

الزبير بن بكار في الموفقيات، والطبري وأبن الأثير في تاريخيهما، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، والمسعودي الشافعي في مروج الذهب، والإمام المقدّم في الحديث الحاكم في المستدرك، والذهبي في تذكرة الحفاظ، وأمثالهم .
كتم آبن كثير كلّ ما ذكرناه أنفاً، وكتم أكثر ممّا أشرنا إليه ممّا كان في متناول أيدي علماء ذلك العصر، وذهبت عنا لتكتمهم الشّديد عليها وإخفائها عن الناس، كتمها جميعاً ولم يخرج منها شيئاً في موسوعته التاريخية .
وكتمها - أيضاً - بتضعيف الرواة والروايات والكتب التي خرجتها، وتسخيف المحتجّين بها كي لا يصدق من يصل إليه شيء مما كتمها من كتاب آخر وقال : (ما يغترّ به جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء) .
وهذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلفاء .

٢ - الطعن في رواية الحديث

نفل آبن عبد البرّ عن الشعبي أنّه قال في الحارث الهمداني :
(حدثني الحارث وكان أحد الكذابين) قال آبن عبد البرّ:
(ولم يبين من الحارث كذب، وإنّا نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ وتفضيله له على غيره، ومن هاهنا والله أعلم كذبته الشعبي لأنّ الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنّه أوّل من أسلم)^(٢٢) انتهى قول آبن عبد البرّ.

٣ - الطعن في أئمة الحديث

في مدرسة اخلفاء يطعنون أحياناً في أئمة الحديث الذين يروون حديثاً يخالف أنتمجأها، مثل ما جرى للحاكم الشافعي كما رواه الذهبي بترجمته^(٢٣)

(٢٢) جامع بيان العلم، باب حكم العلماء بعضهم في بعض ١٨٩/٢ .

(٢٣) تذكرة الحفاظ ص ١٠٣٩ - ١٠٤٥ .

وفي ما يلي ما أورده بإيجاز:

الحافظ الكبير إمام المحدثين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد ابن حدوديه النيسابوري المعروف بأبن البيع. ولد سنة ٣١٢هـ، وتوفي سنة ٤٠٥هـ. طلب الحديث من الصّغير ورحل إلى العراق وحجّ وجال في خراسان وما وراء النهر وسمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، بلغت تصانيفه قريباً من خمسمائة جزء ومن تأليفه فضائل الشافعي، ونقل أن مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيامه وأنّ الأئمة من مقدّمي عصره كانوا يقدّمونه على أنفسهم ويراعون حقّ فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة.

قال الذهبي: وسئل الحاكم عن حديث الطبري فقال: (لا يصحّ، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من علي (رض) بعد النبي (ص)).

وقال: ثمّ تغيّر رأي الحاكم وأخرج حديث الطبري في مستدركه. ونقل الذهبي عن العلماء أنهم قالوا عن مستدركه: إنه جمع فيه أحاديث وزعم أنها على شرط البخاري ومسلم، منها حديث الطبري، ومن كنت مولاه فعليّ مولاه، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله. وقال الذهبي:

أما حديث الطبري، فله طرق كثيرة جدّاً قد أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

وأما حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فله طرق جيّدة، وقد أفردت ذلك أيضاً. يعني الذهبي أنّه ألف في حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» كتاباً خاصّاً.

قال المؤلّف:

أما حديث «من كنت مولاه» فسيأتي بحثه في ذكر النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع) إن شاء الله تعالى.

وحديث الطبر برواية الصحابي أنس وغيره من الصحابة، أنه أهدى إلى رسول الله طير مشوي فدعا أن يأتيه الله بأحب الخلق إليه - أي بعد رسول الله (ص) - فياكل معه، فجاء عليّ وأكل معه، وبما أن الحديث يدلُّ على أن الإمام عليّاً أفضل الناس بعد رسول الله (ص) فقد أنكروا على الحاكم وغيره رواية هذا الحديث، ولم نُخرجها نحن في باب النصوص، لأننا لسا بصدد إيراد فضائل الإمام عليّ (ع) وإنما نورد النصوص الصريحة في حق آل الرسول (ص) في الحكم.

نقل الذهبي فضل الحاكم الشافعي في علم الحديث بمدرسة الخلفاء، وبما أنه خرَّج في مستدركه أحاديث في فضل الإمام عليّ (ع) وما فيه انتقاص لمعاوية، طعنوا فيه وقالوا ما نقله الذهبي :
(ثقة في الحديث، رافضي خبيث).

(كان يظهر التسنن في التقديم والخلافة وكان منحرفاً عن معاوية وآله - يعني يزيد - متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه).

قال الذهبي :

(قلت : أما أنحرافه عن خصوم عليّ فظاهر، وأما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال فهو شيعي لا رافضي، وليته لم يصنّف المستدرک فإنه غصّ من فضائله بسوء تصرفه). انتهت أقوال الذهبي .

ولإمام المحدثين بمدرسة الخلفاء أسوة بإمام المذهب الشافعي محمد بن إدريس (ت : ٢٠٤هـ) حيث رمي بالرفض كما رواه البيهقي، فقال الشافعي في ذلك :

قالوا ترفضت، قلت كلاً
لكن توليت غير شك
ما الرفض ديني ولا اعتقادي
خير إمام وخير هادي

إن كان حبّ الوصي^(٢١٣) رفضاً فإنني أرفض العباد
وبما قال أيضاً:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي
ويظهر أنه كان يضطر إلى الكتان أحياناً فقد قال:

ما زال كتباً منك حتّى كأنني برّد جواب السائلين لأعجم
وأكتسم ودي مع صفاء مودّي لتسلم من قول الوشاة وأسلم^(٢١٥)
غير أنّه لم ينفعه الكتان وزمي بالرفض كغيره من العلماء الذين لا
يكتمون رأيهم في ما جاء عن سنّة الرسول (ص) وسيرة الصحابة، وإنّ أغلب
علماء المذهب الشافعي بمدرسة الخلفاء لا يكتمون الحديث كما يفعله علماء
المذاهب الأخرى في تلك المدرسة ولذلك يرمون بالرفض.

* * *

في هذا الباب لاحظنا أنواعاً من الإنكار بدءاً بتضعيف الراوي والرواة إلى
طعنهم بالتشيع والرفض والذي كان يؤدّي إلى إسقاط الحديث عن الاعتبار.
وكّل أنواع الإنكار من أسهل الأمور في باب الاحتجاج للمُنكر ومن أصعب
الأمور عندئذ إثبات الحقّ، فإنّ المنكر يسهّل عليه أن يقول: الحديث ضعيف،
باطل، كذب. وعلى صاحب الحق أن يأتي بالدليل تلو الدليل وليس للمُنكر في

(٢٤) جاء في ديوان الشافعي ط. بيروت ١٤٠٣هـ، وكذلك في (النصائح الكافية لمن يتولّى
معاوية) لمحمد بن يحيى العلوي (ت: ١٣٥٠هـ)، وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة
ص ١٣١: (الولي) بدلاً من (الوصي). ولنا أن تعد هذا التبديل في الصواعق من موارد الكتان
لدى أتباع مدرسة الخلفاء.

(٢٥) هذا موجز ما ذكره آخشي (ت: ٩٧٤هـ) في الصواعق، ط. مصر الثانية، سنة
١٣٧٥هـ، ص ١٣١، مع قول البيهقي ذكر جميعها مفصلاً والبيت: إن كان رفضاً... مع
بيتين آخرين رواها أيضاً ابن الصباغ المالكي المكي (ت: ٨٥٥هـ) في كتابه الفصول حسب نقل
صاحب الكنى والألقاب بترجمة الشافعي.

مقابله أكثر من الإنكار وعدم القبول، وهو في حقيقته قتلٌ معنويٌّ للرواة، وأحياناً يقتل الراوي الذي يروي ما يخالف مصلحة مدرسة الخلفاء جسدياً، كما نذكر في ما يأتي مثلاً واحداً منه لما جرى لأحد أصحاب الصحاح الستة بمدرسة الخلفاء.

٤ - النسائي أحد مؤلفي الصحاح الستة وقصة قتله.

نقل خبره وقصة قتله من كتابي الذهبي وآبن خلكان فقد قالاً بترجمته^(٢٦) ما موجه:

الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرد بالمعرفة وعلو الإسناد، وأستوطن مصر. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويجتهد في العبادة ليلاً. وخرج مع أمير مصر إلى الغزو، وكان يحترز عن مجالسه والانبطاق في المأكّل، وخرج آخر عمره حاجاً وبلغ دمشق، وصنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) وأهل البيت، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنّفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب، فقليل له: ألا تُخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج؟ حديث اللهم لا تشيع بطنه؟ فسكت السائل، وسئل أيضاً - عن معاوية وما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يُفضل، فما زالوا يدفعون في خصييه وداسوه حتى أخرج من المسجد وحمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.
وقال الدارقطني: أمتحن بدمشق وأدرك الشهادة. وكان ذلك سنة

(٢٦) تذكرة الحفاظ ص ٦٨٩. ووفيات الأعيان ٥٩/١.



ولا ينحصر من أُوذِي وقُتِل في سبيل نشر سَنَةِ الرسول (ص) بالنسائي وحده، فقد لاقى الصحابي أبو ذر أيضاً كما سيأتي ذكره بعيد هذا في بقية بحوث كتبه سَنَةِ الرسول (ص) وقتل عدد غير قليل من العلماء، ترجم بعضهم العلامة الحبر الأميني في كتابه: شهداء الفضيلة.

ومن يجزم مع هذه الحالة أن يروي النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في فضائل آلِه فضلاً عن ذكر النصوص الواردة في حقِّ آلِه في الحكم، ألا يحقُّ لابن كثير، إذا كان يريد أن يداري من يطالب العلماء بإيراد فضائل معاوية أن يؤوِّل ما فيه آتفاص لمعاوية إلى ما فيه له فضيلة في الدنيا والآخرة!!!

وكيف يتيسَّر نشر سَنَةِ الرسول (ص) مع هذه الحالة؟!



ذكرنا شيئاً من مصير مَنْ يخالف مدرسة الخلفاء ويروي أو يكتب من سَنَةِ الرسول (ص) ما يخالف مصلحة الخلفاء، وفي ما يأتي نُشير إلى مصير الكتب التي حوت من سَنَةِ الرسول (ص) ما يخالف سياسة هذه المدرسة.

ح - إحراق الكتب والمكتبات

من أصناف الكتبان بمدرسة الخلفاء، إحراق الكتب التي فيها سَنَةِ الرسول (ص) سيرة وحديثاً مما لا ترغب في نشره. وقد بدأ ذلك الخليفة عمر ابن الخطاب كما سيأتي ذكره في باب بحوث مدرسة الخلفاء من مصادر الشريعة الإسلامية.

عن طبقات ابن سعد، قال: إنَّ الأحاديث كثرت على عهد عمر، فأنشد

الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها، أمر بتحريقها.

وروى الزبير بن بكار^(٣٧) : أن سليمان بن عبد الملك في زمان ولايته للعهد مرَّ بالمدينة حاجًّا، وأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سِير النبي (ص) ومغازيه، فقال أبان : هي عندي أخذتها مصحَّحة ممَّنْ أتو به، فأمر عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رقٍّ، فلما صارت إليه، نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين - يقصد بيعة الأنصار في العقبتين الأولى والثانية - وذكر الأنصار في بدر، فقال سليمان : ما كنت أرى هؤلاء القوم هذا الفضل فإمَّا أن يكون أهل بيتي - أي الخلفاء الأمويين - غمصوا عليهم، وإمَّا أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان : أيها الأمير! لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم - يقصد الخليفة عثمان - من خذلانه، أن نقول الحقَّ. هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. فان سليمان : ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتَّى أذكره لأمر المؤمنين - يقصد ولده عبد الملك - لعنَّه يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرَّق، ولما رجع أخبر أباه بها كان، فقال عبد الملك : وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها، قال سليمان : فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته حتَّى أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوّب رأيه.



هكذا يأمر خلفاء المسلمين وأولياء عهدهم بإحراق كتب سنّة الرسول (ص) لئلا يعرف المسلمون ما يخالف مصالح السّلطة، وقد فعلت أكثر من ذلك حين أحرقت مكتبات فيها من كتب سنّة الرسول (ص) ما يخالف أحكامها نظير ما يأتي بيانه :

إحراق مكتبة إسلامية ببغداد

قال ابن كثير^(٢٨) في ذكر حوادث سنة ٤١٦ هـ بترجمة سابور بن أردشير: كان كثير الخير سليم الخاطر إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة، وقد وقَّف داراً للعلم في سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها كتباً كثيرة جداً، ووقَّف عليها غلة كبيرة، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء طغرل في سنة ٤٥٠ هـ وكانت في محلة بين السورين.

وقال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان:

بين السورين، اسم لمحلة كبيرة كانت بالكركخ وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها وزير بهاء الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصوغهم المحررة وأحترقت في ما أحرقت من محال الكركخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد.

وقال ابن كثير^(٢٩) - أيضاً - بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي، من حوادث سنة ٤٦٠ هـ:

أحرقت داره بالكركخ وكتبه سنة ٤٤٨ هـ.

وفعل أكثر من ذلك مع مخازن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر كما ذكره المقرئ^(٣٠) (ت: ٨٤٨ هـ) في ذكر الخزانات التي كانت في قصر الفاطميين وقال عن خزانة الكتب:

وكانت من عجائب الدنيا ويقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر. ويقال: إنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب، وقال قبلها: (أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم

(٢٨) البداية والنهاية ١٩/١٢.

(٢٩) نفس المصدر ٩٧/١٢.

(٣٠) خطط المقرئ ٢٥٤/٢ - ٢٥٥.

عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تَأُولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب).

* * *

أسس مكتبة الكرخ وزير البويهيين من أتباع مدرسة أهل البيت (ع). فلما استولى السلجوقيون من أتباع مدرسة الخلفاء أحرقوها وأحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي بالكرك، وفعل أكثر من ذلك بخزائن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر عند أستيلاء صلاح الدين على الحكم.

يا ترى كم كنتم عنا من سنة الرسول (ص) بسبب تحريق الكتب والمكتبات التي كان أصحابها من مخالفي مدرسة الخلفاء؟ وكم كان فيها أحاديث صحيحة سلسلة عن رسول الله (ص) في حق آل الرسول من ضمنها أحاديثه في الوصية ذهبت عنا بسبب هذا النوع من الكتان؟ الله أعلم بذلك. وأهم من كل ما ذكرنا من أصناف كتان سنة الرسول (ص) تحريف سنة الرسول وسيرة الصحابة الآتي ذكره في البحثين التاليين:

ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه

من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخبر وتحريفه، كما فعل ذلك أبن كثير في خطبة الإمام الحسين في تاريخه، فقد أورد الخطبة الطبري وأبن الأثير في تاريخيهما وفي لفظهما:

(أما بعد فأنسبوني، فأنظروا من أنا، ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، هل يجوز لكم قتلي وأنتهاك حرمتي؟ ألسنت أبن بنت نبيكم (ص) وأبن وصيته وأبن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عنده؟ أو ليس حمزة

سيد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمّي . . . (٣١).

حرف آبن كثير هذا الخبر في تاريخه ونقل أنّ الإمام الحسين قال:

(راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا آبن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض آبن بنت نبيّ غيري، وعلىّ أبي، وجعفر ذو الجناحين عمّي، وحمزة سيد الشهداء عمّ أبي) (٣٢).

* * *

إنّ آبن كثير حذف ذكر الوصيّة من خطبة الإمام الحسين، لأنّ ذكرها كما قلنا ينبّه العامة على حقّ الإمام عليّ وسبطي الرسول (ص) في الحكم وهو ما يسوء السلطة نشر خبره، ثمّ حرف الخطبة. وهذا نوع من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء، ويوجد نظير هذا الحذف في سيرة الرسول (ص) وسنشير إلى شيء منه في الصنف العاشر من أصناف الكتان الآتي بحثه بعد هذا.

ي - وضع الروايات والأخبار المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء، وضع الأخبار المختلفة ونشر الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة. وإليك مثلاً واحداً منها:

روى الطبري في تاريخه خبر أبي ذرّ وقال:

(وفي هذه السنة أعني سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها. فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصة كتب إليّ بها السريّ يذكر أنّ شعبياً حدّثه سيف . . .) الحديث.

(٣١) تاريخ الطبري ط. أوروبا ٣٢٩/٢. وتاريخ آبن الاثر، ط. أوروبا ٥٢/٤. ط. مصر الأولى ٢٥/٤.

(٣٢) ابن كثير ١٧٩/٧.

وتبعه ابن الأثير وقال - أيضاً - في ذكره حوادث سنة ٣٠ من الهجرة :
(وفي هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذر وإشخاص معاوية إليّاء من الشام إلى المدينة ، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبب معاوية إليّاء وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به . . .) .

فمن هو سيف هذا الذي أورد الطبري القصة التي رواها في خبر أبي ذر ، وتمسك بها العاذرون معاوية ؟ وما هو نوع أخباره ورواياته ؟
هو سيف بن عمر التميمي (توفي حدود سنة ١٧٠هـ) روى أخباراً عن عصر الرسول (ص) والسقيفة وبيعة أبي بكر وحروب الردة والفتوح وحرب الجمل .

وصفه علماء الرجال وقالوا في نعته :
ضعيف ، متروك الحديث ، ليس بشيء ، كذاب ، كان يضع الأحاديث ،
اتهم بالزندقة^(٣٣) .

نوع أخباره ورواياته

إختلف في رواياته أكثر من خمسين ومائة صحابي لرسول الله (ص) نشرنا دراسات مفصلة عن ثلاثة وتسعين في المجلدين الأول والثاني من كتاب (خسون ومائة صحابي مختلف) جعل سيف تسعة وعشرين منهم من قبيلته تميم ، إختلف هم أخباراً في الفتوح وكثيراً من المعجزات والشعر ورواية

(٣٣) كان ما ذكرناه بعض ما ذكره في وصفه علماء أمثال : يحيى بن معين (ت : ٢٣٣هـ) ، أبي داود (ت : ٢٧٥هـ) ، النسائي صاحب الصحيح (ت : ٣٠٣هـ) ، ابن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧هـ) ، ابن حبان (ت : ٣٥٤هـ) ، الحاكم (ت : ٤٠٥هـ) وتفصيل ما ذكروا في حق سيف ومصادر ترجمة سيف بكتاب (عبدالله بن سبأ) الجزء الأول .

الحديث، غير أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أشخاصهم ولا شيئاً من أخبارهم، بل اختلقهم سيف جميعاً، كما اختلق عشرات الرواة وروى عنهم أخباره، وقد نشرنا، في جزأي (عبد الله بن سبأ) و(خمسون ومائة صحابي مختلق) دراسات عن نيف وسبعين راوياً منهم، تتبعنا في حدود قدرتنا روايات سيف عنهم فوجدنا لراوٍ واحد منهم والذي سماه محمد بن سواد بن نيرة ٢١٦ رواية، ومنهم من روى عنه أقل من ذلك، إلى رواية واحدة.

وكذلك اختلق شعراء للعرب وقادة للفرس والرومان وأراضي في البلاد الإسلامية وغيرها، وحرف سني الحوادث التاريخية، كما حرف أسماء أشخاص ذكروا في التاريخ الإسلامي، ونشر الخرافات بين المسلمين في ما اختلق منها في أحاديثه، وأختلق حروباً في الردة والفتوح لم تقع، وذكر مئات الألوف ممن قتلهم المسلمون قتلاً قطيماً في تلك الحروب مما لم يكن شيء منها، وأشاع في ما وضع وأختلق أن الإسلام أنتشر بحد السيف، وقد بينا زيفها في أول الجزء الثاني من كتابنا (عبد الله بن سبأ).

انتشرت رواياته الموضوعة في أكثر من سبعين مصدراً^(٣٤) من كتب الحديث والتاريخ والأدب وغيرها من مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء انتشر فيها ما روى سيف واختلق منذ عصر الرسول (ص) حتى عصر معاوية، وكان أكثر من أخذ عنه الطبري في تاريخه وروى عنه أمثال الأخبار^(٣٥) الآتية:

أ - مسير الجيش على ماء البحر من الساحل إلى دارين مسيرة يوم وليلة

(٣٤) ذكرنا أسماء أكثرها في أول الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق).

(٣٥) راجع أخبارها في ذكر فتح دارين والقادسية والسوس وبهسر ودراسة مقارنة لأخبار سيف هذه بروايات صحيحة لغيره في كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) الجزء الأول بترجم عفيف بن المنذر وعاصم بن عمرو والأسود بن قطبة من الصحابة الذين اختلقهم سيف بن عمر التميمي من قبيلة تميم.

لسفن البحر، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل .

ب - تكليم الأبقار لعاصم بن عمرو التميمي الصحابي المخلتق في حرب القادسية بلسان عربي فصيح . وإن بكيراً قال لفرسه أطلال عند نهر أراد أن يعبره يومئذ : (ثبي أطلال) . فنطقت وقالت : (وثباً وسورة البقرة) أي أنها أقسمت بسورة البقرة ، ثم وثبت !!!

ج - إنشاد الجنّ الشعر في فتح القادسية وثناؤهم على موقف تميم في الحرب .

د - فتح السوس بضرب الدجال باب السوس برجله وقوله : (انفتح بظار) .

هـ - تكلّم الملائكة على لسان الأسود بن قطبة التميمي في فتح بهرسير . ومن تاريخ الطبري أنتشرت أكاذيب سيف في كتب التاريخ الإسلامي التي ألّفت بعده إلى عصرنا الحاضر كما سنشير إلى بعض ذلك فيما يأتي .

انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه
قال ابن الأثير في مقدمة تاريخه الكامل :

إنّي قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ، فأبتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري ، إذ هو الكتاب المعولّ عند الكفاة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه . . . فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعته وأضفت إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه . . . إلّا ما يتعلّق بها جرى بين أصحاب رسول الله (ص) فإنّي لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً إلّا ما فيه زيادة بيان أو أسم إنسان ، أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله ، على أنّي لم أنقل إلّا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة

مَنْ يَعْلَمُ صِدْقَهُمْ فِي مَا نَقَلُوهُ وَصَحَّحَهُ مَا دَوَّنُوهُ . . . (٣٦) .
وقال ابن كثير بعد انتهائه من ذكر أخبار الصحابة في الردة والفتوح
والفتن :

هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أئمة هذا الشأن ،
وليس في ما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلفة على
الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بها فيها (٣٧) .
وقال ابن خلدون :

هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات
والحروب ثم الاتفاق والجماعة ، أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتب محمد
ابن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأينا في ذلك وأبعد عن المطاعن
والشبه في كبار الأئمة من خيار الأمة وعدولهم من الصحابة والتابعين (٣٨) .

نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الأفاضل روايات سيف في أخبار صدر الإسلام

قال الطبري في خبر أبي ذر الصحابي الفقير - مثلاً - مع معاوية الأمير :
(كرهت ذكر أكثرها ، فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك
قصة . . . عن سيف) .
وقال ابن الأثير :
(. . . مِنْ سَبِّ مُعَاوِيَةَ إِيَّاهُ وَتَهْدِيدِهِ بِالْقَتْلِ وَحَمْلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الشَّامِ بِغَيْرِ

(٣٦) تاريخ ابن الأثير ط . مصر سنة ١٣٤٨ هـ - ١/٥ .

(٣٧) تاريخ ابن كثير ٢٤٦/٧ .

(٣٨) تاريخ ابن خلدون ٤٥٧/٢ .

وطاء وفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به). ثم أورد قصّة سيف ووصفهم كذلك بالعاذرين.

إنّ العالمين الكبيرين لم يتركوا روايات غير سيف لعدم اعتمادهما عليها، بل لأنهما لم يجدا فيها العذر للسلطة الحاكمة، ووجدوا العذر عند العاذرين معاوية الأمير وعثمان الخليفة، وهم سيف الزنديق وسلسلة رواته المختلقين، فحسب الطبري تاريخه الكبير بروايات سيف، وللسبب نفسه أخذ ابن الأثير روايات سيف من تاريخ الطبري، وكذلك فعل ابن كثير حيث قال في آخر ذكره خبر واقعة الجمل من أخبار سنة ست وثلاثين هجرية عمّا نقله من أخبار سيف في حوادث ما بعد وفاة رسول الله (ص) إلى واقعة الجمل:

(هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أئمة هذا الشأن) وقصد من أئمة هذا الشأن الذين ذكر ابن جرير الطبري الأخبار عنهم سيف الزنديق ورواته المختلقين.

وقد أفصح العلامة ابن خلدون أكثر منهم في سبب اختيارهم روايات سيف المنتشرة في تاريخ الطبري عن أخبار الخلافة أي بيعة الخلفاء والرّدة والفتوح والجماعة أي الاجتماع على بيعة معاوية وقال:

(إنّه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد عن المطاعن والشبهة في كبار الأئمة).

إذا فإنّ روايات سيف في تاريخ الطبري عن تلك الأخبار أوثق عندهم، لأنّها أبعد عن المطاعن والشبهة في كبار الأئمة من الصحابة والتابعين، وهم الخلفاء والولاة وذووهم، وإليك دليلاً آخر على أنّه من المعيب أن يذكر ما يورد النقد على الكبراء وينبغي البحث عن العذر لهم في ما يوجه النقد إليهم كيف ما كان؛ في خبر درة سعد بن أبي وقاص الحدّ عن أبي معجن والبحث عن العذر لسعد الأمير.

كان أبو معجن الثقفي كما في ترجمته من الاستيعاب وأسد الغابة

والإصابة، مدمناً للخمر وحده الخليفة عمر سبع مرّات لذلك، وأخيراً نفاه من المدينة، والتحق بسعد بن أبي وقاص في حرب القادسية فقيده لشربه الخمر وأطلقت زوجة سعد سراجه وكانت له مواقف مشهورة في الحرب، فدرأ سعد الحّد عنه لموقفه وقال: والله لا نجلدك على الخمر أبداً. قال أبو محجن: وإذن لا أشربها أبداً.

كان هذا خبر درء سعد الحّد عن أبي محجن، وفي هذا الشأن نقل أبي حجر في ترجمة أبي محجن في كتابه الإصابة عن كتاب أبي فتحون (ت: ١٩٥هـ): (التذليل على استيعاب أبي عمر بن عبد البر) وقال:

(وقد عاب أبي فتحون أبا عمر على ما ذكره في قصة أبي محجن، أنّه كان منهمكاً في الشراب - إلى قوله -: وأنكر أبي فتحون على من روى أنّ سعداً أبطل عنه الحّد وقال: [لا يظنّ هذا بسعد] ثمّ قال: [لكن له وجه حسن] ولم يذكره وكأنّه أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره وهو: إن ثبت عليه أنه يشربها، فوفقه الله أن تاب توبة نصوحاً فلم يعد إليها. . .) (٢٩).



هكذا يبحث أتباع مدرسة الخلفاء عمّا يرفع النقد عن الكبراء وهم الخلفاء والولاة وذووهم من الخلفاء الأوائل حتّى معاوية ومروان بن الحكم ويزيد بن معاوية ولولاهم الذين يسمّونهم الكبراء أو كبراء الصّحابة والتابعين. وبما أنّ سيف بن عمر الزنديق عرف من أين تؤكل الكتف، فقد وضع روايات موافقة لرغبات جميع الطبقات بمدرسة الخلفاء مدى العصور، وطلا رواياته بطلاء الدفاع عن الخلفاء وذوئهم في ما أنتقدوا عليه ونشر فضائلهم. وتحت هذا الغطاء السميك أستطاع أن يخفي أهدافه في الطعن بالإسلام

والإضرار به ونشر الخرافات الضارة بالعقائد الإسلامية بين المسلمين، وكذلك استطاع أن ينشر ويذيع بين الناس أن الإسلام أنتشر بحذّ السيف.

استطاع سيف أن يصل إلى كلّ أهدافه في ما أختلق بدافع زندقته. وسنورد أمثلة مما ذكرنا في ما يأتي.

ومن أمثلة نشره الخرافات الضارة بالعقيدة الإسلامية ما رواه في خبر الأسود العنسي المتنبّي وخبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند الله كالآتي.

أولاً - قصّة الأسود العنسي في روايات سيف

روى الطبري في قصة الأسود العنسي^(٤٠) عدة روايات عن سيف تتلخّص

في ما يلي:

إنّ الأسود لما أدعى النبوة وتغلّب على اليمن وقتل ملكها شهر بن باذان وتزوّج أمرأته وأسند أمر الجيش إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء - وهم أبناء الفرس باليمن - إلى فيروز ودأذويه، كتب النبي (ص) إلى هؤلاء بقتال الأسود إمّا مصادمة أو غيلة. فأتفقوا على اغتياله، فأخبره شيطانه فأرسل إلى قيس وقال: يا قيس! ما يقول الملك؟ قال قيس: وما يقول؟ قال: يقول: (عمدت إلى قيس فأكرمته حتّى إذا دخل منك كلّ مدخل، وصار في العزّ مثلك، مال ميل عدوك؛ وحاول ملكك وأضمر على الغدر! إنه يقول: يا أسود، يا أسود، يا سوءة! يا سوءة! إقطف قنّته^(٤١) وخذ من قيس أعلاه وإلّا سلبك أو أخذ قنّتك!)، فقال قيس: فحلف به وكذب: (وذّي الحمار^(٤٢) لأنّ أعظم

(٤٠) نسبة إلى عس بن مذحج وهم حيّ من زيد بن كهلان بن سبأ، ترجمتهم في أنساب ابن حزم ص ٣٨٩.

(٤١) إقطف قنّته أي اقطع رأسه، وقنّة كل شيء أعلاه مثل القنّة.

(٤٢) كان الأسود يلقّب ذا الحمار أو ذا الحمار.

في نفسي وأجلّ عندي من أن أحدث بك نفسي)، قال الأسود: (ما أجفاك! أتكذب الملك؟! وعرفت الآن أنك تائب مما أطلع عليه منك) يعني ما أطلع عليه شيطانه الذي يسميه الملك.

وقال سيف: ثم خرج قيس وأخبر جماعته بما جرى له مع الأسود وتواطؤا على إنفاذ ما اتفقوا عليه من قتله، فدعا الأسود قيساً ثانية، وقال له: (الم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذابة إنّه يقول - يعني شيطانه الذي يسميه الملك -: يا سوءة! يا سوءة! إلّا تقطع من قيس يده يقطع قنّك العليا)، فقال له قيس: (ليس من الحقّ أن أقتلك وأنت رسول الله فمُرّ بي بها أحببت، فأما الخوف والفرع فانا فيهما خافة! اقتلي! فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كلّ يوم)، قال سيف: فرق له فأخرجه! وقال: دعا الأسود بئاة جزور بين بقرة وبعير، وخطّ خطأ فأقيمت من وراء الخطّ، وقام من دونها، فنحرها غير محبسة ولا معقّلة، ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثمّ خلاها فجالت إلى أن زهقت. ونقل سيف عن الراوي أنّه قال: (ما رأيت أمراً كان أفظع منه، ولا يوماً أوحش منه).

قال سيف: وتواطؤا مع زوجته على اغتياله - ليلاً - فلما دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز، فأنذره شيطانه بمكان فيروز وأيقظه. فلما أبطأ تكلم الشيطان على لسانه وهو يغطّ في نومه وينظر إلى فيروز قال له: (مالي ولك يا فيروز؟). فدقّ فيروز رقبته وقتله.

قال: (ثمّ دخل الباقون ليحتزوا رأسه، فحرّكه شيطان فأضطرب فلم يضبطوا أمره حتّى جلس آثنان على ظهره وأخذت المرأة شعره، فجعل يربّر بلسانه فأحتزّ الآخر رقبته فخار كاشدّ حوار ثور سمع قطعاً، فأبتدر الحرس الباب، وقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبيّ يوحى إليه، فحمد... الحديث.



روى هذا الخبر عن سيف كل من الطبري والذهبي في تاريخيهما، وأخذه من الطبري كل من ابن الأثير وابن كثير وابن خلدون، غير أن الأخير أورده بإيجاز.

دراسة خبر الأسود العنسي

أ - رواية الخبر:

روى سيف هذا الخبر في إحدى عشرة رواية رواها عن أربعة رواة آختلفهم وهم كل من:

١ - سهل بن يوسف الخزرجي السلمي .

٢ - عبيد بن صخر الخزرجي السلمي .

٣ - المستنير بن يزيد النخعي .

٤ - عروة بن غزية الدثيني .

هكذا تخيلهم سيف الزنديق غير أن الله لم يخلق رواية بهذه الأسماء وإنما آختلفهم سيف بن عمر لرواياته .

ب - دراسة متن الخبر:

قد قارنا روايات سيف المختلقة في خبر الأسود العنسي بالروايات الصحيحة وبيننا آخلافه الروايات والرواة في هذا الخبر في الجزء الثاني من (عبد الله بن سبأ) .

ثانياً - خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند الله في رواية سيف

روى سيف في قصة مسير يزدجرد إلى خراسان بعد واقعة جلولاء وقال :
(كان يزدجرد بن شهریار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس، لما أنهزم أهل جلولاء خرج يريد الري وكان ينام في محمله والبعير يسير به ولا يعرسون، فأنتهوا به إلى غحاضة وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم ولثلاً يفرع إذا خاض البعير،

فعنّف وقال: بثسبأ صنعتم، والله لو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأُمّة، إني رأيت: أني ومحمّدأُتناجينا عند الله، فقال له:

- إملكهم مائة سنة.

فقال: - زدني.

فقال: - عشراً ومائة سنة.

فقال: - زدني.

فقال: - عشرين ومائة سنة.

فقال: - لك.

وأنبهتُموني، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأُمّة... (٤٣).

دراسة خبر مناجاة كسرى والرسول (ص)

أ - دراسة رواية الخبر:

روى سيف أسطورة مناجاة كسرى والرسول (ص) عند الله عن مختلفائه من الرواة الآتية أسماؤهم:

١ - محمّد، وقد تحيّل: محمّد بن عبد الله بن سواد بن نويرة.

٢ - المهلب، وهو عنده: المهلب بن عقبة الأسدي.

٣ - عمرو، وقد آخِلق سيف راويين باسم عمرو، تحيّل أحدهما: عمرو ابن ريان والآخر: عمرو بن رِفيل، وبيّنا آخِلاقه هذه الأسماء في الجزء الأول من (عبد الله بن سبأ) و(خمسون ومائة صحابيٍّ مختلق).

ب - دراسة متن الخبر:

درسنا متن هذا الخبر في أول الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابيٍّ

(٤٣) راجع مصادره في البحث الأوّل من البحوث التمهيدية في الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابيٍّ مختلق).

مختلق) وبيناً زيفه ولا حاجة لإعادة البحث في هذه المعجالة .
ماذا أستهدف الزنديق من وضع هذين الخبرين؟
زعم سيف أن الأسود الذي أدعى النبوة كان يخبر قيساً بكل ما ينويه مرة
بعد أخرى ويقول:

(قال الملك!) وكان الملك الذي يخبره هو الشيطان! وظهرت من الأسود
مدّعي النبوة معجزة باهرة حين خطّ خطأً أوقف وراءه مائة جزور بين بقرة وبعير
وقام من دونها ونحرها جميعاً غير عجة ولا معقلة ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثم
خلّاهما فجالت إلى أن زهقت، وإن الراوي استعظم هذا الأمر! وقال في الخبر
الثاني: (إن كسرى رأى في المنام أنه اجتمع مع الله ورسوله في مؤتمر
ثلاثي . . .) الحديث.

أليس مغزى الأسطورة الأولى أن نبي المسلمين أدعى النبوة وكان من
يسميه (الملك) يخبره بالغيب، وتصدر منه المعجزات .
والأسود العنسي أيضاً أدعى النبوة وكان من يسميه (الملك) يخبره بالغيب
وتظهر منه المعجزات؟ هل نشر الزنديق هذه الأسطورة دون أن يقصد إلقاء
الشبهات في أذهان المسلمين؟

وفي الأسطورة الثانية، ألم يقصد الزنديق الاستهزاء برّب المسلمين ونبيهم
حين جمعهما في مؤتمر واحد مع عدوّهما يزدجرد ملك الفرس في ما رآه؟!
هكذا نقل كبار العلماء عن سيف أساطير الخرافة وحشوا بها كتب التاريخ
الإسلامي وأصبحت تلك الأساطير جزءاً من مصادر الدراسات الإسلامية،
وكذلك نشروا في كتب التاريخ الإسلامي ما أشاعه سيف الزنديق بأن الإسلام
انتشر بعد السيف، نظير الأخبار الآتية:

إشاعة الزنديق أن الإسلام انتشر بالسيف وإراقة الدماء
أشاع سيف في ما اختلق من أخبار حروب الردّة والفتوح بأن الإسلام

انتشر على وجه الأرض بحدّ السيف وإراقة الدماء ؛ ومما أختلق بأسم حروب الردّة، الأكاذيب والتهويلات الآتية :

تهويلات وأكاذيب في ما رواه سيف من أخبار حروب الردّة
مهّد سيف لما أراد أن يذكر في حروب الردّة من تهويلات بما روى في روايات قصيرة له أوردها الطبري في أول أخبار الردّة، قال سيف فيها :
(كفرت الأرض وتضرّمت ناراً، وأردّت العرب من كلّ قبيلة خاصّتها أو عامّتها إلّا قريشاً وثقيفاً). ثمّ ذكر أردتاداً في غطفان، وأمتناع هوازن من دفع الصدقة، واجتماع عوام طحّى وأسّد على طليحة، وأردتاد خواصّ بني سليم، وقال : (وكذلك سائر الناس بكلّ مكان) وقال : (وقدمت كتب أمراء النيّ من كلّ مكان بانتفاض القبائل خاصّتها، أو عامّتها).
ونقل الخبر كذلك أبن الأثير وأبن خلدون بتاريخيهما، ونقله أبن كثير بالمعنى حيث قال في تاريخه^(٤٤) :
(أردت العرب عند وفاة رسول الله (ص) ما خلا أهل المسجدين مكّة والمدينة).

ثمّ ذكر سيف في ما أختلقه من حروب الردّة كيف أرجع المرتدّون إلى الإسلام بحدّ السيف كما زعمه الزنديق في رواياته. ومن أمثلة ما روى في حروب الردّة ما سيّأها بحرب الأخابث كالآتي :

ردّة عكّ والأشعرين وخبر طاهر ربيب رسول الله (ص) في روايات سيف
وقال سيف في خبر الأخابث من عكّ :

(٤٤) البداية والنهاية ٣١٢/٦.

كان أول من أنفض بتهامة العكّ والأشعرين لما بلغهم نبأ وفاة النبيّ (ص) تجمّعوا وأقاموا على الأعلاّب (طريق الساحل) فكتب بذلك طاهر إلى أبي بكر، ثمّ سار إليهم مع مسروق العكّي حتّى التقى بهم، فأقتلوا، فهزمهم الله وقتلهم كلّ قتل، وأننت السّبل لقتلهم، وكان مقتلهم فتحاً عظيماً.

وأجاب أبو بكر طاهراً - من قبل أن يأتيه كتابه بالفتح -: (بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك وأستفارك مسروقاً وقومه إلى الأخابث بالأعلاّب، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم، وأقيموا بالأعلاّب حتّى يأتيكم أمري). فسَميت تلك الجموع ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث، وسَمي ذلك الطريق طريق الأخابث، وقال في ذلك طاهر بن أبي هالة :

ووالله لولا الله لا شيء غيره	لما فضّ بالأجراع جمع العثااث
فلم تر عيني مثل يوم رأيتـه	بجنب صحارٍ في جموع الأخابث
قتلناهم ما بين قنّة خامر	إلى القيعـة الحمراء ذات النبائـث
وفتـنا بأموال الأخابـث عنوة	جهاراً ولم نحفل بتلك الهـثااث

قال: وعسكر طاهر على طريق الأخابث، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر.

* * *

أدار سيف خبردّة عكّ والأشعرين على من تخيلّه طاهر بن أبي هالة، فمن هو طاهر في أحاديث سيف؟

طاهر في أحاديث سيف

تخيّل سيف طاهر بن أبي هالة التميمي من أمّ المؤمنين خديجة وريب رسول الله (ص) وعامله في حياته، وذكر من أخباره في عصر أبي بكر إبادته

للمرتدّين من عكّ والأشعرين ، ومن أحاديث سيف أستخرجوا ترجمته وذكره
في عداد الصّحابة في كلّ من الاستيعاب ومعجم الصّحابة وأسد الغابة وتجرّد
أسماء الصّحابة والإصابة وغيرها ، وكذلك ترجم في معجم الشعراء وسير
النبلاء .

وذكر خبره في تواريخ الطبري وابن الأثير وآين كثير وابن خلدون
وميرخواند .

وأعتمد (شرف الدين) على هذه المصادر وذكر أسم طاهر في عداد أسماء
الشّعبة من أصحاب عليّ في كتابه (الفصول المهمّة) .

وأعتاداً على أخبار سيف ترجم البلدانون الأعلام والأخبار في عداد
الأماكن مثل الحموي في معجم البلدان وعبد المؤمن في مراصد الاطلاع .

مناقشة الخبر

روى سيف أخبار طاهر في خمس من رواياته في أسانيدھا خمس رواة
أختلفهم بأسم سهل عن أبيه يوسف السلمي وعبيد بن صخر بن لؤذان وجريز
ابن يزيد الجعفي وأبي عمرو مولى طلحة .

ولم يكن وجود لردة عكّ والأشعرين .

ولم يخلق الله أرضاً بأسم الأعلام والأخبار .

ولا صحابياً شيعياً ربيّاً لرسول الله (ص) من أمّ المؤمنين خديجة أسمه
طاهر بن أبي هالة .

ولم تقع حرب الإبادة لعكّ والأشعرين المرتدّين كما تحيلها سيف ، ولا
الرواة الذين روى عنهم أخبار طاهر وردّة عكّ والأشعرين والأخبار .

اختلف سيف الردّة ، وحريها ، والأراضي ، والشعر ، وكتاب أبي بكر ،
والصحابيّ ، والرواة ، ووصل من خلالها إلى هدفه أنّ الناس ارتدّوا بعد رسول

الله (ص) عامة عدا قريش وثقيف، وهكذا حاربهم المسلمون حرب إبادة، وقد ناقشنا كل هذه الأخبار وأسانيدها في ترجمة من سماه بطاهر بن أبي هالة في الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة صحابي مخلق).

كانت هذه إحدى حروب الردة التي أختلقها سيف، ومما أختلق من حروب الردة وأختلق أخبارها، ما سماه بردة طمئ وردة أم زمل وردة أهل عمان والمهرة وردة اليمن الأولى وردة اليمن الثانية.

اختلق ارتداد تلك القبائل والبلاد وحروبها وحروب ردّة أخرى زعم أنها وقعت في عصر أبي بكر، كذب فيها جميعاً. وكذب وأفترى في ذكر عدد من قتل في تلك المعارك وذكر تهاويل مزعومة سود بها وجه التاريخ الإسلامي الناصع، وكذلك فعل في أخبار الفتوح حيث ذكر معارك لم تقع، وقتلاً وإبادة من قبل جيوش المسلمين لم يكن لها وجود في التاريخ بتاتاً كالآتي ذكرها:

فتح أليس وتخريب أمغيشيا في أحاديث سيف

روى الطبري عن سيف في خبر أليس وأمغيشيا من فتوح سواد العراق وقال في خبر أليس:

فأقتلوا قتلاً شديداً والمشركون يزيدهم كلباً وشدة ما يتوقعون من قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه وخرب المسلمون عليهم، وقال خالد: اللهم إن لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألا استبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم، ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس: الأسر الأسر، لا تقتلوا إلا من أمتنع فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوقاً وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد حتى أنتهوا إلى النهرين ومقدار ذلك من

كلّ جوانب أليس، فضرب أعناقهم وقال له القعقاع وأشباه له : لو أنّك قتلت أهل الأرض لم تجرّ دماؤهم إنّ الدماء لا تزيد على أن تفرق منذ نهيت عن السيلان ونهيت الأرض عن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء، تبرأ يمينك، وقد كان صدّ الماء عن النهر فأعاده فجرى دماً عبيطاً فسَمي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم . وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية وبلغنا أنّ الأرض لما نشفت دم آبن آدم نهيت عن نشف الدماء ونهي الدم عن السيلان إلّا مقدار برّده .

وقال : كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحر قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام

وقال بعده في خبر هدم مدينة أمغيشيا :
لما فرغ خالد من وقعة أليس، نهض فأتى أمغيشيا وقد أعجلهم عمّا فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد، فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها، وكانت مصرّاً كالخيرة، وكانت أليس من مالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ .

اخْتَلَقَ سيف جميع هذه الأخبار بتفاصيلها مع روايتها ولنتأمل في ما وضع وأخترق في الخبرين .

نظرة تأمل في رواية سيف عن أليس ومدينة أمغيشيا قال سيف :

في وقعة أليس إلى خالد أن يجري نهرهم بدمائهم، فلما غلب غير مجرى الماء من نهرهم وأستأسر فلول الجيش الفارسي والمدنيين من أهل الأرياف من كلّ جوانب أليس مسافة يومين وأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين ووكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم على النهر يوماً وليلة، والدم ينشف فقال له القعقاع

- الصحابي الذي اختلقه سيف - وأشباه له : لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ، أرسل عليها الماء تبرّيعينك ، فأرسل عليها الماء فأعاده فجرى النهر دماً عبيطاً فسمي نهر الدم لذلك إلى اليوم . ثم قال : ذهب خالد إلى أمغيثيا وكانت مصرأ كالحيرة فأمر بهدم أمغيثيا وكل شيء كان في حيزها وبلغ عدد قتلهم سبعين ألفاً .



وأما هدم مدينة أمغيثيا التي اختلق سيف المدينة وحيزها وخبر هدمها ، فقد كان له نظير في التاريخ من قبل طغاة مثل هولاءكو وجنكيز وكذلك قتل الأسرى ، غير أن سيفاً نسب إلى خالد ما لم يجر له نظير في تاريخ الحروب وهو أنه أجرى نهرهم بدمائهم ، وانه لذلك سمي نهرهم بنهر الدم إلى اليوم .
اختلق سيف كل هذه الأخبار وأختلق أخبار معارك النبي والمذار والمقر وفم فرات يادقلي وحرب المصيخ وقتلهم الكفار يومذاك حتى أمتلأ الفضاء من قتلهم ، فما شبهوهم إلا بغنم مصرعة وكذلك معركة الزميل والفراض وقتل مائة ألف من الروم فيها .

اختلق سيف جميع أخبار هذه الحروب ونظائرها وأنتشرت في تواريخ الطبري وأبن الأثير وأبن كثير وأبن خلدون وغيرهم ، ولا حقيقة لواحدة منها ، وقد ناقشنا أخبارها وأسانيدنا في بحث (انتشار الإسلام بالسيف والدم في حديث سيف) من كتاب (عبد الله بن سبأ) الجزء الثاني .

ألا يحق لخصوم الإسلام مع هذا التاريخ المزيف أن يقولوا : (إن الإسلام انتشر بحدّ السيف) ؟!

وهل يشك أحد بعد هذا في هدف سيف من وضع هذا التاريخ وما نواه من سوء للإسلام ؟! وما الدافع لسيف إلى كل هذا الدس والوضع إن لم تكن الزندقة التي وصفه العلماء بها ؟!

وأخيراً هل خفي كلُّ هذا الكذب والافتراء على إمام المؤرخين الطبري؟
وعلاًمتهم آبن الأثير؟ ومكثرهم ابن كثير؟ وفيلسوفهم آبن خلدون؟ وعلى
عشرات من أمثالهم، كأبن عبد البر وآبن عساكر والذهبي وآبن حجر؟

كلّا فلأنهم هم الذين وصفوه بالكذب ورموه بالزندقة! وقد ذكر الطبري
وآبن الأثير وآبن خلدون في تواريخهم في وقعة ذات السلاسل: أن ما ذكره سيف
فيها خلاف ما يعرفه أهل السير!

إذاً فما الذي دعاهم إلى اعتماد رواياته دون غيرها مع علمهم بكذبه
وزندقته، إن هو إلا أن سيفاً حلّى مفترياته بإطارٍ من نشر مناقب ذوي السلطة
من الصحابة، فبذل العلماء وسعهم في نشرها وترويجها، مع علمهم بكذبها؟
ففي فتوح العراق - مثلاً - أورد مفترياته تحت شعار مناقب خالد بن الوليد، فقد
وضع على لسان أبي بكر أنه قال بعد معركة أليس وهدم مدينة أمغيشيا: (يا
معشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن
ينشن مثل خالد).

كما زين ما أختلق في معارك الردّة بإطار من مناقب الخليفة أبي بكر،
وكذلك فعل في ما روى وأختلق عن فتوح الشام وإيران على عهد عمر، والفتن
في عصر عثمان، وواقعة الجمل في عصر علي، فإنه زين جميعها بإطار من مناقب
ذوي السلطة والدفاع عنهم في ما أنتقدوا عليه وبذلك راجت روايات سيف
وشاعت أكاذيبه ونسيت الروايات الصحيحة وأهملت، على أنه ليس في ما
وضعه سيف وأختلق - على الأغلب - فضيلة للصحابة بل فيه مذمة لهم.

ولست أدري كيف خفي على هؤلاء أن جلب خالد عشرات الألوف من
البشر وذبحهم على النهر ليجري نهرهم بدمائهم ليست فضيلة له، ولا هدمه
مدينة أمغيشيا ولا نظائرها إلا على رأي الزنادقة في الحياة من أنها سجن للنور،

وأنه ينبغي السعي في إنهاء الحياة لإنقاذ النور من سجنه^(٤٥).
ومهما يكن من أمر، فإن بضاعة سيف المزعجة إنما راجت لأنه طلالها بطلاء
من مناقب الكبراء، وإن حرص هؤلاء على نشر فضائل ذوي السلطة والدفاع
عنهم أدى بهم إلى نشر ما في ظاهره فضيلة لهم وإن لم تكن لهم في واقعه فضيلة!
والأنكى من ذلك أن سيفاً لم يكتف بأختلاق روايات في ظاهرها مناقب
للصحابية من ذوي السلطة ويدسّ فيها ما شاء خدام الإسلام، بل أختلق
صحابية للرسول (ص) لم يخلقهم الله! ووضع لهم ما شاء من كرامات وفتوح
وشعر ومناقب كما شاء! وذلك معرفة منه بأن هؤلاء يتمسكون بكل ما فيه مناقب
لأصحاب الحكم كيف ما كان، فوضع وأختلق ما شاء لخدم الإسلام! اعتماداً
منه على هذا الخلق عند هؤلاء! وضحكاً منه على ذقون المسلمين! ولم يخيب
هؤلاء ظن سيف، وإنما روجوا مفترياته زهاء ثلاثة عشر قرناً!

* * *

أوردنا إلى هنا أمثلة مما أختلقه سيف للطعن بالإسلام وأطره بإطار مناقب
كبراء الصحابة والتابعين أي ذوي السلطة منهم، وفي ما يأتي ندرس أمثلة
أخرى منها مما أطره بإطار حلّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون، كما سيأتي
بيانها.

كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصية معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون

رأينا في ما مرّ بنا كيف دارت المعركة الكلامية بين المدرستين حول نصّ
الوصية مدى سبعائة سنة منذ عهد أم المؤمنين عائشة حتى عصر ابن كثير،

(٤٥) راجع بحث الزندقة والزنادقة من البحوث التمهيدية في الجزء الأول من (حسون ومائة
صحابية مختلق).

لأن نصّ الوصية كان يُشخص قصد الرسول (ص) في سائر النصوص التي نصّ بها على حقّ آلِه في الحكم بدءاً بالإمام عليّ وأنتهاءً بالإمام المهدي، مثل حديث الغدير وحديث أنّ عليّاً ولي الأمر بعد الرسول (ص) ووارثه، إلى غيرهما. بينما كانت مدرسة الخلفاء تؤوّل تلك النصوص إلى مدلول الفضيلة لآل الرسول (ص). ومما يوضّح ذلك أنّ علماء أهل الكتاب - مثلاً - عندما كانوا يتكلّمون عن وصيّ خاتم الأنبياء، ما كانوا يعنون غير وليّ عهده من بعده.

وإنّ أنصار الإمام عليّ (ع) عندما كانوا يذكرون الوصية في خطبهم وأشعارهم. يحتجّون بها على حقّ الإمام عليّ (ع) في الحكم مثل أبي ذرّ على عهد عثمان ومالك الأشتر يومبيعة الإمام عليّ (ع) ومحمّد بن أبي بكر في كتابه لمعاوية، والمهاجرين والأنصار في أشعارهم في الجمل وصفين، والإمام الحسن (ع) عندما خطب ليبياع له، والإمام الحسين عندما خطب على جيش الخلافة بكر بلاء، كلّهم كانوا يحتجّون بالوصية، لأنها كانت تشير إلى جميع النصوص التي جاءت بحقّهم وتشملها، فكأنّهم في احتجاجهم بالوصية يدلّون بجميع تلك النصوص.

وإنّ قيام العلويّين المطالبين بالحكم لم ينته باستشهاد الإمام الحسين (ع) وإنّما استمرّت ثوراتهم على الخلفاء حتّى عصر العباسيين، وكان في مقدّمة ما يضابق مدرسة الخلفاء في كلّ تلك القرون في المعركة السياسية شهرة الإمام عليّ (ع) بأنّه وصيّ النبيّ (ص) لما كان يحتاج بها المطالبون بالحكم من العلويّين باعتبار أنّها تدلّ كما ذكرنا آنفاً على نصّ النبيّ (ص) بحقّ الإمام عليّ (ع) وولده في الحكم.

ومن ثمّ لما أراد المأمون تهدئة ثورات العلويّين تظاهر بالاستدلال بالوصية ووفّى الإمام الرضا العهد من بعده، وبذلك هدأ العلويّين في كلّ مكان وجلب

رؤوسهم إلى عاصمته وقضى على جلهم بالسُّم وأنصر عليهم .

إذا كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصي هي معضلة مدرسة الخلفاء مدى القرون، فكيف حل سيف هذه المعضلة؟

سيف يضع حلاً لمعضلة مدرسة الخلفاء

مرُّ بنا كيف كانت مدرسة الخلفاء تعتمد إلى كتمان كل ما فيه ذكر للوصية حذفاً وتحريفاً وطعناً على رواية الحديث والمحتجّين به، وتأويلاً للنصوص الصريحة للوصية، ولم يبلغ أحدهم شأوسيف في ما وضع من حل لهذه المشكلة العويصة بتحريفه الحقائق إلى ما يناقضها في ما أختلقه من روايات نذكرها في ما يأتي :

أ - روى الطبري^(٤٦) في أول أخبار سنة خمس وثلاثين للهجرة الرواية الآتية :

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام . فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فأعتمر فيهم، فقال لهم في ما يقول : لَعَجِبُ مَنْ يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأنّ محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى، قال : فقبل ذلك عنه فوضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك : إنّ كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان عليّ وصي محمّد . ثم قال : محمّد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم

(٤٦) تاريخ الطبري، ط . أوروبا ١/ ٢٩٤١ - ٢٩٤٤ .

الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم من لم يُجزِ وصية رسول الله (ص) ووثب على وصي رسول الله (ص) وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله (ص) فأنهضوا في هذا الأمر فحركوه وأبدأوا بالظعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وأدعوهم إلى هذا الأمر.

فبث دعائه وكتاب من كان أستفد في الأمصار، وكتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم ويكتبونهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بها يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة. وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يُبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فاتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين، آياتك عن الناس الذي يأتينا، قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإننا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام وفرق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا: أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، وأستبطنوا الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد أعتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم

أَنَّ عَمَّارًا قَدْ آسْتَمَالَهُ قَوْمٌ بِمِصْرَ وَقَدْ أَنْقَطَعُوا إِلَيْهِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السُّودَاءِ وَخَالِدُ بْنُ مِلْجَمٍ وَسُودَانُ بْنُ حِمْرَانَ وَكَثَانَةُ بْنُ بَشَرَ.

ب - روى الذهبي^(٧٧) في أوائل ذكره أخبار سنة خمس وثلاثين هجرية الحديثين الآتين:

أولاً - (قال سيف بن عمر عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لما خرج ابن السُّوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة وعلى سودان بن حمران مرة، وأنقطع إلى الغافقي، فشجّه الغافقي فكلمه، وأطاف به خالد بن ملجم وعبد الله بن رزين واشبهاء لهم فصرف لهم القنول فلم يجدهم يُجيبون إلى الوصية...) إلى آخر الحديث الطويل.

ثانياً - روى بعد هذا الحديث خبر عَمَّارٍ في مصر كالآتي:

(قال سيف: عن مبشر وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ من مصر وأبى يسأل، فبلغه فبعثني إليه أدعوه، فقام معي وعليه عمامة وسخة وجبة فراء، فلما دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير فما الذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين والتأليب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا؟ فأهوى عَمَّارُ إلى عمامته وغضب فنزعها وقال: خلعت عثمان كما خلعتُ عمامتي هذه. فقال سعد: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويحك حين كبرت سنك ورقَّ عظمك ونفدت عمرك، خلعت ربة الإسلام من عنقك وخرجت من الدين عرياناً. فقام عَمَّارُ مغضباً مولياً وهو يقول: أعودُ بربي من فتنه سعد. فقال سعد: ألا في الفتنه سقطوا، اللهم زد عثمان بعفوه وحلمه عندك درجات، حتى يخرج عَمَّارُ من

(٤٧) تاريخ الإسلام ١٢٢/٢ - ١٢٨.

الباب . فأقبل عليّ سعد يبكي حتّى أخضل لحيته وقال : من يأمن الفتنة ، يا بُنيّ لا يخرجنّ منك ما سمعت منه فإنّه من الأمانة وإنّي أكره أن يتعلّق به الناس عليه يتناولونه ، وقد قال رسول الله (ص) : الحقّ مع عمار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر ، فقد وله وخرف . ومَن قام على عثمان ، محمّد بن أبي بكر الصديق ، فسأل سالم بن عبد الله في ما قيل عن سبب خروج محمّد ، قال : الغضب والطمع وكان من الإسلام بمكان ، وغرّه أقوام فطمع وكانت له دالة ولزمه حق فأخذه عثمان من ظهره .

ج - روى الطبري^(٤٨) في أخبار سنة ثلاثين أمر أبي ذرّ كالآتي :

(عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ، قال : لما ورد آبن السوداء الشام لقي أبا ذرّ فقال : يا أبا ذرّ ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ، إلا إنّ كلّ شيء لله كأنه يريد أن يحتجبه دون المسلمين ويمحو أسم المسلمين ، فأتاه أبو ذرّ فقال : ما يدعوك إلى أن تُسمّي مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذرّ ، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ، قال : فلا تقله . قال : فإنّي لا أقول إنّه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين . قال : وأتى آبن السوداء أبا الدرداء فقال له : من أنت ؟ أظنك والله يهودياً . فأتى عبادة بن الصامت فتعلّق به فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ . وقام أبو ذرّ بالشام وجعل يقول : يا معشر الأغنياء وأسوأ الفقراء ، بشرّ الذين يَكْبِرُونَ الذّهب والفضّة ولا يُتَبَقُونَهَا في سبيل الله بمكايٍ من نار تُكْوَى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فما زال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء وحتّى شكّا الأغنياء ما يلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إنّ أبا ذرّ قد أعضل بي وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب إليه عثمان : إنّ

(٤٨) تاريخ الطبري ، ط . أوروبا ١ / ٢٨٥٨ - ٢٨٥٩ .

الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها فلم يبق إلا أن تثبت فلا تنكأ القرح وجهز
أبا ذرٍّ إليّ وأبعث معه دليلاً وزوده وأرفق به وكفكف الناس ونفسك ما
أسططعت فإنها تمسك ما آستمسكت، فبعث بأبي ذرٍّ ومعه دليل، فلما قدم
المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب
مذكارة. ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذرٍّ ما لأهل الشام يشكون ذرّبك؟ فأخبره
أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً، فقال: يا أبا ذرٍّ
عليّ أن أقضي ما عليّ وأخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم
إلى الاجتهاد والاقتصاد، قال: فتأذن لي في الخروج؟ فإن المدينة ليست لي
بدار. فقال: أو تستبدل بها إلّا شراً منها، قال: أمرني رسول الله (ص) أن
أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً. قال: فأنفذ بما أمرك به. قال: فخرج حتى
نزل الربرة فخطبها مسجداً وأقطعها عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين
وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابياً، ففعل).

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن

اختلف سيف هذه الاخبار ونظائرها في الدفاع عن الخلفاء الأمويين:
عثمان، ومعاوية، ومروان، والولادة: الوليد، وسعد بن أبي سرح، وغيرهم من
كبراء بني أمية، فراجعت قصصه المختلفة في أخبار تلك الفتن، وانتشرت في
مصادر الدراسات الإسلامية أنتشار النار في الهشيم، كما برهنا على ذلك في أول
الجزء الأول من (عبد الله بن سبأ)، وأثبتنا الصحيح من أخبار تلك الفتن في
فصل (في عصر الصهرين) وفصل (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين
عائشة) الجزء الأول، ونشير في ما يأتي إلى أمثلة من أنواع الاختلاق والتحريف
في روايات سيف السابقة.

الاختلاق والتحريف في روايات سيف الأنفة الذكر

أولاً - أمثلة من الاختلاق في الروايات السابقة:

أ - اختلق سيف رواة الحديث: عطية ومبشر وسهل بن يوسف ويزيد الفقعسي وهذا بيانه:

أمّا عطية، فقد تخيّل سيف: ابن بلال بن أبي بلال، هلال الضبي وأختلق له ابناً سماه الصّعب، وأسند إليهم رواية بعض مختلقاته من الروايات؛ تارة يروي الابن منهم عن أبيه، وتارة يروي عن غيره، وهؤلاء درسناهم وأحصينا الروايات التي أسندوها سيف إليهم في كتابنا (رواة مختلفون)، وقارناً بين بعض ما أسند إليهم سيف من روايات في ترجمة القعقاع الصحابي المخلوق بكتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلف) الجزء الأول، وفي خبر العلّاء الحضرمي بكتابنا (عبد الله بن سبأ) الجزء الأول.

وسهل بن يوسف تخيّل سيف نسبه هكذا: سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري، وقد ترجمناهم وأحصينا روايات سيف عنهم في كتاب (رواة مختلفون) ودرسنا روايات سيف عنهم في ترجمة القعقاع بكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلف).

ومبشر تخيّل: مبشر بن فضيل وقد درسناه ودرسنا رواية سيف عنه في خبر السقيفة بكتابنا (عبد الله بن سبأ) الجزء الأول.

ويزيد الفقعسي: لم نجد له ذكراً في ما بحثنا من كتب الحديث والسير والتاريخ والأدب والأنساب والطبقات وتراجم الرجال عدا خمس روايات لسيف في تاريخ الطبري ورواية واحدة له في تاريخ الإسلام للذهبي، وكأنّ الله لم يخلقه إلا ليروي سيف عنه، ولذلك اعتبرناه من مختلقات سيف من الرواة.

ب - اختلق سيف، الغافقي وغيره، في متون الأحاديث السابقة ونترك

إحصاء ما أختلق فيها والبرهنة عليها، لئلا يطول بنا الكلام .

وأختلق في متون الأحاديث السابقة أيضاً الأخبار الآتية :

أ - قصة عبد الله بن سبأ في تلك الفتن ويكفي لمعرفة ما أختلقه مقارنتها بالأخبار الصحيحة التي أوردناها في فصلي (في عصر الصحيرين) و (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) الجزء الأول .

ب - من ضمن هذه الأخبار المختلفة متابعة الصحابين عمار وأبي ذر لعبد الله بن سبأ الذي تحيله يهودياً من أهل اليمن . . . وألحق بهما في متابعتها عبد الله بن سبأ، صحابة وتابعين آخرين وسمى جميعهم بالسبائية .

ج - اختلق خبر إرسال الخليفة عثمان رجلاً إلى الأمصار لتحقيق ما تصل إليه من الشكاوي، وتحيلهم هكذا : محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعمار بن ياسر إلى مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وأن جميعهم رجعوا يخبرون عن رضا الناس عن ولايتهم ما عدا عمار بن ياسر الذي تبع عبد الله بن سبأ اليهودي وبقي في أرض مصر يفسد فيها .

إختلق سيف جميع تلك الأخبار بتفاصيلها، ولم يرد ذكر شيء منها عند أي واحد من المؤرخين غيره . والخبر الصحيح في ذلك ما ذكرناه في كتاب (أحاديث عائشة) عن أنساب الأشراف للبلاذري وغيره .

د - إختلق خبر أبي ذر مع معاوية وحرفه والروايات الصحيحة في خبره - أيضاً - ما أوردناه في كتاب (أحاديث عائشة) .

هـ - إختلق غيرها مثل المكاتبات التي تحيل أنها جرت بين الخليفة عثمان وعماله وغير ذلك .

ثانياً - أمثلة من التحريف في الروايات السابقة :

أ - تحريف في الأسماء :

حرف اسم عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي وعبد الله بن وهب

السبائي من رؤساء الخوارج في حرب النهروان وسبأهما خالد بن ملجم وعبد الله ابن سبأ كما برهننا على ذلك في فصل (تصحيح وتحريف) من كتاب (عبد الله ابن سبأ) الجزء الثاني.

ب - تحريف في الأخبار، مثل :

تحريفه خبر عبادة بن الصامت ومعاوية . والصحيح منه ما أورده في فصل (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة).

وتحريفه خبر القول بالرجعة وقوله : إنَّ أبين سبأ اخترعه، ويطول بنا البحث عن أدلته في الكتاب والسنة، ونقتصر على إيراد خبر واحد كالآتي :

لما توفي رسول الله (ص) كان الصحابي أبو بكر بمنزله في السنع، وأخذ الصحابي عمر يقول : إنَّ رجلاً من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله توفي . وأنَّ رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل مات، والله ليرجعَنَّ رسول الله^(٤٩).

وتحريفه خبر القول بالوصية ونسبته إلى أبين سبأ اليهودي وقد مر بنا البحث عنها في ما سبق.

وتحريفه رواية رسول الله (ص) في حقِّ عمار بقوله : (الحقُّ مع عمار ما لم تغلب عليه وهمة الكبر) وأنَّ سعداً قال : إنَّ عماراً وله وخرف، بينما قال رسول الله (ص) في حقِّه الحديث الآتي :

عن عبد الله بن مسعود، قال : قال رسول الله :
«إذا اختلف الناس، كان أبين سمية مع الحقِّ»^(٥٠).

(٤٩) راجع تفصيل الخبر في فصل وفاة الرسول (ص) من كتاب (عبد الله بن سبأ)، الجزء الأول.

(٥٠) راجع تاريخ الذهبي ١٧٩/٢ . وتاريخ أبين كثير ٢٧٠/٧ .

وفي طبقات أبين سعد^(٥١): قال الإمام علي في رثاء عمار:
(إنَّ عماراً مع الحقِّ والحقِّ معه، يدور عمار مع الحقِّ أينما دار).
إنَّ سيف بن عمر حرَّف هذه الأحاديث في حقِّ عمار وزاد فيها: (ما لم تغلب عليه ولهة الكبر).

ومن حديث رسول الله في عمار ما رواه أبين هشام في خبر بناء مسجد الرسول (ص) أنَّ رجلاً تعرَّض لعمار، فقال رسول الله (ص):
«ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إنَّ عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فأجتنبوه». روى الحديث أبين هشام ولم يذكر أسم الرجل الذي تعرَّض لعمار. وذكر أبو ذرٍّ في شرح سيرة أبين هشام أنَّ هذا الرجل هو عثمان بن عفان، وتفصيل الخبر بكتاب (أحاديث عائشة)، فصل (في عصر الصهرين).

أمَّا أبو ذرٍّ فقد قال رسول الله (ص) فيه:
«ما أظلت الخضراء وما أفلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذرٍّ»^(٥٢).

مقارنة خبر سيف في الفتن بأخبار غيره
قال الذهبي في تاريخه^(٥٣) في خبر الفتن على عهد عثمان:
(عن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس

(٥١) ط. بيروت ٢٦٢/٣.

(٥٢) سنن أبين ماجة المقدمة، باب ١١ ح ١٥٦. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي ذر (رض). ومسند أحمد ١٦٣/٢ و ١٧٥ و ٢٢٣ و ٣٥١ و ٣٥٦ و ٤٤٢/٦. وطبقات أبين سعد، ط. أوربا ٤/ق ١/١٦٨.

(٥٣) ١٢٢/٢.

شيئاً. وإنه لأحب إليهم من عمر، لأن عمر كان شديداً عليهم. فلما وليهم عثمان لأن لهم ووصلهم، ثم إنه توانى في أمرهم وأستعمل أقباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس مصر أو بخمس أفريقية، وأثر أقباءه بالمال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، وأتخذ الأموال وأستسلف من بيت المال، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسمته في أقربائي. فانكر الناس عليه ذلك.

قلت: ومما نقموا عليه أنه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحاً زاهداً، وجمع الشام لمعاوية، ونزع عمرو بن العاص عن مصر، وأمر ابن أبي سرح عليها، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة وأمر عليها عبد الله بن عامر، ونزع المغيرة بن شعبه^(٥٤) عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص.

وقال: دعا عثمان ناساً من الصحابة فيهم عمار فقال: إني سألكم وأحِبُّ أن تصدقوني. نشدكم الله أن تعلمون أن رسول الله (ص) كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكتوا، فقال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوها^(٥٥).

* * *

لا يتسع المجال لذكر ما فعله الولاة والأمراء من بني أمية في السنوات الست التي ذكرها المؤرخون في مصر والشام والكوفة والبصرة والمدينة، وما جرى بينهم وبين أبرار الصحابة والتابعين، وإنما نقصر على ذكر بعض ما كان من أمر أبي ذر خاصة معهم.

(٥٤) في النسخة: المغيرة بن شعبه خطأ، وإنما نزع سعد بن أبي وقاص.

(٥٥) قال المؤلف: ولكن مفاتيح بيوت أموال المسلمين كانت بيده.

أبو ذرٍّ في موسم الحج بمنى

عن أبي كثير عن أبيه ، (قال : أتيت أبا ذرٍّ وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه ، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال : أُولِمَ تَنْهُ عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال : أَرَقِيبُ أَنْتَ عَلِيٌّ؟ لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَذْتُ كَلِمَةَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَبْلَ أَنْ تَحْجِزُوا عَلَيَّ لِأَنْفَذْتُهَا) (٥٦).

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه وقال :
(قال أبو ذرٍّ : لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَذْتُ كَلِمَةَ سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ (ص) قَبْلَ أَنْ تَحْجِزُوا عَلَيَّ لِأَنْفَذْتُهَا) (٥٧).
وفي شرحه من فتح الباري قال ابن حجر :

(إِنَّ الَّذِي خَاطَبَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالَّذِي نَهَاهُ عَثْمَانُ (رَضِيَ)) (٥٨).
وقال : (وَنَكَرَ) (كَلِمَةً) لِيَشْمَلَ الْقَلِيلَ وَالكَثِيرَ ، وَالْمُرَادُ بِهِ يَبْلُغُ مَا تَحْمِلُهُ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَلَا يَنْتَهِي عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ أَشْرَفَ عَلَى الْقَتْلِ) . انتهى كلام شارح البخاري وفسر في ما قال كلام أبي ذرٍّ بأنه أراد أَنَّهُ سَيُبَلِّغُ مَا سَمِعَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَإِنْ كَانَ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَلَا يَنْتَهِي عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ أَشْرَفَ عَلَى الْقَتْلِ .
وفي تذكرة الحفاظ للذهبي :

(وعلى رأسه فتى من قريش ، فقال : أما هناك أمير المؤمنين عن الفتيا . . .) (٥٩) الحديث .

(٥٦) سنن الدارمي ١/١٣٧ ، وطبقات ابن سعد ٢/٣٥٤ .

(٥٧) كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ١/١٦ .

(٥٨) ١٧٠/١ - ١٧١ .

(٥٩) ١٨/١ .

أبو ذرّ في بيت الله الحرام

في مستدرك الحاكم^(٦٠) بسنده عن حنّس الكناني^(٦١)، قال: سمعت أبا ذرّ يقول وهو آخذ بباب الكعبة:
أيّها النّاس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول الله يقول:

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

أبو ذرّ في مسجد الرسول (ص) وغيره

أورد اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطنة في تاريخه^(٦٢) وقال:
(وبلغ عثمان أنّ أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول الله، ويحتمع إليه النّاس^(٦٣)، فيحدّث بما فيه الطعن عليه. وآنه وقف بباب المسجد فقال:
أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري، أنا جندب بن جنادة الرّبذي ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ مُحَمَّدٌ الصَّفْوَةُ مِنْ نُوْحٍ، فَالْأَوَّلُ^(٦٤) مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَالسَّلَالَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ، وَالْعَتَرَةُ الْهَادِيَةُ مِنْ مُحَمَّدٍ إِنَّهُ شَرَفَ شَرِيفِهِمْ، وَأَسْتَحَقُّوا الْفَضْلَ فِي قَوْمِ هُمْ فِينَا كَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعَةِ وَكَالْكُعْبَةِ

(٦٠) ٣٤٣/٢.

(٦١) حنّس في الإصابة، رجل من غفار.

(٦٢) ١٧١/٢.

(٦٣) يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منى وبباب الكعبة، فإنّه لو كان في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلى أن يُعرّف نفسه لإخوته الذين كانوا يعاشره في المدينة.

(٦٤) في النسخة المطبوعة: (فالأوّل)، خطأ مطبعي.

المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونية أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد، ووارث علمه. آيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها! أما لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله، وأقرتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، وما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف أثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وستة نبيه، فأما إذا فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

وقال اليعقوبي بعده:

(وبلغ عثمان أيضاً أن أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غير ويدل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر، فسره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه . . . الحديث).

وقال اليعقوبي بعد ذلك ما موجه:

(إن معاوية كتب إلى عثمان أنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر، فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطء، فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذه وجرى له مع عثمان ما أدى بعثمان أن ينفه إلى الربرة، وجرى للوليد والي الكوفة مع ابن مسعود نظير ذلك، فجلبه الخليفة إلى المدينة وأمر به، فضرب به الأرض وتوفي على أثر ذلك، وفعل نظير ذلك بعثمان^(٦٥)).

(٦٥) راجع تفصيل أخبارهما بكتاب أحاديث عائشة.

خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان

أطلق الخليفة عثمان يد الولاة من بني أمية على المسلمين وفي بيوت أموالهم، وكلما أشتكى المسلمون إلى الخليفة من ظلم ولائه لم يبال بهم، فناروا عليه وأصبحت بنو تميم عندئذ تعارض عثمان وتطمح بالخلافة لطلحة وآل الزبير للزبير، وكان ما عداهم وما عدا بني أمية جل الأنصار وسائر أصحاب رسول الله (ص) يدعون للإمام علي. وأخيراً قتل الثائرون عثمان ولم ينصره الأنصار وغيرهم، ثم تجمهر المهاجرون والأنصار على الإمام علي فبايعوه وخضع طلحة والزبير للنأي العام وبايعا علياً في مقدمة من بايعه من صحابة رسول الله (ص). ولما قسم الإمام علي بيوت الأموال بالسوية ثارت نائرة الطبقة المتميزة وعلى رأسهم طلحة والزبير، فأجتمعوا مع أم المؤمنين عائشة بمكة، وجمعوا حولهم بني أمية، وأظهروا الطلب بدم عثمان، وساروا إلى البصرة وتغلبوا عليها، وجهازوا جيشاً لقتال الإمام علي، فخرج الإمام من المدينة وألتقى بهم خارج البصرة، وركبت أم المؤمنين عائشة جملأً، وقادت العسكر، وقاتلوا جيش الإمام علي، فقتل في المعركة منهم من قتل وأستسلم الباقون، ففعا عنهم الإمام علي.

هذه خلاصة خبر الفتن في عصر عثمان وببيعة الإمام علي وحرب الجمل بالبصرة، ذكرنا أخبارها ومصادر الأخبار في كتاب (أحاديث عائشة).

نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلقة في الفتن والروايات الصحيحة

روى سيف أن يهودياً من صنعاء اليمن أسعه عبد الله بن سبأ ابن الأمة السوداء تظاهر على عهد عثمان بالإسلام وسار في عواصم البلاد الإسلامية ومدنها: المدينة والشام والكوفة ومصر يدعو إلى القول برجعة الرسول بعد وفاته

وَأَنَّ عَلِيًّا وَصِيَّهُ وَأَنَّ عَثْمَانَ غَاصِبٌ حَقٌّ هَذَا الْوَصِيُّ، فَيَجِبُ الْوُثُوبُ عَلَيْهِ لِإِرْجَاعِ الْحَقِّ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَمَّنْ بِهِ أَبْرَارُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) نَظَرَاءَ أَبِي ذَرٍّ وَعُمَارَ وَحَجَرَ بْنِ عَدِيٍّ إِلَى عَشْرَاتِ أَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ سَبَّاهُمُ بِالسَّبَائِيَّةِ وَأَنَّ أَبْنَ سَبَأَ الْيَهُودِيِّ عَلَّمَ هَؤُلَاءَ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ يَكْتَبُوا فِي عَيْبٍ وَلَا تَعْمَلُوا، وَفَعَلُوا، وَأَنَّ عُمَارًا كَانَ قَدْ خَرَفَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ، وَكَذَلِكَ أَبُو ذَرٍّ، فَأَمْتَلِ السَّبَائِيُّونَ الصَّحَابَةَ وَالْتَّابِعُونَ تَعْلِيمَاتِ أَبْنِ سَبَأٍ، وَجَلَبُوا النَّاسَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَتَلُوا عَثْمَانَ فِي دَارِهِ وَبَايَعُوا عَلِيًّا، وَسَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ لِلطَّلَبِ بِدَمِ عَثْمَانَ، وَسَارَ خَلْفَهُمُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ وَالْتَقَوْا خَارِجَ الْبَصْرَةِ وَتَذَاكُرُوا فِي الصَّلَاحِ وَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى الصَّلَاحِ، فَتَخَوَّفَ السَّبَائِيُّونَ^(٦٦) مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِمْ وَأَنْدَسُوا فِي الْجَيْشِينَ لِيَلْأَوْ تَرَامُوا بِالسَّهَامِ مِنَ الْخَنَابِينَ وَأَثَارُوا الْحَرْبَ بَيْنَ الْجَيْشِينَ، فَقَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ دُونَ أَنْ يَتَنَبَّهُ إِلَى مَكِيدَتِهِمْ مِنَ الْجَيْشِينَ أَحَدٌ، لَمْ يَتَنَبَّهُوا هُمْ وَقَادَتِهِمْ إِلَى مَنْ يَرْمِي السَّهَامَ مَعَ أَنْ رَمَا السَّهَامَ كَانُوا مَنْدُسِينَ بَيْنَ صَفُوفِهِمْ.

قال سيف: هكذا وقعت الحرب وأنتهت بنصرة جيش الإمام علي.

روى سيف هذه الأخبار في مئات من رواياته المختلفة ورواها عَمَّنْ اخْتَلَقَهُمْ مِنَ الرِّوَاةِ مِنْ ضَمْنِهِمْ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِهِمْ فِي الرِّوَايَاتِ السَّابِقَةِ، وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَخْبَارِهَا فِي مَا مَضَى، وَلَمْ يَخَفْ عَلَى فُطَا حُلِّ الْعِلْمِ أَمْثَالُ الطَّبْرِيِّ وَأَبْنِ الْأَثِيرِ وَأَبْنِ عَسَاكِرَ وَأَبْنِ كَثِيرٍ وَأَبْنِ خُلْدُونَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ سَيْفَ بْنَ عَمْرِو مَتَّهَمٌ بِالزُّنْدَقَةِ وَأَنَّ عُلَمَاءَ الرِّجَالِ أَجْمَعُوا عَلَى نَعْتِهِ بِالْكَذِبِ وَلَمْ يَوْثِقَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، بَلْ رَأَيْنَا هَؤُلَاءَ بِنَفْسِهِمْ يَضَعِفُونَ حَدِيثَهُ كَمَا نَقَلْنَا عَنْهُمْ فِي كِتَابِنَا (عَبْدُ

(٦٦) السَّبَائِيُّونَ فِي رَوَايَاتِ سَيْفِ هُمُ عُمَارُ وَحَجَرُ بْنُ عَدِيٍّ وَصَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ وَمُعْتَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَالِكُ الْأَشْجَرِ وَنَظَرَاءُ هُمْ. رَاجِعْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأَ الْحِزْبِ الثَّانِي، فَفَصْلُ (حَقِيقَةُ أَبْنِ سَبَأٍ وَالسَّبَائِيَّةِ).

الله بن سبا)، وكذلك لم تخف عليهم الروايات الصحيحة في تلك الأخبار وإنما كرهوا ذكرها كما نصّوا على ذلك، فكتبتموا الأخبار الصحيحة لما قالوا إنّ العامة لا تحتمل سماعها، وليتهم أكتفوا بكتبان الأخبار الصحيحة في هذا الشأن كما فعلوا بكثير من الأخبار الأخرى ولم ينقلوا الأخبار المكذوبة بدلاً من الأخبار الصحيحة ولم ينشروا الأخبار المختلفة بين الناس مع علمهم بكذبها، فإنهم كانوا يعلمون بكذب ما نسبته سيف إلى عمّار وأبي ذرّ وأبن مسعود وحجر بن عدي إلى عشرات غيرهم من الصحابة والتابعين في ما آفراه عليهم من أنهم اتبعوا يهودياً أمرهم بالإفساد بين المسلمين وإيقاع الفتنة والفساد بينهم حتى قتل بعضهم البعض الآخر وهم لا يدركون ما يعملون! على عقول من صدّق هذه الخرافات، العفا! كيف يصدّقون أنّ الخليفة عثمان لم يتبّه إلى هذا اليهودي على حدّ زعم سيف في إثارة الفتنة! وكيف لم يسأل عمّار وأبو ذرّ الإمام عليّاً عما يدعوا له اليهودي من أنه وصيّ رسول الله (ص)؟! وكيف لم يسأله ربيّه محمد بن أبي بكر عن صدق مزعمة هذا اليهودي!

لست أدري كيف يصدّقون هذه الأكاذيب؟! ولست أزعّم أنّ العلماء صدّقوا بحديث سيف، كلّاً، فإنهم يعلمون كذب ما اختلقه وآفراه وإنما عجبني من عامّة الناس كيف يصدّقون هذه الأساطير الخرافية؟ فإنّ العلماء الذين نشروا أكاذيب سيف كانوا يعلمون كذبه وإنما تقبّلوها لأنّ الزنديق طلالها بطلاء الدفاع عن ذوي السلطة في ما أنشؤوا عليه، مثل ما فعل في ما أنشؤ عليه خالد على قتله مالك بن نويرة ونكاحه زوجته في ليلته، وفي ما رُمي به المغيرة بن شعبه زمان إمارته على البصرة، وفي خبر درء سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وفي خبر الوليد وحدّه على شرب الخمر. إنّ سيف ابن عمر عالج جميع ما أنشؤ عليه هؤلاء وغيرهم من الخلفاء والولاة وذوهم، فلم يهتم كبار العلماء عندئذ أنّ ينشروا ما آفراه هذا الزنديق على أرباب الصحابة

الفقراء، أمثال ابن مسعود وأبي ذرٍّ وعمار تحت غطاء الدفاع عن أولئك، لأنَّ المهمَّ عندهم كتمان ما يعاب عليه الخلفاء والولاة وذوهم عن عامة الناس. وينشر أكاذيب سيف بلعوا غايتهم وبلغ سيف - أيضاً - غايته من تسخيف صحابة النبي الأبرار ونشر الأراجيف السخيفة في التاريخ الإسلامي بدافع الزندقة.

ويظهر من قول الطبري في ذكر سبب قتل عثمان: (فاعرضنا عن ذكر كثير منها لعل لدعت إلى الإعراض عنها)^(٦٧) أنَّ العلل التي دعت إلى كتمان الأخبار الصحيحة، هي كتمان الأخبار التي تعاب بها سلطة الخلافة عن عامة الناس، كما سبق لنا أن نقلنا منه أنَّه قال: (مما لا يتحمَّله عامة الناس).

وخلاصة القول: إنَّهم في هذا الصنف من الكتمان، يحرفون حديث الرسول (ص) وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه وأخبارهم الصحيحة ويبدِّلونها بأخبار مختلفة، كما فعل سيف ذلك بدافع زندقته. وأنَّ العلماء يروِّجون هذه الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة مع علمهم بأنَّها غير صحيحة لما يجدون فيها دفاعاً عن السلطة الحاكمة وذوهم من خلفاء وولاة وأمراء!!! وهذا النوع من الكتمان غير قليل عند علماء مدرسة الخلفاء.

خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء

قد رأينا العلماء بمدرسة الخلفاء مجمعين على كتمان كلِّ رواية أو خبر يسبب توجيه النقد إلى ذوي السلطة في صدر الإسلام، وولاتهم وذوهم، محتجِّين في ذلك بأنَّ أولئك كانوا من صحابة الرسول (ص). ولا يصحَّ ذكر ما يسبب انتقادهم، بينما هم نشروا من الروايات المكذوبة ما فيه طعن على أبرار صحابة رسول الله (ص) الفقراء أمثال عمار وأبي ذرٍّ وابن مسعود.

(٦٧) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/٢٩٨٠.

وفي سبيل الدفاع عن ذوي السلطة، تارة يكتمون كل الرواية والخبر، وأحياناً يحذفون من الخبر والرواية بعضها الذي يُوجّه النقد إلى ذوي السلطة بسببها، ويأتون بباقي الرواية مما لا يوجب النقد عليهم، وتارة أخرى يبدّلون من الرواية والخبر ما يسبب النقد على الولاة بكلمة مبهمّة لا يفهم منها شيء من المراد، وأخرى يُحرّف بعضهم الخبر والرواية بأنواع التحريف حتى يبلغ الأمر أن يجعل الحلّيم البار ظالماً سفيهاً، والظالم المتعنت باراً حليماً؛ أي يبدّل الشيء إلى نقيضه تماماً ثمّ يتسابق الآخرون إلى نشر ذلك الخبر المحرّف والرواية المختلفة وتوثيقها وإشاعتها في المجتمعات الإسلامية بَدَل الخبر الصحيح والرواية الصحيحة التي تُسبّب النقد على الحكّام والأمراء، ويتسابقون كذلك ويتعاونون في تضعيف الرواية التي تُسبّب النقد لذوي السلطة والطعن على رايها وعلى مؤلّف الكتاب الذي أورد الرواية فيه بأنواع الطعون والتضعيف والتسخيف، وإنّ لم يستطيعوا كلّ ذلك أولوا تلك الرواية والخبر إلى ما فيه مصلحة ذوي السلطة ويبدّل النقد الموجه إليهم إلى مدحهم وإثناء عليهم.

ويحترمون من ألّزم هذا الاتجاه ويحلّونه على قدر ألّزاه الأسلوب المذكور، يوثقون الراوي الملتزم بذلك ويصفون خبره بالصحيح، ويصفون تأليف المؤلف الملتزم بهذا النهج بالوثاقة والصحة على قدر ألّزامها المسلك المتفق عليه، ويشهرونها ويذكرونها بكلّ تجلّة واحترام. ومن ثمّ اشتهرت سيرة ابن هشام في مدرسة الخلفاء ومن تابعهم بالوثاقة لالتزامه ما اتفقوا عليه، وأهمّلت سيرة ابن إسحاق لعدم التزام الأسلوب المقبول عندهم، وتركوا تدارسها واستنساخها حتّى أدّى ذلك إلى فقدان سيرة ابن إسحاق في حين أنّ ابن هشام أخذ جميع ما حوته سيرته من سيرة ابن إسحاق مع إسقاط (ما يسوء الناس ذكره) من سيرة ابن إسحاق بحسب تعبيره.

ومن ثمّ - أيضاً - أصبح تاريخ الطبري أوثق مصادر التاريخ الإسلامي

وأكثرها شهرة وأعتباراً وأصبح مؤلفه الطبري إمام المؤرخين بمدرسة الخلفاء،
لأنه بآتباعه المنهج المذكور بث روايات سيف التي كان يعلم كذبها ومخالفتها
للحق والواقع التاريخي في أخبار عصر الصحابة أو بالأحرى الخلفاء الأوائل،
ثم تهافت العلماء على أخذ ما جاء منها في تاريخ الطبري ونشرها في مصادر
الدراسات الإسلامية وأهملوا الأخبار الصحيحة في مقابلها حتى نسيت وفُقدت
من المجتمعات الإسلامية.

ومن ثم - أيضاً - أصبح البخاري إمام المحدثين بمدرسة الخلفاء . وأصبح
صحيحه أصح كتاب بعد كتاب الله عندهم ، وأصبحت الأحاديث الصحيحة
في غير صحيحه أو صحيح مسلم غير معتبرة .

منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية

إذا أعمنا النظر في بحوثنا السابقة وما يأتي في بحوث آجتهادات الخلفاء من
الجزء الثاني لهذا الكتاب، عرفنا منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات
الإسلامية، فقد وجدنا في الموردين أحاديث وُضعت موافقة لسياسة السلطات
الحاكمة ومصلحتها، مقابل الروايات الصحيحة التي كانت تخالف سياستهم
ومصلحتهم، ومن ثم أنكشف لنا ميزان ثابت لتمييز الحديث القوي من
الضعيف، فإن الضعيف من الأحاديث المتعارضة في صحيح البخاري في شأن
البكاء على الميت - مثلاً - ما وافق سياسة السلطة الحاكمة التي تنهى عن البكاء
على الميت وتنسب النهي إلى الرسول (ص)، والحديث القوي ما خالفها مثل
حديث أم المؤمنين عائشة وحديث غيرها التي أُنشرت عن جواز البكاء على الميت
وأنه من سنة الرسول (ص). وكذلك الضعيف في حديثي أم المؤمنين عائشة
المتعارضين في بيان من كان إلى جنب رسول الله (ص) في آخر ساعات حياته
ما فيه: (متى أوصى إليه وقد آنخت ومات في صدري)، والقوي منها حديثها

الآخر الذي جاء فيه أنَّ الإمام عليّاً كان إلى جنب الرسول في آخر ساعات حياته لموافقة الأول منها لرغبات الحُكَّام ومخالفة الثاني لسياستهم .

هذا هو الميزان الثابت لمعرفة القويِّ من الضعيف في أحاديث سنة الرسول (ص) وسيرة الصحابة والتابعين وسيرة الأنبياء السابقين والأحكام التي اجتهد فيها الخلفاء وفقاً لرأيهم وأماها .

نتيجة البحوث وحقيقة الأمر

يرى الباحث المتتبع أنَّ الميزان الثابت لمعرفة الحقِّ من الباطل بمدرسة الخلفاء إنما هو مصلحة ذوي السلطة، وأنَّ كلَّ رواية أو خبر يوجّه النِّقد لهم أو يَشِينهم فهو ضعيف وغير صحيح وباطل، وكلَّ كتاب وكلَّ راوٍ أو مؤلِّف يروي شيئاً من ذلك فهو ضعيف وغير ثقة، ويُرْمى بأنواع الطعون، وإذا جاء الحديث أو الخبر من راوٍ لا يستطيعون الطعن عليه وعلى مؤلِّف الكتاب، فإنَّهم حينئذٍ يُؤوَّلون الحديث إلى ما يرغبون فيه . ومن جهة أخرى كلُّ مؤلِّف أو راوٍ يذكر مناقب ذوي السلطة ويترك ما يوجّه النِّقد إليهم، فهو ثقة وصدوق، فإذا استطاع أنَّ يُدافع عنهم في ما يروي ويؤلِّف، فهو الثقة المأمون المصدق، وتنتشر رواياته في الكتب وتذاع . ومن هذا الباب الواسع أدخل سيف الزنديق في سنة رسول الله (ص) وسيرته وحديثه بمقتضى زندقته ما شاء، ولذلك - أيضاً - أنتشرت رواياته في أكثر من سبعين مصدراً من مصادر الدراسات الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً .

إنَّ سيف بن عمر أدخل في سنة رسول الله (ص) حديثاً وسيرة ما آخذه ودرسه في أبواب «رسل النبي (ص)» و«عمال رسول الله (ص)» و«الوافدون على رسول الله (ص)» و«ريب رسول الله (ص)» من كتاب (خمسون ومائة صحابيٍّ مختلف) وكتابنا (رواة مختلفون) وقد مرَّ بنا في ما سبق كيف حرَّف سيف

حديث رسول الله (ص) في حق عمّار.

كان هذا رأينا في سيف ونظائره مثل أبي الحسن البكري مؤلف كتاب «الأنوار» الذي أدخل أحاديث خرافية في كتاب: سيرة النبي (ص) المختار وغيره من كتبه، ومثل كعب الأحبار الذي أدخل الإسرائيليات في مصادر الدراسات الإسلامية، وقد درسنا أخبارهم وآثارهم في سلسلة (أثر الأئمة في إحياء السنة). كان هذا شأن هؤلاء عندنا.

أما البخاري وصحيحه، وأبن هشام وسيرته، والطبري وتاريخه، وأمثاله من العلماء الذين ناقشنا أسلوبهم، فلهم عندنا شأن آخر فإنهم وإن كانوا يتقنون في شيء من أسلوبهم، فإنهم مع ذلك قد ذكروا في كتبهم الكثير من سنة رسول الله (ص) الصحيحة سيرة وحديثاً مما نعتمدها ونروىها عنهم، وكذلك دأب علماء مدرسة أهل البيت مع من يرون خطأ في عمله العلمي، فإنهم عندئذ يتقنون أسلوبه أشدّ الانتقاد رغم أنهم يُجلّونه ويحترمونه ويأخذون منه غير الذي أنتقدوه فيه، وهذا معنى عدم تقليدهم لمن تقدّمهم من العلماء لا في الأحكام الفقهية ولا في دراية الحديث، إنّ علماء مدرسة أهل البيت يُضعفون الحديث الضعيف في أصول الكافي وصحيح البخاري معاً، ويأخذون - أيضاً - الحديث الصحيح من كليهما، وإنّ المجلسي الكبير (ت: ١١١١هـ) عندما شرح كتاب الكافي في كتابه مرآة العقول نبّه فيه على آلاف الأحاديث الضعيفة الواردة في أبواب كتاب الكافي، وهو أشهر كتاب حديث في مدرسة أهل البيت، وهذا الأمر بمدرسة أهل البيت مخالف لما عليه أتباع مدرسة الخلفاء الذين يرون لصحيح البخاري ما يرونه لكتاب الله، ويعتقدون أنّه ليس فيه حديث غير صحيح، بل يرون أكثر من ذلك حيث يرون صحّة ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من سنة الرسول (ص) مما لم يرد في كتاب الله، ويصعب عليهم أن يتقبلوا صحّة سنة الرسول (ص) التي جاءت في غير

صحيح مسلم والبخاري ، والكتب الأربعة الأخرى التي سميت جميعها
بالصحيح الستة . على أن الكثير من حفظة الحديث بمدرسة الخلفاء غير أولئك
الذين ذكرناهم ألقوا في الحديث : الصحيح والمسانيد والسنن والمصنفات
والزوائد وغيرها أمثال :

صحيح ابن خزيمة (ت : ٣١١هـ) .

صحيح ابن حبان (ت : ٣٥٤هـ) .

الصحيح المأثورة عن رسول الله (ص) للحافظ أبي علي ابن السكن (ت :

٣٥٣هـ) .

مسند الطيالسي (ت : ٢٠٤هـ) .

مسند أحمد (ت : ٢٤١هـ) .

سنن البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) .

السنن لأبي بكر الشافعي (ت : ٣٤٧هـ) .

المعاجم الثلاثة للطبراني (ت : ٣٦٠هـ) .

المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ت : ٢١١هـ) .

مصنف ابن أبي شيبة (ت : ٢٣٥هـ) .

مجمع الزوائد للهيثمي (ت : ٨٠٧هـ) .

المستدرک للحاكم (ت : ٤٠٥هـ) .

وعشرات الموسوعات الحديثية الأخرى لمحدثين آخرين .

وفي سيرة النبي والصحابة والفتوح ألف أمثال :

خليفة بن خياط (ت : ٢٤٠هـ) الطبقات والتاريخ .

البلاذري (ت : ٢٧٩هـ) فتوح البلدان وأنساب الأشراف .

المسعودي (ت : ٣٤٥هـ) التنبيه والإشراف ومروج الذهب .

الواقدي (ت : ٢٠٧هـ) المغازي .

ابن سعد (ت : ٢٣٠هـ) الطبقات .

وعشرات المؤلفات المعتمدة الأخرى لمؤلفين آخرين .

لماذا اختص بالاهتمام الصحاح السنة في الحديث إلى حد إهمال غيرها، وفي السير والمغازي : سيرة ابن هشام، وفي التاريخ : تاريخ الطبري، مع عدم العناية بغيرهما .

وخلاصة القول : إن علماء مدرسة الخلفاء يوجه إليهم النقد في عملهم العلمي لأمرين :

أولاً - إنهم يكتمون من سنة رسول الله (ص) سيرة وحديثاً ومن سائر الأخبار ما يخالف سياسة السلطات الحاكمة مدى القرون سواء أكان ذلك مما يخص سيرة الأنبياء السلف أو سيرة خاتم الأنبياء وأهل بيته وصحابته، أو في العقائد الإسلامية أو تفسير القرآن، كما شاهدنا ذلك من الطبري وابن كثير في تفسير آية : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ في كتبهم لفظ (ووصي وخليفة) في حق الإمام علي وتبديلها بـ (كذا وكذا)، وكذلك فعلوا بالنصوص التي تبين سنة الرسول (ص) في الأحكام الإسلامية التي تخالف أجهادات الخلفاء، كما سيأتي بيانه في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى .

ثانياً - لا ينبغي للمسلمين في هذا اليوم وهم على أبواب نهضة إسلامية شاملة أن يبقوا على تقليد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه ولا على تقليد أصحاب الصحاح السنة في تصحيح الحديث وتضعيفه وخاصة البخاري ومسلم، وكذلك في الأحكام الإسلامية التي أجتهد الخلفاء فيها في مقابل نصوص سنة رسول الله (ص) بحسب ما رأوه من المصلحة في عصرهم، بل ينبغي أن يبحثوا عن سنة رسول الله (ص) الصحيحة ويظهروا ما أخفي منها بمقتضى سياسة الخلفاء مدى القرون، ثم يجاهدوا في سبيل الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين

والعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) الصحيحة، وبذلك يتيسر توحيد كلمة المسلمين حول كتاب الله وسنة رسوله (ص) المجمع عليها وما ذلك من لطف الله على المسلمين ببعيد.

عود على بدء في بحث الوصية

لما كانت النصوص الدالة على حق الإمام علي في الحكم بعد النبي (ص) وحق الأئمة من ولده فيها من أهم ما يوجه النقد لمن ولي الحكم بعدهم، لم يأل العلماء بمدرسة الخلفاء جهداً في كتمان تلكم النصوص، وكان من أهمها بحث علماء أهل الكتاب بعد وفاة رسول الله (ص) عن وصية وأقوالهم فيه، مثل خبر الرازيين الذين مرّ عليهما الإمام علي في طريق صفين، بينما حفظ نظير تلك الأخبار علماء مدرسة أهل البيت في كتبهم^(٦٨)، مثل خبر مجي يهوديين في عصر أبي بكر وسؤالهما عن وصي النبي وبعد أن أشار الناس إلى أبي بكر، ولم يجدا أجوبة أسألتهما عنده، أرسلوا إلى الإمام علي، فحضر وأجاب عن أسألتهما، فقالا: أنت وصي خاتم الأنبياء، وأسلمنا. وخبر آخرين من أهل الكتاب جاؤوا على عهد عمر وجرى لهم مع عمر وعلي مثل ما سبق ذكره على عهد أبي بكر، وقد مرّ بنا في ما سبق سؤال كعب الأحبار من الخليفة عمر عن أشياء من أحوال رسول الله (ص) وإحالة عمر إياه إلى علي بن أبي طالب، واستمرت أمثال هذه المراجعات من أهل الكتاب وإسلامهم إلى عصور متأخرة، فقد قال ابن كثير في تاريخه^(٦٩) بعد ما نقل من التوراة: أن الله بشر إبراهيم بإسماعيل وأنه ينميه ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً، ونقل عن ابن تيمية أنه قال: (وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا).

(٦٨) راجع أخبارهم في البحار، ط. طهران، الثانية ١٠/١٠ - ٥٠.

(٦٩) ٢٥٠/٦.

قال : وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود ، فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فأتبعوهم) .

يا ترى ما هي أخبار الكثير من اليهود الذين تشرفوا بالإسلام وأتبعوا الرافضة .

إن العلماء أرتأوا ما قاله الطبري : (لا يحتمل سماعها العامة) فأسقطوا أخبار أهل الكتاب الذين أسلموا وأتبعوا الرافضة جملة وتفصيلا .

عدد الأخبار والروايات والنصوص التي أسقطوها

إذا قارنا ما رواه ابن كثير في تاريخه من الحديث عن رسول الله (ص) في أمر الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي (ع) في النهروان والذي بلغ سبع عشرة صفحة من كتابه مع النور اليسير من روايات رسول الله (ص) التي بقيت في الكتب في أمر الجمل وصفين أو غيرهما مما فيه فضيلة للإمام علي ، يمكننا أن نغذر عظم الخسارة في ما أخفي عن الناس من حديث رسول الله (ص) وإنما أبقوا الروايات التي جاءت في شأن الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي ، لأن الخوارج أستمروا خروجهم على السلطة بعد الإمام علي أيضاً ، وكان في نشر تلكم الأحاديث مصلحة للسلطة ، فرووها في جميع كتب الأحاديث وبقيت سائلة إلى يومنا هذا .

ومن أحاديث الرسول (ص) التي كانت تخالف سياسة مدرسة الخلفاء وسعوا في كتبها . أحاديث الرسول (ص) في حق الإمام علي بأنه وصيه ، وكذلك فعلوا بما جاء في شأنه في شعر الصحابة أو نثرهم ، كما رأينا أم المؤمنين عائشة أنكرت الوصية ، وناقشنا الخبر الذي روي عنها في ذلك ؛ وكذلك رأينا : أ - حذف بعضهم من الكلام ما فيه ذكر الوصية دون أن يشير إلى ذلك ، كما فعلوه مع قصيدة النعمان بن عجلان الأنصاري .

ب - حذف بعضهم بعض الخبر مع الإبهام في القول، كما فعله الطبري، وأبن كثير في تفسيريهما بلفظ (وصي وخليفتي) في حديث رسول الله (ص).

ج - حذف بعضهم من الخبر لفظ الوصية وحرّف الخبر كما فعله ابن كثير مع خطبة الإمام الحسين (ع).

د - حذف بعضهم تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع الإشارة إليه، كما فعل ذلك الطبري وأبن الأثير وأبن كثير مع كتاب محمد بن أبي بكر.

هـ - حذف بعضهم تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع عدم الإشارة إليه كما فعله ذلك ابن هشام في خبر دعوة الرسول (ص) لبني هاشم لما فيه قوله في علي: «وصي وخليفتي فيكم».

و - أول بعضهم معنى الوصية، كما فعل ذلك الطبراني في حديث الرسول (ص) وأبن أبي الحديد في كلام الإمام علي.

ز - غفل بعضهم عنها وأثبتها في كتاب له، وحذفها وأبدلها بقول مبهم في كتاب آخر له، كما فعله الطبري في تاريخه وتفسيره.

ح - أثبتها بعضهم في الطبعة الأولى من كتابه، وحذفها في الطبعة الثانية منها، كما فعله محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد (ص).

ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ آله في الحكم

كُنّا في صدد إيراد النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في حقّ الأئمة من آل الرسول (ص) وكان لابدّ لنا في هذا السبيل من تقديم البحوث السابقة ليعرف أنّ النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّهم مُنبتّة بأنواع من الكتمان الذي ذكرناه لأنّها كانت مخالفة لسياسة الخلفاء مدى القرون، ولم يبق منها في كتب مدرسة الخلفاء سوى النزر اليسير التي غفل العلماء عنها وذكروها في كتبهم ووفقنا الله تعالى للعثور عليها، وها نحن نذكرها في ما يأتي بحوله تعالى، مضافاً إلى ما سبق إirاده من النصوص.

تعيين الوصيّ بالفاظ مختلفة

ذكرنا في تعريف الوصيّ والوصيّة في بحث المصطلحات أنّ تعيين الوصيّ يكون تارة بلفظ الوصيّة ومشتقاتها، مثل أن يقول الموصي لوصيّهِ : أوصيك بعدي بكذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّهِ : أطلب منك أن تفعل كذا وكذا، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بذلك فإنّه يقول تارة - مثلاً - : عهدت إلى فلان، أو أوكلت إليه بأمر كذا وكذا. وقلنا: أنّ جميع هذه الألفاظ ونظائرها تدلّ على أنّ الشخص القائل أوصى إلى الشخص الثاني بها أهمّة، بعده. وكذلك شأن رسول الله (ص) في تعيين وصيّهِ من بعده.

ومن تلکم الألفاظ، ما جاء في اتّخاذ الرسول (ص) أبين عمّه وزيراً له،
كما يرد في بحث وزير النبي الآتي :

وزير النبي (ص)

أ - في القرآن الكريم مع بيانه من سنّة الرسول :
سيأتي إن شاء الله قول الرسول (ص) للإمام عليّ :
«أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ؟» .

وقد ذكر الله منزلة هارون من موسى في ما حكاه من أمرهما ؛ قال سبحانه
في ما حكاه من طلب موسى من ربّه :
﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي، أَشَدُّ بِهِ أَزْوَاجاً﴾ طه / ٢٩ -
٣١ .

وقال سبحانه في استجابة طلبه :
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾
الفرقان / ٣٥ .

ب - متى اتّخذ الرسول (ص) عليّاً وزيراً ؟
يوم دعا رسول الله (ص) بني عبد المطلب وقال لهم : «أيكم يؤازرنى على
هذا الأمر . . . » وأجابه من بينهم الإمام علي وحده، اتّخذ رسول الله (ص)
يومئذ وزيراً في أمره .

وروت أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول:
«اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِى» ، دعا رسول الله (ص) ربّه وقال :
«اللّهُمَّ إِنِّى أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي مُوسَى : اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِى

أخي علياً، أشدد به أزرى»^(١).

وتفسير آية ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ من تفسير السيوطي :
لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ربه وقال : «اللهم أشدد أزرى بأخي
علي» فأجابه إلى ذلك .

وروى ابن عمر عن رسول الله (ص) أنه قال للإمام علي :
«أنت أخي ووزير ديني وتنجز موعدتي . . . » إلى آخر الحديث في
فضل الإمام علي^(٢).

وأثبت رسول الله (ص) للإمام علي (ع) بقوله له : «أنت مني بمنزلة
هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» جميع ما كان لهارون من موسى عدا
النِّبوة وفي مقدمة ما كان لهارون أنه كان وزير موسى ، وسيأتي ذكر مصادره .
وفي نهج البلاغة^(٣) : أن رسول الله (ص) قال للإمام علي :
«ولكنك وزير» .

وجاء في ما نظم على لسان الأشعث في جوابه لكتاب الإمام علي إليه :
«وزير النبي وذو صهره . . . » .
يتضح جلياً من قول الرسول (ص) لابن عمه : أنت أخي ووزير ،
تقضي ديني وتنجز موعدتي ، أنه عينه وصياً من بعده .
وكذلك الأمر في قوله : خليفتي ، الآتي :

خليفة النبي (ص)

ذكرنا في باب من أستخلف النبي (ص) على المدينة في غزواته عن

١) الرياض النضرة ١٦٣/٢ ، عن مناقب أحمد بن حنبل .

٢) معجم الزوائد ١٢١/٩ . وكتر العيال ، ط . الأولى ١٥٥/٦ ، عن الطبراني .

٣) الخطبة ١٩٠ .

صحيح البخاري، باب غزوة تبوك: أن رسول الله (ص) لما خرج إلى تبوك وأستخلف علياً، فقال: أَخْلَفِي فِي النَّصِيبِ وَالنِّسَاءِ^١ قال: «ألا ترعى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي».

وقد حكى الله عن خير هارون في ذلك وقال: «وقال موسى لأخيه هارون أَخْلَفِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ...» (الأعراف/١٤٢). وفي لفظ إحدى روايتي أحمد بن حنبل بمسنده^٢ عن حبر دعوة الرسول (ص) بني عبد المطلب جاء قول الرسول (ص) في حق علي: «وخليفتي».



هذا ما أمكننا إبراده في الوصي والوزير والخليفة في هذه العجالة. وفي ما يأتي ما تبقى من النصوص بعد الكتابان بمدرسة الخلفاء. ومنها قوله (ص) في حق ابن عمه، أنه ولي المسلمين بعده، كما يأتي:

ولي المسلمين بعد الرسول (ص)
نص رسول الله (ص) على أن الإمام علياً ولي أمر المسلمين في أماكن متعددة، منها ما في الأحاديث الآتية.

أولاً - حديث الشكوى

في مسند أحمد وخصائص النسائي، ومستدرک الحاكم، وغيرها، واللفظ للأول:

(عن بريدة، قال: بعث رسول الله (ص) بعثين إلى اليمن، علي أحدهما

عليّ بن أبي طالب (ع)، وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعليّ على الناس، وإن آفرقتما فكلّ واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فأقتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسينا الذرية، فأصطفى عليّ (ع) امرأة من السبي لنفسه. قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك، فلما أتيت النبي (ص) رفعت الكتاب فقرأ عليه فראيت الغضب في وجه رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائد، بعثني مع رجل وأمرني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله (ص):

«لا تقع في عليّ، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»^(٥).

وفي رواية:

(فقلت: يا رسول الله، بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً. قال: فما فارقتك حتى بايعته على الإسلام)^(٦).

وفي صحيح الترمذي، ومسندي أحمد والطيالسي، وغيرها، واللفظ للأول، عن عمران بن حصين:

(إن أربعة من أصحاب رسول الله (ص) تعاقدوا - في هذه الغزوة - أن يشكوا عليّاً إذا لقوا رسول الله (ص). فلما قدموا عليه، قام أحدهم فقال: يا

(٥) مسند أحمد ٣٥٦/٥، وخصائص النسائي ص ٢٤، باختلاف يسير. ومستدرک الصحيحين ١١٠/٣ مع اختلاف في اللفظ. ومجمع الزوائد ١٢٧/٩. وفي كنز العمال ٢٠٧/١٢ مختصراً عن أبي شيبة، وفي ٢١٠/١٢ منه عن الديلمي، وراجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦.

(٦) مسند أحمد ٣٥٠/٥ و٣٥٨/٣٦١. ومجمع الزوائد ١٢٨/٩، عن الطبراني في الأوسط عن بريدة ولفظه: «من كنت وليه فعليّ وليه».

رسول الله، ألم تَر إلى عبي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله (ص).

وفعل الثاني منهم والثالث والرابع مثل أولهم، وفي كل مرة يعرض الرسول عن الشاكي. قال:

فأقبل رسول الله (ص) والغضب يعرف في وجهه، فقال:

«ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! إنَّ علياً مني وأنا منه، إنَّ علياً مني وأنا منه. وهو ولي كلِّ مؤمن بعدي»^(٧).

شكوى ثانية

في أسد الغابة، ومجمع الزوائد، وغيرهما واللفظ للأول:

(عن وهب بن حمزة: صحبت علياً (رض) من المدينة إلى مكة فرأيت منه بعض ما أكره فقلت: لئن رجعت إلى رسول الله (ص) لأشكونك إليه. فلما قدمت لقيت رسول الله (ص) فقلت: رأيت من علي كذا وكذا. فقال: «لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي»^(٨)).

زمان الشكوى

ذكر المؤرخون وكتاب السير خرجتين للإمام علي إلى اليمن، ونراها ثلاث خرجات كما يأتي بينها إن شاء الله تعالى في باب الاجتهاد، وعلى كلا التقديرين، فإن آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الإمام برسول الله (ص) في حجة الوداع قبل يوم التروية. والشكوى المذكورة في

(٧) سنن الترمذي ١٣/١٦٥ باب مناقب علي بن أبي طالب. ومسنند أحمد ٤/٤٣٧. ومسنند الطيالسي ٣/١١١ ح ٨٢٩. ومستدرک الخاتم ٣/١١٠. وخصائص النسائي ص: ١٦ و١٩، وحلبه أبي نعيم ٦/٢٩٤. والرياض النضرة ٢/١٧١. وكنز العمال ١٢/٢٠٧ و١٥/١٢٥.
(٨) أسد الغابة ٥/٩٤. ومجمع الزوائد ٩/١٠٩.

خروجاته لليمن إن كانت قدّمت لرسول الله (ص) مرتين فإن أولاهما وقعت في المدينة قبل العام العاشر، والثانية في مكة وبعد وصول صحب الإمام إلى النبي (ص) قبل يوم التروية، حيث وصلوا مكة قبل أيام الحج.

وعلى هذا، فقد توهم من العلماء من قال: إن قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى، وذلك لأن قصة الغدير وقعت بعد الحج، وفي الجحفة وبمحضر من جماهير المسلمين، وحديث الرسول (ص) هنا كان مع الشاكين خاصة وفي نفس المجلس وبعد إظهارهم الشكوى مباشرة.

أما الشكوى الثانية، فصريح الحديث أنها كانت بعد رجوعهما إلى المدينة.

ثانياً - نصوص أخرى لم يعين زمانها

عن ابن عباس:

«إن النبي قال لعلي: أنت ولي كل مؤمن بعدي»^(٩).

وعن علي:

أن النبي قال له: «إنك ولي المؤمنين بعدي»^(١٠).

(٩) مستند الطيالسي ٣٦٠/١١ ح ٢٧٥٢. والرياض النضرة ٢٠٣/٢.

(١٠) تاريخ بغداد للمخطيب ٢٣٩/٤. وكنز العمال ١١٤/١٥ و٢٢١/١٢.

الاحتفال بتنصيب الإمام عليٍّ ولياً للعهد بعد الرسول (ص) ووصياً على الإسلام والمسلمين

إحتفال عظيم يقيمه الرسول (ص) لتعيين وليّ عهده من بعده ووصيه على الإسلام والمسلمين، فقد روى الحاكم الحسكاني:

(عن ابن عباس وجابر قالا: أمر الله محمداً (ص) أن ينصب علياً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوّف رسول الله (ص) أن يقولوا حابئ أبي عمه، وأن يطلعوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ المائدة/ ٦٧. فقال رسول الله (ص) بولايته يوم غدِير خَمْ).^(١)

وروى عن زياد بن المنذر أنه كان يقول:

(كنت عند أبي جعفر محمد بن عليٍّ (ع) وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا ابن رسول الله، جعلني الله فداك، إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

(١) الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني. الخفاء الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. الهند ١٤/ ٣٩٠، وط. مصر ٣/ ١٢٠٠، بآخر الطبعة ١٤. وقد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط. بيروت عام ١٣٩٣ هـ. والحديث في ١/ ١٩٢ ورقم الحديث ٢٤٩.

رَبِّكَ . . . ﴿١٢﴾ . فقال : لو أراد أن يخبر به لأخبر به ، ولكنه يخاف . إن جبرئيل هبط إلى النبي (ص) - إلى قوله : - فقال : إن الله يأمرك أن تدلّ أمتك على وليهم على مثل ما دلتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ، ليلزمهم الحجة من جميع ذلك ، فقال رسول الله (ص) : يا ربّ إن قومي قريبو عهد بالجاهليّة ، وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل إلّا وقد وتره وليهم ، وإنّي أخاف - أي من تكذيبهم - . فأنزل الله تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته - يريد فما بلغت أمانة - والله يعصمك من الناس﴾ فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد عليّ . . . ﴿١٣﴾ .

وروى الحاكم الحسكاني :

عن ابن عباس في حديث المعراج ، أن الله عزّ اسمه قال لنبيه في ما قال : «وإنّي لم أبعث نبياً إلّا وجعلت له وزيراً ، وإنك رسول الله (ص) وإنّ عليّاً وزيرك» .

قال ابن عباس : [فهبط] ﴿١٣﴾ رسول الله (ص) فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهليّة - إلى قوله : - فأحتمل رسول الله حتّى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك . . .﴾ - إلى قوله : - فقال :

«يا أيها الناس ، إنّ الله أرسلني إليكم برسالة ، وإنّي ضقت بها ذرعاً ، مخافة أن تتهموني وتكذبوني ، حتّى عاتبني ربّي فيها بوعيد أنزله عليّ . . . ﴿١٤﴾» .
وروى الحسكاني وأبن عساكر :

(١٢) شواهد التنزيل ١/ ١٩١ ، وراجع تفسير الآية في أسباب النزول للواحدي ، ونزول القرآن لأبي نعيم .
(١٣) كذا جاءت .

(١٤) شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ١٩٢ - ١٩٣ ، وفي ص ١٨٩ منه نزول الآية فقط .

عن أبي هريرة: أنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ - فِي عِلِّيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ (١٥).
قصد أبو هريرة أنَّ المقصود أن يبلِّغ ما نزل في علي.
روى الحسكاني:

(عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾ ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال: «أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ...» (١٦).
وروى الواحدى في أسباب النزول والسيوطى في الدر المنثور عن أبي سعيد الخدرى قال:

نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب:
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ (١٧).
وفي تفسير السيوطى:

(عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنَّنِى عَلِيٌّ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

١٥) شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ١٨٧، ورواها ابن عساكر بترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.

١٦) الحسكاني ١/ ١٩٠.

وعبد الله بن أبي أوفى: علقمة بن خالد الخارث الأسلمي. صحابي شهد اخديبية، وعمر بعد النبي (ص)، مات سنة ست أو سبع وثلاثين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ١/ ٤٠٢. وأسند الغاية ١٢١/٣.

١٧) أسباب النزول ص: ١٣٥. والدر المنثور ٢/ ٢٩٨، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من شواهد التنزيل، وراجع فتح القدير ٢/ ٥٧، وتفسير النيسابوري ٦/ ١٩٤.

الواحدى، هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، ورجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط. بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

رسالته . . . (١٨).

قصد ابن مسعود أنهم كانوا على عهد رسول الله يقرأون في تفسير الآية هكذا.

وكان نزول هذه الآية في غدير خم، وفي ما يلي تفصيل الخبر.

خبر يوم الغدير

لما صدر رسول الله من حجة الوداع^(١٩) نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة^(٢٠) آية ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ . . .﴾^(٢١). فنزل غدير خم من الجحفة^(٢٢) وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام^(٢٣) ووقف هناك حتى لحقه من بعده وردّ من كان تقدّم^(٢٤) ونهى أصحابه عن سمرة متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهم، ثم بعث إليهم فقمّ ما تحتهم من الشوك^(٢٥) ونادى بالصلاة جامعة^(٢٦) وعمد إليهم^(٢٧) وظلّل لرسول الله (ص)

(١٨) الدرر المنتور ٢/ ٢٩٨.

(١٩) مجمع الزوائد ٩/ ١٠٥ و ١٦٣ - ١٦٥. وأنقل عن هذه الصفحات في ما يأتي من هذا البحث.

(٢٠) رواه الحاكم الحسكاني في ١/ ١٩٢ - ١٩٣.

(٢١) سبق ذكر مصادره.

(٢٢) مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣ - ١٦٥. وابن كثير ٥/ ٢٠٩ - ٢١٣.

(٢٣) مادة (الجحفة) من معجم البلدان.

(٢٤) في تاريخ ابن كثير ٥/ ٢١٣.

(٢٥) مجمع الزوائد ٩/ ١٠٥ والسمرة: نوع من الشجر، وقُمّ: كُبْس. وقريب منه لفظ ابن كثير ٥/ ٣٠٩.

(٢٦) مسند أحمد ٤/ ٢٨١. وسنن ابن ماجه باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٠٩، ٥/ ٢١٠.

(٢٧) مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣ - ١٦٥.

بشوب على شجرة سمرة من الشمس^(٢٨)، فصلى الظهر بهجير^(٢٩)، ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا:

نشهد أنك ببلغت ونصحت فجزاك الله خيراً؛ قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق؟» قالوا: بلى نشهد ذلك. قال: «اللهم أشهد». ثم قال: «ألا تسمعون؟». قالوا: نعم.

قال: «يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين بصري إلى صنعاء^(٣٠) فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين، فأنظروا كيف تحلفوني فيها». فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تفلتوا ولا تبدلوا؛ وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك هما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم^(٣١)». ثم قال: «ألستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

(٢٨) مسند أحمد ٤/٣٧٢، وأبن كثير ٥/٢١٢.

(٢٩) مسند أحمد ٤/٢٨١، سنن أبين ماجة باب فضل علي. وأبن كثير ٥/٢١٢.

(٣٠) كانت بصرى آسية لغربة بالقرب من دمشق، وأخرى بالقرب من بغداد.

(٣١) مجمع الزوائد ٩/١٦٢ - ١٦٣ و١٦٥، وبعض الفاظه في روايات الحاكم ٣/١٠٩.

١١٠، وأبن كثير ٥/٢٠٩.

قالوا: بلى يا رسول الله! (٣١).

قال: «ألستم تعلمون - أو تشهدون - أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى يا رسول الله (٣٢).

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب بضبعه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما (٣٣)، ثم قال:

«أيها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم» (٣٤)؛ فمن كنت مولا، فهذا علي

مولا (٣٥). اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه (٣٦)، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله (٣٧)، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه (٣٨).

(٣٢) مسند أحمد ١١٨/١ و١١٩، ٢٨١/٤. وسنن أبين ماجه ٤٣/١ ح ١١٦، وجاء (نعم) في مسند أحمد ٢٨١/٤ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢. وأبين كثير ٢٠٩/٥. ولدى أبين كثير ٢١٠/٥: (الست أولى بكل أمرئ من نفسه).

(٣٣) مسند أحمد ٢٨١/٤ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢، وأبين كثير ٢٠٩/٥ و٢١٢.

(٣٤) في رواية المحاكم الحسكاني ١٩٠/١، فرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه. وفي ص ١٩٣ منه: حتى بان بياض إبطيهما. وضبعاه: الضئع يسكون الباء؛ وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة: (ضبع).

(٣٥) المحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١٩١/١، وعند أبين كثير ٢٠٩/٥: وأنا مولى كل مؤمن.

(٣٦) في جميع المصادر التي ذكرناها إلى هنا في جميع روايات الباب.

(٣٧) مسند أحمد ١١٨/١ و١١٩ و٢٨١/٤ و٣٧٠ و٣٧٢ و٣٧٣ و٣٤٧/٥ و٣٧٠. ومستدرك المحاكم ١٠٩/٣. وسنن أبين ماجه، باب فضل علي. والمحاكم الحسكاني ١٩٠/١ و١٩١. وتاريخ أبين كثير ٢٠٩/٥ و٢١٠ و٢١٣، وقال أبين كثير في ٢٠٩/٥: فقلت لزيد: هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. ثم قال أبين كثير: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(٣٨) مسند أحمد ١١٨/١ و١١٩. وجميع الزوائد ١٠٤/٩ و١٠٥ و١٠٧. وشواهد التنزيل ١٩٣/١. وتاريخ أبين كثير ٢١٠/٥ و٢١١.

(٣٩) شواهد التنزيل للحسكاني ١٩١/١. وتاريخ أبين كثير ٢١٠/٥.

ثم قال: «اللهم أشهد»^(٤٠).

ثم لم يتفرقا - رسول الله وعلي - حتى نزلت هذه الآية:

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة/٣.

فقال رسول الله (ص):

الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسائلي والولاية لعلي^(٤١).

وفي باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبي:

(إن آخر ما نزل عليه: «اليوم أكملت...» وهي الرواية الصحيحة الثابتة، وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - بغدير خم)^(٤٢).

فلقبه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له:

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأميت مولى كل مؤمن ومؤمنة^(٤٣).

وفي رواية قال له:

بخ، بخ، لك يا ابن أبي طالب^(٤٤).

وفي رواية أخرى:

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأميت مولى كل مؤمن

(٤٠) شواهد التنزيل ١/١٩٠.

(٤١) رواه الحاكم المستكني عن أبي سعيد الخدري ١/١٥٧ - ١٥٨ ح ٢١١ و ٢١٢، وعن أبي هريرة ص ١٥٨ ح ٢١٣، وفي تاريخ ابن كثير ٥/٢١٤ بإيجاز.

(٤٢) اليعقوبي ٢/٤٣.

(٤٣) مسند أحمد ٤/٢٨١. ولفظ (بعد ذلك) من تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

(٤٤) شواهد التنزيل ١/١٥٧ و ١٥٨.

تنويج الإمام

وكانت لرسول الله عمامة، تسمى السحاب كساها علياً^(٤٦) وكانت سوداء اللون^(٤٧) وكان الرسول يلبسها في أيام خاصة^(٤٨) مثل يوم فتح مكة^(٤٩)، ورووا في كيفية تنويج الإمام بها يوم الغدير كما يلي:

عن عبد الأعلى بن عدي البهراني قال: دعا رسول الله (ص) علياً يوم غدير خم فعممه وأرخى عذبة العمامة من خلفه^(٥٠).

وعن علي (ع) قال: عَمَّمَنِي رسول الله (ص) يوم غدير خم بعمامة سوداء طرفها على منكبي^(٥١).

وفي مسند الطيالسي وسنن البيهقي قال: وفي عَمَّمَنِي رسول الله (ص) يوم غدير خم بعمامة سدلها خلفي، ثم قال: إِنَّ

(٤٥) مسند أحمد ٢٨١/٤، وسنن آيين ماجة باب فضائل علي، والرياض النضرة ١٦٩/٢، ولفظ (بعد ذلك) في تاريخ أبي كثير ٢١٠/٥.

(٤٦) في زاد المعاد لابن القيم، (فصل في ملايسه): أي الرسول (ص)، بهامش شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١٢١/١.

(٤٧) جاء ذكر لون العمامة التي توج بها الإمام في رواية عبد الله بن بشر الآتية والإمام نفسه.

(٤٨) أشير إلى ذلك في كتب الحديث.

(٤٩) صحيح مسلم كتاب الحج ح ٤٥١ - ٤٥٢. وسنن أبي داود ٥٤/٤ باب في العمام، وشرح المواهب ١٠/٥، عن معرفة الصحابة لأبي نعيم.

(٥٠) الرياض النضرة ٢٨٩/٢ في ذكر تعميمه إياه (ص) بيده، وأسد الغابة ١١٤/٣.

(٥١) في ترجمة عبد الله بن بشر من الإصابة ٢٧٤/٢، قال: أخرجه البغوي.

الله عز وجل أمّدي يوم بدر وحنين بملائكة يعتَمون هذه العمة . . . وقال : إنّ
العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين . . . (٥٦).

وعن عليّ (ع) : أنّ النبي (ص) عمّعه بيده ، فذنب العمامة من ورائه ومن
بين يديه ، ثمّ قال له النبيّ (ص) : «أدبر» ، فأدبر . ثمّ قال له : «أقبل» ،
فأقبل . وأقبل على أصحابه فقال النبيّ (ص) : «هكذا تكون تيجان
الملائكة» (٥٧).

وعن ابن عباس قال :
لما عمّم رسول الله (ص) عليّاً بالسحاب قال له : «يا عليّ ، العمام تيجان
العرب . . .» (٥٨).

وعن عبد الله بن بشر قال :
بعث رسول الله (ص) يوم غدِير خَمٍّ إلى عليّ فعَمّمه وأسدل العمامة بين
كتفيه ، وقال : «وهكذا أمّدي ربّي يوم حنين بالملائكة معممّين وقد أسدلوا
العمائم ، وذلك حجز بين المسلمين والمشركين» (٥٩).

المناشدة

جمع عليّ الناس في رحبة مسجد الكوفة (٦٠) ، ثمّ قال لهم :
أنشد الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدِير خَمٍّ ما سمع

(٥٢) كنز العمال ٤٥/٢٠ . ومسنّد الطيالسي ٢٣/١ . والبيهقي ١٤/١٠ .

(٥٣) كنز العمال ٤٥/٢٠ عن مشيخة ابن باذان .

(٥٤) كنز العمال عن الديلمي .

(٥٥) هكذا رواه ابن طاووس في أمان الأخطار ، غير أنّها في ترجمة عبد الله بن بشر بالإصابة
٢٧٤/٢ ، رقم الترجمة ٤٥٦٦ ، ليس فيها لفظ (يوم غدِير خَمٍّ) .

(٥٦) تاريخ ابن كثير ٢١١/٥ .

إلا قام^(٥٧) ولا يقوم إلا من قد رآه^(٥٨)، فقام ثلاثون من الناس . - وفي رواية - فقام ناس كثير^(٥٩). وقال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بديراً، كأنّي أنظر إلى أحدهم^(٦٠) فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، قالوا: نعم يا رسول الله^(٦١). قال: «من كنت مولاه، فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٦٢)»، وأنصر من نصره وأخذل من أخذله^(٦٣).

قال عبد الرحمن: فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته^(٦٤).

٥٧) رواه أبو الطفيل، عامر أو عمرو بن واثلة الليثي، ولد عام أحد، ورأى النبي وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع أصحاب الصحاح. التهذيب ١/٣٨٩.

وروايته بمسند أحمد ٤/٣٧٠، وفي ١١٨/١ منه بثلاثة أسانيد:

أ - عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.

ب - عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، وهو كوفي، ثقة، مخضرم، مات سنة خمس أو ست وسبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب وقد رواها أحمد عنه مختصراً في ٣٦٦/٥.

ج - عن زيد بن شبيب الهمداني الكوفي، ثقة، مخضرم، من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته بهذيب التهذيب ١/٢٧٧.

٥٨) في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني، الكوفي، ثقة من الثانية روى عنه جميع أصحاب الصحاح، ومات سنة نيف وثمانين، ترجمته بتقريب التهذيب ١/٤٩٦، والرواية في مسند أحمد ١/١١٩ ح ٩٦٤.

٥٩) مسند أحمد ٤/٣٧٠ في حديث أبي الطفيل. وأبن كثير ٥/٢١٢.

٦٠) حديث عبد الرحمن بمسند أحمد ١/٩٦١، وفي ٥/٣٧٠. وأبن كثير ٥/٢١١.

٦١) في مسند أحمد ١/١١٨ و ٤/٣٧٠. وأبن كثير ٥/٢١١. وجمع الزوائد ٩/١٠٥.

٦٢) في مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩، و ٤/٣٧٠، و ٥/٣٧٠، وأبن كثير ٥/٢١١.

٦٣) مسند أحمد ١/١١٨. وتاريخ أبن كثير ٥/٢١٠.

٦٤) مسند أحمد ١/١١٩ ح ٩٦٤.

قال أبو الطفيل: فخرجت وكان في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً (رض) يقول كذا وكذا. قال: فما تنكره قد سمعت رسول الله يقول ذلك له^(٦٥).

وفي رواية: فقام ثلاثون من الناس^(٦٦).

وفي رواية: جاء رهط من الأنصار إلى علي في الرحة فقالوا: السلام عليك يا مولانا. قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب. قالوا: سمعنا رسول الله (ص) يوم خيم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه». قال الراوي: فلما مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار منهم أبو أيوب. وفي رواية: فقال: من القوم؟ قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين^(٦٧).

ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة

بتعيين الوصي في أمة موسى (ع)

رأينا في التوراة يقول في صدد تعيين الوصي لموسى بن عمران (ع) ما موجزه:

فقال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم وأجعل من هيتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل حسب قوله يدخلون وحسب قوله يخرجون. ففعل موسى ما أمره الرب، أخذ يشوع وأوقفه قدام كل الجماعة ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلم الرب. . . .

ورأينا في القرآن الكريم بعد ما أوحى الله إلى خاتم أنبيائه (ص) في شأن

٦٥) مستد أحمد ٤/ ٣٧٠.

٦٦) مستد أحمد ٤/ ٢٧٠. والرياض النضرة ٢/ ١٦٢. وأبن كثير ٥/ ٢١٢.

٦٧) مستد أحمد ٥/ ٤١٩. وأبن كثير ٥/ ٢١٢.

الإمام عليّ ما أوحى ، رأيناه يقول : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ ورأينا النبيّ (ص) بعد ذلك يأمر بالحجيج أن يجتمعوا في غدير خم ، يرجع إليه من تقدم عليه ويلتحق به من تأخر عنه ، ثمّ يوقف الإمام عليّاً ويرفعه أمام كلّ الجماعة وهم ينوفون على سبعين ألف ومخاطب الجمع ويقول لهم :

«ألستم تشهدون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ولما قال الجمع : اللهم بلى ، جعل الرسول من هيئته هذا على الإمام عليّ وقال :

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . .» .



كان ما أوردناه بعض النصوص الواردة في السنة النبويّة في تعيين إمام الأمة وولي الأمر من بعده . ونذكر في ما يأتي بعض ما جاء في كتاب الله في هذا الصدد .

الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم

أ - ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الأحاديث السابقة على ولاية الإمام عليّ على المؤمنين بعد رسول الله (ص)، وهذا بعينه ما عتته الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة/ ٥٥ .
ويؤيد ذلك الروايات الآتية :

في تفسير الطبري، وأسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وأنساب الأشراف للبلاذري وغيرها^(١) :

عن ابن عباس وأبي ذرّ وأنس بن مالك والإمام عليّ وغيرهم ما خلاصته :
(إنّ فقيراً من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) وسأل، وكان عليّ راکعاً في صلاة غير فريضة^(٢)، فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأوماً بيده اليمنى إلى خلف ظهره، وكان في إصبعه خاتم عقيق يمانى أحمر يلبسه في

(١) تفسير الطبري ١٨٦/٦ . وأسباب النزول للواحدي ص ١٣٣ - ١٣٤ ، وفي شواهد التنزيل ١٦١/١ - ١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص ١٦٥ - ١٦٦ روايتان عن أنس ابن مالك، وست روايات أخرى في ص ١٦٧ - ١٦٩ . وأنساب الأشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة الإمام ١/ الورقة ٢٢٥ . وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ - ١٦٨ . وأخرج السيوطي كثيراً من رواياتهما في تفسيره ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤ ، وقال في لباب النقول في أسباب النزول ص ٩٠ - ٩١ بعد إيراد الروايات : (فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً) .
(٢) يستفاد ذلك من رواية أنس حيث قال : خرج النبيّ إلى صلاة الظهر فإذا هو بعلي يركع . ونظيرها رواية ابن عباس، وكلتاهما في شواهد التنزيل ١٦٣/١ - ١٦٤ .

الصلاة، وأشار إلى السائل بنزعه، فنزعه ودعا له ومضى فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل (ع) بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ...﴾ الآية^(٣)، فأنشأ حسّان بن ثابت يقول أبياتاً منها قوله:

أبأ حسن تفديك نفسي ومهجتي وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكم فدتك نفوس القوم يا خير راكم
فأنزل فيك الله خير ولاية فأثبتها في محكمات الشرائع^(٤)

إيراد على دلالة الآية

أورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة أنّ لفظ الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكمون﴾ جمع، فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الإمام عليّ (ع)؟

قال المؤلف: توهم من قال ذلك، فإنّ الذي لا يجوز إنّها هو استعمال اللفظ المفرد وإرادة الجمع منه، أمّا العكس فجائز وشائع في المحاورات، وقد جاء نظائره في موارد متعدّدة في القرآن الكريم، مثل التعابير التي جاءت في سورة المنافقين:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون﴾ إلى قوله: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّسوا والله خزانة السموات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون يقولون لنن

(٣) إلى هنا أوردنا ملخصه من شواهد التنزيل.

(٤) نقلاً عن كفاية الطالب الباب ٦٦ ص ٢٢٨، وبقية مصادر الحديث في تاريخ ابن كثير

رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ والله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون ﴿ المنافقون / ١ - ٨ .

قال الطبري في تفسير السورة :

إنّما عني بهذه الآيات كلّها عبد الله بن أبي سلول . . . وأنزل الله فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها ، وبالنحو الذي قلنا ، قال أهل التأويل وجاءت الأخبار^(٥) .

وروى السيوطي بتفسير الآيات عن أبين عباس أنّه قال :

وكلّ شيء أنزله في المنافقين - في هذه السورة - فإنما أراد عبد الله بن أبي^(٦) .

وموجز القصة كما نقلها أهل السير وجاء في التفاسير :

(أنّ أجير عمر بن الخطاب ، جهجاه الغفاري ، ازدحم بعد غزوة بني المصطلق مع سنان الجهمي حليف بني الخزرج على الماء فأقتلا فصرخ الجهمي : يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبي ومعه رهط من قومه وفيهم زيد بن أرقم ، غلام حديث السنّ فقال : أقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلايب قریش هذه إلّا كما قال القائل : سَمَنَ كلبك يا كلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، ثمّ أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم ومشى به إلى رسول الله وأخبره وعنده عمر بن الخطاب^(٧) .

فقال عمر بن الخطاب : دعني أضرب عنقه يا رسول الله . فقال : إذا ترعد

(٥) تفسير الطبري ٢٨ / ٢٧٠ .

(٦) تفسير السيوطي ٦ / ٢٢٣ .

(٧) تفسير الطبري ٢٨ / ٧٥ .

له آنف كثيرة يثرب . قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر به سعد بن معاذ وعمر بن مسلمة فيقتلانه . فقال: إني أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .

فذهب عبد الله إلى رسول الله، وحلف أنه لم يكن شيء من ذلك، فلام الأنصار زيدا على قوله . وقالوا لعبد الله: لو رأيت رسول الله يستغفر لك . فلوى رأسه وقال: أمرتوني أن أومن فأمنت، وأمرتوني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي لي إلا أن أسجد لمحمد، فنزلت السورة فيه وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾^(٨) .

وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾^(٩) .



في هذه السورة عبر الله عن عبد الله بن أبي القائل الواحد، بقوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون﴾ وبقوله عز اسمه: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾ . القائل والفاعل واحد كما أجمع على ذلك المفسرون، واطبقت الروايات على ذلك، وإنما ذكرنا هذا على سبيل المثال وإلا فنظائرها متعددة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿وممنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن﴾ التوبة/ ٦١ .

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ آل عمران/ ١٧٣ .

﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ آل عمران/ ١٥٤ .

(٨) تفسير الطبري ٢٨/ ٧٤ .

(٩) لحصنا روايات متعددة جاءت في تفسير الطبري ٢٨/ ٧١ فما بعدها، وتفسير السيوطي ٢٢٢/ ٦ فما بعدها إلى غير ذلك مما جاء في التفسير والسير .

هذه إلى غيرها مما عُبِّرَ فيها بلفظ الجمع وأريد بها الواحد، تعدّد نظائرها في القرآن الكريم .

ب - أولو الأمر: عليّ والأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ عليّاً هو مولى المؤمنين ووليّ أمرهم بعد رسول الله (ص)، كما أنّها تفسّر المراد من أولي الأمر في الآية الكريمة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء/ ٥٩ .

ودلّت على ذلك أيضاً الأحاديث الآتية :

أ - في شواهد التنزيل عن عليّ أنّه سأل رسول الله عن الآية وقال : يا نبي الله من هم؟ قال : أنت أولهم .

ب - وعن عجماد : ﴿وأولي الأمر منكم﴾ .

قال : عليّ بن أبي طالب ولآه الله الأمر بعد محمّد في حياته حين خلّفه رسول الله بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك الخلاف عليه .

ج - وعن أبي بصير، عن أبي جعفر :

أنّه سأل عن قول الله : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ .

قال : نزلت في عليّ بن أبي طالب .

قلت : إنّ الناس يقولون : فما منعه أن يسمّى عليّاً وأهل بيته في كتابه؟

فقال أبو جعفر :

قولوا لهم ؛ إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول الله هو الذي يفسّر ذلك ، وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا أسبوعاً حتّى

فسرّ لهم ذلك رسول الله ، وأنزل : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فنزلت في عليّ والحسن والحسين وقال رسول الله (ص) أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي إنّي سألت الله أن لا يفرق بينها حتى يردها عليّ الخوض ، فأعطاني ذلك^(١٠).

ج - قول النبيّ (ص) : مثل أهل بيتي كسفينة نوح (ع) ومثل باب حطّة في بني إسرائيل

روى من الصحابة وأهل البيت كلّ من الإمام علي وأبي ذرّ وأبي سعيد الخدري وأبن عباس وأنس بن مالك :

أنّ رسول الله (ص) قال :

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

وفي ألفاظ بعضهم :

«ومثل باب حطّة في بني إسرائيل» .

المصادر :

ذخائر العقبى للمحبّ الطبري ص : ٢٠ .

مستدرک الحاکم ٣٤٣/٢ ، و ١٥٠/٣ .

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٠٦/٤ .

تاريخ بغداد للخطيب ١٩/١٢ .

مجمع الزوائد للهيتمي ١٦٨/٩ .

الدر المنثور للسيوطي بتفسير الآية : ﴿وَادْخُلُوا الباب سَجْدًا وَقُولُوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾ البقرة/٥٨ .

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ٢٧٠ بترجمة المنصور : عن المأمون عن

(١٠) الأحاديث : أ ، ب ، ج جاءت متواليات في شواهد التنزيل ١٤٨/١ - ١٥٠ .

الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبي (ص):

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

كنز العمال، ط. الأولى ١٥٣/٦ و ٢١٦.

الصواعق لابن حجر ص: ٧٥، رواها عن الدارقطني والطبراني وابن

جرير وأحمد بن حنبل وغيرهم.

كل ما ذكرناه في ما سبق نصوص من الكتاب والسنة تدل على تعيين الله

ورسوله (ص) ولي الأمر بعد الرسول (ص). وفي ما يأتي نصوص أخرى بألفاظ

أخرى كما ترد في البحوث الآتية.

الأئمة : علي وبنوه عليهم السلام مبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وآله

حصر القرآن الكريم في عدة آيات وظيفة الرسل في التبليغ مثل قوله

تعالى :

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ المائدة / ٩٩ .

وقوله ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ النور / ٥٤ ، والعنكبوت /

١٨ .

وقوله : ﴿ إنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ المائدة / ٩٢ ، والتغابن / ١٢ .

وقوله : ﴿ فهل على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ النحل / ٣٥ .

وحصر كذلك وظيفة خاتم الرسل خاصة في التبليغ بقوله تعالى :

﴿ فإنما عليك البلاغ ﴾ آل عمران / ٢٠ ، والنحل / ٣٥ ، والرعد / ١٣ .

وقوله : ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ الشورى / ٤٨ .

وينقسم التبليغ إلى تبليغ مباشر وتبليغ بواسطة ، وإلى تبليغ ما حان وقت

عمله وما لم يحن ، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين وواجب المسلمين

تجاه الحاكم الجائر ، وينقسم ما يبلغه الرسول إلى قسمين :

أ - ما أوحى إلى الرسول لفظه ومعناه وهو كتاب الله ويسمى في هذه الأمة

بالقرآن الكريم .

قال سبحانه : ﴿ وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾

الأنعام / ١٩ .

ب - ما أوحى إلى الرسول معناه دون لفظه . ويلغّه الرسول بلفظه الشريف، مثل تبليغه تفصيل أحكام الشرع .
وقال الله سبحانه : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً وألذين أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ﴾ الشورى / ١٣ .

إنّ الرسول (ص) عندما يعيّن عدد ركعات الصلاة وأذكارها، ويبين سائر أحكامها وسائر أحكام الشرع الإسلاميّ، أو يبلغ أنباء الأمم السابقة والغيوب الآتية في هذه الدنيا أو العالم الآخر، إنّما يبلغ ما أوحى إليه في غير القرآن الكريم ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى﴾ ويسمّى هذا النوع من التبليغ في هذه الأمة بالحديث النبويّ الشريف .



حصرت الآيات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، وعلى هذا فإنّ الصفة المميّزة للرسول هي التبليغ، وإذا قال الرسول عن شخص : «إنّه منّي» يعني أنّه منه في أمر التبليغ ولا نقول هذا اعتباطاً، بل قد وجدنا الرسول يصرّح بذلك في قسم من تلك الأحاديث، مثل ما جاء في قصّة تبليغ آيات البراءة التالية :

قصّة تبليغ آيات البراءة

جاءت قصّة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي وتفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرك الصحيحين وغيرها، عن أنس وأبن عباس وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعليّ بن أبي طالب^(١)، وأبي بكر . ونختار هنا ذكر موجز رواية الامام عليّ الواردة

(١) سنن الترمذي ١٣ / ١٦٤ - ١٦٥ . ومسنّد أحمد ١ / ١٥١ ، ٣ / ٢٨٣ ، وراجع ١ / ١٥٠ . وخصائص النسائي ص ٢٨ - ٢٩ . وتفسير الطبري ١٠ / ٤٦ . ومستدرك الصحيحين

في مسند أحمد، قال :

دعا النبي أبا بكر فبعثه ببراءة لأهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله .
قال : فسار بها ثلاثاً ثم قال لعليّ : «إلحقه فردة عليّ أبا بكر وبلغها أنت» .
قال : ففعل . فلما قدم على النبي (ص) أبو بكر بكى وقال : يا رسول الله حدث في شيء ؟
قال : «ما حدث فيك إلا خير، ولكني أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني»^(١) .

وفي رواية عبد الله بن عمر :

«ولكن قيل لي : أنه لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»^(٢)

وفي رواية أبي سعيد الخدري :

«لا يبلغ عني غيري أو رجل مني»^(٣) .

تدلّنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، أنّ القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما أوحى الله إلى رسوله من أحكام إلى المكلفين بها في بادئ الأمر، وهذا ما لا يقوم به إلا الرسول أو رجل من الرسول .
ويقابل هذا التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الأحكام بعد ما بلغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإنّ هم عند ذاك أن يقوموا

٥١/٣ و ٥٢ . وجمع الزوائد ٢٩/٧ ، و ١١٩/٩ .

(٢) مسند أحمد ٣/١ ، ح ٤ من مسند أبي بكر وقال أحمد شاكر : (إسناده صحيح) . وراجع كنز العمال كتاب التفسير تفسير سورة براءة ٢٦٧/٢ و ٢٧٠ ، وذخائر العقبى ، ص ٦٩ .

(٣) في مستدرك الصحيحين ٥١/٣ .

(٤) في الدر المنثور بتفسير : «براءة من الله» .

بتبليغها إلى غيرهم، ويُطرد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كل من بلغه الحكم إلى أبد الدهر.

وواضح أن الرسول (ص) عني بقوله: «لا يبلغ عني غيري أو رجل مني» التبليغ من النوع الأول.

ويُفسر أيضاً لفظ «مني» في أحاديث الرسول (ص) حديث المنزلة الآتي:

علي من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى

في صحيح البخاري، ومسلم، ومسنَد الطيالسي، وأحمد، وسنن الترمذي، وأبن ماجة وغيرها^(٥) واللفظ للأول: أن رسول الله (ص) قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي».

ولفظ مسلم وغيره:

«إلا أنه لا نبي بعدي».

وفي رواية ابن سعد في الطبقات عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالوا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب: إنه لا بد من أن أقيم أو تقيم، فخلّفه، فلمّا فصل رسول الله (ص) غازیاً قال ناس: ما خلّف عليّاً إلّا لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليّاً فاتبع رسول الله (ص) حتّى انتهى إليه فقال له: ما جاء بك يا علي؟ قال: لا يا رسول الله إلّا أنّي سمعت ناساً يزعمون أنك إنّما خلّفتني لشيء كرهته مني، فتصاحك

٥. صحيح البخاري ٢٠٠/٢ باب مناقب علي بن أبي طالب. وصحيح مسلم ١٢٠/٧ باب من فضائل علي بن أبي طالب. والترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي. والطيالسي ٢٨/١ و٢٩ وج ٢٠٥ و٢٠٩ و٢١٣. وأبن ماجة باب فضل علي بن أبي طالب ح ١١٥. ومسنَد أحمد ١٧٠/١ و١٧٣ - ١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ و١٨٤ و١٨٥ و٣٣٠ و٣٣٢ و٣٣٨ و٣٦٩/٦ و٤٣٨. ومسنَد الحاكم ٣٣٧/٢ وطبقات ابن سعد ١٤/١/٣ و١٥. وجمع الزوائد ١٠٩/٩ - ١١١. ومصادر أخرى كثيرة.

رسول الله (ص)، وقال: يا علي، أما ترضى أن تكون مني كهارون من موسى غير أنك لست بنبي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإنه كذلك^(٦).

وقد مرّ بعض ألفاظ الحديث في باب من استخلفه النبي (ص) على المدينة في غزواته.

المراد من لفظ «مني» في أحاديث الرسول (ص):

إنّ لفظ «مني» في حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» يوضح المراد من هذا اللفظ في أحاديث الرسول (ص) الأخرى، وذلك أنّ هارون لما كان شريك موسى في النبوة ووزيره في التبليغ، وكان عليّ من خاتم الأنبياء بمنزلة هارون من موسى بأستثناء النبوة، يبقى لعليّ الوزارة في التبليغ.

وكذلك بين الرسول (ص) المراد من لفظ «مني» في حديثه يوم عرفات في حجة الوداع حيث قال:

«عليّ مني وأنا من عليّ. لا يؤدي عني إلا أنا أو عليّ»^(٧)، وعلى هذا فإنّ الرسول (ص) فسّر لفظ «مني» في هذه الأحاديث بكلّ وضوح وجلاء، وصرّح (ص) أنّ القصد منه؛ أنّه منه في مقام التبليغ عن الله إلى المكلفين بلا واسطة. ومن ثمّ يتّضح معنى «مني» في أحاديث أخرى للرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ والذي جاء فيها غير مفسّرة.

مثل ما جاء في رواية بريدة في خبر الشكوى أنّ الرسول (ص) قال له:

(٦) طبقات ابن سعد ٣/١٠٥. وجمع الزوائد للهيتمي ١١١/٩. باختلاف يسير.
(٧) أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب فضائل الصحابة ص ٩٢ من الجزء الأول من سننه، والترمذي، كتاب المناقب، ١٣/١٦٩ وهو الحديث ٢٥٣١ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من الكنز في طبعته الأولى، وقد أخرجه الامام أحمد في ص ١٦٤ و١٦٥ من الجزء الرابع من مسنده من حديث حبشي بن جنادة بطرق متعددة.

«لا تقع في علي فإنه مني و...»^(٨)

ورواية عمران بن حصين: «إن علياً مني...»^(٩).

* * *

في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أن علياً والأئمة (ع) من ولده، من رسول الله (ص) في حمل أعباء التبليغ إلى المكلفين مباشرة ووظيفتهم من نوع وظيفته، وعلى هذا فهم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنه يأخذ الأحكام التي يبلغها من الله عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول الله (ص) فهم مبلغون عن رسول الله (ص) إلى الأمة وقد أعدهم الله ورسوله (ص) لحمل أعباء التبليغ، وذلك بما عصمهم الله من الرجس وطهرهم تطهيراً، كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول (ص) على الإمام عليٍّ خاصة مما أوحى الله إليه، ثم ورث الأئمة من أبيهم الإمام عليٍّ ذلك واحداً بعد الآخر، كما نصت على ذلك الروايات الآتية.

حامل علوم الرسول (ص)

في تفسير الرازي وكنز العمال قال عليّ:

(علّمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم وتشعب لي من كل باب ألف باب)^(١٠).

وفي تفسير الطبري وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب وكنز العمال وفتح الباري واللفظ للأخير:

عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً وهو يخاطب ويقول:

(سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به،

٨ و٩) مضى ذكر سندهما في باب: وليّ أمر المسلمين.

١٠) بتفسير الآية «إن الله أصطفى آدم...» وكنز العمال ٣٩٢/٦ و٣٠٥.

وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل . . .»^(١١) .

ومن هنا قال في حقّه رسول الله (ص) كما رواه جابر بن عبد الله :
«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب» . قال
الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد^(١٢) .

وفي رواية :

«فمن أراد العلم فليأت الباب»^(١٣) .

وفي رواية :

سمعتُ رسول الله (ص) يوم الحديبية وهو آخذ بيد عليّ يقول :
«هذا أمير البرّة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله،
- يمدّ بها صوته - أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد البيت فليأت
الباب»^(١٤) .

ولفظه في رواية ابن عباس :

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»^(١٥) .

وفي رواية الإمام عليّ ، قال رسول الله (ص) :

-
- (١١) تفسير ابن جرير ١١٦/٢٦ . وطبقات ابن سعد ٢/٢ ق ١٠١/٢ . وتهذيب التهذيب ٣٣٧/٧ . وفتح الباري ٢٢١/١٠ . وحلية الأولياء ٦٧/١ - ٦٨ . وكنز العمال ١/٢٢٨ .
(١٢) مستدرک الصحيحين ١٢٦/٣ . وفي ص ١٢٧ منه بطريق آخر، وفي تاريخ بغداد ٤/٣٤٨ و ١٧٢/٧ و ٤٨/١١ ، وفي ص ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح . وفي أسد الغابة ٢٢/٤ . ومجمع الروايد ١١٤/٩ . وتهذيب التهذيب ٣٢٠/٦ و ٤٢٧/٧ . وفي من فيض القدير ٤٦/٣ . وكنز العمال ط . الثانية ٢٠١/١٢ ، ح ١١٣٠ . والصواعق المحرقة ص ٧٣ .
(١٣) مستدرک الصحيحين ١٢٧/٣ - ١٢٩ .
(١٤) تاريخ بغداد للخطيب ٣٧٧/٢ .
(١٥) كنز العمال ط . الثانية، ٢١٢/١٢ ، وح ١٢١٩ . وراجع كنوز الحقائق للمناوي .

«أنا دار العلم وعليّ بابها»^(١٦).
 وقال في حقّه - أيضاً - كما رواه ابن عباس :
 «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها ، فمن أراد الحكمة فليأت الباب»^(١٧).
 وفي رواية الإمام عليّ ، قال رسول الله (ص) :
 «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»^(١٨).
 وقال في حقّه كما في رواية أبي ذر :
 «عليّ باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به بعدي . . .»^(١٩).
 وقال كما في رواية أنس بن مالك :
 «أن النبي (ص) قال لعليّ (ع) :
 «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي» . قال الحاكم : هذا حديث
 صحيح على شرط الشيخين»^(٢٠).

وفي رواية قال له :

«أنت تؤدّي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»^(٢١).
 وقد يسر الله لخاتم أنبيائه أن يرقّ أبين عمه العلم فيما هيأ لهما من الاجتماع
 في بيت واحد منذ أن كان الإمام عليّ طفلاً كما رواه الحاكم :

١٦) الرياض النضرة ١٩٣/٢ .

١٧) تاريخ بغداد للخطيب ٢٠٤/١١ ، وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عليّ
 ابن أبي طالب .

١٨) سنن الترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي بن أبي طالب ، قال : وفي الباب عن ابن
 عباس . وحلية الأولياء لأبي نعيم ٦٤/١ . وكنز العمال ط . الأولى ١٥٦/٦ .

١٩) كنز العمال ط . الأولى ١٥٦/٦ .

٢٠) مستدرک الصحيحين ١٢٢/٣ . وكنز العمال ط . الأولى ١٥٦/٦ . وراجع المناوي في
 كنوز الحقائق ص ١٨٨ .

٢١) حلية الأولياء ٦٣/١ .

(كان من نعم الله على عليّ بن أبي طالب (ع) ما صنع الله وأراد به من الخير، أنّ قریشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب في عيال كثير فقال رسول الله (ص) لعمة العباس وكان من أيسر بني هاشم .

يا أبا الفضل إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله آخذ أنا من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب، فقالا: إنّنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ص) عليّاً فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفرأ فضمّه إليه، فلم يزل عليّ (ع) مع رسول الله (ص) حتّى بعثه الله نبياً فاتّبعه وصدّقه، وأخذ العباس جعفرأ وضمّه إليه ولم يزل جعفر مع العباس حتّى أسلم وأستغنى عنه)^(٢٢).

وروي عن زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جده (ع) قال:
(أشرف رسول الله (ص) من بيت ومعه عمّاه العباس وحمزة، وعليّ وجعفر وعقيل في أرض يعملون فيها، فقال رسول الله (ص) لعمّيه: اختارا من هؤلاء. فقال أحدهما: اخترت جعفرأ. وقال الآخر: اخترت عقيلأ. فقال: خيرتكما فأخترتما، فأختار الله لي عليّاً)^(٢٣).

وقد أخبر الإمام بنفسه عن ذلك وقال:
(وقد علمتم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده، ويسمّي عرفة، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما

٢٢) مستدرک الصحيحین ٣/ ٥٧٦ .

٢٣) مستدرک الصحيحین ٣/ ٥٧٦ - ٥٧٧ .

وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان طفلياً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشتم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟^(٢٤) فقال:

«هذا الشيطان آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا إنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعل خير».

ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملا من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد أذعيت عظيماً لم يدعه أبائك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعونا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أنؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيتون إلى خير^(٢٥)، وإن فيكم من يطرح في القلب^(٢٦)، ومن يحزب الأحزاب. ثم قال

(٢٤) الرنة: الصيحة الحزينة.

(٢٥) لا تفيتون: لا ترجعون.

(٢٦) القلب - كالمبر - البشر، والمراد منه قلب يدس فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، والأحزاب: طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه (ص) في وقعة الخندق.

صلى الله عليه وآله : يا آيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقتك حتى تقفي بين يدي بإذن الله . والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقتها وجاءت ولها دوي شديد ، وقصف كقصف أجنحة الطير^(٢٧) ، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة ، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً وأستكباراً : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك ، فأقبل إليه نصفها كاعجب إقبال وأشدّه دويّاً ، فكادت تلتفت برسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا كفراً وعتواً : فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان ، فأمره صلى الله عليه وآله عليه وآله فرجع ، فقلت أنا : لا إله إلا الله ، إني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك ، فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه ، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا؟ - يعنوني -^(٢٨) .

هكذا كان رسول الله (ص) يرفع للإمام في صغره كل يوم من أخلاقه علماً ويأمره بالاعتداء به ، ويزقه العلم زقاً في كبره ، ويخصّه بمناجاته .

وقد جاء في صحيح الترمذي وغيره واللفظ للترمذي عن جابر قال :
(دعا رسول الله (ص) علياً (ع) يوم الطائف فأتجاءه ، فقال الناس : لقد طال نجواه مع أبين عمه ! فقال رسول الله (ص) :
« ما أنتجيتيه ولكن الله أتجاءه »^(٢٩) .

٢٧) القصف : الصوت الشديد . و (ريح قاصف) أي : شديدة . و (رعد قاصف) أي : شديد الصوت .

٢٨) الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة ، ١٨٢/٢ - ١٨٤ .

٢٩) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب ١٣/١٧٣ . و تاريخ بغداد للخطيب ٤٠٢/٧ .

وفي رواية :

(لَمَّا كَانَ يَوْمُ الطَّائِفِ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا فَنَاجَاهُ طَوِيلًا فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ . . .) الْحَدِيثُ (٣٠).

وفي رواية جندب بن ناجية أو ناجية بن جندب :

(لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ قَامَ النَّبِيُّ (ص) مَعَ عَلِيٍّ (ع) مَلِيًّا ثُمَّ مَرَّ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ طَالَتْ مَنَاجَاةُكَ عَلِيًّا مِنْذُ الْيَوْمِ! فَقَالَ: وَمَا أَنَا أَنْتَجِيتهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْتَجَاهُ» (٣١).

وكان الإمام عليّ حريصاً على أن يتلقى من رسول الله (ص). ولما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ المجادلة/ ١٢ (٣٢).

قال الطبري :

(نَهَوْا عَنْ مَنَاجَاةِ النَّبِيِّ (ص) حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، فَلَمْ يَنَاجِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ) (٣٣).

وفي أسباب النزول للواحدي وغيره عن الإمام عليّ:

(كَانَ لِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ وَكُنْتُ إِذَا نَاجَيْتُ الرَّسُولَ (ص) تَصَدَّقْتُ بِدَرَاهِمٍ حَتَّى نَفَدَ) (٣٤).

وفي رواية :

(كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَصَرَفْتُهُ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ إِلَى

(٣٠) أسد الغابة ٢٧/٤.

(٣١) كنز العمال ط. الثانية، ٢٠٠/١٢ ح ١١٢٢. والرياض النضرة ٢٦٥/٢.

(٣٢) تفسير السيوطي ١٨٥/٦.

(٣٣) تفسير الطبري ٢٨/١٤ - ١٥. والدر المنثور ١٨٥/٦.

(٣٤) أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨، والطبري في تفسير الآية.

النبي (ص) . . . (٣٥).

وروى الزعشمري في تفسير الآية :

(أنه تصدق في عشر كلمات سألن رسول الله (ص)).

وفي رواية عن الإمام :

إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي :
آية النجوى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم . . . الآية ، كان عندي
دينار - إلى قوله - ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ، فنزلت : ﴿أشققتم أن
تقدموا بين يدي نجواكم صدقات . . . المجادلة / ١٣ (٣٦).

هكذا كان مع رسول الله (ص) ولم يفارقه حتى آخر لحظة من حياته .
قالت عائشة :

(قال رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة :

«أدعوا لي حبيبي» ، فدعوا له أبا بكر ، فنظر إليه ، ثم وضع رأسه .
ثم قال : «أدعوا لي حبيبي» ، فدعوا له عمر ، فلما نظر إليه ، وضع رأسه .
ثم قال : «أدعوا لي حبيبي» ، فدعوا له علياً (ع) ، فلما رآه أدخله في الثوب
الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه (٣٧).

وعن ابن عباس :

(إن النبي ثقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل علي (ع) فلما رآه
النبي (ص) رفع رأسه ثم قال : «أدن مني ، أدن مني» ، فأسندته فلم يزل عنده

(٣٥) تفسير الآية في الدر المنثور ١٨٥/٦ . والرياض النضرة ٢٦٥/٢ .

(٣٦) تفسير السبوطي ١٨٥/٦ . والرياض النضرة ٢٦٥/٢ . والكشاف ٧٦/٤ .

(٣٧) الرياض النضرة ٢٣٧/٢ ، ط . الثانية ، مطبعة دار التأليف مصر ، وذخائر العقبين

حتى توفي) (٣٨).

وعن أم سلمة قالت:

(والسذي أحلف به أن كان عليّ (ع) لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص). عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ مراراً، فقالت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكتب عليه رسول الله (ص) وجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهداً).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد (٣٩).

* * *

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص):

«من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عتري خلقوا من طينتي، رزقوا فهاً وعلياً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّي، القاطعين فيهم صلتي، لا أناهم الله شفاعتي» (٤٠).

إلى هنا ذكرنا ما جاء في حقّ الوصيّ الأوّل بعد الرسول (ص)، وفي ما يأتي نذكر ما جاء في شأن أوصياء الرسول بعد الوصيّ الأوّل.

(٣٨) مجمع الزوائد ٣٦/٩.

(٣٩) مستد أحمد ٣٠٠/٦. وخصائص النساقي ص ٤٠. ومستدرك الصحيحين ١٣٨/٣.

- ١٣٩.

(٤٠) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨٦/١.

ما جاء في حق سبطي رسول الله (ص)

ذكرنا في ما سبق شيئاً مما جاء في حق الإمام الأول علي بن أبي طالب . وفي ما يأتي نذكر ما جاء في حق سبطي رسول الله (ص) ، منه قوله لكل منهما : « هذا مني » ، وقد عرفنا معنى (مني) في البحث السابق .

الحسن والحسين من رسول الله وسبطاه

في مسند أحمد عن المقدم بن معدي كرب :

أن رسول الله وضع الحسن في حجره وقال : « هذا مني . . . »^(١) .

وعن البراء بن عازب قال :

قال النبي (ص) للحسن أو الحسين : « هذا مني »^(٢) .

وروى البخاري والترمذي وأبن ماجه وأحمد والحاكم عن يعلى بن مرة أن

رسول الله (ص) قال :

« حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط

من الأسباط »^(٣) .

(١) مسند أحمد ١٣٢/٤ . وكنز العمال ٩٩/١٣ و ١٠٠ و ٢٦٢/١٦ . ومتنخب الكثر

١٠٦/٥ . والجامع الصغير بشرح فيض القدير ١٤٥/٣ .

(٢) كنز العمال ٢٧٠/١٦ .

(٣) البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبي ح ٣٦٤ . والترمذي ١٩٥/١٣ في باب

مناقب الحسن والحسين . وأبن ماجه ، كتاب المقدمة ، باب ١١ ، ح ١٤٤ . ومسند أحمد

١٧٢/٤ . ومستدرک الحاكم ١٧٧/٣ . ووصف هو والذهبي الحديث بأنه صحيح ، وأسد الغابة

وفي رواية :

«الحسن والحسين سيطان من الأسباط»^(٤).

وعن أبي رزمة قال : قال رسول الله (ص) :

«حسين مني وأنا منه ، هو سبط من الأسباط»^(٥).

وفي رواية :

«الحسن والحسين سيطان من الأسباط»^(٦).

وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله (ص) :

«حسين مني وأنا منه أحب الله من أحبه ، الحسن والحسين سيطان من

الأسباط»^(٧).

إن قول رسول الله (ص) : «مني» في هذه الروايات بحق الحسينين نظير

قوله بحق أبيهما الإمام عليّ، أراد في جميعها، أنهم منه في مقام تبليغ أحكام

الإسلام.

وكذلك نرى أن قوله في حقهما أنها سيطان من الأسباط ، لا يعني أنها

حفيدان كما أن جميع البشر ما عداهما حفدة ، فهذا هذر من القول حاشا رسول

الله (ص) منه ، بل إن الألف واللام في الأسباط للعهد الذهني من القرآن

الكريم ، أي : أنهما من الأسباط المذكورين في كتاب الله في قوله تعالى :

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق

١٩/٢ و ١٣٠/٥ .

(٤) كنز العمال ٢٧٠/١٦ .

(٥) كنز العمال ١٠٦/١٣ .

(٦) كنز العمال ١٠١/١٣ و ١٠٥ .

(٧) كنز العمال ٢٧٠/١٦ .

بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿ البقرة / ١٣٦ .

وقوله تعالى :

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى...﴾ ﴿ البقرة / ١٤٠ .

وقوله تعالى :

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ...﴾ ﴿ آل عمران / ٨٤ .

وقوله تعالى :

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ...﴾ ﴿ النساء / ١٦٣ .

وعليه فإنَّ الألف واللام في «الأسباط» في حديث رسول الله (ص) بحقَّ الحسينين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الآيات ، وإنَّ قول رسول الله (ص) في حقِّها نظير قوله في حقِّ أبيهما : أَنَّهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وقد شرح الله سبحانه تلك المنزلة فيما حكى عن موسى أَنَّهُ قَالَ :

﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدَّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نَسْبَحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بَنًا بِصِيراً قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى...﴾ ﴿ طه / ٢٩ - ٣٦ .

وقوله تعالى :

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رَدْءاً يَصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ...﴾ ﴿ القصص / ٣٤ - ٣٥ .

وقوله تعالى :

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

المفسدين... ﴿الأعراف/ ١٤٢﴾.

وفيها أخبر سبحانه عنها وقال :

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً...﴾

الفرقان/ ٣٥

وقال :

﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين...﴾

المؤمنون/ ٤٥.

في هذه الآيات جعل الله هارون رداءً لموسى ووزيراً وشريكاً في النبوة استخلفه موسى في قومه، فلما نصّ خاتم الأنبياء على أنّ عليّاً منه بمنزلة هارون من موسى وأستثنى من كلّ ذلك النبوة وأنه لا نبيّ بعده، بقي منها للإمام عليّ رداء ووزارة ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص)، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء التبليغ. وكذلك الأمر مع ولديه الحسين. ونستثني النبوة مما كان للأسباط لأنه لا نبيّ بعد خاتم الأنبياء، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الأحكام الإسلامية عن الله.

ذكرنا في ما سبق ما جاء في حقّ الأوصياء الثلاثة الأول بعد رسول الله (ص) وفي ما يأتي نذكر ما جاء في شأن آخر أوصياء الرسول (ص) في السنة النبوية.

بشارات النبي (ص) بظهور المهدي (ع) في آخر الزمان

المهدي يواطئ اسمه اسم النبي (ص)
سنن الترمذي في باب ما جاء في المهدي (ع) ، وأبو داود في كتاب المهدي
وغيرهما قال رسول الله (ص):

«لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»^(١).

في مستدرك الصحيحين ومسنند أحمد وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري،
قال: قال رسول الله (ص):

«لا تقوم الساعة حتى تغلأ الأرض ظليماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظليماً وعدواناً»^(٢).

(١) سنن الترمذي ٧٤/٩. ورواه أبو داود في صحيحه في كتاب المهدي ٧/٢، وطبعة دار إحياء السنة النبوية (د. ت) ١٠٦/٤ - ١٠٧، ح ٤٢٨٢، وأبو نعيم في حليته ٧٥/٥. وأحمد ابن حنبل في مسنده ٣٧٦/١. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٨٨/٤. وكنز العمال ط. الأولى ١٨٨/٧ بزيادة: (وخلق خلق). والسيوطي في تفسير سورة محمد (ص) في تفسير الآية: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة...﴾، الدر المنثور ٥٨/٦.

(٢) مستدرك الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو نعيم في حليته ١٠١/٣ باختلاف يسير في اللفظ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٦/٣، وغيرهم. والسيوطي في تفسير الآية: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة...﴾ من سورة محمد (ص) ٥٨/٦.

إِنَّ المهدي (ع) من أهل بيت النبي (ص)

في سنن ابن ماجه في أبواب الجهاد عن أبي هريرة، قال:
قال رسول الله (ص): «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لظَّوَّله الله عزَّ وجلَّ
حتى يملك رجل من أهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية».
وفي سنن ابن ماجه - أيضاً - في أبواب الفتن في باب خروج المهدي،
ومسند أحمد وغيرهما، عن عليّ (ع) قال:
قال رسول الله (ص): «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».
ورواه آخرون أيضاً^(٣).

وفي مستدرك الصحيحين قال: عن أبي سعيد الخدري عن رسول
الله (ص):
أنه قال: «المهديّ منّا أهل البيت، أشمّ الأنف، أقنى، أجلى، يملأ
الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعيش هكذا - ويسط يساره
واصبعين يمينه المسبحة والإبهام وعقد ثلاثة -».
قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ورواه أبو داود
أيضاً^(٤).

المهديّ (ع) من ولد فاطمة (ع)

وفي سنن أبي داود عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول:

(٣) رواه أبو نعيم في حليته ١٧٧/٣، وزاد فقال: في يومين، ورواه أحمد بن حنبل أيضاً
٨٤/١. وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٦ في تفسير سورة محمد (ص) الآية: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا السَّاعَةَ﴾ وقال: أخرجه ابن أبي شيبه وأحمد وأبن ماجه عن عليّ (ع). كتاب الفتن، باب
خروج المهدي ح ٤٠٨٥.
(٤) مستدرك الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو داود في صحيحه ١٣٦/٦، كتاب المهدي
من سنن أبي داود ١٠٧/٤، ح ٤٢٨٥.

«المهديّ من عترتي من ولد فاطمة»^(٥).

وفي كنز العمال قال: عن عليّ (ع):

قال: «المهديّ رجل منّا من ولد فاطمة»^(٦).

المهدي (ع) من ولد الحسين (ع)

وفي ذخائر العقبى عن أبي أيوب الأنصاري قال:

قال رسول الله (ص): «يولد منها - يعني الحسن والحسين (ع) - مهديّ

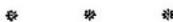
هذه الأمة»^(٧).

وفي ذخائر العقبى - أيضاً - قال: عن حذيفة أنّ النبيّ (ص) قال:

«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل ذلك اليوم حتّى يبعث الله رجلاً

من ولدي أسمه كآسمي، فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول الله؟ قال: من

ولّدي هذا»، وضرب بيده على الحسين (ع).



أكد رسول الله (ص) في رواياته على إمامة الإمام الأوّل عليّ بن أبي

طالب (ع) أكثر من سائر الأئمة، وعلى البشائر بآخريهم المهديّ، وعلى أنّ

٥) كتاب المهدي ٧/٤، ح ٤٢٨٤ باب خروج المهدي من كتاب الفتن ١٣٦٨/٢. وسنن

أبي داود ١٣٤/٧. ورواه أبين ماجة في صحيحه في أبواب الفتن في باب خروج المهدي وقال:

المهديّ من ولد فاطمة. ورواه الحاكم أيضاً في مستدرك الصحيحين ٥٥٧/٤ وقال: هو حقّ

- يعني المهدي عليه السلام - وهو من بني فاطمة. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢٤/٢

وقال: المهدي من ولد فاطمة. وذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من

تفسير الآية ﴿فهل ينظرون إلّا الساعة﴾ ٥٨/٦ وقال: أخرجه أبو داود وأبّين ماجة والطبراني

والحاكم عن أمّ سلمة.

٦) كنز العمال ط. الأولى ٢٦١/٧.

٧) ذخائر العقبى ص ١٣٦.

عدهم اثنا عشر، لأنّه إذا ثبت الأوّل والآخر والعدد، لا يبقى أدنى شك في
من هم الأئمة الذين عددهم اثنا عشر وأولهم الإمام عليّ وآخرهم المهدي،
سلام الله عليهم أجمعين.

نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) على إمامة أهل البيت (ع) على الأئمة من بعده كثيرة، منها ما جاء في حق جميع أئمة أهل البيت، وأخرى تخص بعضهم. ومما جاء في عامتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين

أ - في حجة الوداع

روى الترمذي عن جابر، قال:

رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة

يقول:

«يا أيها الناس إني قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله

وعترتي أهل بيتي».

قال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن

أسيد^(١).

ب - في غدير خم

في صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها واللفظ

للأول، عن زيد بن أرقم، قال:

(إن رسول الله قام خطيباً بلاء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة... ثم قال:

(١) الترمذي ١٩٩/١٣ باب مناقب أهل بيت النبي. وراجع كنز العمال ٤٨/١.

«ألا يا أيها الناس فإنها أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتي...»^(١).

وفي سنن الترمذي ومسنند أحمد واللفظ للأول:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فأنظروا كيف تحلفوني فيها»^(٢).

وفي مستدرک الصحيحين:

«كأنّي قد دعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي؛ فأنظروا كيف تحلفوني فيها، فإنها لن يفرقا حتى يردا علي الحوض...»^(٣).

وفي رواية:

«أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن أتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي...».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين^(٤).

(١) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب. ومسند أحمد ٣٦٦/٤. وسنن الدارمي ٤٣١/٢ باختصار. وسنن البيهقي ١٤٨/٢ و٣٠/٧ منه باختلاف يسير في اللفظ. وراجع الطحاوي في مشكل الآثار ٣٦٨/٤.

(٢) الترمذي ٢٠١/١٣. وأسند الغابة ١٢/٢ في ترجمة الإمام الحسن. والدر المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشورى.

(٣) مستدرک الصحيحين وتلخيصه ١٠٩/٣. وخصائص النسائي ص ٣٠، وفي مسند أحمد ١٧/٣: «إني أوشك أن أدعى فأجيب»، وفي ص ١٤ و٢٦ و٥٩ منه أكثر تفصيلاً. وطبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٢/٢. وكنتز العمال ٤٧/١ و٤٨ وفي ٩٧ موجزاً.

(٤) مستدرک الصحيحين ١٠٩/٣ بطريقين، وقريب منه ما في ١٤٨/٣.

وقد جاء هذا الحديث بالفاظ أخرى في مسند أحمد وحلية الأولياء وغيرهما^(٦) عن زيد بن ثابت.



في الحديث السابق أخبر الرسول في آخر سنة من حياته : أنه بشر، يوشك أن يأتيه رسول ربه، ويدعى فيجيب ويلتحق بربه، وقال : «إني تارك فيكم، ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفراقا حتى يردا علي الحوض، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما».

قاله مرة في عرفة، وأخرى في غدير خم، وهذا النص من رسول الله في تعيين مرجع الأمة من بعده، عم جميع الأئمة من عترته .
وفي الروايات التالية :

نصّ الرسول (ص) على عددهم :

حديث عدد الأئمة

أخبر الرسول أن عدد الأئمة الذين يلون من بعده اثنا عشر، كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح والمسانيد الآتية :

أ - روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي يقول :
« لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قریش ».

وفي رواية :

« لا يزال أمر الناس ماضياً . . . ».

(٦) مسند أحمد ٤/٣٦٧ و ٥/٣٧١ و ١٨١/٥ . وتاريخ بغداد للخطيب ٨/٤٤٢ . وحلية الأولياء ١/٣٥٥ و ٩/٦٤ . وأسد الغابة ٣/١٤٧ . وجمع الزوائد للهيتمي ٩/١٦٣ و ١٦٤ .

وفي حديثين منها:

«إلى أثني عشر خليفة . . .».

وفي سنن أبي داود:

«حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة».

وفي حديث:

«إلى أثني عشر»^(٧).

وفي البخاري، قال: سمعت النبي (ص) يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم اسمعها. فقال أبي: قال: «كلهم

من قريش».

وفي رواية:

ثم تكلم النبي (ص) بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي: ماذا قال رسول

الله (ص)؟ فقال: «كلهم من قريش»^(٨).

وفي رواية:

«لا تضرهم عداوة من عاداهم»^(٩).

(٧) صحيح مسلم ٣/٦ - ٤ بباب الناس تبع لقريش من كتاب الإمارة. وأخترنا هذا اللفظ من الرواية لأن جابراً كان قد كتبها. وفي صحيح البخاري ١٦٥/٤، كتاب الأحكام. وسنن الترمذي باب ما جاء في الخلفاء من أبواب الفتن ٦٦/٦ - ٦٧. وسنن أبي داود ١٠٦/٤، كتاب المهدي ح ٤٢٧٩، ٤٢٨٠. ومسند الطيالسي ح ٧٦٧ و١٢٧٨. ومسند أحمد ٨٦/٥ - ٩٢٩٠ - ١٠١ و١٠٦ - ١٠٨. وكنز العمال ٢٦/١٣ - ٢٧. وحلية أبي نعيم ٣٣٣/٤.

وجابر بن سمرة بن جندادة العامري ثم السوائي، ابن أخت سعد بن أبي وقاص، وحليفهم، مات في الكوفة بعد السبعين، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٦ حديثاً، ترجمته بأسد الغابة. وتقريب التهذيب. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

(٨) فتح الباري ٣٣٨/١٦. ومستدرک الصحيحين ٦١٧/٣.

(٩) فتح الباري ٣٣٨/١٦.

ب - وفي رواية :

«لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها، ظاهرة على عدوها، حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المرح أو المرحج»^(١١).

ج - وفي رواية :

«يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيباً لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش»^(١٢).

د - «لا يزال أمر الناس ماضياً ما يليهم اثنا عشر رجلاً»^(١٣).

هـ - وعن أنس :

«لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»^(١٤).

و - وفي رواية :

«لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر كلهم من قريش»^(١٥).

ز - وروى أحمد والحاكم وغيرهم واللفظ للأول عن مسروق قال :

(كنا جلوساً ليلة عند عبد الله (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن هل سألتكم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله : ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال :

(١٠) منتخب الكنز ٣٢١/٥. وتاريخ أبين كثير ٢٤٩/٦. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠. وكنز العمال ٢٦/١٣. والصواعق المحرقة ص ٢٨.
(١١) كنز العمال ٢٧/١٣، ومنتخبه ٣١٢/٥.

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٢/١٢. والصواعق المحرقة ص ١٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠.

(١٣) كنز العمال ٢٧/١٣.

(١٤) كنز العمال ٢٧/١٣ عن أبي النجار.

سألناه فقال : أثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل^(١٦) .

ج - وفي رواية قال ابن مسعود : قال رسول الله :

«يكون بعدي من الخلفاء عدّة أصحاب موسى»^(١٧) .

قال ابن كثير : (وقد روي مثل هذا عن عبد الله بن عمرو وحذيفة وابن عباس)^(١٨) . ولست أدري هل قصد من رواية ابن عباس ما رواه الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أو غيره .

نصّت الروايات الآتية أنّ عدد الولاة اثنا عشر وأنهم من قريش ، وقد بين الإمام عليّ في كلامه المقصود من قريش وقال :

(إنّ الأئمة من قريش عُرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم)^(١٩) . وقال :

(اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إماماً ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيّاته . . .)^(٢٠) .

(١٥) مسند أحمد ١/٣٩٨ و ٤٠٦ .

قال أحمد شاكر في هامش الأول : اسناده صحيح .

ومستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبي ٤/١٠٥ . وفتح الباري ١٦/٣٣٩ مختصراً . وجمع الزوائد ٥/١٩٠ . والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢ . وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠ . والجامع الصغير له ١/٧٥ . وكنز العمال للمتقي ١٣/٢٧ .

وقال : أخرجه الطبراني ونعيم بن حماد في الفتن .

وفيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٢/٤٥٨ . وذكر الخبرين ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود باب ذكر الأئمة الاثني عشر الذين كلهم من قريش ٦/٢٤٨ - ٢٥٠ .

(١٦) ابن كثير ٦/٢٤٨ . وكنز العمال ١٣/٢٧ . وراجع شواهد التنزيل للحسكاني ١/٤٥٥ ، ح ٦٢٦ .

(١٧) ابن كثير ٦/٢٤٨ .

(١٨) نيج البلاغة الخطبة ١٤٢ .

(١٩) ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي في الباب المائة ، ص ٥٢٣ . وراجع إحياء علوم

وقال ابن كثير:

(وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل وأنه ينميه ويكثره ويعمل من ذريته اثني عشر عظيماً).

وقال:

(قال ابن تيمية: وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة وقرر أنهم يكونون مفرقين في الأمة ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا).

وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم^(٢٠).

قال المؤلف:

والبشارة المذكورة، أعلاه في سفر التكوين، الإصحاح (١٧) / الرقم: ١٨ - (٢٠) من التوراة المتداولة في عصرنا. وقد جاءت هذه البشارة في الأصل العبري كالآتي:

جاء في سفر التكوين قول (الرب) لإبراهيم (ع) ما نصه بالعبرية:

«في إيشماعيل يبرخني أونوة في جفرتي أونو
في هرزيني يجنود ينوداه شيم غسار يسينيم يوليد
في بنتيف إكوي كدول»^{١١}.

وتعني حرفياً: «وإسماعيل أباركه، وأثمره، وأكثره جداً جداً، اثنا عشر إماماً يلد، وأجعله أمة كبيرة».

الدين للخرافي ٥٤/١. وفي حلية الأولياء ٨٠/١ بإيجاز.

(٢٠) تاريخ ابن كثير ٢٤٩/٦ - ٢٥٠.

(٢١) «المعهد القديم» سفر التكوين ١٧: ٢٠، ص ٢٢ - ٢٣.

וְלִישְׁמַעֵאל שְׁמַעְהֶן ד'

הַזֶּה בְּרַכְתִּי אֵלַי וְהַסְרִיתִי אֵלַי וְהַרְבִּיתִי אִתִּי
שְׁמֵי-שָׁמַר שְׁמֵי-יִלְדִי וְהַסְרִיתִי לְעִי וְהַרְבִּיתִי

«بشارت بهر النكرين ١٧ : ٢٠ (الأصل العربي) الرسول (ص) وبلائته (ع)»

أشارت هذه الفقرة إلى أن المباركة، والإثمار، والتكثير إنما يكون في صلب
اسماعيل (ع) و«شليم عسار» تعني «اثنا عشر»، ولفظة «عسار» تأتي في «العدد
التركيبي إذا كان المعدود مذكراً»^(٢٢)، والمعدود هنا «نسيثيم» وهو مذكر وبصيغة
الجمع لاضافة الـ (يم) في آخر الاسم، والمفرد «ناسي» وتعني: «إمام، زعيم،
رئيس»^(٢٣).

وأما قول (الرب) لإبراهيم (ع) في الفقرة نفسها أيضاً:
«فِي نִתִּיף כּוּי כְּדוֹל»، نلاحظ أن «فِي نִתִּיף» مكونة من حرف العطف
(في)، والفعل (ناتن) بمعنى: (أجعل، أذهب)^(٢٤)، والضمير «يف» في آخر
الفعل «نִתִּיף» يعود على إسماعيل (ع)، أي «وأجعله»، وأما كلمة (كوي)
فتعني: «أمة، شعب»^(٢٥)، و«كدول» تعني: «كبير، عظيم»^(٢٦)، فتصبح
(وأجعله أمة كبيرة)، فيتضح من هذه الفقرة أن التكثير والمباركة إنما هما في
صلب إسماعيل (ع)، مما يجعل القصد واضحاً في الرسول محمد (ص) وأهل
بيته (ع) باعتبارهم امتداداً لنسل إسماعيل (ع)، ذلك لأن الله (تعالى) أمر
إبراهيم بالخروج من بلاد «نمرود» إلى الشام، فخرج ومعه امرأته «سارة»

٢٢) «المعجم الحديث» عربي - عربي، ص ٣١٦.

٢٣) المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٢٤) المصدر السابق، ص ٣١٧.

٢٥) المصدر السابق، ص ٨٤.

٢٦) المصدر السابق، ص ٨٢.

و«لوط»، مهاجرين إلى حيث أمرهم الله (تعالى)، فنزلوا أرض فلسطين. ووسّع الله (تعالى) على إبراهيم (ع) في كثرة المال، فقال: «ربّ ما أصنع بالمال ولا ولد لي»، فأوحى الله (عزّ وجلّ) إليه «إني مكثّر ولدك حتى يكونوا عدد النجوم». وكانت «هاجر» جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم (ع)، فحملت منه، وولدت له إسماعيل (ع)، وإبراهيم (ع) يومئذ ابن «ست وثلاثين سنة»^(٢٧).

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة من خلال توجّه إبراهيم (ع) بالدعاء إلى الله تعالى: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ فِيهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ»^(٢٨)، فالآية الكريمة تؤكد أن إبراهيم (ع) قد أسكن بعضاً من ذريته وهو إسماعيل (ع) ومن ولد منه في مكة ودعا الله تعالى أن يجعل في ذريته الرحمة والهداية للبشرية ما بقي الدهر، فاستجاب الله لدعوته بأن جعل في ذريته عمداً (ص) وأثنى عشر إماماً من بعده. وقد قال الإمام الباقر (ع): «نحنُ بقية تلك العترة وكانت دعوة إبراهيم لنا»^(٢٩).

خلاصة الأحاديث الأئمة

نستخلص مما سبق ونستنتج: أن عدد الأئمة في هذه الأئمة اثنا عشر على التوالي، وأن بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا.

فقد جاء في الحديث الأول:

«لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر

(٢٧) «تاريخ اليعقوبي» ج ١، ص ٢٤ - ٢٥، مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت (قم).

(٢٨) سورة إبراهيم الآية: ٣٧.

(٢٩) نقلنا ما جاء في الأصل العربي من التوراة والتعليق عليها من مقال للاستاذ أحمد الواسطي في مجلة التوحيد، اصدار منظمة الإعلام الإسلامي في طهران. العدد: ٥٤، ص ١٢٧ - ١٢٨.

خليفة... .

فإن هذا الحديث يعين مدة قيام الدين ومعددها بقيام الساعة، ويعين عدد الأئمة في هذه الأمة بأثني عشر شخصاً. وفي الحديث الخامس: «لن يزال هذا الدين قائماً إلى أثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها».

ويدل هذا الحديث على تأييد وجود الدين بامتداد الاثني عشر وأن بعدهم تموج الأرض.

وفي الحديث الثامن: حصر عددهم بأثني عشر بقوله: «يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى».

ويدل هذا الحديث على أنه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر. وأن ألفاظ هذه الروايات المصرحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر وأن بعدهم يكون المرح وتموج الأرض وقيام الساعة تبين ألفاظ الأحاديث الأخرى التي قد لا يفهم من ألفاظها هذا التصريح.

وبناء على هذا لابد أن يكون عمر أحدهم طويلاً خارقاً للعادة في أعمار البشر كما وقع فعلاً في مدة عمر الثاني عشر من الأئمة أوصياء النبي (ص).

حبرهم في تفسير الحديث

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات المذكورة وتضاربت أقوالهم.

فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي:

(فعددنا بعد رسول الله (ص) أثني عشر أميراً فوجدنا أبا بكر، عمر، عثمان، علياً، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن

محمد بن مروان، السفاح . . .) .

ثم عدّ بعده سبعاً وعشرين خليفة من العباسيين إلى عصره، ثم قال :
(وإذا عددنا منهم آثني عشر، انتهى العدد بالصورة إلى سليمان وإذا
عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز
ولم أعلم للحديث معنى) (٣٠).

وقال القاضي عياض في جواب القول: أنه ولي أكثر من هذا العدد:
«هذا اعتراض باطل، لأنه (ص) لم يقل: لا يلي إلا أنا عشر، وقد ولي
هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم» (٣١).

ونقل السيوطي في الجواب:
(أن المراد: وجود آثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى القيامة
يعملون بالحق وإن لم يتوالوا) (٣٢).

وفي فتح الباري:
(وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام
الساعة) (٣٣).

وقال ابن الجوزي:
(وعلى هذا فالمراد من «ثم يكون المخرج»: الفتن المؤذنة بقيام الساعة من
خروج الدجال وما بعده» (٣٤).
قال السيوطي:

(٣٠) شرح آبن العربي على سنن الترمذي ٦٨/٩ - ٦٩.
(٣١) شرح النووي على مسلم ٢٠١/١٢ - ٢٠٢. وفتح الباري ٣٣٩/١٦. واللفظ منه
وكثره في ص ٣٤١.
(٣٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.
(٣٣ و ٣٤) فتح الباري ٣٤١/١٦. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

(وقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وأبن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي العباسي لأنه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين، والظاهر العباسي أيضاً لما أوتي من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل البيت)^(٣٥).

وقيل:

(المрад: أن يكون الاثنا عشر في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره، فمن يعز الإسلام في زمنه، ويجتمع المسلمون عليه)^(٣٦).

وقال البيهقي:

(وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع المخرج والفتنة العظيمة ثم ظهر ملك العباسية، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عد منهم من كان بعد المخرج المذكور)^(٣٧).

وقالوا:

(والذين اجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك،

٣٥ الصواعق المحرقة ص ١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢. وعلى هذا يكون لاتباع مدرسة الخلفاء، إمامان منتظران أحدهما المهدي، في مقابل منتظر واحد لاتباع مدرسة أهل البيت.

٣٦ أشار إليه النووي في شرح مسلم ٢٠٢/١٢ - ٢٠٣. وذكره ابن حجر في فتح الباري ٣٣٨/١٦ - ٣٤١. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٠.

٣٧ نقله ابن كثير في تاريخه ٢٤٩/٦ عن البيهقي.

ثم لما مات يزيد أختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، والثاني عشر هو الوليد ابن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه بعد هشام تولى أربع سنين^(٣٨).

بناءً على هذا فإن خلافة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لإجماع المسلمين عليهم وكان الرسول قد بشر المسلمين بخلافتهم له في حمل الإسلام إلى الناس.

قال ابن حجر عن هذا الوجه: (إنه أرجح الوجه).

وقال ابن كثير:

(إن الذي سلكه البيهقي ووافقه عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنه مسلكت فيه نظر، وبيان ذلك أن الخلفاء إلى زمن الوليد ابن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلافتهم محققة . . . ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق . . . حتى أصطلح هو ومعاوية . . . ثم أبنة يزيد بن معاوية، ثم أبنة معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم أبنة عبد الملك بن مروان، ثم أبنة الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان ابن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وعلى هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن

(٣٨) تاريخ الخلفاء ص ١١ . والصواعق ص: ١٩ . وفتح الباري ١٦/ ٣٤١.

معاوية ويخرج عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه وعدوه من الخلفاء الراشدين، واجمع الناس قاطبة على عدله، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام حتى الرافضة يعترفون بذلك، فإن قال: أنا لا اعتبر إلا من أجمعت الأمة عليه لزمه على هذا القول أن لا يعدّ عليّ بن أبي طالب ولا ابنه، لأن الناس لم يجتمعوا عليها وذلك أن أهل الشام بكها لم يبايعوهما.

وذكر:

أن بعضهم عدّ معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير، لأن الأمة لم تجتمع على واحد منها، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاداً للخلفاء الثلاثة، ثم معاوية، ثم يزيد، ثم عبد الملك، ثم الوليد بن سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد، ثم هشام، فهؤلاء عشرة، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ويلزمه منه إخراج عليّ وابنه الحسن، وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل الشيعة^(٣٩).

ونقل ابن الجوزي في كشف المشكل وجهين في الجواب:

أولاً:

(أنه (ص) أشار في حديثه إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وإن حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أمية، وكان قوله: «لا يزال الدين» أي الولاية إلى أن يلي اثنا عشر خليفة، ثم ينتقل إلى صفة أخرى أشد من الأولى، وأول بني أمية يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار، وعدتهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم أصحابه، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لأنه كان متغلباً بعد أن أجمع الناس على

(٣٩) تاريخ ابن كثير ٦/٢٤٩ - ٢٥٠.

عبد الله بن الزبير، صَحَّت العِدَّة، وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت
الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة حتى استقرت دولة بني العباس فتغيرت
الأحوال عما كانت عليه تغييراً بَيِّناً^(٤١).

وقد رَدَّ أبْن حجر في فتح الباري على هذا الإستدلال.

ونقل أبْن الجوزي الوجه الثاني عن الجزء الَّذِي جمعه أبو الحسين بن
المنادي في المهدي، وأَنَّهُ قال:

(يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا بَعْدَ الْمَهْدِيِّ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَقَدْ
وَجَدْتُ فِي كِتَابِ دَانِيَالٍ: إِذَا مَاتَ الْمَهْدِيُّ، مَلَكَ بَعْدَهُ خَمْسَةُ رِجَالٍ مِنْ وَلَدِ
السَّبْطِ الْكَبِيرِ، ثُمَّ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِ السَّبْطِ الْأَصْغَرِ، ثُمَّ يُوصِي آخِرُهُمْ بِالْخِلَافَةِ
لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ السَّبْطِ الْكَبِيرِ، ثُمَّ يَمْلِكُ بَعْدَهُ وَلَدُهُ فَيَتِمُّ بِذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ مَلِكاً
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ مَهْدِيٌّ، قَالَ: وَفِي رِوَايَةٍ... ثُمَّ يَلِي الْأَمْرَ بَعْدَهُ اثْنَا عَشَرَ
رَجُلًا: سِتَّةٌ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ، وَخَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ، وَآخَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ
يَمُوتُ فَيُفْسِدُ الزَّمَانُ).

عَلَّقَ أَبْن حجر على الحديث الأخير في صواعقه وقال:

(إِنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَاهِيَةٌ جَدًّا فَلَا يَعْوَلُ عَلَيْهَا)^(٤٢).

وقال قوم:

(يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ - فِي هَذَا الْحَدِيثِ -
بِأَعَاجِيبِ تَكُونُ بَعْدَهُ مِنَ الْفِتَنِ حَتَّى يَفْتَرِّقَ النَّاسَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ
أَمِيرًا، وَلَوْ أَرَادَ غَيْرُ هَذَا لَقَالَ: يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا يَفْعَلُونَ كَذَا، فَلَمَّا أَعْرَاهُمْ
عَنِ الْخَبَرِ عَرَفْنَا أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ...)^(٤٣).

(٤١) فتح الباري ١٦/٣٤٠، عن أبْن الجوزي في كتابه (كشف المشكل).

(٤٢) فتح الباري ١٦/٣٤١. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩.

(٤٣) فتح الباري ١٦/٣٣٨.

قالوا:

(وقد وقع في المائة الخامسة، فإنه كان في الأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد إلى من كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوانساري)^(٤٣)

قال آبن حجر:

(وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري هكذا مختصرة . . .)^(٤٤). وقال:
(إن وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصح أن يكون المراد)^(٤٥).

* * *

قال المؤلف:

هكذا لم يتفقوا على رأي في تفسير الروايات السابقة، ثم إنهم أهملوا إيراد الروايات التي ذكر الرسول (ص) فيها أسماء الاثني عشر لأنها كانت تخالف سياسة الحكم بمدرسة الخلفاء مدى القرون. وحرّجها المحدثون بمدرسة أهل البيت في تأليفهم بسندهم إلى أبرار الصحابة عن رسول الله (ص) ونقتصر هنا على إيراد نزر يسير منها في ما يأتي مما رواه الفريقان:

أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء:

أ - الجويني^(٤٦) عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله: أنا سيد

٤٣ شرح النووي ٢٠٢/١٢. وفتح الباري ٣٣٩/١٦. واللفظ للاخير.

٤٤ فتح الباري ٣٣٨/١٦.

٤٥ فتح الباري ٣٣٩/١٦.

٤٦ قال الذهبي في ترجمة شيوخه بتذكرة الحفاظ ص ١٥٠٥: الإمام المحدث الأوحد،

النبيين وعلي بن أبي طالب سيّد الوصيّين، وأنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّهم علي بن أبي طالب وآخروهم المهدي.

ب - الجويني - أيضاً - بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله: إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثني عشر أوّهم أخلي وآخروهم ولدي.

قيل: يا رسول الله، ومن أخوك؟

قال: علي بن أبي طالب.

قيل: فمن وندك؟

قال: المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.

ج - الجويني - أيضاً - بسنده قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أنا وعليّ وأحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون^(١٧).



اقتضت سياسة الحكم لدى مدرسة الخلفاء مدى القرون إخفاء أمثال الأحاديث الأنفة عن أبناء الأمة الإسلامية وإسدال الستار عليها. وجاهد القسم الأكبر من أتباع مدرستهم في هذا السبيل كما مرّ بنا فعلهم بأمثالها في بحث دراسة عمل مدرسة الخلفاء بتصوص سنّة الرسول (ص) التي تتخالف

الأكمل، فخر الإسلام، صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حمويه الجويني الشافعي، شيخ الصوفية. وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء. أسلم على يده غازان الملك.

٤٧) الأحاديث أ، ب، ج جاءت في فرائد السمطين نسخة مصورة مخطوطة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ١١٦٤/١٦٩٠ - ١٦٩١ الورقة ١٦٠.

أَتْجَاهُهَا .

وليس هذا مجال إيراد تلکم الأحادیث ، وإنما نذكر فی ما یأتی تراجم الاثنی عشر الذین تواترت الإشارة إليهم والتنصيص علی أسمائهم فی أحادیث الرسول (ص) :

تراجم الأئمة الاثنی عشر بعد الرسول (ص)
الإمام الأول :

أمیر المؤمنین علی (ع) .

أبوه : أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

أمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

كنيته : أبو الحسن والحسين ، أبو تراب .

لقبه : الوصي ، أمیر المؤمنین .

مولده : ولد فی الكعبة بیت الله الحرام^(٤٨) ، سنة ثلاثین بعد عام الفیل .

وفاته : قتله الحارثی عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة فی رمضان سنة أربعین

للهجرة . ودفن خارج الكوفة فی النجف الأشرف .

الإمام الثاني :

الحسن بن علی بن أبي طالب .

أمه : فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

كنيته : أبو محمد .

(٤٨) إن أمه فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعلي (ع) فضرها الطلق ففتحت لها باب الكعبة فدخلت فوضعت فيها ، المستدرک ٣/ ٤٨٣ . وراجع تذكرة خواص الأمة ص ١٠ . والناقب لابن المغازي ص ٧ .

لقبه : السبط الأكبر، المجتبي .

مولده : ولد في المدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث بعد الهجرة .
وفاته : توفي لخمس ليال بقين من ربيع الأول سنة خمسين للهجرة ودفن
بالبقيع في المدينة المنورة .

الإمام الثالث :

الحسين بن علي بن أبي طالب .

أمه : فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

كنيته : أبو عبد الله .

لقبه : السبط ، شهيد كربلاء .

مولده : ولد في المدينة في شعبان سنة أربع للهجرة .

وفاته : قتله جيش الخليفة يزيد مع أهل بيته وأنصاره في محرم سنة إحدى
وستين . وقبره في كربلاء من مدن العراق^(٤٩) .

الإمام الرابع :

علي بن الحسين الشهيد .

أمه : غزالة ، وقيل : شاه زنان .

كنيته : أبو الحسن .

لقبه : زين العابدين ، السجاد .

مولده : ولد في المدينة سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين .

(٤٩) راجع تراجم الأئمة ، علي وأبنيه الحسن والحسين عليهم السلام في ذكر حوادث سنة
٤٠ و ٦٠ للهجرة بتاريخ الطبري ، وأبن الأثير والذهبي وأبن كثير ، وفي ذكر تراجمهم بتاريخ
بغداد ودمشق ، والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ، وطبقات آبن سعد ، ولم يطبع في المطبعة
الأوربية والبيروتية من طبقات آبن سعد ترجمة السبطين وإنما طبع بعد ذلك .

وفاته : توفي سنة أربع وتسعين للهجرة . ودفن في البقيع إلى جانب عمّه
الحسن السبط^(٥٠) .

الإمام الخامس :

محمد بن عليّ السجاد .

أمّه : أمّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ .

كنيته : أبو جعفر .

لقبه : الباقر .

مولده : ولد في المدينة سنة خمس وأربعين للهجرة .

وفاته : توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة . ودفن في البقيع إلى جانب
أبيه^(٥١) .

الإمام السادس :

جعفر بن محمد الباقر .

أمّه : أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر .

كنيته : أبو عبد الله .

لقبه : الصادق .

مولده : ولد في المدينة سنة ثلاث وسبعين للهجرة .

(٥٠) راجع ترجمته في ذكر حوادث سنة ٩٤هـ بتاريخ ابن الأثير وابن كثير والذهبي ، وترجمته
بطبقات ابن سعد وحلية الأولياء . ووفيات الأعيان . وتاريخ يعقوبي ٣٠٣/٢ . والمسعودي
١٦٠/٣ .

(٥١) راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي . ووفيات الأعيان . وصفوة الصفوة . وحلية
الأولياء . وتاريخ يعقوبي ٣٢٠/٢ . وتاريخ الإسلام للذهبي . وتاريخ ابن كثير في ذكرهما
حوادث سنة ١١٥ و١١٧ و١١٨ .

وفاته : توفي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة . ودفن في البقيع إلى جانب أبيه^(٥٢) .

الإمام السابع :

موسى بن جعفر الصادق .

أمه : حميدة .

كنيته : أبو الحسن .

لقبه : الكاظم .

مولده : ولد في المدينة سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة .

وفاته : توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة في سجن الخليفة هارون

الرشيد ببغداد . ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي من بغداد يومذاك ، وفي مدينة الكاظمية في العراق اليوم^(٥٣) .

الإمام الثامن :

علي بن موسى الكاظم .

أمه : الحيزران .

كنيته : أبو الحسن .

لقبه : الرضا .

مولده : ولد سنة ثلاث وخسين ومائة للهجرة في المدينة المنورة .

٥٢) راجع ترجمته بحلية الأولياء ووفيات الأعيان وتاريخ اليعقوبي ٣٨١/٢ . والمسعودي

٣٤٦/٣ .

٥٣) راجع ترجمته في مقاتل الطالبين وتاريخ بغداد . ووفيات الأعيان وصفوة الصفوة ،

وتاريخ ابن كثير ١٨/٢ . وتاريخ اليعقوبي ٤١٤/٢

وفاته : توفي سنة ثلاث ومائتين . ودفن بطوس خراسان^(*) .

الإمام التاسع :

محمد بن عليّ الرضا .

أمه : سكينه .

كنيته : أبو عبد الله .

لقبه : الجواد .

مولده : ولد سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة في المدينة المنورة .

وفاته : توفي سنة مائتين وعشرين للهجرة ببغداد . ودفن إلى جانب جدّه

موسى بن جعفر بمقابر قريش^(**) .

الإمام العاشر :

عليّ بن محمد الجواد .

أمه : سيّانة المغربية .

كنيته : أبو الحسن العسكري .

لقبه : الهادي .

مولده : سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة في المدينة المنورة .

وفاته : توفي سنة أربع وخمسين ومائتين . ودفن بمدينة سامراء (سر من

(*) راجع ترجمته بتاريخ الطبري . وابن الأثير . وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ ابن كثير في ذكر حوادث سنة ٢٠٣هـ ، ووفيات الأعيان . وتاريخ اليعقوبي ٤٥٣/٢ . والمسعودي ٤٤١/٣ .

(**) راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٤/٣ . ووفيات الأعيان . وشذرات الذهب ٤٨/٢ . والمسعودي ٤٦٤/٣ .

رأى) بالعراق^(٥٦).

الإمام الحادي عشر:

الحسن بن عليّ الهادي.

أمّه: أمّ ولد أسمها سوسن.

كنيته: أبو محمد.

لقبه: العسكري.

مولده: ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين في سرّ من رأى.

وفاته: توفي سنة ستين ومائتين. ودفن في سرّ من رأى^(٥٧).

وقبور جميع الأئمة الأحد عشر المذكورين يزورها المسلمون اليوم وعليها

قباب عالية عدا الأئمة الأربعة المدفونين في البقيع بالمدينة المنورة، فإنّ الحكم

الوهّابي لما دخل المدينة هدمها مع سائر قبور أزواج الرسول (ص) وقبور

صحابته.

الإمام الثاني عشر:

المهدي، محمد بن الحسن العسكري.

أمّه: أمّ ولد يقال لها نرجس، وقيل: صيقل.

كنيته: أبو عبد الله، أبو القاسم.

لقبه: القائم، المنتظر، الخلف، المهدي صاحب الزمان.

(٥٦) راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٦/١٢. ووفيات الأعيان. وتاريخ اليعقوبي ٤٨٤/٢.

والمسعودي ٨٤/٤.

(٥٧) راجع ترجمته في وفيات الأعيان. وتذكرة خواص الأئمة لسبط أبْن الجوزي الحنفي.

ومطالب السؤل في مناقب آل الرسول للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت:

٥٦٥هـ). وتاريخ اليعقوبي ٥٠٣/٢.

مولده: ولد في سامراء سنة خمس وخمسين ومائتين .
وهو آخر الأئمة، وهو حي يرزق^(٥٨).

تنبيه مهم

جاء في إحدى الروايات الماضية :

«... يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المرج
والهرج».

وفي أخرى :

«لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت
الأرض بأهلها».

وكلا اللَّفْظَيْن يدلّان على نهاية العالم بعد الثاني عشر ممّن يأتون من بعد
النبيّ (ص)، وعلى هذا فلا بدّ أن يطول عمر أحد الاثني عشر إلى نهاية الدنيا،
وهذا ما وقع فعلاً بطول عمر الوصيّ الثاني عشر المهديّ، محمد بن الحسن
العسكري (ع)، فإنّ مجموع الروايات يصدق على الأئمة الاثني عشر عليهم
السلام المذكورين ولا يصدق على من سواهم . واحمد الله .

(٥٨) تذكّرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزي . ومطالب السّؤول . ووفيات الأعيان .

الفصل الرابع

خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام .
أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة .
مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة .
الاستدلال بكلام الإمام عليّ (ع) .
وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان
المعصية .
الإمامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام .
أوصياء النبيّ (ص) الإثنا عشر من بعده .
إنجاء السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً .

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة قبل البدء بعرض آراء المدرستين في الخلافة والإمامة.

بداية الأمر:

عقد رسول الله في مرض وفاته لواءً بيده لمولاه أسامة بن زيد، وأمره على جيش فيه المهاجرون والأنصار، مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص، فعسكر بالجرف وغضب عليهم لما تكلموا في تأميره أسامة عليهم وقال: إنه لخليق بالإمارة، فذهبوا إلى معسكرهم وثقل رسول الله فجاء أسامة وودّعه، وقال الرسول: أنفذوا بعث أسامة، وفي ما هموا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حضر^(١)، فأقبلوا إلى المدينة، وحضروا في بيت الرسول فقال: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقال عمر: إن النبي غلبه الوجد وعندكم كتاب الله، فحبنا كتاب الله، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال: قوموا عني، لا ينبغي عند نبي التنازع.

قال ابن عباس: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع، فقالوا: هجر رسول الله، ويكفي ابن عباس حتى خضب دمه الحباء.

(١) حُضِرَ: حضره الموت.

موقف الخليفة عمر :

توفي الرسول وأبو بكر غائب بالسنح فأخذ عمر يقول : ما مات رسول الله ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه أربعين ليلة ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال يزعمون أنه مات . وقال : من قال إنه مات علوت رأسه بسيفي ، فتلوا عليه الآية : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ آل عمران / ١٤٤ .
وقال له العباس : إن رسول الله قد مات ، هل عند أحدكم عهد من رسول الله في وفاته فليحدثنا .

لم ينته عمر من كلامه وتهديده حتى أزيد شذواه ، ولما أقبل الخليفة أبو بكر وتلا الآية ﴿ وما محمد إلا رسول . . . ﴾ ، سكت عمر .

سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وجثمان رسول الله (ص) بين أهله يغسلونه ، وأخرجوا سعد بن عباد - وكان مريضاً - فذكر سابقة الأنصار وقال : استبدوا بهذا الأمر ، فأجابوا : قد وفقت في الرأي ولن نعدو ما رأيت ، نؤتيك هذا الأمر . فسمع بذلك أبو بكر وعمر فأسرعا مع جماعتهما إلى السقيفة ، وذكر أبو بكر سابقة المهاجرين وقال : هم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم .

فقال الحباب بن المنذر : يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فينكم ولن يجترئ مجترئ على خلافتكم فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم ، فمما أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن . . . لا ترضى العرب أن يؤمر وكم ونبيها من غيركم .

وهدد أحدهما الآخر بالقتل .

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً . فتخوف عمر من الاختلاف وقال لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك . وسبقه بشير بن سعد وبايع ، فناده الحباب بن المنذر: عفت عقاق أنفست على آبن عمك الإمارة؟! وبايع عمر وأبو عبيدة ، وقالت الأوس : لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم الفضيلة عليكم وما جعلوا لكم فيها نصيباً ، فبايعوا أبا بكر ، فأنكر على سعد بن عباد والخزرج وكادوا يطأون سعد بن عباد ، فقال أصحابه : أنقوا سعداً لا تطأوه .

فقال عمر: أقتلوه قتله الله .

ثم قام على رأسه فقال : لقد هممت أن أطالك حتى تندر^(٢) عضوك . فآخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة .

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الفرق ههنا أبلغ . فأعرض عنه عمر . فحمل سعد إلى بيته .

وأخرج أبو بكر من السقيفة ، وجاءت قبيلة أسلم فبايعت ، فأنتصر بهم أبو بكر ، وأقبلت الجماعة تزقه إلى مسجد رسول الله (ص) . فصعد المنبر ، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كان يوم الثلاثاء ، فجاءوا إلى المسجد ثانية فجلس أبو بكر على منبر رسول الله ووقف عمر وقال : إن قوله بالأمس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ، ولكنه كان يرى أن الرسول (ص) سيدبر أمرهم ويكون آخرهم ، وإن الله أبقى فيهم القرآن يتدون به ، وقد جمع أمرهم على صاحب رسول الله ، قوموا فبايعوه ، فبايعه الناس عندئذ بعد بيعة السقيفة ، ثم خطب أبو بكر فقال : قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن

(٢) تندر عضوك: حتى تسقط أعضاؤك .

أحسنت فأعينوني

شغلوا عن رسول الله بقية الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وصلّ المسلمون على رسول الله زمراً زمراً، وخطب أصحاب رسول الله (ص) بين جثمانه وأهله، فولّوا إجماعهم^(٣). ولم يشهد أبو بكر وعمر غسل الرسول (ص) وتكفينه ودفنه.

قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار وبنو هاشم ومالوا مع عليّ بن أبي طالب.

فذهبوا إلى العباس ليستميلوه فجابههم بالردّ.

وتحصّن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والأنصار، فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا آبن الخطاب أجبث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة.

وليه أشار أبو بكر في مرض موته حين قال:

(أما إني لا آسي على شيء في الدنيا إلّا على ثلاث فعلتھنّ وددت أني لم أفعلھنّ . . . فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة ولو أغلق على حرب . . .). ثم إن عليّاً حمل فاطمة ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة وتسلّمهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان آبن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ: أفكنت

(٣) تولوا دفنه.

أترك رسول الله (ص) في بيته لم أجهّزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟
وتقول فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله
حسبهم.

وكان معاوية يعير أمير المؤمنين عليّاً بهذا الموقف ويقول:
(وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي آبنيك
الحسن والحسين يوم بويج أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر
والسوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بأمرأتك وأدلت إليهم بآبنيك
وأستنصرتهم على صاحب رسول الله... فلم يجيبك منهم إلّا أربعة أو
خسة... ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حرّكك وهيجك: لو
وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم).

وروى البخاري ما دار بين آية رسول الله (ص) وأبي بكر وقال:
فحمرته فاطمة فلم تكلمه حتّى توفيت بعد ستة أشهر، ودفنها زوجها ولم
يؤذن بها أبا بكر، وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفيت أنصرفت
وجوه الناس عن عليّ فلم يبايع عليّ ستة أشهر ولا أحد من بني هاشم حتّى
بايعه عليّ، فلمّا رأى عليّ أنصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر.
وقال البلاذري: ولم يخرج أحد إلى قتال العدو قبل أن يبايع عليّ.
وممن تخلف عن بيعه أبي بكر: فروة بن عمرو، وخالد وأبان وعمر بنو
سعيد الأموي، فلمّا بايع بنو هاشم بايعوا.

وسعد بن عباد لم يبايع، وأشار الأنصار أن يتركوه فإنّه لا يبايع حتّى يقتل
وليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فتركوه،
فقال له عمر في أوّل خلافته، من كره جوار جار تحوّل عنه. فذهب إلى الشام،
فبعث عمر رجلاً فقال له: أدعه إلى البيعة وأحتل له، فإن ابن فاستعن الله
عليه، فذهب الرجل إلى الشام ووجد سعداً بحوارين من قرى حلب فدعاه

إلى البيعة فأبى فرماه بسهم فقتله .

بيعة عمر

لَمَّا حَضَرَ أَبُو بَكْرٍ دَعَا عِثَانَ خَالِيًا فَقَالَ : اكْتُبْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَا مَا عَهْدُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، أَمَّا بَعْدُ - فَأَعْمِي عَلَيْهِ -
فَكُتِبَ عِثَانُ : فَإِنِّي أَسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَلَمْ أَلْكُمْ خَيْرًا ، ثُمَّ أَفَاقَ
أَبُو بَكْرٍ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ فَأَقْرَأَهَا أَبُو بَكْرٍ .

ثُمَّ جَاءَ عُمَرَ مَعَ الْكِتَابِ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ (ص) وَقَالَ لِلنَّاسِ : اسْمَعُوا
وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِنَّهُ يَقُولُ : إِنِّي لَمْ أَلْكُمْ نَصْحًا .
وهكذا بايع الناس عمر .

الشورى وبيعة عثان

لَمَّا طَعَنَ عُمَرَ قِيلَ لَهُ : لَوْ أَسْتَخْلَفْتَ . قَالَ : لَوْ كَانَ سَالِمٌ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتُهُ ،
وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : لِأَجْعَلَنَّهَا شُورَى بَيْنَ سَنَةٍ ، وَعَيْنَهُمْ
مَنْ قَرِيشٌ ، وَوَلِيَّ أَبَا طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ الْخُزْجِيُّ عَلَى خَمْسِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ ،
وَأَمْرٌ صَهْبِيًّا أَنْ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِذَا أَنْتَهَتِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ وَأَتَّفَقُوا عَلَى
وَاحِدٍ فَلْيَضْرِبْ أَبُو طَلْحَةَ عُنُقَ الَّذِي يَخَالِفُ ، وَإِنْ أَجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ عَلَى رَجُلٍ
وِثْلَاثَةٌ عَلَى رَجُلٍ كَانُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَإِنْ صَفَّقَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَمَنْ أَبَى ضَرْبُوا عُنُقَهُ ، فَلَمَّا
تَوَفَّى الْخَلِيفَةُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : إِنِّي أَخْرَجْتُ نَفْسِي مِنْهَا وَمَسْعَدًا عَلَى أَنْ أُخْتَارَ
أَحَدُكُمْ فَاجَابُوا إِلَّا عَلِيًّا فَإِنَّهُ أَبَى مِنْ ذَلِكَ وَلَمَّا أَصْرَوْا عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ أَحْلَفَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ أَنْ لَا يَمِيلَ إِلَى هَوًى وَأَنْ يُوَثِّرَ الْحَقَّ وَأَنْ لَا يَجَاهِيَ ذَا قَرَابَةٍ ، فَحَلَفَ لَهُ ،
فَقَالَ : آخِرُ مَسَدَدٍ .

ثُمَّ أَجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ :

أمدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين .

فقال : أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما أستطعت .

ثم مدّ يده إلى عثمان فوافق على ذلك .

ثم مدّ يده إلى عليّ فقال مثل مقالته الأولى ، فأجابه مثل الجواب الأول .

ثم قال لعثمان مثل المقالة الأولى ، فأجابه مثل ما كان أجابه ، ثم اتجه إلى

عليّ فقال له مثل المقالة الأولى .

فقال الإمام عليّ : إنّ كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معها إلى طريقة أحد .

أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني .

فأتجه عبد الرحمن إلى عثمان وأعاد عليه القول ، فأجابه مثل الجواب

الأول ، فصفق على يده وبايعه ، فقال الإمام عليّ لعبد الرحمن : حبوته حبة

دهر ، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما

تصفون ، والله ما وليت عثمان إلا ليرة الأمر إليك ، والله كلّ يوم في شأن .

وبايع أصحاب الشورى عثمان ، وكان عليّ قائماً فخرج مغضباً ، فقال له

عبد الرحمن : بايع وإلا ضربت عنقك ، ولم يكن يومئذ سيف مع أحد ، ولحقه

أصحاب الشورى فقالوا : بايع وإلا جاهدناك ، فأقبل معهم حتى بايع عثمان .

بيعة الإمام عليّ

لما قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وأنحلوا من كل بيعة سابقة ،

تأفّفوا على الإمام عليّ ، اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا

عليّاً فقالوا : هلّم نبايعك .

فقال : لا حاجة لي في أمركم أنا معكم ، فمن آخترتم فقد رضيت به .

فقالوا : والله ما نختار غيرك . فأختلفوا إليه مراراً ثم أتوه في آخر ذلك .

فقالوا : إنّه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر ، لا والله ما نحن

بفاعلين حتى نبايعك .

قال : ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضى المسلمين .

فاجتمعوا في المسجد يهرعون إليه ، وأول من صعد إليه فبايعه طلحة ثم تتابع المهاجرون والأنصار ثم سائر الناس فبايعوا علياً^(٤) .

* * *

بعد هذا العرض ندرس في ما يأتي آراء المدرستين في أمر الإمامة والخلافة .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. الأولى ١/٢٤٠ - ٢٤١ وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/٨ - ٩ .

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة

أولاً - الخليفة أبو بكر، قال يوم السقيفة: لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحَيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقال: رضيت لكم عمر وأبا عبيدة فبايعوا أيّهما شئتم^(١).

وفي رواية قال:

هم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم^(٢).

ثانياً - قال عمر في السقيفة مخاطباً الأنصار:

(والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته؟ إلا مدلّ باطل أو متجانف لإثم أو متورّط فيهلكة)^(٣).

وقال في آخر شهر من عمره عندما بلغه أنّ أحدهم يقول:

لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً.

فقال عمر:

(١) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبل ٤/ ١٢٠.

(٢) تاريخ الطبري، ط. أوروبا ١/ ١٨٤٠.

(٣) تاريخ الطبري، ط. أوروبا ١/ ١٨٤١.

(من بايع رجلاً من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا)^(٤).

وقال عندما طعن وعين الستة للشورى:

(لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لو ثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة الجراح)^(٥).

وقال:

(لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى)^(٦).

ثالثاً - أتباع مدرسة الخلفاء قالوا:

تنعقد الإمامة بعهد الإمام من قبل، لأنّ أبا بكر عهد بها لعمر ولم تتوقف على رضا الصحابة، وتنعقد أيضاً بآختيار أهل الحل والعقد، وأختلفوا في عددهم، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لأنّ الذين بايعوا أبا بكر أيضاً كانوا خمسة، ولأنّ عمر جعلها في ستة ليبايع خمسة منهم السادس.

وقال الأكثر منهم: تنعقد بواحد، لأنّ العباس قال لعلي: أمدد يدك أبايع، ولأنّه حكم، وحكم حاكم واحد نافذ.

وقالوا:

(ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسَمي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين)^(٧).

(٤) البخاري، باب رجم الحبل ١٢٠/٤.

(٥) طبقات ابن سعد ط. بيروت، دار صادر، ٣/٣٤٣.

(٦) بترجمة سالم من الاستيعاب وأسد الغابة ٢/٢٤٦.

(٧) راجع قبله بحث الإمامة لدى مدرسة الخلافة.

ورروا أن رسول الله (ص) قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك».

وإن الخليفة لا يعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة بذلك. كانت هذه آراء أتباع مدرسة الخلافة وينبغي لنا أن ندرس المصطلحات التي تدور في هذا البحث أولاً ثم نناقش الآراء المذكورة.

تعريف المصطلحات

أولاً - الشورى

التشاور والمشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر، وبهذا المعنى جاء في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي يتشاورون في أمورهم فالكلمة ليست مصطلحاً شرعياً.

ثانياً - البيعة

أ - البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع، وصفق يده وعلى يده بالبيعة والبيع: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا. وكانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل أنهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيباً ويتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دماً.

ب - البيعة في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما ويقال: بايعه عليه مبايعة أي: عاهده عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾ الفتح / ١٠.

وأول بيعة أخذها رسول الله من المسلمين في العقبة الأولى كانت على

الإسلام .

والثانية : البيعة الثانية الكبرى أيضاً بالعقبة بايعهم على الحرب لإقامة المجتمع الإسلامي .

وسمّيت البيعة الأولى ببيعة النساء لأن البيعة كانت على الإسلام دونها قتال .

والبيعة الثالثة : أخذها تحت الشجرة في الحديبية عندما ندب الناس إلى العمرة ، فخرجوا محرمين للعمرة ، ولما صدّتهم قريش عن البيت وتبيّأت للقتال ، تبدّلت السفرة من العمرة إلى القتال وكانت الحالة الثانية مخالفة لما أتندبهم إليها فأقتضت الحال أن يأخذ منهم البيعة على العمل الجديد وغير المعهود ، وفعل ذلك وأعطت البيعة ثمرها في إرعاب أهل مكّة .

وعلى ما ذكرنا قامت البيعة الأولى : على الإسلام دونها قتال ، والثانية : على إقامة الدولة الإسلامية والقتال من أجلها ، والثالثة : البيعة على القتال في تلك السفرة . هذا ما كان في سيرة رسول الله (ص) من أمر البيعة . وجاء في حديثه (ص) أنّه كان يأخذ البيعة على الطاعة في ما يستطيعون ولم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعاً .

ويتضح لنا من دراسة سيرة الرسول (ص) أنّ للبيعة ثلاثة أركان :

أ - المبايع .

ب - المبايع له .

ج - المعاهدة على الطاعة .

وتقوم البيعة على تفهّم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له ، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ وشروط تحقّق البيعة وفق الشرع الإسلامي غير واضحة للكثير من المسلمين وهي :

أ - أن يكون المبايع ممّن تصحّ منه البيعة فلا تصحّ من صبيّ أو من مجنون

لأنهما غير مكلفين شرعاً، وأن يكون مختاراً لأن البيعة كالبيع لا يتعقد بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، ولا تتعقد البيعة بأخذها بالجبر وبحذ السيف.

ب - أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لأن الرسول (ص) قال: «لا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى»^(٦٨).

ج - لا تصح البيعة للقيام بما نهى الله عنه وخلافاً لأوامره وأوامر الرسول (ص) لأن الرسول قال: «إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٦٩).

ثالثاً ورابعاً - الخليفة وأمير المؤمنين

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسد مسده.

وهذا المعنى جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (٦٩).

وفي حديث الرسول (ص): «اللهم أرحم خلفائي» وقال في تعريف الخلفاء: «الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي».

إذاً فالخليفة في القرآن والحديث ليست أسماً للذي يحكم بأسم النيابة عن رسول الله (ص)، وكذلك كان الأمر إلى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال له: خليفة خليفة رسول الله، ثم قيل له: أمير المؤمنين، وبقي الأمر كذلك إلى عصر العباسيين وعلى عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة الله إلى جنب تسميتهم بأمير المؤمنين وفي عصر العثمانيين سُموا أحكام الإسلامى الأعلى بالخليفة وبقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتى اليوم.

إذاً فإن لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحاً شرعياً

٨ و٩) راجع فصل المصطلحات، خامساً: البيعة.

وكذلك أمير المؤمنين .

خامساً - الإمام

الإمام في اللغة : من يأنم به الناس ، وبهذا المعنى جاء في القرآن الكريم غير أنه قيد الإمامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لإبراهيم : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ وَقُولْهُ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۖ .
إذا فالإمامة جعل من الله وعهد لا يناله من أتصف بالظلم سواء أكان ظالماً لنفسه أو لغيره وبذلك أصبح (الإمام) مصطلحاً شرعياً وتسمية إسلامية .

سادساً - الأمر وأولو الأمر

إنَّ الأمر أستعمل في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الإسلامية بمعنى الولاية على الناس والحكم .
أما أولو الأمر فيصحَّ اعتباره مصطلحاً إسلامياً لمجيئه في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ وَالنِّسَاءُ / ٥٩ .

وتختلف المدرستان في تشخيص أولي الأمر وولي الأمر بعد رسول الله (ص) ، فإن مدرسة أهل البيت ترى أنَّ تعيين الإمام وولي الأمر بعد الرسول (ص) من الله يعين من يشاء ويبلغ الرسول أمته بذلك . وترى مدرسة الخلافة أنه يتعين بالبيعة وبالاستيلاء على الحكم بالقهر والغلبة ، وبعد استيلائه على الحكم كيف ما كان تجب طاعته . ومن ثمَّ أطاعوا الخليفة يزيد وقتلوا وسبوا ذرية الرسول (ص) وأباحوا مدينة الرسول وقتلوا البقية من أصحابه والتابعين وزعموا الكعبة بالمنجنيق ، وبعد كلِّ تلكم الأفعال لا يزالون يسمّونه بأمير المؤمنين إلى عصرنا الحاضر .

سابعاً - الوصيّ ووصيّ النبيّ

الوصيّ في الكتاب والسنة : هو الإنسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهتمه سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيّه : أوصيك أن تفعل كذا وكذا من بعدي ، أو يقول : أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدي ، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بالوصيّة فإنّه سواء في ذلك أن يقول : فلان وصيّ من بعدي ، أو يقول : فلان يقوم بعدي بعمل كذا وكذا ، وما شابهها من الألفاظ الدالة على الوصيّة . ووصيّ النبيّ : هو الإنسان الذي يعهد إليه النبيّ بأمر شريعته وأمرته من بعده .

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة

أولاً - الشورى

إن أول من ذكر الشورى لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يستند في ذلك إلى دليل من الكتاب والسنة بل أعتمد أجهاده الخاص فمن أخذ سيرة الصحابة وأقوالهم في عداد كتاب الله وسنة رسوله من مصادر الشريعة الإسلامية فله أن يتخذ من السنة العمرية هذه سنداً لهذا الحكم في إقامة الخلافة. على أن سنته هذه مخالفة لسنته وسنة الخليفة الأول أبي بكر في إقامة حكم الخليفة الأول أبي بكر فإنها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر وتقييمه لها وكذلك مخالفة - أيضاً - لسنتهما في إقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فإن الخليفة الأول وإلى الخليفة عمر على المسلمين من بعده، وكلاهما لم يستشير المسلمين في كلا المقامين، ومخالفة - أيضاً - لقول الخليفة عمر: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن هذا القول يخالف الالتزام بالشورى!

وعلى فرض صحة إقامة الخلافة على أساس الشورى العمرية، فكيف ينبغي أن تكون الشورى؟ وكم ينبغي أن يكون عدد المشاورين؟ في الأغلب قالوا ينحصر عدد المشاورين في ستة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف إلى ما سبق السؤال عن المسوغ لإعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصة حق اتخاذ القرار النهائي من دون الآخرين في تلك الشورى. ثم ما المسوغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه؟ ثم من الذي كان يُخشى منه المخالفة لرأي عبد

الرحمن من دون الآخرين؟ وأخيراً هل أتبعت مدرسة اخلافة الشورى العمرية مرة واحدة وأقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون؟ هذه أسئلة تتوارد على الشورى العمرية .

أما ما استدلّ به أتباع مدرسة الخلفاء في هذا الصدد، فما كان من استدلالهم بالآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ فإنه لا يستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم، فإنه سبحانه وتعالى لو أراد الوجوب في هذا الأمر لقال: كتب الله على المؤمنين أو قال: فرض عليهم، إلى ما شابههما من الألفاظ الدالة على وجوب الفعل على المؤمنين .

وما كان من استدلالهم بآية ﴿وشاورهم في الأمر﴾ فقد أوضحنا في ما سبق بأن الآية في مقام توجيه الرسول (ص) أن يدعو المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة؛ وليس بأسلوب الملوك الجبابرة الذين يلقون أوامرهم إلى الناس بقولهم مثلاً: اصدرنا أمرنا الملكي بكذا . وقد صرح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأن رأي المسلمين ليس ملزماً لرسول الله (ص) حيث قال: ﴿فإذا عزم فتوكل﴾، إذا فالقيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسول (ص) وليس على ما يرتثيه المؤمنون، ويوضح ذلك بجلاء الأمثلة التي ذكرناها من مشاورة الرسول المسلمين في موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول الله مسبقاً مثل مشاورته إياهم للقتال في غزوة بدر .

ثم إن مشاوراته (ص) كانت في مقام استجلاء رأي المسلمين في كيفية تنفيذ الأحكام الإسلامية وليست في مقام استنباط الحكم الشرعي بالتشاور، أضف إلى كل ذلك أن الله تعالى قال: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ الأحزاب/ ٣٦ .

إذا فإن رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسوله (ص) فيه أمراً

وفي ما قضى الله ورسوله (ص) فيه أمراً، تكون المشاورة بمعصية الله ورسوله (ص) وضلّالاً مبيناً.

ثانياً - البيعة

عرفنا ممّا سبق: أنّ البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية الخالق ولا بالإكراه وحدّ السيف.

أمّا أصحاب مدرسة الخلافة فإنهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد وحضور شاهدين، وأستدلّوا بعمل الصحابة.

ثالثاً - عمل الصحابة

يصحّ الاستدلال بعمل الصحابة في ما إذا أعتقدنا أنّ سيرة الصحابة مثل كتاب الله وسنة رسوله مصدر للتشريع الإسلامي، ثم إنّ عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما رأينا في ما سبق، ومن ثم وقع الخلاف في آراء أتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ما سبق. وعلى هذا بعمل أيّ من الصحابة نقنّدي وقول من منهم ومن الأتباع نأخذ؟!

الاستدلال بكلام الإمام عليّ

أمّا ما أستدلّوا به من كلام للإمام عليّ، فإنّه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بها ألزموا به. على أنّ إجماع الصحابة بما فيهم الإمام عليّ وسبطا الرسول (ص) الحسن والحسين حجّة. وهذا هو مفهوم كلام الإمام المذكور.

وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية:

قالوا: لا ينزل الحاكم الذي سمّوه بالإمام بالفسق والفجور وإعلان المعصية.

وقالوا: على المسلم السمع والطاعة للإمام الفاسق وإن ضرب ظهره وأخذ ماله، ولا يجوز الخروج عليه.

وقالوا: إن يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق والفجور بالبيعة أصبح أمير المؤمنين، ونتيجة لاعتقادهم بصحة بيعته استطاع أن يجهز جيشاً من المعتقدين بصحة بيعته ويقتل بهم ذرية الرسول بكر بلاء ويسبيهم ويسير بهم أسرى من كربلاء إلى عاصمة ملكه الشام.

وبنتيجة تلك البيعة استطاع أن يجهز جيشاً آخر من المعتقدين بصحة بيعته ويغزوهم مدينة الرسول (ص) ويبيحها لجيشه ثلاثة أيام، فقتلوا جمعاً من أصحاب الرسول (ص) وتابعيهم، وأخذوا البيعة من الآخرين على أنهم عبيد أقنان ليزيد، وهتكوا أعراضهم وفعلوا ما شأؤوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل، ثم غزا بهم مكة فضربوا بيت الله الحرام والكعبة بالمنجنيق. وبعد كل تلك الجرائم يلقبونه بأمر المؤمنين حتى اليوم ويكتبون في مدحه الكتب وينشرون، فلنا لله وإنا إليه راجعون.

الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)

كانت تلكم آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة والخلافة وأدلتهم . أما مدرسة أهل البيت فإنها تستدلّ بخطاب الله لإبراهيم وقوله له : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وجواب الله لطلب إبراهيم حين قال : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ على أَنَّ الإمامة عهد من الله لا يناله الظالم لنفسه أو لغيره . وتستدلّ بقوله تعالى في حقّ أهل البيت : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ على عصمة أهل البيت عمّد وأهل بيته - صلوات الله عليهم أجمعين - من الذنوب، وكذلك تستشهد بسيرة أهل البيت، حيث لم يسجل منهم في التاريخ أمر مخالف للعصمة .

أما الأدلة على إمامتهم فإننا إذا درسنا سيرة الرسول في أمر تعيين وليّ الأمر من بعده نجد أنّه لم يغيب عن بال الرسول (ص) ومن حوله أمر الإمامة من بعده، فإنّ بعضهم طلب من الرسول أن يكون لهم الأمر من بعده فأجابهم الرسول : « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء » وأخذ منهم البيعة في إقامة المجتمع الإسلامي « أن لا ينازعوا الأمر أهله » وعيّن الإمام عليّاً في أوّل يوم دعا إلى الإسلام وزيراً له وخليفة من بعده، وشاهدناه - أيضاً - يستخلف على المدينة كلّما غاب عنها لأمر ما وإن كانت المسافة ميلاً أو أقلّ من ذلك .

وكذلك لم يترك أمته هملاً أبداً الدهر، وفعل (ص) كما فعل الرسل من قبله في تعيينهم الأوصياء من بعدهم وإخبارهم أمهم بذلك، وعيّن وصيّيه ووليّ الأمر من بعده في أماكن مختلفة وأزمنة متعددة بأقوال تواترت عنه مثل قوله (ص)

لسلمان عندما سأله عن وصيته من بعده :

«إِنَّ وَصِيَّيَّ وَمَوْضِعَ سَرِّي . . . عليّ بن أبي طالب (ع)» إلى غير هذا من أحاديث النبي (ص) التي نصّ فيها (ص) على أنّ عليّاً وليّ الأمر من بعده، ولذلك أشتهر الإمام عليّ بلقب الوصيّ مدى القرون، وجاء ذكره في أشعار الشعراء وأقوال الخطباء وأحتجاجات المناظرين صحابة وتابعين وعلماء وخلفاء وأمراء، كما مرّ بنا أمثلة منها .

ولمّا كان أشتهار الإمام بأنّه وصيّ خاتم الأنبياء يخالف سياسة الخلفاء وأنّجاه مدرستهم، بالغوا جيلاً بعد جيل في كثرة أحاديث الرسول (ص) التي نصّ فيها على أنّ عليّاً (ع) وصيه سواء كان التعيين بلفظ الوصيّ أو بالفاظ أخرى مثل الوليّ وأوليّ الأمر. وقد ذكرنا عشرة أمثلة من أنواع كتاباتهم في ما سبق مثل حذفهم بعض الحديث وتبديله بكلمة مبهمّة، كما فعلوا مع نصّ «وصيّي وخليفتي فيكم» الذي جاء في سنة الرسول (ص) فلمنهم حذفوه وأبدلوه بقولهم : (وكذا وكذا).

وتأويلهم بعض النصوص من سنة الرسول في هذا الشأن .

ومثل نهيهم عن كتابة سنة الرسول .

وقتلهم من خالفهم في ذلك مثل قتل النسائي أحد أصحاب الصحاح الستة الذي كتب (خصائص الإمام عليّ) .

ولم يقتصر نهيهم عن نشر الحقائق بالنصوص الواردة في حقّ الأئمة الاثني عشر، بل شمل النهي كلّ ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة، فقد قال رسول الخليفة يزيد لعبد الله بن الزبير، عندما خلع يزيد وقد اجتمعوا في بيت الله بمكة :

يا ابن الزبير، أتصعد المنبر وتتكلم في أمير المؤمنين بكلّ قبيح ثمّ تشبه نفسك بحمام مكة؟! ثمّ قال : يا غلام ! اثني بقوسي وسهمي . قال : فأتي

بقوسه وسهامه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد قوسٍ ثم سدّده نحو حمام مكّة .
وقال : يا حمامة ، أيشرب أمير المؤمنين؟ قولي : نعم ! أما والله لو قلت :
نعم ، لمّا أخطأك سهمي هذا . يا حمامة : أيلعب أمير المؤمنين بالقروذ والفهود
ويفسق في الدين؟ قولي : نعم ! أما والله لئن قلت : نعم لا أخطأك سهمي
هذا . . .^(١)

وفي شأن وصيّ الرسول (ص) خاصّة بالغوا في قلب الحقائق إلى حدّ أنهم
لعنوه في خطب صلاة الجمعة زهاء تسعين عاماً في جميع بلاد المسلمين عدا
سجستان (سيستان) ، ومع كل ذلك الحجر والشدة المتناهية فيه - إلى حدّ قتل
من روى عن الرسول (ص) في فضله حديثاً - مع كل ذلك أنتشر شيء مما يضرّ
بمصلحة الخلفاء في بعض كتب الحديث والتفسير والسيرة وما شابهها فعالج
ذلك أتباع مدرستهم بإحراق مكنتات كان فيها مئات الألوف من الكتب
بخطوط مؤلفيها^(٢) لما فيها من شيء يضرّ مصلحة الخلفاء ، وبعد كلّ تلك
الشدة في منع نشر الحقائق بقي في سنة الرسول (ص) التي بأيدينا من طرق
مدرسة الخلفاء النصوص الآتية في أئمة أهل البيت . مثل قوله (ص) :

«عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» .

وفي غدير خم لما أمره الله أن يعيّن وليّ الأمر من بعده ونزلت آية : ﴿يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ﴾ صعد منبراً من أحداج الإبل ورفع عليّاً .
وقال : «الله مولاي وأنا مولاكم فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه» وتوجّ عليّاً بعمامته السحاب فنزلت آية :

(١) تمام الخبر مع ذكر مصادره في ذكر خبر (ثورة أهل الحرمين) في ما يأتي من الجزء الثالث
من هذا الكتاب .
(٢) راجع قبله بحث (إحراق الكتب والمكنتات) .

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

ونزلت فيه :

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ .

وقال في حقَّ كلِّ من الحسنين :

«هذا مني» .

وقال : «الحسن والحسين سبطان من الأسباط» .

وفي حقِّ الأئمة من بعده : الإمام عليّ والأحد عشر من بنيهِ . أخبر الرسول : أنهم أولو الأمر في آية :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ .

وفيهم قال رسول الله (ص) :

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

وجعلهم أعدال القرآن وقال :

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن

تضلوا من بعدي ، وقد أنبأني اللطيف الخبير أنهما لا يفترقان حتى يردا عليّ

الحوض» .

ويظهر من قول الرسول هذا : أنَّ أحد الأئمة لابدَّ أن يطول عمره ويبقى

مع القرآن إلى يوم القيامة .

وعين عددهم في قوله :

«لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم آئنا عشر» .

وفي رواية :

«لا يزال أمر الناس ماضياً إلى اثني عشر» .

وفي رواية بعدها :

«ثم يكون المريج والمهريج» .

وفي رواية :

«فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» .

وفي رواية قال عن عددهم أنهم اثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل .

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثني عشر من أهل بيت رسول

الله (ص) الذين طال عمر آخرهم وبعدهم يكون فناء الدنيا . وبما أنّ علماء

مدرسة الخلافة لم يرتضوا أئمة أهل البيت ، فقد حاروا في تفسير هذه الروايات

الصحيحة ولم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به أنفسهم .

وفي ما يأتي أسماء أولئك الاثنا عشر كما نصّ عليهم الرسول (ص) في

أحاديث أخرى له .

أوصياء النبي الاثنا عشر من بعده :

الأول : عليّ بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، الوصي .

الثاني : الحسن بن عليّ ، السبط الأكبر .

الثالث : الحسين بن عليّ ، السبط الأصغر ، الشهيد .

الرابع : عليّ بن الحسين ، السجاد .

الخامس : محمد بن عليّ ، الباقر .

السادس : جعفر بن محمد ، الصادق .

السابع : موسى بن جعفر ، الكاظم .

الثامن : عليّ بن موسى الرضا .

التاسع : محمد بن عليّ ، الجواد .

العاشر : عليّ بن محمد ، الهادي .

الحادي عشر: الحسن بن علي، العسكري .
الثاني عشر: محمد بن الحسن، المهدي، الحجة، المنتظر.

أنجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

اقتصرنّا في ما أوردنا من الأدلة على إمامة أئمة أهل البيت الاثني عشر (ع) في ما سبق على ما جاء في أوثق مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء وبالإضافة إلى ذلك فقد جاءت في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة أهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول الله (ص) في النصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر (ع) بأسمائهم وصفاتهم .

ويقول أتباع مدرسة أهل البيت (ع) : ينبغي أن لا يغرب عن بالنا أن صحة خلافة الخلفاء أمويين وعباسيين وعثمانيين وغيرهم من الخلفاء ومن تبعهم من الأمراء والولاة والقضاة وأئمة الجمعة والجماعة في البلاد الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً كانت متوقفة على كتمان ما جاء في إمامة الإمام علي بن أبي طالب والأئمة من ولده (ع) .

فإنه مثلاً في زمن الخليفة هارون الرشيد أصبح أبو يوسف قاضي قضاء المسلمين بتعيين الخليفة هارون الرشيد ومشروعية منصبه متوقفة على صحة خلافة هارون الرشيد وصحة خلافة الرشيد متوقفة على عدم وجود نصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى وزارة البرامكة، فإنهم أصبحوا وزراء لخليفة المسلمين بسبب صحة خلافة هارون، وكذلك جميع أمراء جيوش المسلمين في عصره أصبحوا أمراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد، وكذلك شأن ولاية الخليفة على البلاد، فإن أمير صنعاء وأمير مكة وأمير المدينة والكوفة والشام والإسكندرية والريّ وخراسان وسائر البلاد الإسلامية في جميع الأقاليم، وكذلك أئمة الجمعة والجماعة في جميع

البلاد الإسلامية من أقصى بلاد أفريقيا إلى ما وراء خراسان وبلاد الحجاز واليمن والشام والعراق إلى غيرها من البلاد الإسلامية، كل أولئك أصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعية خلافة هارون الرشيد وشرعية خلافة هارون الرشيد متوقفة على عدم وجود إمامة معينة منصوبة من قبل الله ومنصوص عليها من قبل رسول الله (ص) في ذلك العصر وهو الإمام موسى بن جعفر (ع) ولا في إمامة سائر الأئمة (ع) قبله.

وهذا الأمر كان جارياً وسارياً في زمن يزيد ومعاوية وعثمان وغيرهم إلى آخر خلفاء العثمانيين، فإن كل أولئك المنتفعين بخلافة الخلفاء جلّ العصور إنما آتفَعُوا بمناصبهم ومعايشهم لعدم وجود نصّ على إمامة أيّ إمام غير الخلفاء على حدّ زعمهم ومع كل ذلك بقيت النصوص السابقة في إمامة الأئمة من أهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الإسلامية بمدسة الخلفاء إلى اليوم، وذلك لأنّ الله شاء أن يتمّ الحجّة على الناس مدى العصور، وما شاء الله كان.



بعد الانتهاء من دراسة رأي المدرستين في الصحابة والإمامة نستعين الله وندرس في ما يأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية وكيفية استفادة كل منهما منها، إن شاء الله تعالى.

الملحق

مرّ بنا في ص: ١٢٥ هامش رقم: ١١ ان بمصادر اتباع مدرسة أهل البيت أنّ نفر المنافقين لناقة رسول الله (ص) كان في عقبة هرشى بالقرب من الجحفة وعند رجوعه (ص) من حجة الوداع بسبب ما قام به وقاله في حق الإمام علي بغدير خم^(١).

وجاء في ترجمة هرشى بمعجم البلدان:

هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكل من سلك واحداً منها افضى به إلى موضع واحد ولذلك قال الشاعر:

نحذا انف هرشى أو قفاها فانسأ كلا جانبي هرشى لهن طريق

ولما كانت هذه العقبة قريباً من الجحفة يناسب ان يكون الخبر في هذا المكان اصف اليها أنا لا نعلم وجود عقبة مثلها في طريق تبوك إلى المدينة.

(١) مرّ مصدره في ص ١٢٥ من هذا الكتاب

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة الطبعة الخامسة	٩
مخطط بحوث الكتاب	١١

بحوث تمهيدية

(١) توطئة	١٥
عوامل التخريب الخارجي	١٨
(٢) بعض ما شاهدت من آثار الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية	٢٤
(٣) بعض صفات الله جلّ اسمه ومنشأ الخلاف حولها	٣١
حول رؤيته	٣٣
في الجنة	٣٥
الخلاف على نأويل تلکم الأحاديث	٣٧
منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته	٣٨
(٤) الخلاف في صفات الأنبياء وما خصهم الله بها ومنشأها	٤٢
أ - التبرك بآثار الأنبياء	٤٢
ب - الاستشفاع برسول الله (ص)	٤٨
التوسل بالنبي (ص)	٤٨

- الاستشفاع بالعباس عمّ النبيّ (ص) ٥١
- منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص) ٥١
- ٥) الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء وذكرى عباد الله الصالحين ... ٦٠
- انتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره ٦٣
- انتشار الشؤم إلى المكان من المكين ٦٤
- منشأ الشؤم والبركة في المكان ٦٤
- ٦) الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء وأتخاذها محلاً للعبادة ٦٧
- أ - الحديث الأول ٦٧
- ب - الحديث الثاني ٦٩
- أدلة من رأى جواز أتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة ٧٠
- ٧) الاختلاف في البكاء على الميت ومنشأه ٧٥
- بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم ٧٥
- بكاء الرسول (ص) على حفيده ٧٦
- ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمّه حمزة ٧٧
- بكى الرسول (ص) على قبر أمّه وأبى من حوله ٧٧
- أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لأهل المصاب ٧٧
- عين الرسول (ص) أيام الحداد على الميت ٧٨
- منشأ الخلاف حول البكاء على الميت ٧٨
- الخليفة عمر يروي أنّ رسول الله (ص) نهى عن البكاء وأمّ المؤمنين عائشة تستدرك عليه ٧٩
- ٨) آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها ٨٢
- دعاء غير الله وحكم غير الله ٨٢

٨٢.....	أ - دعاء غير الله
٨٤.....	ب - حكم غير الله
٨٥.....	جواب مخالفهم في المسألتين
٨٦.....	صفة الملك لله
٨٧.....	الخالق والمحيي
٨٨.....	الولي والشفيع
٩٠.....	من يتوفى الأنفس
٩١.....	دعوة الرسول (ص) والتوسل به إلى الله
٩٢.....	أ - الباعث الحقيقي الأول على ما نشأ من الخلاف
٩٢.....	أولاً - في بدء الخليقة
٩٢.....	ثانياً - في الأمم السابقة
٩٣.....	ثالثاً - في عصر خاتم الأنبياء
٩٤.....	رابعاً - في عصرنا
٩٤.....	ب - الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف
٩٦.....	٩) خلاصة وخاتمة
٩٨.....	منهج البحث في الكتاب

القسم الأول

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

١٠٢.....	توطئة
١٠٢.....	منشأ الخلاف
١٠٤.....	اللغة العربية والمصطلحات الإسلامية

الموضوع الصفحة

أولاً: تعريف المصطلحات	١٠٤
أ - لغة العرب	١٠٤
ب - المصطلح الشرعي والمصطلح الإسلامي	١٠٥
ج - مصطلح المتشريعة أو تسمية المسلمين	١٠٥
د - الحقيقة والمجاز	١٠٧
ثانياً: كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية	١٠٨
البحث الأول: بحوث المدرستين حول الصحبة والصحابة	١١١
الفصل الأول: تعريف الصحابي لدى المدرستين	١١٣
ضابطتهم لمعرفة الصحابي	١١٤
الفصل الثاني: عدالة الصحابة لدى المدرستين	١١٩
ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق	١٢٦
الفصل الثالث: خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين	١٣١
البحث الثاني: بحوث المدرستين في الإمامة	١٣٥
الفصل الأول: الواقع التاريخي للخلافة في صدر الإسلام	١٣٧
أمر كتابة وصية رسول الله (ص)	١٤٠
موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)	١٤١
السقيفة وبيعة أبي بكر	١٤٢
دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه	١٥٢
بعد دفن الرسول (ص)	١٥٣
التحصن بدار فاطمة (ع)	١٥٦
من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر	١٦٥

١٧١.....	استخلاف عمر وبيعته.....
١٧١.....	الشورى وبيعة عثمان.....
١٧٩.....	بيعة الإمام عليّ (ع).....
١٨٣.....	الفصل الثاني: بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة.....
١٨٥.....	رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به.....
١٨٥.....	أولاً - قول الخليفة أبي بكر.....
١٨٥.....	ثانياً - قول الخليفة عمر.....
١٨٦.....	ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء.....
١٩١.....	وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص).....
١٩٣.....	استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة.....
١٩٤.....	مصطلحات بحث الإمامة والخلافة.....
١٩٤.....	أولاً: الشورى.....
١٩٥.....	ثانياً: البيعة.....
١٩٥.....	(أ) البيعة في لغة العرب.....
١٩٦.....	(ب) البيعة في الإسلام.....
١٩٦.....	(١) البيعة الأولى.....
١٩٧.....	(٢) البيعة الثانية الكبرى بالعقبة.....
١٩٨.....	(٣) بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة.....
٢٠١.....	الخلاصة.....
٢٠٢.....	ثالثاً: الخليفة وخليفة الله في الأرض.....
٢٠٢.....	أولاً: الخليفة والخلافة.....
٢٠٣.....	أ - على عهد الخليفة الأول.....

ب - على عهد الخليفة الثاني	٢٠٣
ثانياً : خليفة الله في الأرض	٢٠٥
١ - في المصطلح الإسلامي	٢٠٥
جعل الله خلفاءه أئمة للناس	٢٠٥
يؤتي الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر	٢٠٨
٢ - الخليفة وخليفة الله في مصطلح المسلمين	٢١٠
أ - في العصر الأموي والعباسي	٢١٠
ب - في العصر العثماني	٢١١
ج - في عصرنا	٢١١
انتقال مصطلح الخلفاء من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة	
أهل البيت (ع)	٢١٢
الخلاصة	٢١٣
رابعاً : أمير المؤمنين	٢١٥
خامساً : الإمام	٢١٥
سادساً : الأمر وأولو الأمر	٢١٦
أ) في لغة العرب	٢١٦
ب) في عرف المسلمين	٢١٨
ج) في النصوص الإسلامية	٢١٩
سابعاً : الوصي والوصية	٢٢٠
دراسة رأي مدرسة الخلفاء	٢٢٣
رأي مدرسة الخلافة وما استدلوا به	٢٢٣
أولاً - رأي الخليفة أبي بكر	٢٢٣

٢٢٣.....	ثانياً - رأي الخليفة عمر بن الخطاب
٢٢٤.....	مناقشة الاستدلالين
٢٢٥.....	ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
٢٢٥.....	الأول: مناقشة الاستدلال بالشورى
٢٢٦.....	الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله (ص)
٢٢٦.....	أولاً: الاستدلال بآية ﴿وأمرهم شورى﴾
٢٢٦.....	ثانياً: الاستدلال بآية ﴿وشاورهم في الأمر﴾
٢٢٧.....	ثالثاً: الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) مع أصحابه
٢٢٧.....	أ - غزوة بدر
٢٣٠.....	ب - غزوة أحد
٢٣٣.....	ج - غزوة الخندق
٢٣٦.....	الثاني: مناقشة الاستدلال بالبيعة
	الثالث: مناقشة الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحة الاستدلال
٢٤٢.....	بالشورى
٢٥١.....	الرابع: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة
٢٥٤.....	إطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)
٢٥٥.....	خلاصة البحث
٢٥٩.....	الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة
٢٦٢.....	عصمة أهل البيت (ع)
٢٦٢.....	شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة
٢٦٩.....	اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده
٢٧٣.....	باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته

- أ - مثال مما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور ٣٨٣
- ب - بعض ما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المتوكل ٣٨٣
- نتيجة البحث ٣٨٦
- عداوة الخلافة الأموية للإمام عليّ (ع) وآثارها ٣٩٠
- أولاً - في خلافة آل أبي سفيان وعلى عهد معاوية ٣٩٠
- سياسة حكم الخلافة المروانية من آل أمية ٣٩١
- سياسة حكم الخلافة العباسية ٣٩١
- عشرة أنواع من الكتمان والتحريف لسنة الرسول (ص) وأخبار سيرة
أهل بيته وأصحابه ٣٩٣
- دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة
لأتجاهها ٣٩٤
- إنكار الوصية ٣٩٤
- أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة
مبهمة ٣٩٥
- ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف ٣٩٨
- ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص) ٣٩٩
- نظرة تأمل في ما روي في باب من لعنه النبيّ (ص) ٤٠١
- حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية ٤٠٤
- د - حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه ٤٠٥
- هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليها ٤٠٨
- و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص) ٤١١
- ز - تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص

- السلطان وقتل المخالفين أحياناً ٤١٣
- ١ - انتقاص من يذكر الوصية ٤١٤
- ٢ - الطعن في رواية الحديث ٤١٧
- ٣ - الطعن في أئمة الحديث ٤١٧
- ٤ - النسائي أحد مؤلفي الصّحاح الستة وقصة قتله ٤٢١
- ح - إحراق الكتب والمكتبات ٤٢٢
- ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه ٤٢٥
- ي - وضع الروايات والأخبار المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة ٤٢٦
- نوع أخباره ورواياته ٤٢٧
- انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه ٤٢٩
- نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الأفاضل روايات سيف في أخبار صدر الإسلام ٤٣٠
- أولاً - قصة الأسود العنسي ٤٣٣
- ثانياً - خبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند الله ٤٣٥
- إشاعة الزنديق أن الإسلام أنتشر بالسيف وإراقة الدماء ٤٣٧
- تهويلات وأكاذيب فيما رواها سيف عن أخبار حروب الردّة ٤٣٨
- ردّة عك والأشعريين وخبر طاهر ربيب رسول الله (ص) في روايات سيف ٤٣٨
- طاهر في أحاديث سيف ٤٣٩
- فتح أليس وتخريب مدينة أمغيشيا ٤٤١
- كانت شهرة الإمام عليّ بالوصيّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون ٤٤٥
- سيف يضع حلاً لمعضلة مدرسة الخلفاء ٤٤٧

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن	٤٥١
الاختلاف والتحريف في روايات سيف	٤٥٢
أبو ذر في موسم الحج بمنى	٤٥٧
أبو ذر في بيت الله الحرام	٤٥٨
أبو ذر في مسجد الرسول (ص) وغيره	٤٥٨
خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان	٤٦٠
نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلفة في الفتن والروايات الصحيحة	٤٦٠
خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء	٤٦٣
منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية	٤٦٥
نتيجة البحوث وحقيقة الأمر	٤٦٦
عود على بدء	٤٧٠
عدد الأخبار والروايات والنصوص التي أسقطوها	٤٧١
ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حق آلِه في الحكم	٤٧٣
تعيين الوصي بالفاظ مختلفة	٤٧٣
وزير النبي (ص)	٤٧٤
خليفة النبي (ص)	٤٧٥
ولي المسلمين بعد الرسول (ص)	٤٧٦
أولاً - حديث الشكوى	٤٧٦
ثانياً - نصوص أخرى لم يعين زمانها	٤٧٩
الاحتفال بتنصيب الإمام عليّ ولياً للعهد بعد الرسول (ص) ووصياً على الإسلام والمسلمين	٤٨٠

٤٨٣.....	خبر يوم الغدير.....
٤٩٠.....	ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة بتعيين الوصي في أمة موسى
٤٩٣.....	الولاية وأولو الامر في القرآن الكريم
٤٩٣.....	أ - ولاية علي في القرآن الكريم
٤٩٧.....	ب - أولو الأمر علي والأئمة من ولده (ع)
٤٩٨.....	ج - قول النبي (ص): مثل أهل بيتي كسفينة نوح ومثل باب حطة
٥٠١.....	الأئمة علي وبنوه (ع) مبلّغون عن رسول الله (ص)
٥٠٢.....	قصة تبليغ آيات البراءة.....
٥٠٤.....	علي من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى
٥٠٥.....	المراد من لفظ «مني» في أحاديث الرسول (ص)
٥٠٦.....	حامل علوم الرسول (ص).....
٥١٥.....	ما جاء في حق سبطي رسول الله (ص)
٥١٥.....	الحسن والحسين (ع) من رسول الله (ص) وسبطاه
٥١٩.....	بشارات النبي (ص) بظهور المهدي (ع) في آخر الزمان
٥٢٣.....	نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)
٥٢٣.....	حديث الثقلين.....
٥٢٥.....	نص الرسول (ص) على عددهم.....
٥٢٥.....	حديث عدد الأئمة.....
٥٣١.....	خلاصة الأحاديث الآتفة.....
٥٣٢.....	حيرتهم في تفسير الحديث.....
٥٣٨.....	أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء.....
٥٤٠.....	تراجع الأئمة الاثني عشر بعد الرسول (ص)

٥٤٦.....	تنبيه مهم
٥٤٧.....	الفصل الرابع: خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين
٥٤٩.....	الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام
٥٥٠.....	سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر
٥٥٤.....	بيعة عمر
٥٥٤.....	الشورى وبيعة عثمان
٥٥٥.....	بيعة الإمام علي (ع)
٥٥٧.....	أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
٥٥٩.....	تعريف المصطلحات
٥٦٥.....	مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة
٥٦٥.....	أولاً - الشورى
٥٦٧.....	ثانياً - البيعة
٥٦٧.....	ثالثاً - عمل الصحابة
٥٦٧.....	الاستدلال بكلام الإمام علي (ع)
٥٦٧.....	وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية
٥٦٩.....	الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)
٥٧٣.....	أوصياء النبي (ص) الإثنا عشر من بعده
٥٧٤.....	اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً
٥٧٧.....	الملحق
٥٧٩.....	الفهرس